

# رسالة الإسلام

مجلة إسلامية عالمية

تصدر عن دار البقريّة بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة

ربيع الثاني ١٣٧٢ هـ

— أيار ١٩٥٣ م

السنة الخامسة  
العدد الأول

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً  
وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ  
”قرآن كريم“



## رسالة الإسلام

مجلة اسلامية عالمية

تصدرها دارالتقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة

تنشر الطبعة الثانية بإذن خاص من

المهندس القمى نجل المغفور له العلامة القمى، السكرتير العام

لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة

تصدى لنشرها

مجمع البحوث الإسلامية للآستانة الرضوية المقدسة

و

مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية

١٤١١هـ / ١٩٩١م

الأمر الفنى والطبع

مؤسسة الطبع والنشر فى الآستانة الرضوية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كَلِمَةُ الْفَتْحِ

اللهم إنا نبرأ إليك من الحول والطول ، ونسألك التوفيق لما ترضاه من العمل والقول ، ونعوذ بك أن نتكلف ما لا نحسن ، أو نقول ما لا نعلم ، أو نماليء في الحق ، أو نجادل عن الباطل ، أو نتخذ العلم صناعة ، أو الدين بضاعة ، أو نجاري السفهاء ، أو نماري الحسكاه ، أو نحفل بلغو الجاهلين ، أو خوض الخائضين ، أو نفث المصدورين ، أو سعى الحقدة الموتورين .

ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وعلى رسولك المصطفى وآله وصحبه الهداة أزكى السلام والتحيات والصلوات ، اللهم اهدنا بهداهم ، واجعلنا أولياء من والاهم ، وأعداء من عاداهم ، وأحنينا على سنتهم ، واحشرنا في زميرهم ، واجمع بيننا وبينهم في رضوانك وجنت خلدك .

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين .

\*\*\*

لقد مضت أربع سنين ، وهذه المجلة قائمة بأمر الله تدعو إلى كلمة سواء بين أهل الإسلام ، وتذكرهم بأنهم جميعاً إخوة في الله ، بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، وهما هي ذى بحمد الله تدخل في عالمها الخامس وقد دوى صوتها في الخافقين لأنه صوت المنطق والعقل ، وقرت دعوتها في القلوب لأنها دعوة الآلفة والمحبة ، وأمرها على كره من أهل الضرار والتفريق لأن الله متم نوره ولو كره الكافرون .

إن التقريب بين المسلمين ، والعمل على جمع كلمتهم ، ولم تشعبهم ، وتطهير قلوبهم من الأضغان التي أورتهم إياها الخلافات النظرية ، لواجب من أهم الواجبات التي يسأل عنها المؤمنون ، فإنما تقوم الأمم على الوحدة ، لا على التفرق ، وإنما تكون العزة والمنعة والمهابة للذين اجتمعت قلوبهم ، واثتلفوا مخلصين ، وتعاونوا تعاوناً صادقاً على بلوغ قصدهم ، ونجاح سعيهم ، وقد قام الإسلام في أول أمره على قلوب أربعة ، قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وقلوب الثلاثة السابقين إلى الإيمان : خديجة وعلى وأبي بكر ، فكانت هذه القلوب المؤمنة المتفاهمة التي لا تقصد إلا وجه الله دعامات أربعاً لأقوى بناء إصلاحى عرفه البشر ، ألم يكن جو العالم يومئذ مليئاً بسحب متراكمة وظلمات بعضها فوق بعض من الشرك والفساد والظلم والبني والأوهام والباطيل ، فاستطاعت هذه القلوب أن تبدد السحب ، وتشرق الظلمات ، وتهدم صروح الجاهلية صرحاً بعد صرح ، فأدال الله للحق من الباطل ، وللعلم من الجهل ، وللفضيلة من الرذيلة ، وللوحيد من الشرك ، وللهدى والرشد ، من الضلال والفساد ، ألم تخر الأصنام من عليائها ذليلة محطمة لم يغن عنها أصحابها كما لم تغن عنهم ؟

أما ورب العزة إنه لو اثتلفت قلوب المسلمين في جميع شعوبهم وطوائفهم ، وآمنوا حقاً بأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وعملوا على إصلاح شأنهم بالعلم الصحيح ، والخلق الكريم ، وإعداد العدة للجهاد ؛ لهدف الله هيبتهم في قلوب أعدائهم ، ولنجحتهم من القوة الروحية والمادية ، مثل ما منح آباءهم الأولين ، ولفرت أمامهم جيوش المستعمرين كأنهم حمر مستفجرة فرّت من قسورة ، ولكنهم شغلوا عن هذا فلم يذكروه : شغلهم عنه النظريات الكلامية ، والخلافات المذهبية ، والقضايا التاريخية . وأفراد في كل طائفة لا همّ لهم إلا ينشوا عن الهنات ، ويضخموا الهفوات ، ويأخذوا أرباب المذاهب بأقوال عامتهم ضارين صفحا عن تحقيق خاصتهم ، كفعل ذوى المسآرب من المستشرقين يحكمون على الإسلام عامة بما يرونه من الآراء الشاذة



في بعض الكتب ، ولو أنصفوا لاستطاعوا أن يفرقوا بين ما هو حكم الدين قطعاً أو ظناً ، وما هو رأى فيه عُهدتُه على صاحبه .

\*\*\*

وإذا كنا نحمد الله على ما بلغته هذه المجلة من منزلة مرموقة بين أهل العلم والرأى في كل شعب من شعوب الأمة الإسلامية إيماناً بفكرتها ، واعترافاً بجهودها ، ورضاء عن سلوكها ؛ فلسنا بغافلين عن ذوى القلوب الجاحدة ، والعقول الجامدة ، والأقلام الشاردة ، والنفائين في العقد ، والمصدرين عن الضغينة والحسد ، ولكننا عاهدنا الله من قبلُ ألا نضيق بشيء من ذلك ولا نألم له ، ولا يساورنا ضعف أو تردد حين يظهر عليه ، فإننا لنعلم أن الأفكار الصالحة لا بد أن تجد شيئاً من المقاومة ، ولعلها أن تشتمز منها بعض القلوب ، ولو كنا حسبنا أن فكرتنا ستجد من الناس إجماعاً حتى لا يشغب عليها شاغب ، ولا ينعب عليها ناعب ، ولا تختلف فيها موازين النقد ، ومقاييس الرأى ، ولا تنوشها بين ذلك سهام وسهام ، لكننا عن سنة الله غافلين ، أو لسكان زعمنا أن هذه الأمة في حاجة إلى إصلاح تجنيا عليها ، وسوء ظن بها ، فإنما هي إذن من الإصلاح والنضج بحيث لا تحتاج إلى دعوة ، ولا تفتقر إلى إنذار وتبشير .

فليعلم الناس إذن أننا بعرض استقبال عدو قبل أن نكون بعرض استقبال صديق ، فإن الداء عصى ، والعدو قوى ، وإن أخطر الأمراض وأحقها بالعلاج ما يُخيّل للمريض أنه السلامة والصحة .

\*\*\*

أما بعد ، فرجباً بالصديق ننصحه ، وبالعدو نصليحه ، ومن أحسن قولاً بمن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

# فَسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَكِيمِ

لِحَصْرَةِ صَاحِبِ الْفَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ الْجَلِيلِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ دَسْتَلُونُ

## سُورَةُ الْمَائَةِ

- ٢ -

تلخيص ما سبق - النداء الأول في سورة المائة : مسؤولية الالتزام  
التعاقدى - ميثاق الإيمان بين الخالق والمخلوقين - من مقتضيات هذا الميثاق  
الالتزام التشرييع الإلهى وحده - التعاقد محترم إلا ما أحل حراما أو حرم  
حلالا - العهد بين الحاكم والمحكوم - ميثاق أهل العلم - الحلال والحرام  
وطغيان الناس في التحذيل والتجريم افتراء على الله - التذكية المعتد بها في  
الذمائم - ماذبح على النضب - الاستقسام بالأزلام وما يشبهه في عصرنا الحاضر -  
إباحة الطيبات وما تصيده الجوارح وتدريب الحيوان - إباحة طعام أهل  
الكتاب والتزوج من نسائهم : هل تباح ذبائح أهل الكتاب مطلقا -  
رأى الجمهور - رأى طائفة من العلماء منهم ابن العربى - حكم الأطعمة  
المستوردة من بلاد الكفار - لجنة الفتوى تفتى برأيتين مختلفتين في عهدين -  
دلالة هذا على وجود روح الاجتهاد في علماء العصر - رأينا في الموضوع  
بعد المقارنة بين الفتويين - هل إباحة التزوج بالكتابيات مطلقة ؟ - رأينا  
في ذلك - النداء الثانى : المحافظة على الشخصية الدينية للمسلمين بإيجاب التمسك  
بالشعائر - تقديس ما قدسه الله : الشهر الحرام - الهدى - الفلاذ -  
قاصدوا البيت الحرام - تقديس بعض الأماكن والأزمان يتيح للناس نوعا  
من الهدنة والتحصن - كلام القرطبي في هذا - ختام النداء الثانى وما يوحى  
به من المعاني السامية .

تلخيص ما سبق :

قلنا في العدد السابق إن هذه السورة تسمى سورة العقود ، كما تسمى سورة

« المائدة » ، وبيننا وجه تسميتها بسورة « العقود » ، ووجه تسميتها بسورة « المائدة » ، وبمناسبة هذا عرضنا لمسألة المائدة وما قيل في نزولها وعدمه ، وما ذكر في وصفها وتحديد مكانها ، وبيننا الرأي الذى نطمئن إليه فى ذلك . كما تكلمنا على « الحواريين » ، وهل كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين وما تدل عليه الآيات فى هذا الشأن . وشرحنا الظروف التى نزلت فيها هذه السورة ، وأشرنا إلى أن الموضوعات التى اشتملت عليها كانت مما تقضى به حالة المسلمين التى صاروا إليها فى ذلك الوقت الذى نزلت فيه . كما أشرنا إلى جملة من الظواهر التى انفردت بها هذه السورة وكانت لها دلالة واضحة فى معرفة الوقت الذى نزلت فيه ، وأنها جاءت متممة للأحكام التى يحتاج إليها المسلمون بعد أن تركزت حالهم وتميزوا عن غيرهم ، وصار لهم جوار من أهل الكتاب ، يحتاجون إلى معرفة أسس العلاقة بهم ، وبذلك كان كل ما احتوته السورة دائراً فى جملته على أمرين بارزين : تشريع للمسلمين فى خاصة أنفسهم من جهة دينهم ، ومن جهة دنيائهم ، وتشريع لهم فى معاملة من يخالطون ، وإرشادهم لطرق الحاجة والمناقشة التى كانت تنشب بينهم وبين أهل الكتاب فيما يختص بالعقائد والأحكام وذيلنا ذلك العرض بسرد النداءات الإلهية التى وجهت من الله سبحانه للمؤمنين وللرسول عليه الصلاة والسلام ، ولأهل الكتاب ، ووعدنا القارىء الكريم بالتحدث عما تضمنته هذه النداءات الإلهية من تشريع وإرشاد ، وهما نحن أولاء . نأخذ فى ذلك وبالله التوفيق .

## النداء الاول :

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد . » .

### مستولية الالتزام التعاقدى :

هذا النداء يقرر الأساس فى مسئولية الالتزام التعاقدى ، والالتزام التعاقدى شأن اجتماعى خطير . والوفاء ، والإيفاء . الإتيان بالشئ كاملاً غير منقوص . والعقود ، جمع عقد ، وهو ما يلتزمه المرء لنفسه أو لغيره وأساسه قد يكون شأننا

فطربا تدعو إليه الطبيعة ، وقد يكون شأننا تكليفيا تدعو إليه العقيدة ، وقد يكون شأننا عرفيا يدعو إليه الالتزام والتعاهد ، وهذا يكون بين الفرد والفرد ، كما في البيع ، والزواج ، والشركة ، والوكالة ، والكفالة ... إلى آخر ما تعارفه الناس ويتعارفونه من وجوه الاتفاقات .

### ميثاق الإيمان بين الخالق والمخلوقين :

فالفطرة التي فطر الله الناس عليها وملاها الكون بالآيات ، والشواهد الدالة على وجوده وعظمته ، ثم منحه الإنسان عقلا به يفكر ويستدل ، وتهيته للنظر - هذه الفطرة بمثابة عقد جرى بين الله والإنسان في أن ينظر ، ويفكر ، ويستدل حتى يؤمن بالله ولا يشرك به شيئا من دونه ، وقد ذكر القرآن هذا العهد ونبه الإنسان إليه ، وأقام عليه الحجة به في قوله تعالى من سورة الاعراف :  
ولما أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون .

### من مقتضيات هذا الميثاق التزام التشريع الإلهي وحده :

والإيمان بالله ، ورسله وكتبه بمثابة عقد بين المؤمنين وبين الله في أن يمثل أوامره ويحتمل نواهيه ، ويتبع ارشاداته التي تضمنها كتابه ، وبينها رسوله ، وألا يحيد عنها قيد شعرة فضلا عن أن يستبدل غيرها بها ، ويعتمد عليه في تنظيم حياته الخاصة أو العامة ؛ فالمحافظة على ما شرع الله من عبادات ، وأرشد من معاملات ، من مقتضى عهد الإيمان ، والالتزام ما رسمه الله في انشاء الأسرة من الزواج إلى تربية الأبناء والعدل بينهم من مقتضى عهد الإيمان . والقيام بموجب عقود البيع والإجارة والرهن والمداينة والتجارة على ما وضعه الله في كتابه ، وبينه رسوله ، من مقتضى عهد الإيمان . وهكذا يوجب الإيمان القيام بكل ما شرع الله من أحكام .

### التعاقد محترم إلا ما أحل حراماً أو حرم حلالاً :

والارتباط بين الإنسان وأخيه الإنسان فيما لا يحرم شيئاً أحله الله ، أو يحل شيئاً حرمه الله ، عقد يجب الوفاء به ، والارتباطات بين الناس ذات ألوان شتى ، وأنواع مختلفة وكلها واجبة الوفاء إلا ارتباطاً أحل حراماً ، أو حرم حلالاً ؛ فالعقود التي يُكره عليها الإنسان وتفقد عنصر الرضا ، والعقود التي يتفق فيها على إفساد في الأرض أو استغلال حاجة الضعيف ، أو الحصول على أموال من طريق غير مشروع كالقمار والرشوة ، والاتجار في الخمر والخنزير ، وما شابه هذا ، كلها عقود يحرم الوفاء بها وتجب محاربتها والقضاء عليها وتطهير المجتمع منها .

والآية بعمومها تتناول العقود التي تكون بين أمة وأمة ، كما تناولت ما يكون منها بين الفرد والفرد ، وللقرآن الكريم موقف واضح في هذا النوع من العقود ، يطلب فيه بنوع خاص ألا يمس التعاقد القانون الأساسي للإسلام ، وأن يكون مبنيّاً على التراضي والاطمئنان من الجانبين ، وأن يكون واضحاً في تحديد الالتزامات والحقوق والواجبات تحديداً لا يدع مجالاً للتأويل ومحاولة الخروج عن العهدة ، ومن ذلك يرى الإسلام أن التعاقد الذي يتضمن انتهاك الحرمة الشخصية الإسلامية في بلاد الإسلام - كالحكم في الأعراض والأموال بغير ما أنزل الله ، وكنع غير المسلمين في بلاد الإسلام حقوقاً تفسد أخلاق المسلمين ولا تتفق وسلطانهم في بلادهم - تعاقد باطل يحرم الوفاء به ويجب نقضه ، وكذلك يرى أن التعاقد المأخوذ بسيف القهر وسلطان الضغط والقوة ، والتعاقد الذي يتخذ وسيلة للاحتيال على السلب والاختصاب ، تعاقد باطل يجب نقضه ويحرم الوفاء به .

### ١٠ د ير الحاكم والمحكوم :

وتتناول الآية بعد هذا كله عهد الحكم بين الحاكم والمحكوم ، وكثيراً ما عرض القرآن لهذا العهد ، إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . هذا من جهة الحاكم ، أما من جهة المحكوم فالطاعة وتنفيذ الأحكام والقوانين ما لم تكن في معصية الله . أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً .

### ميثاق أهل العلم :

وتتناول عهد العلم بالبيان والإرشاد بين العالم والناس ، وقد عرض له القرآن أيضاً ، وحذر نقضه بالكتان أو التحريف ، وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، وإن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترُونَ به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار .

### الحلال والحرام وطغيان الناس في التحليل والتحریم افترأ على الله :

وبعد أن وضع الله هذه السككية ، العامة الشاملة لجميع أنواع العقود على النحو الذي شرحنا ، أخذ يفصل بعض ما تناوله تلك السككية فيما يتصل بحاجة الإنسان الشخصية وهي الطعام الذي به قوام حياته ، والذي كان للناس في جميع أطوارهم بالنسبة إليه مذاهب وآراء فيما يطعمون منه وما لا يطعمون : يحرمون منه ما شاموا ، ويحلون منه ما شاموا ، تبعاً للأهواء والآهوام ، وقد أشار القرآن كثيراً - في هذا الشأن - إلى تصرفاتهم التي كانوا بها يملكون ويحرمون وإنك لتقرأ في سورتنا هذه : ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون .

وهذه أنعام كانوا يحرمونها بأهوائهم ، والبحيرة ، هي الناقة التي كانوا يبحرون أذنبا . أي يشقونها شقاً واسعاً . وكانوا يفعلون بها ذلك إذا ولدت خمسة أبطن أو عشرة على اختلاف الرواية في ذلك . ويقصدون بذلك الشق الدلالة على تحريم أكلها أو الانتفاع بها ركوباً ، أو حملاً عليها . والسائبة : هي الناقة التي كانت تسبب بنذرها للآلهة فتعزى حيث شامت . ولا يحمل عليها شئ ، ولا يجز صوفها ، ولا يحلب لبنها إلا لضييف ، والوصيلة : هي الشاة التي تصل الأنثى بالأنثى في النواج ،

ليس بينهما ذكر. والحامى : هو غل الضراب والتلقيح ، كانوا إذا أتم عدداً مخصوصاً من الضراب يحمون ظهره ويتركونه دون أن ينتفعوا به .

نفى الله مشروعية ذلك كله ، وجعله من تصرف الأهواء والأوهام ، واغتصاب حق التحليل والتحریم الذى هو لله وحده . وقد رأينا لهذه العادة الضالة بقايا حتى فيما بين المسلمين فيما يندرونه من الأنعام للأولياء ، والمقربين : وان اختلفت صور التقليد والتعليم للنوع والتحریم ، وقد عرضت لذلك سورة الأنعام فى مناقشة طويلة وتم-كم واضح من تصرفاتهم فى التحليل والتحریم على هذا الوجه أو غيره مما كانوا يعتادون ، وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله - بزعمهم - وهذا لشركائنا ، وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء - بزعمهم - وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افترأ عليه سيجزئهم بما كانوا يفترون ، . وثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ، قل آلذكرين حرّم أم الاثنيين أما اشتملت عليه أرحام الاثنيين نبشئ بعلم إن كنتم صادقين ، ومن الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الاثنيين أما اشتملت عليه أرحام الاثنيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا ، فن أظلم من افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ، .

ولعل فى هذا التقريع الشديد والتهمك اللاذع لغتنا لأنظار هؤلاء الذين يجعلون لأنفسهم باسم تدينهم حق تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحل ، إلى أن التحليل والتحریم التبعدين من خصائص الألوهية وحدها ، وأن التصرف فى المخلوقات بالتحليل أو التحريم ليس مما فوض أمره إلى البشر ، نعم هناك من الشئون والأعمال ما يبيحه الله باعتبار ذاته وبقطع النظر عما قد يترتب عليه من أضرار ومنافع ، ومثل هذا قد أعطى الإنسان الحق فى تحريره إذا كان حلالاً متى تيقن أو غلب على ظنه أنه سبيل لضرر أو إيذاء ، كما أعطى الحق فى إيجابه متى تيقن أنه سبيل لدفع ضرر محقق أو جلب خير لا بد منه لصالح الفرد أو الجماعة ، وهذا أصل عظيم فى التشريع الإسلامى يجب التنبه له والانتفاع به فيما توارد عليه المنفعة والمضرة بحسب الظروف والأحوال .

وأمام هذا الطغيان في التحليل والتجريم بيّنت السورة ما أحله الله وما حرّمه ، وسأقت في ذلك قوله تعالى : أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلتى الصيد وأنتم حرم ، ومعناه أن الأنعام وهى الابل والبقر والغنم ، أو هى وما يشبهها من بقر الوحش والظباء ونحوها حلال إلا ما بينه الله بعد ، وإلا ما صدتموه وأنتم محرمون ، فإن الأول حرام على الإطلاق ، والثانى حرام ما دتم في الحرم أو محرمين ، وقد ذكر الأول بقوله تعالى في السورة : حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ، . وذكر الثانى بقوله في السورة نفسها : يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء ما قتل من النعم بحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة ، وحرّم عليكم صيد البر ما دتم حرما وانقوا الله الذى إليه تحشرون .

ومما ينبغى التنبيه له أن محرمات الطعام نزلت قبل هذه السورة في ثلاث سور نزلت في سورة الأنعام : قل لا أجد فيها أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم ، . ونزلت في سورة النحل بصيغة : إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ، . ثم نزلت في سورة البقرة على نحو ما جاء في سورة النحل ، ونزلت في سورة المائدة على نحو ما رأيت ، وقد جاء فيها تفصيل لم يكن فيما نزل قبلها ، كما أن ما نزل قبلها ، مكيا كان أو مدينا جاء بصيغة الحصر الصريح الواضح ، أما هى فقد استفيد الحصر فيها من قوله في صدر الآية : أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم ، . والذى تلى عليهم هو المذكور في قوله : حرمت عليكم الميتة ، إلى آخره ، ولم يخرج في جملته عن الأربع التى سبقت



بصيغة الحصر الواضح في الآيات الثلاث الآخر ، والفتها في هذا المقام كلام كثير حول ما إذا كان وراء هذه الأربع محرمات أو لا ، وقد قال الرازي في تأييد القول بالحصر . وأنه ليس فيها وراء الأربع محرم : إنه الحكم المستقر في الشريعة من أولها إلى آخرها ، وأنه ذكر في المسكي وأيد في المدنى ، وإن مدار الشريعة على أن الأصل عدم النسخ ، وأن نسخ القرآن بخبر الواحد لا يجوز ، وختم كلامه بقوله : « ثبت بالقرير الذى ذكرناه قوة هذا الكلام وحجة هذا المذهب ، وهو الذى كان يقول به مالك بن أنس رحمه الله » (١) .

### التذكية المعتد بها في الذبائح :

هذا وقد دل قوله تعالى في آية المسائدة « إلا ما ذكيت » على أن ما لم يذك من المذكورات قبل ، بالحق وما عطف عليه وأدرك وفيه حياة ما ذكى كان حلالا طيب الأكل لا خيث فيه وإن كانت الإصابة في مقتل ، وقد روى أن ابن عباس ، سئل عن ذنب عدا على شاة فشق بطنها ، ثم انتثر قصبها « أمعاؤها » فأدركت ذكاتها فذكيت ؟ فقال : كل وما انتثر من قصبها فلا تأكل ، وقال إسحاق بن راهويه السنة في الشاة على ما وصف ابن عباس ، فإنها وإن خرجت مصارينها فإنها حية بعد ، وموضع الذكاة منها سالم ، وإنما ينظر عند الذبح أحية هى أم ميتة ؟ ولا ينظر إلى الفعل هل يعيش مثلها « أو لا ؟ وقال ابن اسحاق : ومن خالف هذا فقد خالف السنة من جمهور الصحابة وعامة العلماء ، وقال ابن العربى : اختلاف قول مالك في هذه الأشياء فروى عنه أنه لا يؤكل إلا ما ذكى بذكاة صحيحة والذى في الموطأ أنه إن كان ذبحها ونفسها يجرى وهى تضطرب فليأكل وهو الصحيح من قوله الذى كتبه بيده وقرأه على الناس من كل بلد طول عمره ، فهو أولى من الروايات البادرة ، وقال القرطبي : أطلق علماءنا على المريضة أن المذهب جواز تركيتها ولو أشرقت على الموت إذا كانت فيها بقية حياة ، وليت شعري أى فرق بين بقية حياة من مرض ، وبقية حياة من سبع لو اتسقى النظر وسلمت

من الشبهة الفكر ، وقال أبو عمر : قد أجمعوا في المريضة التي لا ترجى حياتها أن ذبحها ذكاة لها إذا كانت فيها الحياة حين الزكاة وعلم ذلك منها بحركة اليد أو الرجل أو الذنب أو نحوه ، أما إذا صارت في حالة النزاع ولم تحرك يدا ولا رجلا فإنه لا ذكاة فيها .

### ما ذبح على النصب :

أما ما ذبح على النصب فهو من المحرم ، حفظاً للعقيدة وابتعاداً عن مظاهر الشرك والوثنية ، والمراد به ما كانوا يذبحونه على الأحجار المنصوبة حول مكة بنية الآلهة وإن لم يكن باسمها .

### الاستقسام بالأزلام وما يشبهه في عصرنا الحاضر :

وقد ضمت الآية إلى هذه المحرمات ، الاستقسام بالأزلام ، والأزلام هي قطع من الخشب تشبه السهام ، والاستقسام هو طلب معرفة ما قسم في مستقبل الحياة عن طريق هذه القطع الخشبية ، وذلك أنهم كانوا إذا أرادوا سفراً أو غزواً أو زواجاً أو بيعاً وترددوا فيما يريدون . أخير هو فيقدمون عليه ، أو شر فيحجمون عنه ؟ عمدوا إلى هذه الأزلام فأجالوها في الأفداح فإن خرج لهم السهم المكتوب عليه « أمرني ربى » أمضوا ما أرادوا مستبشرين ، وإن خرج المكتوب عليه « نهاني ربى » أمسكوا عما يريدون ، وإن خرج السهم الغفل الذى لا كتابة عليه أعادوا حتى يخرج أحد السهمين الآخرين .

ولما كان هذا الاستقسام منشؤه الوهم الفاسد ، كما أن تحليل المحرم منشؤه الوهم الفاسد والهووى الضال ، نظماً معاً في سلك واحد ، وأخذنا حكم التحريم بقوله « حرمت عليكم » .

ولا ريب أن الاعتماد على مثل هذا في معرفة ما يكون في مستقبل الإنسان ، وهو غيب لا يعلمه إلا الله ، اعتماداً على وهم يأباه دين العقل والبرهان الذى لا يرضى أن يخضع الإنسان ويقيده حياته وتصرفه بمثل هذا الوهم الباطل ، وأن يلقى عقله ويتطالع إلى معرفة الغيب بما لا يمت إليه بصلة ، ويُبلجق بهذا النوع

الذى حرمه الله على الإنسان احتفاظاً بعقله ما يشبهه من وسائل الاستقسام التى يعتادها الناس اليوم كالطرق بالحصى ، وضرب الفول والرمل ، والاستخارة بحبات السبحة ، ومن أقبح أنواع الاستخارة : الاستخارة بالقرآن الكريم الذى جرت به عادة بعض المسلمين وصار شائعاً معروفاً حتى عند أهل العلم والدين ، وما كان الله ليرضى أن يكون كتاب هدايته وإرشاده لتلى هى أقوم فى الحياة العقلية والروحية والعملية ، أداة لشعوذة أو لعبة فى يد عابث أو مضلل أو محتال .

إباحة الطيبات وما تصيده الجوارح وتدريب الحيوان :

وبعد أن بين الله المحرمات على الوجه الذى ذكر فى الآية ، بين لهم أنه أحل الطيبات ، وهى ما لا تحدث ضرراً فى الصحة ، ولا تستقذرهما النفوس ، وعطف عليه صيد المعلم من الجوارح ، واشترط فى حله أن يمسكه الجارح للصائد لا لنفسه وأن يذكر الصائد اسم الله عند الارسال ، ولا يخفى ما فى دلالة هذا من تيسير أسباب الحياة على الإنسان ، ومن إباحة تدريب الحيوانات الكاسرة الانتفاع بها فيما يحتاجه الإنسان ، وعليه فلا بأس بالحمام الزاجل ، ولا بأس بالكلاب التى يدرّبها رجال الأمن للانتفاع بها فى معرفة المجرمين وتعقبهم .

إباحة طعام أهل الكتاب والتزوج من نسائهم :

وأباح أيضاً طعام الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ، كما أباحت التزوج من نسائهم ، وقد جمعت الآيات فى هذا الشأن بين طعام أهل الكتاب وطعام المؤمنين ، كما جمعت بين نسائهم ونساء المؤمنين للإشارة إلى أن الجميع فى حكم واحد ، فالكل طيب ، والكل مباح ، وأن الإسلام لا يرى مجرد المخالفة فى الدين مانعاً من المؤاكلة ، ولا من الاختلاط ، والتزاوج ، ولا من المصاهرة والتزوج ، ولنا فى هذا المقام كلمتان :

الكلمة الأولى فى علاقة وحل طعام أهل الكتاب ، مع شموله لبعض ما حرم على المؤمنين فى صدر الآيات كالمخنقة إذا كانوا يأكلونها ، وما ذكر عليه اسم المسيح أو الكنييسة ، وهم يأكلونه .

والكلمة الثانية : فيما نرى بإزاء حل التزوج بنسائهم .

### هل تباح ذبائح أهل الكتاب مطلقاً ؟ :

رأى الجمهور :

أما الأول : فيرى فيه جمهور العلماء أن الغرض من قوله تعالى : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » رفع الحرج عن المسلمين في تناولهم ما يصنعه أهل الكتاب من طعام وما يذبحونه من حيوان ، وقد كان المسلمون قبل نزول هذا التحليل يتخرجون من تناول طعامهم وذبائحهم لمخالفتهم لإياهم في العقيدة ، فبين الله تعالى أن ذلك حلال لهم كجميع الطيبات من المأكّل والمشارب وأرشدهم إلى أن اختلاف العقيدة لا يمنع تبادل أسباب المعيشة فيطعم المسلم من طعام الكتابي ، كما يطعم الكتابي من طعام المسلم ، وبهذا يتبين أن آية لإحلال طعام أهل الكتاب واردة في غير ما وردت له الآية الأولى ، وأن طعام أهل الكتاب الذي أحله الله للمسلمين لا يصح أن يتناول شيئاً مما وردت بتحريمه الآية الأولى من الميتة وما إليها ، وإن كانوا يستبيحونه لأنفسهم ويطعمونه ، وإذن فلا تأثير لهذه الآية على آية التحريم في شيء ما ، ولا يحل لمسلم أن يتناول مذبوحهم ولا ما سماه عليه بغير الله متى علم ذلك .

رأى طائفة من العلماء منهم ابن العربي :

وترى طائفة من العلماء أن الله سبحانه وتعالى أباح أطعمتهم وهو العليم بما يقولون والعليم بما يفعلون ، وأن الآية جاءت استثناء مما هو حرام على المسلمين من اللحوم إذا كان طعاماً لهم ، وعليه فيباح للمسلم أن يتناول أطعمتهم كيفما كان نوع ذكاتها ، وبذلك صدرت فتوى ابن العربي إذ يقول : ولقد سئلت عن النصراني يقتل عنق الدجاجة ثم يطبخها ، هل يؤكل معه أو تؤخذ طعاماً منه ؟ فقلت : تؤكل ، لأنها طعامه وطعام أحباره ورهبانه وإن لم تكن هذه ذكاة عندنا ، ولكن الله تعالى أباح طعامهم مطلقاً وكل ما يرونه في دينهم فإنه حلال لنا في ديننا إلا ما كذبهم الله سبحانه فيه .

### حكم الأطعمة المستوردة من بلاد الكتائبين :

وفي ضوء هذا الخلاف نستطيع أن نتعرف حكم الأطعمة المستوردة من بلاد أهل الكتاب فهي على رأى الجمهور حلال ما لم يعلم أنهم سموا عليها غير الله ، أو ذبحت بغير الذكاة الإسلامية ، كالخنق والوقذ ، ومن باب أولى ما لم يعلم أنها من الخنزير أو الميتة أو الدم ، وهى على رأى الثانى : حلال ما لم نتحقق أنها من المحرم لذاته وهو الميتة والخنزير والدم وكل ما وراء ذلك حلال وأن تحققنا أنه قد أهل به لغير الله أو لم يذك بالذكاة الإسلامية .

### لجنة الفتوى بالأزهر تفتى بالرأيين في عهدين :

هذا وقد أفتت لجنة الفتوى بالأزهر بالرأيين في عهدين مختلفين ، وكانت الفتوى بالرأى الأول في عهد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم . وبالثانى في عهد فضيلة الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ المراغى ، وقد وافق في فتواه ما سبق للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده من الفتوى بهذا رأى في الأسئلة الترفصالية .

### دلالة هذا على وجود روح الاجتهاد في علماء العصر :

وما دامت الفتوى تصدر دائماً عن ترجيح واجتهاد ، فهذا الذى صدر من لجنة الفتوى أقوى دليل على تركيز روح الاجتهاد الترجيحي في نفوس علماء العصر وإن حاول المرجحون أنفسهم أن ينكروه . وما دامت الحادثة تتعلق بفصل مجتهد فيه والرأى يتبع الترجيح ، والترجيح يتبع قوة الإدراك واختلاف المدارك فإن الاجتهاد بابه مفتوح مهما قالوا ومهما أنكروا .

### رأينا في الموضوع بعد المقارنة بين الفتويين :

وقد يكون من ذلك الاجتهاد ، المقارنة بين هاتين الفتويين ، وإن الناظر في المعنى الذى لأجله حرم ما حرّم على المؤمنين وهو الابتعاد عما اتصل به ما ينافى التوحيد كذكر اسم غير الله ، أو الذبح على النصب ، وعما كان تحريمه لمعنى فى نفسه كالهيئة وما عطف عليها . إن الناظر فى هذا لا يرى بداً من الحكم بأن ذلك التحريم

لا يرفعه أن كان الحيوان ملكاً لغير المسلم ، أو طعاماً له ، فإنه لم يعمد أن يحرم شيء لمعنى على طائفة ، ثم يباح لها إذا كان لغيرها مع وجود معنى التحريم فيه . وإذا نظرنا إلى أن التكليف الإسلامية وما تضمنته من تحليل وتحريم ، هي في واقعها ، وفيما أراد الله من جعل الرسالة المحمدية وشرائعها عامة ، لجميع الناس ، وأن الناس جميعاً مكلفون بها ، يظهر لهذا الرأي قوة فوق قوته . نعم جعل الشارع سبحانه ، عدم إيمانهم بالرسالة مبيحاً لتركهم وما يدينون وإن كان باطلاً في ذاته ، وذلك تسامح منه سبحانه قضت به محبة الأمن والاستقرار ، وعدم الإكراه في الدين . وهذه مبادئ قررها الإسلام صونا للجماعة وحفظاً للنظام ، أما قول المرجحين للإباحة ، إن الله أباح طعام أهل الكتاب ، للمؤمنين وهو يعلم ما يقولون ويفعلون ، فيقابل به أن الله سبحانه أباحه للمؤمنين وهو أيضاً يعلم ما حرّمه عليهم ، ويعلم أنهم يعلمونه ، ويعلمون أن تحريمه لم يكن لأنه ملك لهم ، بل لمعنى متصل به ومتحقق فيه ولا تأثير لصفة المالك عليه . هذا موقفنا بين الفتويين ، وبعبارة أخرى بين الرأيين ، ولكل مجتهد نصيب .

#### هل إباحة الزوج بالكتابيات مطلقة ؟ :

أما الكلمة الثانية : فهي في شأن الزوج من نسايتهم ، وهو المذكور بقوله تعالى « والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، فقد أخذوا الجهور على عمومهم ، وأباحوا الزوج من أهل الكتاب وإن كانوا وبدلوا ، ذميين كانوا أو حريين . وقيد جماعة بالذميين دون الحريين . وذهب جماعة من السلف إلى أن أهل الكتاب قد غيروا وبدلوا وعبدوا المسيح ، وقالوا إن الله ثالث ثلاثة ، فبم بذلك والمشركون في العقيدة سواء وقد حرم الله الزوج من المشركين ، ونسب ذلك الرأي إلى عبد الله بن عمر ، وغيره من الصحابة ، وتأولوا الآية بوجوه أقربها أنها رخصة خاصة في الوقت الذي نزل فيه ، قال عطاء : إنما رخص الله في الزوج بالكتابية في ذلك الوقت لأنه كان في المسلمات قلة . أما الآن ففيهن الكثرة العظيمة ، فزالت الحاجة فلا جرم زالت الرخصة .

### رأينا في ذلك :

والذى نراه فى المسألة أنه ليس فى الآية ما يدل على أنه رخصة ، ولا نعلم فى الشريعة ما يدل على أنه رخصة ، والآية دلت على الإباحة المطلقة ولم تقيد بوقت خاص ولا حالة خاصة ، وعلى هذا يكون القول بحرمة الزوج من نساءهم وفقاً لحكم الآية ، أو نسخاً لها بغير دليل . ومن المعلوم من تعاليم الشريعة العامة أن الله فرق بين أهل الكتاب والمشركون فى كثير من الأحكام ، وذلك نظراً لما بينهم من الاختلاف الشاسع فى العقيدة الأمر الذى جعل أهل الكتاب أقرب للمؤمنين من المشركون ، ومن هذه الأحكام أن شرع للمؤمنين الذين يعتزون بإيمانهم ، ويكونون مثلاً أعلى للأخلاق الإسلامية ، الزوج من أهل الكتاب ليكون ذلك الزوج بمثابة رسول من رسل المحبة والألفة ، فيزول ما فى صدورهم للإسلام من جفوة ، ويعرفون محاسنه وفضائله عن كذب . أما قولهم : إن الله ثالث ثلاثة ، وإن المسيح أو عزيزاً ابن الله ، وإن محمداً ليس برسول ، فهذا كله ليس معناه إنكارهم الوهية الله ، ولا إنكارهم أصل الوحى والرسالة بخلاف المشركون فى ذلك كله .

نعم أن ما نراه اليوم فى بعض المسلمين من رغبة الزوج بنساء الأفرنج لا لغاية سوى أنها أفرنجية تنتمى إلى شعب أوربى ، ثم يضع بذلك نفسه وأولاده ومعيشتهم تحت تصرفها ورأيها ، ويتخذها قدوة له ، ويتخذها قائداً يسير خلفه ، ولا يرى نفسه إلا تابعاً لها ، مسائراً لرأيها ومشورتها ، فتذهب بأولاده إلى الكنيسة كما تشاء ، وتسميهم بأسماء قومها كما تشاء ، وتربط فى صدورهم شعار اليهودية أو النصرانية ، وترسم فى حجر منزلها ما نعلم ، ثم بعد ذلك كله تنشئهم على ما لها من عادات فى المأكل والمشرب والاختلاط وغير ذلك مما لا يعرفه الإسلام ولا يرضاه ، وبما يعتبر الرضا به والسكوت عليه كفرآ وخروجاً عن الملة والدين إن ما نراه من كل ذلك عكس للقضية ، وقلب للحكمة التى أحل الله لأجلها الزوج من الكتابيات ، ولا ريب أنه لمثل هذا القلب قد حرم الله على المسلمة الزوج

بالمكتابي صوتا لها عن التأثر بسلطان زوجها ، والطبيعة مهما تخرص المنخرصون ، قاضية بقضية القرآن ، الرجال قوامون على النساء ، ومركز الرجل في الزوجية يختلف عن مركز المرأة ، فليبق هذا الأصل على الطبيعة ، ويطرد المنع والتحریم ، وإذا شد الرجال عن مركزهم الطبيعي بحكم ضعفهم القوي ، وألقوا بمقاليدهم بين يدي المرأة وجب منعهم من التزوج بالكتابات ، ووجب على الحكومات التي تدين بالإسلام وتغار على قوميتها وشعائرها في أبنائها أن تضع هؤلاء الذين ينسلخون عن مركزهم الطبيعي بفتنتهم الضالة حداً يردم عن غيهم حفظاً لمبادئ الدين والقومية في البلاد ، وإن العمل على تقييد هذا الحكم في التشريع الإسلامي أو منعه لالزم وأوجب مما تقوم به بعض الحكومات الإسلامية أو تحاول أن تقوم به من تحديد سن الزواج للفتاة ، وتقييد تعدد الزوجات وتقييد الطلاق وما إلى ذلك من التشريعات التي ينشط لها كثير من رجال الحكم سيراً وراء مدينة الغرب المظلمة ، ألا وإن انحلال الكثرة الغالبة من يميلون إلى التزوج بالكتابات للعاني التي أشرنا إليها لما يوجب الوقوف أمام هذه الإباحة التي أصبحت حالتنا لا تتفق والغرض المقصود منها ، وهذا معنى تشهد به كليات الدين التي يتجلى بها شدة حرصه على حفظ شخصية الأمة الإسلامية وعدم انحلالها وفنائها في غيرها .

هذا ما أردنا أن نعلق به على النداء الأول وما اتصل به من أحكام وتشريع .

### النداء الثاني :

و يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آيين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً وإذا حللتم فاعطادوا ولا يجرمكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعارنوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب .

وكما تضمن النداء الأول تشريعاً كلياً يركز مسؤولية الالتزام التعاقدى ، إلى ما أحله الله للإنسان وما حرم عليه من الحيوانات ،



يتضمن هذا النداء الثاني - تشريعاً كلياً ، يقرر المحافظة على الشخصية الدينية لجماعة المسلمين وتشريعاً جزئياً ينص على وجوب الاحتفاظ بأشياء معينة تتصل بما قدس الله من المكان والزمان .

المحافظة على الشخصية الدينية للمسلمين بإيجاب التمسك بالشعائر .

وفي السكلى يقول : لا تحلوا شعائر الله ، : شعائر الله هي ما نصبه الله عزوانا على هديه ، وهي عند التحقيق ترجع إلى مظاهر ما فرض الله من فرائض ، وحدّ من حدود ، وشرع من تشريع ، وهو بعمومه يشمل في جانب الفعل : الفرض ، والمننون ، والمندوب . وفي جانب الترك : المحرم ، والمكروه ، وما لا ينبغي . وإحلالها ، انتهاكها ، وتركها وإهمالها فيما طلب فعله . وفعلها وإظهارها وإشاعتها بين الناس فيما طلب تركه . ومن هنا يتبين أن الشخصية الدينية تتكون من عنصرين : فعل مطلوب ، وتركٍ منهى عنه ، فإذا اجتمعا كملت الشخصية الدينية ، وإذا عدا أو عدم أحدهما عدمت الشخصية الدينية للجماعة وحرمت مكانة السمو التي تحظى بها ذات الشخصية الكاملة . « أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » .

فالآذان ، وصلاة الجماعة في الأوقات الخمس ، وصلاة الجمعة في كل أسبوع ، وصلاة العيدين في كل عام ، وأداء الحج في العمر ، وزكاة المال ، والزروع في وقتها ، كل ذلك ونحوه من العناصر الإيجابية للشخصية الدينية .

والابتعاد عن شرب الخمر ، وأكل الخنزير ، والاتجار بها ، وغلق أبواب اللهو والفسوق ، وبيوت الدعارة ، والقمار ، ومنع خروج المرأة متزينة ، متعطرة ، عارية كاسية ، من العناصر السلبية للشخصية الدينية ، ووجودها هدم لهذه الشخصية .

تقديس ما قدسه الله :

وبعد أن ركز هذا الداء في نفوس المؤمنين وجوب المحافظة على شخصيتهم التي بها يعرفون وعن غيرهم يتميزون ، ويتضح للناس مسلكهم وصراطهم اللذين

يسلكون ، عني النداء بالنص على أشياء خاصة كانت موضع انتهاك القوم لها وقت التنزيل ، وربما كان لإحلالها في نفوس البعض ما يبرره ، فحذر بوجه خاص من إحلالها .

### الشهر الحرام :

ومن ذلك د الشهر الحرام ، والمراد به الجنس ، فيشمل الأشهر الأربعة المذكورة في قوله تعالى من سورة المائدة : د أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، وقوله : د إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ، زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين .

### الهدى :

ومن ذلك د الهدى ، وهو ما يُهدى إلى بيت الله من الأنعام للتوسعة على عباد الله العاكفين فيه والبادين .

### القلائد :

ومنه د القلائد ، وهي ما يوضع على الهدى إشعاراً بأنه هدى إلى الله وقربان .  
قاصدو البيت الحرام :

ومنه ما أشار إليه بقوله د ولا آتئين البيت الحرام ، وهم الذين يقصدون البيت يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا .

وإحلال الأشهر الحرم ، يكون باستباحة الإمام والقتال وارتكاب المظالم فيها . وإحلال الهدى ، حبسه عن أن يبلغ محله ، وهو بيت الله الحرام أو ذبحه قهراً عن أصحابه . وإحلال القلائد ، يكون بانتزاعها من الهدى فيجهل الناس أنه هدى ، ويتعرضون له بالغصب أو النهب . وإحلال قاصدو البيت ، التعرض لهم بسوء ، وهم لا يريدون السوء بأحد ، وإنما يريدون فضل الله ورضوانه ، فهم إذن ضيوف الله وفي جواره فلا يقسماتلون ، ولا يساءون ، ولا يُعنف عليهم .

في معاملة أو بيع وشراء. وقد عرض القرآن الكريم للبيت الحرام وبتين قدسيته القديمة ومناسك الحج وشعائره في سورة البقرة ، وآل عمران ، والمائدة ، وسورة الحج ، وبتين في كل ذلك أنه شأن ديني قديم نزلت به شريعة السماء ، ودانت به الأمم من عهد إبراهيم وإسماعيل إلى عهد محمد خاتم الأنبياء إلى يوم الدين إن شاء الله . وبما جاء بشأنه وشأن احترامه وتقديسه ما يتصل به أو يدخل فيه حتى الصيد والأنعام قوله تعالى في سورتنا هذه : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا لْجَزَاءٍ مِثْلَ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِالْغُلَبَةِ أَوْ كَفَّارَةً طَعَامٍ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا لَكُمْ مِنْ عَادٍ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ، أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ، جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم . .

تقديس بعض الأماكن والأزمان يتيح للناس نوعاً من الهدنة والتحصن :

ومبدأ احترام بعض الأماكن ، وبعض الشهور مبدأ سام ، شرعه الله في القديم وأقره في الإسلام ، كيف لا وهو فرصة تهيئ المتخاصمين على حسن التفاهم وإقرار الأمن والسلام . هو بمثابة هدنة السلبية يُغرس الاعتراف بها في قلوب الناس جميعاً ويمحو عنها حقها من الكف عن المظالم والعدوان ، فتشعر بلذة الأمن والطمأنينة وتسعى في إزالة أسباب التدابر والتقاتل والخصاص بوازع ديني تمتلئ به القلوب ، وتخشى في مخالفته سطوة المالك للرقاب ، المهيمن بقدرته وجبروته على القوى المتجبر ، وبرحمته وعطفه على الضعيف المستعبد .

ومن غريب أمر هذه الهدنة أنها أقرب الأمن في هذه الأماكن حتى بالنسبة للأشجار الصامتة وللحيوان الأعجم الذي يغشاها ويتنقل في أرجائها ويطيح في أجوائها وحرّم عليكم صيد البر ما دُمتم حرماً . .

### كلام القرطبي في هذا :

قال القرطبي في تفسيره : والحكمة في جعل الله تعالى هذه الأشياء قياماً للناس ، وسبيلاً لآمنهم أن الله تعالى خلق الخلق على سليقة التحاسد والتقاطع والتدابير والسلب والغارة والقتل والنار ، فلم يكن بد في الحكمة الإلهية من كافٍ يدوم معه الحال ، ووازع يحمد معه المآل . ومن هنا جعل الخليفة والإمام لتجربى على رأيه الأمور ويكف الله به عادة الأمور ، وعظم في قلوبهم البيت الحرام ، وأوقع في نفوسهم هيئته ، وعظم حرمة فكان من لجأ إليه معصوماً به ، وكان من اضطهد محمياً بالسكون فيه . أو لم يروا أننا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم ، ولما كان البيت الحرام في مكان مخصوص لا يدركه كل مظلوم ، ولا ينال حظه من الأمن فيه كل خائف ، ولا يمكن أن يجتمع سكان المعمورة فيه ، جعل الله الأشهر الحرم ملجأ آخر ، تنشر على الناس ، وهم في أقاليمهم وأقطارهم ألوية الأمن والاطمئنان ، ويدخلون بها في هدنة الرحيم المنان ، فقرر في القلوب حرمتها : لا يروع فيها سرب ، ولا يطلب فيها دم ولا يتوقع فيها نار ، وفيها تسكن السيوف في أغمارها ، وتتجه القلوب إلى ربها ، فيفيض عليهم من رحمته ما يطهرها من النزاع المسادية التي بتسلطها على الإنسان يهلك الحرث والنسل ، ويعرض السكون للخراب والدمار .

ولا ريب أن الإنسان إذا استمر في هذه الهدنة وعالج نفسه في ظلها وهي أربعة أشهر من اثني عشر شهراً ، ثلث الحياه ، كان د في فسحة وراحة ومجال للسياحة والاتصال وتسوية الحال ، مما يجعله في حصن ووقاية من الرجوع إلى طرق باب الشرور والتنازع والخصام ، وبذلك يصير مع أخوته بني الإنسان إخواناً متعاونين على البر والتقوى ، بعيدين عن الإثم والعدوان .

### ختام النداء الثاني وما يوحى به من المعاني السامية :

هذا تشريع الله لعباده المؤمنين ، وقد ذيله بقوله : د وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ،

ليأخذ بهم إلى السمو عن مواطن الأهواء والنزعات ، والترفع عن معاني الآثرة والآنانية ، وسبل الشر والفساد ، ويجعل منهم قوة موجبة إلى الخير، متعاونة على البر .

فتى يخضع المسلمون لتعاليم ربهم وارشاده وهو يأمرهم أن يكونوا جميعاً أمة واحدة لاتعرف النزاع ولا الشقاق ولا التقاذف ، ولا التقاطع ، ولا العصية الجنسية ، ولا العصبية المذهبية ؟ وفيهم هذه الخلافات المستحكمة التي لفتهم عن قصدهم ، ولوتهم عن سبيلهم ، وفرقت كلمتهم وجعلتهم شيعاً وأحزاباً ، وفيهم هذه التفرقة وهم على كلمة سواء في توحيد الله والإيمان بوحيه ورسله ، والإيمان بيوم البعث والجزاء ، والإيمان بأصول الأحكام التي قررها كتاب الله الخالد ، وجعل منها معتصماً للجميع ، إذ يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون . .

ألا إن هذه الخلافات قد صرفتنا عن النافع العملي ، واستغرقت جهودنا الفكرية في مختلف الأزمان والأوطان ، ولو أن المسلمين كانوا قد تخففوا منها ، أو هتّونوا شأنها فلم يضخموه ولم يحرصوا على تلقينه لأجيالهم جيلاً بعد جيل ؛ لوجدت العقول مجالا غير مجاله فأثمرت ثمرات طيبات مباركات ، ولو طُدت أو اصر المحبة والتعاون بين أهل الدين الواحد والأصول الأساسية المتفق عليها ، ولما وجد أعداؤنا منفذاً إلينا لا في أفكارنا وعقولنا ، ولا في أوطاننا وأعمالنا .

لأنه لو حُسبت الاوقات التي ضاعت وتضيع في الخلافات النظرية ، والجهود التي بذلت وتبذل في كل شعب قديماً وحديثاً لدراسة موقف كل طائفة من الأخرى فيما تقول به من كذا ، أو فيما تنكره من كذا ، لهالتنا كثرتها ، ولعز علينا أنها ذهبت هباء لم تغد منها الأمة شيئاً إلا إبقاء العداوات والأضغان ، بل تثبيتها وتمييزها ، فاللهم هيء لنا من أمرنا رشداً ، وألف بين قلوبنا ، واحنا من نفوسنا وأهوائنا ، واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، آمين .

# روح جليل

## في شعوب الشرف والإسلام

لحضرة الأستاذ الجليل محمد علي علوبة

رئيس جماعة التقريب

لا شك أن الشعوب الإسلامية والشرقية يسرى فيها الآن روح قوى مبارك يرمى إلى التحرر من العبودية ، والتخلص من آثار الضعف والذل التي أوجدها الاستعمار ، والتمتع بحياة حرة كريمة في ظل الاستقلال والكرامة القومية .

ولا شك أن هذا الروح هو الآن أقوى منه قبل أربعين أو خمسين عاما حين كانت الدعوات الوطنية أشبه بصيحات يطلقها أصحابها في بيداء مترامية الاطراف فسيحة الأرجاء ، فلا تلبث أن تنبدد ، وحين كان الدعاة أفرادا يسهل على الطغاة والمستعمرين أن يضطهدوهم وينكلوهم ، ويجعلوهم مثلا لكل من تحدته نفسه أن يفعل فعلهم أو يمتضى في طريقهم .

وقد أصبح الاستعمار الآن بفضل هذا الروح القوى مهمة شاقة على المستعمرين تحتاج إلى ضروب من الحيلة والسياسة ، وإلى كثير من النفقات والجهود ، وبدأ أربابه يشعرون بأن ضرره عليهم أكبر من نفعه لهم ، وأن ما يجلبه لهم من الفوائد المادية والأدبية لا يكاد يفي بما يبذلونه في سبيله ، وقام في الدول الاستعمارية من ينادى بالتفاهم مع الشعوب المرغمة ، واستبدال العلاقات القائمة على الصداقة والمودة من العلاقات القائمة على الضغط والإكراه وسلب الحقوق استنادا إلى القوة .

ويعتقد كثير من الخبراء في أحوال العالم وشؤنه السياسية المرتبطة ارتباطا وثيقاً بنفسيات الشعوب أن الاستعمار قد دخل بعد الحرب العالمية الثانية في دور

التصفية ، وأنه لم يعد ممكناً أن يطول عمره أكثر من سنوات قليلة مهما بُذل في سبيل ذلك من الجهود واتخذ من ألوان العلاج .

وقد يظن بعض الناس أن هذا إسراف في التفاؤل ، وأو تعجل في تصور عالم أمثل من هذا الذى أنهكته المطامع ، وأفسدته الشرور ، ولكن الدلائل تدل على أنه ليس أملاً بعيداً ، فإن الإمبراطورية البريطانية التى لم تكن الشمس تغرب عن أملاكها إلى عهد قريب ، قد عانت من جراء الاحتفاظ بهذه الأملاك ألوانا من المشاق ، حتى انحلت قبضتها انحلالاً ظاهراً فى كثير من المواطن التى كانت تشبث بها ، ولا تقبل فى شأنها عدلاً ولا صرفاً ، وإذا كلت يد الاستعمار فى بريطانيا فإنها فى غيرها أشد كلالاً ، وأسرع انحلالاً .

\* \* \*

يقابل هذا الإحساس حركة عنيفة من أهل الاستعمار الحريصين على بقائه أو طول أمدّه ، وهذه الحركة وإن كانت تشبه حركة الجريح الذى أنفذت مفاته فهو يتمسك بأهداب الحياة ، ولا يرضى بأن يستسلم للوثة فى يسر ورضا ؛ لكنها حركة خفيفة ، وقد تصبح خطيرة إذا لم يثبته لها المساكخون للاستعمار ، الراغبون فى القضاء عليه ، ذلك أن المستعمرين يعملون الآن على أن يفتشوا فى عضدنا من ناحيتين :

أولاهما : أننا لم نعد العدة للاستغناء عنهم فى صناعاتنا وأسلحتنا واقتصادنا وكثير من حاجاتنا التى لا بد لنا منها ، فهم يلوّحون لنا دائماً بهذه الحاجة ، ويحذروننا الفراغ الخطير الذى يهدد حياتنا ومجتمعنا لو تركونا أو حاصرونا ، وقد يحذروننا من يستمع إليهم ، ويتخوف نتائج معاداتهم ، والقطيعة بيننا وبينهم ، ولعل من الإنصاف ألا نلوم هؤلاء المتخوفين ، أو نرميهم بالضعف أو بالاستماع إلى تحذير المحذرين ، فقد يكون لهم بعض العذر فى ذلك ، وقد أظهرت أزمة المغرب أن التفكير فى مقاطعة فرنسا علماً أو تجارياً أو صناعياً من جانب المسلمين والشرقيين تأييداً لأهل تونس ومراكش ، قد اصطدم بما هو متوقع

من الفراغ الذى يحدثه ذلك فى شئون الشعوب الشرقية والإسلامية التى هى فى أمسّ الحاجة إلى مال الغرب وأسلحة الغرب ومنتجات الغرب ، مما قد يؤدى إلى كارثة أو على الأقل إلى محنة شديدة ليست هذه الشعوب الآن على استعداد لتحملها .

والرأى أن يبادر المسلمون والشرقيون إلى علاج هذه الناحية علاجاً سريعاً فعلاً ، فيتخذوا جميع الوسائل التى تجعل منهم شعوباً عاملة عاملة منتجة مربية خلقية وطنية ، مستعدة لأن تصبر وتصابر وتزهد وتتقشف وتعيش على ما تنتجه هى لا على ما تستجلبه من بلاد أعدائها ، وأن يعملوا فى الوقت نفسه على أن يكون لهم مُتَنَفِّس من الشعوب الحرة التى ليست لها نزعات استعمارية ، وهى بحمد الله كثيرة فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، فيعقدوا معها المعاهدات الاقتصادية ، ويتبادلوا وإياها المنافع والمصالح . إن الشعوب الشرقية والإسلامية تستطيع حينئذ أن تقاطع أو تهدد بالمقاطعة فلا يكون ذلك منها هزواً ولا لعباً .

لقد قاوم الشعبُ الألمانيُّ الموتَ الذى فرضه عليه غالبوه أكثر من مرة ذلك لأنه شعب ينطوى على حيوية إنتاجية عملية هى من أئمن ما تنطوى عليه الشعوب ، إنه إذا حاقت به أزمة تلقاها صابراً ، واحتال لها فابتكر وأثمر واقتصد وكد وتعب وزهد ، وصال وجال فى المجتمع الدولى باحثاً عن عملاء وحرفاء ، فإذا هو بعد بضع سنين يعود إلى القوة ، ويعرف كيف يفرض إرادته على الذين قهروه فى ميادين الحرب ، وسرعان ما يكون له بين الشعوب شأنه وكرامته .

فهذه هى السبيل التى يجب على الشعوب الشرقية والإسلامية أن تسلكها لو أرادت أن تلزم خصومها بالاعتراف بها والإذعان لها ، وأن تضيع حججهم عليها بالحاجة إليهم ، وعدم الاستغناء عنهم .

الناحية الثانية : ما يعمل له المستعمرون من تقطيع الأواصر بين هذه الشعوب ، وذلك بإحياء النزعات الشعوبية ، واستغلال الخلافات المذهبية والطائفية فإنهم لا يطبقون سياسة موحدة بين شعوب الشرق والإسلام ، وقد حسبوا



فى وقت من الاوقات أن جامعة الدول العربية ستكون عاملاً ميسراً للاتفاق معهم على البرنامج الذى رسموه للشرق ، فلذا رأوا أن هذه الجامعة قد أحييت الأواصر بين أهل العروبة ، وذكرتهم بأنهم أخوان فى الدم والتقاليد ، وجيران فى الديار ، وشركاء فى المصالح والمنافع ؛ غضبوا عليها وجعلوا يحاربونها ، ويدسون بين أعضائها .

لهذا كان من أوجب الواجبات على الشعوب الشرقية والإسلامية أن تسلك كل سبيل تودى إلى سياسة واحدة بين جميع حكوماتها ، وإلى تفاهم تام بين جميع أبنائها ، وإلى تبادل عام للمنافع والمصالح ، وأن يكمل كل شعب بحاصلاته وثرواته الطبيعية وكفاياته البشرية ما عند الآخر ، وأن تكون البلاد كلها سوقاً لهم جميعاً ، وميدان نشاط لهم جميعاً ، لا فى دائرة العروبة فحسب ، ولكن فى دائرة الشرق والإسلام ، فإن الغرب لا يعادى هذه الشعوب من حيث كونها شعوباً عربية فقط ، ولكن يعاديا أيضاً من حيث كونها شعوباً شرقية ، وشعوباً إسلامية ، فلنفهم هذا جيداً ، ولنسكن من الفرقة والاختلاف على حذر شديد ، ولنززع أرباب المذاهب الإسلامية عن إثارة المسائل الخلافية التى توغر صدور بعضهم على بعض ، وتطفئ الحماصة التى يجب أن يقوم عليها تعاونهم وتآزرهم ، وليألفوا فى ظل ما يؤمنون به جميعاً من أصول دينهم ، وليذكر الشرقيون عامة أنهم أبناء أوطان متقاربة متشاركة ، يعود عليهم جميعاً عزها بالخير والسعادة ، وذلتها بالشر والفساد والشفاء .

\* \* \*

أما بعد : فإننى أحيي (( رسالة الإسلام )) بمناسبة دخولها فى عامها الخامس وأرجو لها اطراد التوفيق والتقدم فى نشر رسالة المحبة والتآلف والدعوة إلى ما دعا إليه رسل الله أجمعون من الإسلام لله ، والسلام بين الناس .

# بَيَانُ لِلْمُسْلِمِينَ

من ماضرة صاوب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ عبد المجيد سليم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد  
النبي الأمين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

اللهم إنا نسألك التوفيق إلى ما فيه الخير والصلاح ، ونستعين بك في أمرنا  
كله ، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ، ربنا لا تزعج قلوبنا بعد إذ هديتنا  
وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا  
ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة  
لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

أما بعد : فإني بمناسبة دخول مجلتنا العزيزة ﴿ رسالة الإسلام ﴾ في عامها  
الخامس أوجه إلى إخواني وأبنائي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ،  
هذه الكلمة ، تبصرة وذكرى لقوم يؤمنون ، وتجديداً للعهد بين جماعة  
التقريب ، وإخوانهم في كل طائفة على الإيمان وعمل الصالحات والتواصي بالحق  
والتواصي بالصبر .

\*\*\*

يأبناء الإسلام :

إن الله تعالى قد اصطفى لكم هذا الدين ، وجعله خاتمة الرسالات التي بعث  
بها أنبياءه ، وخصكم بالرسول الأكرم الذي بشر به الأنبياء من قبله ، بأمركم  
بالمعروف ونهاكم عن المنكر ، ويحل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث ، ويضع  
عنكم الآصار والأغلال .

لقد كان الناس قبل بعثة هذا الرسول الكريم يتخبطون في ظلمات الجهل والتعصب لغير الحق ، ويتقلبون في أودية الفساد والشر ، ويكتون بنيران الظلم والبغى ، لا ألفة تجمعهم ، ولا سلطان يردعهم ، ولا نظام يعتصمون بحبله ، ولا عدل يفيثون إلى ظله ، شريعتهم القوة ، ورائداهم الشهوة ، وإلههم الهوى ، ظلمات بعضها فوق بعض . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

فلما تأذن ربنا الرحمن لينقذهم من أنفسهم وأهوائهم ، وما ارتطموا فيه من حمة الشرك والرذيلة والفساد والشر ، بعث فيهم هذا النبي الأسمى الذي يؤمن بالله وكتابه فأخرجهم به من الظلمات إلى النور ، وهداهم صراطه المستقيم ، ووجه قلوبهم وأعمالهم إلى الخير والصلاح والتعاون على البر والتقوى ، وأعلمهم أنه خاتم النبيين ، ورسوله إلى الناس أجمعين ، لا يختص به جنس من الناس دون جنس ، ولا تقصر شريعته على زمن دون زمن . قل يأيتها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت . . . وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليه كتاباً عزيزاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ربط به الفلاح في الدنيا والآخرة ، وجعله الهدى والشفاء لمن آمن . قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد . .

وبهذا كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو الرحمة المهداة والنور المبين ، وكان الكتاب الذي أنزل عليه من ربه هو العصمة والحبل المتين .

\*\*\*

ولقد أتى على المسلمين حين من الدهر كانوا فيه عاملين بشريعتهم ، معتصمين بكتاب ربهم ، سائرين على سنة رسولهم ، فكانت لهم القوة والمنعة ، وكانوا أعزة بعزة الإيمان ، ترفرف عليهم أعلام السعادة والطمانينة ، وتنتظر إليهم الأمم نظرة المهابة والتجلة ، ولا يفكر أحد في الاعتداء عليهم ، ولا يطمع طامع في أن يهتضم حقاً من حقوقهم ، بل فتحت أمامهم الآفاق ، وكانوا يغزون القلوب والأفكار بعدلهم ومبادئهم ، قبل أن يغزوا البلاد والديار بسيوفهم وكتائبهم .

كانوا يومئذ أمة واحدة يؤمنون بالله ورسوله ، ولا يؤثرون شيئاً ولا أحداً على الله ورسوله .

كانوا إخوة متصافين متعاونين ليس أمامهم إلا هدف واحد ، إليه جميعاً يرمون : أن تكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

كان الإيمان في قلوبهم حقيقة ثابتة تظهر آثارها في الأقوال والأعمال ، لا يقولون إلا الحق ، ولا يسمعون إلا في الخير ، ولا يأمرن إلا بالمعروف ، ولا ينهون إلا عن المنكر ، ولا يحبون إلا في الله ، ولا يبغضون إلا في الله .

كانوا كما وصفهم ربهم « أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

كانوا محبين للحق ، مبغضين للباطل ، يكرهون المراء والجدال ، ولا يشغلون أنفسهم بما لا فائدة فيه من البحوث المتكلفة ، والظنون المتخوفة ، والتأويلات المحرفة ، فسلمت عقولهم من الشكوك ، وبرئت صدورهم من الآوهام ، وظل إيمانهم بالله ورسوله قوياً لا تشوبه الشوائب ، ولا تداخله الريب .

هكذا كان المسلمون الأولون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو سر نجاح الأمة في أول أمرها ، وقوة شوكتها ، واتساع رقعتها ، وشدة هيبتها ، فلما أصيبت بالفرق واتباع الهوى ، ولم يعد صوت الدين فيها ملء الأسماع والقلوب كما كانت ، أدركها الضعف والتزلزل ، وطمع فيها الأعداء ، ورأوا الفرصة سانحة لياخذوا منها بثأرهم ، فجعلوا يسددون لها السهام تلوا السهام ، وكلما أصيبت بسهم من سهامهم ازداد فيها طمعهم ، واشتدت في القضاء عليها رغبته ، وازدادت هي بذلك ضعفاً ، وازداد أهلها جزعاً وهلعاً .

ولقد طال عليها الأمد وهي في هذه المحنة ، ولولا قوة بنائها ، وسلامة أسسها لهدم ذلك البنيان ، وانهارت تلك الأركان ، ولكن الله جلت حكمته يريد بذلك تمحيصها ، وإنه لأرحم من أن يسلمها للذين يبغون إهلاكها وإفناءها ، ومعاذ الله أن يياس المؤمنون من رَوْح الله ، فإن الله يحيي الأرض بعد موتها ، وإن الباطل والفساد

مهما طال عليهما الأمد فهما إلى فناء وزوال ، وها هي ذى دلائل من الخير تبدو في آفاق الأمة الإسلامية ، وتؤذن بأن شعوبها قد ملئت حياة الذل والضعف ، ونهضت تبغى حياة عزيزة كريمة تليق بمجدها السالف ، ومالها من غاية شريفة في هذا العالم ، وأنها قد أدركت أن لا شفاء لها من دائها ، ولا نهوض لها من غارها إلا إذا عادت إلى شريعتهما ، واعتصمت بحبل الله كما أمرها الله ، وتخلصت من آثار الخلاف البغيض والعصية الجاهلة ، فاثلفت على الحق قلوب أبنائها ، وتعاونت على الخير والبر شعوبها ، وبدت أمام الطامعين فيها أمة واحدة يشمر قاصيها بما يشعر به دائها ، ولا تترك في صفوفها ثغرة ينفذ منها أعداؤها ، وإنا نرجو أن تكون هذه بوادر خير ونهضة وتباشير فجر جديد لعهد سعيد ، وما ذلك على الله بعزيز .

واقدر سرنى ما اتجه إليه زعماء المسلمين وصفوة مفكرهم من الدعوة إلى عقد مؤتمرات للنظر في أحوال الأمة الإسلامية من جميع نواحيها ، والعمل على توحيد كلمتها ومناهج الإصلاح فيها ، وجهادها في سبيل حريتها ورفاهية شعوبها ، والتخلص من غاصبها ومستعمرى بلادها . فإن ذلك من أهم ما تعنى به ( جماعة التقريب ) ، وإن المسلمين إذا تعارفوا تكاشفوا ، وإذا تكاشفوا تواصفوا علاج أدوائهم ، وعلوا أن الفرقة ضعف ، وأن الخلاف المثير للأحقاد مشغلة ومضغعة ، وأن حسن الظن شرط في التعاون الصادق ، ويومئذ يعملون على أن يكونوا أمام أعدائهم ومشكلاتهم صفاً واحداً ، كشأنهم في صلاتهم واتجاههم نحو قبلتهم .

إني لأرجو التوفيق والنجاح لهذه الدعوات ، وأسأل الله تعالى أن يهيئ للمسلمين من أمرهم رشداً ، وأن يوفق زعماءهم ورجال التوجيه فيهم إلى أن يؤمنوا إيماناً له آثاره العملية ، بأن صلاح أمتهم إنما يكون بالعود إلى شريعته ، والذود عن دينهم ، والاعتصام بكتاب ربهم ، والتزام هدى نبيهم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

## أَسَاسُ السُّعُورِ بِالمُسْتُولِيَّةِ

لماضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الدكتور محمد عبد القدردراز

عضو جماعة كبار العلماء

أخشى أن تصبح كلمة المسؤولية ، في عرفنا - كلمة مستكرهة ، لكثرة ما استخدمت أخيراً في أوضاع معينة ، توحى بعض المعاني الرهيبة أو المهيبة .

فأكثر ما تستعمل هذه الكلمة اليوم في وضع يشعر المسئول فيه بشيء من القلق والخوف ، إما توقعاً لجزاء مآدى ، كوقوف المتهم أمام القاضى ، وإما توقعاً لحرمان أدبى ، كوقوف الممتحن أمام لجنة الامتحان .

لكن الواقع أن فكرة المسؤولية في أساسها ومنبتها ، ليست لها هذه الدلالات المزججة ، وإن كانت في بعض أطوارها وملابساتها تحوم حولها هذه المعاني .

تفصيل ذلك أن المسؤولية صفة تلازم صاحبها في فترة ممتدة ذات طرفين : بداية ونهاية ؛ وأن لها في كل طرف منهما معنى خاصاً ، ودلالة معينة . فالمسؤولية تبدأ حين يطالبك الواجب ، ويناديك منادى العمل ، وتنتهى بعد أن تقدم حسابك عما صنعت في جواب ذلك الداء ، وبين هذين الطرفين برزخ يطول أو يقصر ، على حسب المدة المقدرة لإنجاز عملك .

هنا إذن ثلاث مراحل ، مرحلة نداء الواجب ، إيانا ، ومرحلة إجابتنا هذا النداء ، ومرحلة المحاسبة والتقدير لقيمة هذه الإجابة .

ولنكتف الآن بالمرحلة الأولى من هذه المراحل ، وهى مرحلة مطالبة الواجب إيانا بالعمل . وسنرى أن فكرة المسؤولية في هذه المرحلة توحى إلينا معنى القوة لا الضعف ، وأنها تبعث فينا شعور السيادة واليد العليا ، لاشعور الرهبة أو الهوان .

جاوز بطرفك عالم الإنسان ، ثم ارجع البصر كرتين مصعداً منحدراً فيما شئت من العوالم التي تشاهدها في السماء والأرض ، وانظر هل ترى من بينها مسئولا واحداً عن حاله ، فضلاً عن حال غيره ؟ هل تسأل الجبال الراسيات عن استقرارها وثباتها ، أو الرياح المتحركة عن حركاتها وتقلباتها ، أو البدر عن استدارته واستنارته ، أو الشمس عن ضوئها وحرارتها ، أو البحر لماذا هو ملح أجاج ، أو النهر لماذا هو عذب فرات ، أو الطير لماذا لا تعيش في الماء ، أو الأسماك لماذا لا تسبح في الهواء ؟

إن هذه العوالم كلها ليست مسئولة عن شيء ، لأنها لا تملك شيئاً ، فلقد حددت لها الفطرة طريقاً معيناً هي مسيرة فيه ، ميسرة له ، لا خيرة لها في السير على خطها المرسوم ، ولا حيلة لها في الخروج عن مدارها المعلوم . ألا يكون من العبث والحالة هذه أن يطلب إليها سلوك سبيل هي سالكته حتماً بغير اختيارها ، أو ترك مجال هي تاركته حتماً بغير إرادتها ؟ ثم ألا يكون من أسفه السفه أن يطلب إليها التحول عما هي ملجأة إليه في كلا الحالين ؟

إن كل إلزام أدبي يفترض فيمن يوجه إليه الخطاب أن يكون ذا شخصية مستقلة ، تعمل لحسابها الخاص ، لا لحساب الطبيعة القاهرة . وذلك يقتضى أول كل شيء أن ينطوى المسئول على امكانيات متعددة ، وأن يكون أمامه مسائل متنوعة ؛ ويقتضى بعد ذلك أن يكون له من قوى التفكير والتروى ، والمقايسة والموازنة ، ما يمكنه من الترجيح بين الطرائق الممكنة المعروضة عليه ، ثم أن تكون له الحرية بعد ذلك في التصميم على قبول ما يشاء ، ورفض ما يشاء من هذه الحلول ، وأخيراً أن تكون له القدرة على تنفيذ ما قدره في عزمه ، وأجمع عليه أمره . فكل شيء كان نصيبه الحرمان من هذه المؤهلات كلا أو بعضاً ، وكل شيء ثبتت برامته من الحول والطول ، كان حرّاً أن يأبى حمل أمانته التكاليف ، وأن يرفض يده من كل مسئولية ، وهذا كله لو تأملت ينطوى في معنى الآية الحكيمة : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملها وأشفقن منها » .

من ذا الذى يستأهل إذن أن يتصدى لحل هذه الأمانات ، ويدعى لنفسه القدرة على التزام النهوض بها ، وعلى الوفاء بالتزاماته ، من بين سائر العوالم التى يقع عليها حسنا ؟

لا شك أنه هو الكائن المتميز بجهاز يستطيع أن يصرفه باختياره ذات اليمين وذات الشمال ، فى استقامة واعتدال ، أو فى انحراف واعوجاج ، لا شك أنه هو الكائن المزود بمؤهلات الخطاب ، وقوى الفهم والبيان ، والحرية والامكان ، ذلكم هو الإنسان ، بما هو ذو عقل وإرادة واقتدار . فهو إذن الذى رشحته فطرته لهذه الأعباء فأصبح ذا مسئولية ، وموضع أمانة ، وصاحب نفوذ وسلطان ، ومصدر لإنشاء وابتكار ، وهذا هو معنى ختام آية الأمانة : « وحملها الإنسان » .

الشعور بالمسئولية إذن شعور نبيل ؛ لأنه شعور بالاستقلال والتحرر من أسر الطبيعة ، شعور بالقدرة على تغيير معالم الأشياء ، وعلى معالجتها بالعزيمة والإرادة الخلافة ، شعور بالكرامة التى كرم الله بها بنى آدم ، وبالفضل الذى فضله به على كثير من خلقه .

والمسئولية إذن صفة يستمدّها كل امرئ من فطرته الإنسانية ، قبل أن يتلقاها من واضعى الشرائع والقوانين ، وهى كما قلنا صفة لازمة للإنسان بما هو ذو عقل وإرادة واقتدار ؛ وليست صفة له بما هو مقهور مجبور ، مستجير مسخر ، ومن عجيب أمر الإنسان أنه يجمع هذين الوصفين المتناقضين فى علاقته بالكون : إنه سيد مسود ، وحاكم محكوم ، وليكن فى ميدانين مختلفين ، فهو فى عالم المادة والحياة ، وعالم النفس ، لا يخرج عن أن يكون جزءاً من هذه العبارة الكونية ، خاضعاً لنواميسها وقوانينها « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا . لا تنفذون إلا بسلطان » .

ألا تراه حين يثب فى الهواء لا يلبث أن يعود إلى الأرض قسراً عنه ؟ لأنه من حيث هو جسم مادى يخضع لقوانين المادة ، التى من أوائلها قانون الثقل والجاذبية ، ألا تراه فى تنفسه وهضمه ونبضات قلبه ، وفى نموه واكتماله ، وشيخوخته وهرمه ، كائناً حياً ككل كائن حتى تمسرى عليه قوانين الحياة ؟ ثم ألا تراه



حين يأخذ النوم كيف تساوره الأحلام ، وحين تنقلب عليه المؤثرات : كيف يسر ويحزن ، ويخاف ويأمن ، ويرضى ويغضب ؟ لأنه ذو نفس تسرى عليها أحوال النفوس وأعراضها الجسدية .

الإنسان في هذه الميادين كلها أسير طبيعته ، وسجين فطرته . لا جرم وضعت عنه فيها كل الاحمال والأعباء ، لأنه يستوى هو وسائر الأشياء .

لكن له من فوق هذه الميادين ميدانا أعلى ، يمتلك فيه حريته ، ويبرز فيه سلطانه ، وتقرر فيه مسئوليته ، ذلك حيث 'تسلسل' له الطبيعة قيادها ، وتملكه زمامها ، وتمهد له سبلها المختلفة ينتقى منها ويتنخب ، تحليللا أو تركيبا ، تعميرا أو تدميرا ؛ وذلك حيث تأذن له قواه البدنية والنفسية وعلاقته الخاصة والعامة ، أن يتصرف فيها قبضا أو بسطا ، رفعا أو خفضا ، قطعاً أو وصلا ، يؤاسى ويأسو ، أو يجرح ويقسو ، يألف ويؤلف ، أو يتعبر ويتكبر ، يضع أمانته أو يصونها ، يحمى أو طانه أو يخونها ، يرفع رأسه إلى السماء طلبا للذل العليا ، أو ينكس بصره إلى الأرض سعيا وراء زخرف الدنيا ...

الإنسان في هذا كله وفي سائر تصرفاته الاختيارية سيد مسئول ، ومسئولته حشقة من سيادته ، إنه سيد بتسويد الله إياه منذ جعله خليفة في الأرض ، فكنه عنها ، واستعمره فيها ، وإنه مسئول بموجب هذه السيادة أن يؤدي حقها .

كم من مرة سمعنا الكلمة المأثورة : « إن من نعم الله عليكم حاجة الناس إليكم » ، غير أننا عند سماع هذه الكلمة كنا نفهمها على صورة ضيقة وفي نطاق محدود ، إذ كان يبدو لنا أن صاحب المال أو صاحب الجاه هو الذى ينبغي أن يعد نفسه في نعمة لقدرته على قضاء حاجة المحتاجين ، أما الآن فإننا نفهمها في أوسع معانيها ، ونستطيع أن نشاهد بها الناس جميعا قائلين : « إن من نعم الله عليكم حاجة المجتمع ، بل حاجة الكون إليكم » ، ذلك أن مطالب الحياة والصحة والعلم والقوة والأمن والرخاء والعدل والبر والرحمة والإحسان وسائر القيم الكبرى ، والمثل العليا ، لاغنى لها طرفة عين عن تضافر القوى البشرية ، وتماسك أيديها وسواعدها وتعاون عقولها وقلوبها ، فنحن جميعا شركاء في المسئولية ، لا فضل لكبير على

صغير ، ولا لغوى على ضعيف ، كل على قدر وسعه ، وفى حدود متناوله ، مُطالبٌ بنصيب قل أو كثر فى عمارة هذا الكون بالصلاح والإصلاح ، وإن كل سهم تبخل به عزيمة من العزائم ، تنقص به لبنة أو لبنات فى بناء المجتمع الصالح الذى يُطلب منا إقامته بمقتضى خلافتنا فى الأرض ، والذى لولا يد الإنسان ما ارتفع له بنيان ، بل لولاها ما تغير وجه التاريخ فى هذا العالم ، فقديما قال بعض الحكماء : « أرونى ما ذا أضافت العجاوات إلى ما وهبته لها الطبيعة منذ نشأة العالم إلى اليوم ؟ .. » بينما نرى الإنسان قد غير وجه الأرض ونقب فى أحشائها ، واليوم وقد أمضى العقل الإنسانى ألوف السنين فى بحث وتنقيب ، لا يزال معينه جاريا لم ينضب ، ولا يزال يبتكر الجديد المفيد . إنه لا شئ يفف أمام العقل الإنسانى ، ولا شئ يضع حداً لكشفه وابتكاره إلا شئ واحد ، هو كسله وتراخيه (١) .

هكذا كل شئ فى الكون ينادينا منذ نشأتنا بأننا مسئولون ، لا بمعنى أننا مهتمون محاسبون ، بل بمعنى أننا مقصودون مأمولون ، وإن من أكبر دواعى الفخار للإنسانية أن تكون هى محط هذا السؤال العالمى ، ومناط ذلك الأمل الكونى . وهكذا يتبين لنا أن المسؤولية فى أساسها ليست خطاب تعنيف وتخويف ، وإنما هى لقب تشريف وخطاب تكليف ، وهى تشريف من حيث هى تكليف ، إذ لا يكلف بحمل الأعباء إلا من هو أهل لحملها .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم  
نعم إننا بفطرتنا مسئولون ، لأسؤال انهم ومناقشة حساب ، بل سؤال التماس ودعاء ورجاء ، وليس الإنسان المسئول هو الذى يلتمس ويرجو ، بل هو المدعو المرجو . فالمصالح المادية والأدبية تلمس منه أن يقوم بأدائها ، والقيم الأخلاقية والاجتماعية والروحية تدعوه أن يتدخل بإرادته وعزمته لتحقيقها ، ثم تناشده مؤهلاته ومرشحاته نفسها أن يسرع إلى تلبية هذا النداء السرى العميق ، الذى تبسطه الكائنات بلسان حالها ، قبل أن تبسط الأنبياء والرسل بلسان مقالها : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

نعالبي على مقال :

## فِي الْإِلَهِيَّاتِ بَيْنَ ابْنِ سَيْنَا وَابْنِ رُشْدٍ

للفخامة السيد محسن صدر (صدر الأشراف) بابران

بسم الله الرحمن الرحيم ، وله الحمد ، والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه الهادين المهديين .

أما بعد : فإني لما تشرفت بمطالعة العدد الثاني من السنة الرابعة لمجلة (رسالة الإسلام) وقفت على مقال لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ، موضوعه بيان مذهب ابن سينا في مبدأ الوجود وخالف ماسواه من الموجود ، وطريق استدلاله ، واجتهاده في التوفيق بين الدين والفلسفة في هذه المسألة الهامة ، وما كان من نقد حجة الإسلام الغزالي استدلال ابن سينا بأنه لا يثبت المقصود أصلاً ، ونقد ابن رشد هذا الاستدلال أيضاً بأنه جدلي لا برهاني ، وقاصر عن إثبات المبدأ الأول .

لقد أجاد الدكتور فيما أفاد ، وأوضح مقاصد هؤلاء المفكرين الأعظم ، وبين نظرياتهم ، ولكنني تأملت فيما حُكي عن الإمامين الغزالي وابن رشد فعمجت من انتقادهما ابن سينا فيما استدل به مع دقة هذين الرجلين العظيمين في العلوم الفكرية ، وبراعتهما في المعارف الإلهية ، ومع أن الشيخ الرئيس قد أوضح البيان تكررراً ، وشيد بنیان استدلاله مراراً ، كما نقل الدكتور عنه فيما أورده من عبارات كتبه المختلفة .

وقد خطر ببالى أن أكتب ما سنع لى فى حقيقة هذا الأمر على نحو من الاختصار مؤيداً الفرض الذى كان الدكتور يرى إليه ثم لم يجعل نفسه فى مقام الحاكم وبحكم بما هو الحق ومقتضى الإنصاف .

ولانى وإن كنت قليل البضاعة من العلم والقوة فى الأداء بعيد العهد عن دراسة الحكمة ، لا أجد بداً من إظهار ما بدا لى حين صرفت فكرى وبذلت جهدى فى تحقيق أصل هذه المسألة التى هى أول الدين والتعمق فى دلائل أهل النظر من صحة استدلال ابن سينا الذى رضى به وانكأ عليه .

وجدت استدلاله على طريقين . طريق أهل النظر وطريق الخواص وأهل الحق ، وكلاهما فى غاية الاتقان . أما الأول فهو أن العقل إذا نظر فى الوجود يحكم بأن الموجود بما هو موجود إما أن يكون الوجود ضرورياً له بمعنى أن وجوده بذاته ولذاته ولا مدخل لغيره فى وجوده بوجه من الوجوه ، وهو واجب الوجود بذاته . وإما ألا يكون كذلك ، أى وجوده ليس من جهة ذاته بل بسبب الغير ، وليس من ذاته اقتضاء الوجود ، كما ليس منها اقتضاء العدم أيضاً ، وإلا لم يوجد بتأثير الغير ، لأن الذاتى لا يتخلف عن الذات وهو ممكن الوجود - واحتمال الأولوية فى ذات الممكن بالنسبة لى الوجود أو لى العدم ومشاركة ذات الممكن من جهة الأولوية مع الغير فى الوجود أو العدم كما قال بعض المتكلمين فلا تنحصر القمصة لمكان تصور القسم الثالث ؛ مدفوع بالأدلة المذكورة فى محله - فالاستدلال مركب من مقدمتين ، الأولى : حصر الموجود فى الواجب بالذات والممكن بالذات . والثانية لزوم انتهاء العلل لى علة ليس فوقها علة دفعاً للدور وتسلسل العلل لى غير النهاية المحالين - وظاهر أن انتقاد ابن رشد ليس فى المقدمة الثانية ، بل فى المقدمة الأولى وهى الحصر المذكور بأن من الممكن ما هو حقيقى أى قد يوجد وقد لا يوجد ، ومنه ما هو ضرورى الوجود بسبب غيره . والقسمان وإن كانا مشتركين فى عنوان الإمكان وفى الحاجة لى علة الوجود ، إلا أن وجود الممكن الضرورى يمنع انتهاء العلل لى علة ليس لها علة ، لأن اللازم فى تمامية الدليل انتهاء العلل لى ضرورى

الوجود ولو بعلّة . فالدليل قاصر عن إثبات المطلوب - وأنت ترى أن اشتراك لفظ الممكن في الممكن الحقيقي باصطلاح ابن رشد ، وفي الممكن الضروري الوجود بغيره غير قادح في الحصر المذكور بحسب النتيجة ، لأن الممكن بأي معنى كان لا يسلب عنه عنوان الإمكان أي الفقر الذاتي واستواء الوجود والعدم بالنسبة إليه . فكلما القسمين مشتركان في الاحتياج إلى المؤثر ، فلا يحصل لهذا الإيراد أصلاً - على أن الممكن لا يخلو عن ضرورة ما قط ، لأنه في حال الوجود ضروري الوجود بسبب الغير ، وفي حال عدم ضروري عدم بغيره أي عدم علة الوجود - والظاهر أن مراد ابن رشد من الممكنات الضرورية الممكنات القديمة على رأى الحكماء ، ومع التسليم بوجود الممكنات القديمة لا يتطرق القدح في الدليل ، لأن القدم صفة الوجود ، وما كان وجوده يسبب الغير لا معنى لانتهاه العال ، إليه لنقل الكلام إليه من جهة الإمكان والاحتياج الذاتي .

وأما الإمام الغزالي فلا اعتقاده حدوث العالم بأسره - أي وجوده بعد عدم السابق - خَطَأً ابن سينا ، وقال أن استدلاله لا يثبت المقصود أصلاً ، نظراً إلى أنه كسائر الفلاسفة يعتقد بوجود الممكنات القديمة ، كالعقول والطبائع الكلية بل أجرام الأفلاك ، وإذا كانت قديمة لا تحتاج إلى العلة فينسدد باب إثبات العلة الأولى .

والإنصاف أن هذا الاستنتاج خطأ ، فإن وجود الممكنات القديمة على فرض ثبوته لا يخرجها عن حقيقة الإمكان ، ولا يغنيها عن العلة الموجدة كما بينا آنفاً ، فلا يكون في الوجود موجود ممكن غير محتاج إلى العلة الموجدة ، وإلا لم يكن ممكناً .

ثم إن قول الشيخ ، بأن مناط حاجة الممكن إلى الواجب بالذات هو الإمكان لا الحدوث ؛ حق وصدق ، وهو مذهب جمهور الحكماء والمحققين من متأخري المتكلمين . والتحقق كما قال المحقق الطوسي شارح الإشارات : أن هذا الحكم ضروري لا حاجة إلى تجشم الاستدلال عليه لأننا إذا نظرنا إلى ماهية الممكن واستواء الوجود والعدم بالنسبة إليه ؛ نحكم بداهة بأنه محتاج في وجوده إلى مرجع

لا استحالة الترجيح بلا مرجح ، وليس كذلك تصور الحدوث لأن الحدوث أمر وجودى لا يتصف الحادث به إلا بعد وجوده ، فتعقل الحدوث إنما هو بعد الوجود ، وفرع له ، والوجود بعد العلة ، وهى بعد الامكان ، فالحدوث متأخر عن الإمكان بمراتب .

على أنه لو كان مناط الحاجة الحدوث لا الإمكان ؛ للزم أن يكون عدم الممكن بلا مرجح من غيره ، فيكون العدم ضروريا له ، وهذا خلف وخروج عن فرض أنه ممكن ، وبعبارة أخرى : الحدوث صفة اعتبارية ينتزعها العقل من الوجود المسبوق بالعدم المقابل له ، إن أريد به الحدوث الزمانى أو المسبوق بعلة الوجود الذى يعبرون عنه بالحدوث الذاتى . فنشأ انتزاع صفة الحدوث ليس إلا الوجود ولا يعقل تقدم الصفة على الموصوف ، ويجب التنبيه فى هذا المقام إلى أن المستفاد من كلمات الشرع المروية عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الراشدين فى العلم بحدوث العالم كله ، مثل : « كان الله ولم يكن معه شيء » ، وغير ذلك من المأثور ، وظاهرها الحدوث الزمانى ، ولكنها ليست بحيث لا تحتل التأويل ، فأهل التحقيق يؤولونه بأن الله لم يكن معه شيء أزلا وأبدا ، والحكام أيضا قائلون بحدوث ما سوى الله ، إلا أنهم يقولون بحدوث الزمانى فى الزمانيات ، وحدوث الذاتى فيما فوق الزمان ، ومن المعلوم أن تأويل بعض الآيات والأحاديث التى بآبى العقل معناها الظاهرى كقوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » وقوله تعالى : « وجاء ربك والملك صفا صفا » المشعر فى الظاهر بالجسمية تعالى الله عن ذلك ، وكما ورد فى الحديث : « إن الله تبارك وتعالى ينزل فى آخر الليل ( ليلة الجمعة ) إلى سماء الدنيا وينادى هل من داع وهل من مستغفر » - أن تأويل أمثال ذلك بما يوافق العقل ومحكم الآيات جائز بل واجب . ولكن لا ينبغى الاجترار فى هذا الأمر وفتح باب التأويل فى جميع التشابهات إلا ماورد عن المعصوم .

ولنرجع إلى المسألة المبحوث عنها وبيان طريق أهل الحق فى إثبات المبدأ الاول ووجود الحق تعالى الذى بينه الشيخ فى كتبه ، ومنه ما فى الاشارات الذى نقله الدكتور ( تأمل كيف لم يحتج بياتنا إلى آخره ) والحق أن هذا الطريق هو

الذى لا يتطرق الخلال إليه ، ولا سبيل للشك والتردد فيه ، وهو الذى تطمئن به النفس وتستريح من الشبهات والصعوبات النظرية ، وهو قريب المسافة من المطلوب بشرط تعمق النظر والتأمل التام فى حقيقة الوجود ، وأن لهذا المفهوم البديهي الذى يعرفه كل أحد حقيقة أحدية صرفة هى محض الوجود لا يشوبه شيء من شوائب الاعدام ، ولوازم الإمكان ، كما أن لكل مفهوم حقيقة صرفة هى منشأ انتزاع المفهوم الكلى ، إلا أن مفاهيم الممكنات لا يتصور منها غير ماهياتها التى ليست من حيث هى إلا هى ، وتصور وجودها أمر آخر ملازم لتصور العلة بخلاف حقيقة الوجود ، فإنها نفس الوجود الظاهر بنفسه المظهر لغيره ، غير أنه لا يعرف بالسكنه ، لأنه لا أحد له يعرف به ، فإن الجدة عبارة عما به الاشتراك ، وما به الامتياز ، وليس للوجود اشتراك مع الغير ، لأن غيره عدم صرف ، وإذ لا أحد له فلا ماهية له ، بل ماهيته إنيته ، فهو الموجود بالحقيقة ، وهو الواحد الحق ، وليس كمثل شيء ، وإذ هو الموجود بالحقيقة - فهو الدليل على نفسه ، كما فى الدعاء المعروف بدعاء الصباح ، المنسوب إلى أمير المؤمنين على عليه السلام : « يا من دل على ذاته بذاته ، وتنزه عن مجانسة مخلوقاته ، وفى دعاء الإمام الحسين السبط عليه السلام فى يوم عرفة « كيف يُستدل عليك بما هو فى وجوده . مفتقر إليك ؟ أ يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟ عَمِيَتْ عينٌ لا تراك ولا تزال عليها رقيباً ، وفى دعاء الإمام على بن الحسين عليه السلام الذى كان يقرؤه فى أسحار شهر رمضان : « إلهي بك عرفتك ، وأنت دلتني عليك ، ودعوتني إليك ، .

فإذا كان هو منشأ وجود الماهيات ، فهو الدليل على كل شيء ، كما قال تعالى شأنه :  
« أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ، ٢٠

# الشرعية الإسلامية والقوانين الوضعية بمصر

لحضره الأستاذ على على منصور  
مستشار مجلس الدولة لمحكمة القضاء الإداري

— ٣ —

## البحث الثالث :

دعوى عدم صلاحية الشريعة الإسلامية  
لكل زمان ومكان دعوى فاسدة مندفة

فذلكه :

كان مناط البحث الأول أن الشريعة الإسلامية هي الأصل الأصيل لكل  
تقنين وكل تشريع في مصر ، وأن الدستور المصري يقر هذا النظر ولقد تفضلت  
( رسالة الإسلام ) مشكورة بنشره في العدد الثالث من السنة الرابعة بالصحائف  
٢٦٠ وما بعدها .

وكان البحث الثاني في أن التزامات مصر الدولية لا تحد من سيادتها ، وبالتالي  
لا تحد من سيادة الشريعة الإسلامية فيها . وقد تفضلت الرسالة بنشره أيضاً  
في عددها الرابع من السنة الرابعة بالصحف ٤٠٣ وما بعدها .

وهذا هو البحث الثالث والآخر وهو في الرد على دعوى عدم صلاحية  
أحكام الشريعة الإسلامية لكل زمان وكل مكان والكلام فيه من أبواب :



الباب الأول : في صلة الشريعة الإسلامية بما قبلها من شرائع وعلى الاخص بالقانون الرومانى .

الباب الثانى : في مصادر الشريعة الإسلامية بإيجاز وفي أن الاجتهاد وهو أحد مصادرها ووسع كل تطور تشريعى .

الباب الثالث : في مقارنة أحكام الشريعة الإسلامية ببعض أحكام القوانين الوضعية التى تسود البلاد فى هذه الآونة من مدنية إلى جنائية إلى إدارية . وإظهار ما عليه القواعد الشرعية من سموّ وشمول ودقة وإحكام مع اتسامها دائماً بالجدّة ، وملاءمة أحكامها لكل حضارة ولكل بيئة ولكل زمان .

البحث الثالث :

الباب الأول - في صلة الشريعة الإسلامية بالقانون الرومانى :

لقد تغالى الكتّاب الأجانب فى اتهام الشريعة الإسلامية بأن لا ذاتية لها ، وأنها ترديد لأحكام القانون الرومانى فى أمور الدنيا . كما حرص بعض الباحثين من المسلمين على أن يقرروا أن الشريعة الإسلامية لم تنقل عن القانون الرومانى صغيرة ولا كبيرة من الأحكام ، بل ذهب البعض إلى أبعد من ذلك ، حيث قالوا : إن القانون الرومانى لم يدون إلا بعد ظهور الإسلام فاستفاد مدّونه بعض أحكام الإسلام ونسبوها إليه . والامر عوان بين ذلك ، ولا عيب فيه على الشريعة الإسلامية ولا فضل فيه لشرعة الرومان ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق النفس البشرية مقدّراً بسابق علمه أنها أمارة بالسوء نزاعة إلى الشر ولقد أهبط آدم وحواه إلى الأرض على إثر أكلهما من الشجرة ، فأراد جلّ وعلا رحمة منه بعباده أن يوحى إلى نفرٍ منهم - اختصهم بالنبوة بعد أن أهّلهم لها - بشرائع سماوية بغية الرشد والهداية ، وكانت كل شرعة من هذه الشرائع تحوى من الأحكام والقواعد بقدر ما تنسج لها عقليّة من نزلت إليهم . فكانت شريعة آدم عليه السلام لفصلة الخلق وسداجتهم من البساطة بالقدر الذى يتفق وتلك الافهام ، وإنك لتستطيع

أن تصور ذلك من أن أحد أولاد آدم ( قابيل ) لم يدر ما ذا يصنع بجثة أخيه بعد أن قتله ولم يستطع ذهنه أن يدبر للأمر حلا ، إلى أن رأى الغراب ينبش الأرض فعلم كيف يوارى سواة أخيه فقال : يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخى ، .

ثم تعاقبت الشرائع السماوية في توسع ، ولكن بقدر يتناسب وتقدم البشرية من عهد شيث إلى نوح إلى من تلاه من الأنبياء إلى أن جاءت شريعة موسى ثم شريعة المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ثم الشريعة الإسلامية .

ولا شك أن جميع الشرائع السماوية متفقة في أصول العقائد ، وأهميات الأخلاق والمبادئ العامة التي يصلح عليها أمر الناس ، فلا خلاف بين شريعة وشريعة في د التوحيد ، مثلا لأنه هو الحقيقة الأولى في الوجود ، ولا خلاف بين شريعة وشريعة في أن العدل مثلا هو أساس الحكم السليم الذي يصحبه الاستقرار والطمأنينة

فهل يعاب على عيسى أنه قال بما قال به موسى من عقيدة التوحيد أو غيرها من العقائد الأصلية كالبعث بعد الموت ، والجزاء في الآخرة ، وهل يعاب على محمد أنه فعل ما فعله إخوانه من قبل في ذلك ، وهل كان من الممكن أن يأتي رسول بغير ما أتى به رسول في العقائد التي هي حقائق ثابتة لا تختلف باختلاف الزمان والمكان .

ولإذا لم يكن هذا معيبا في العقائد فإنه غير معيب كذلك في المبادئ العامة ، وقواعد الأخلاق والفضائل ، فإن الشرائع لا بد أن تتفق في ذلك ، وأن تتخذ منها الأسس الذي تنبنى عليها الأحكام وصور المعاملات الجزئية .

نعم قد تختلف هذه الأحكام وهذه الصور باختلاف الشرائع تبعا لاختلاف الزمان وتطور الناس ، لكنها تتفق جميعا في أنها صادرة عن أساس واحد هو إصلاح حال المجتمع بما يتناسب وإياه ، وبما يلاحظ فيه استعداد ودرجة رقيه وتفكيره ، ومن هنا قد تتلاقى الشرائع في بعض الأحكام والصور العملية

ولا يعاب أحدهما بذلك ، ولا يقال : إن هذه الشريعة آخذة ، وهذه الشريعة مأخوذة منها ، لأن المصدر في الحقيقة لهذه وتلك واحد ، كلتاهما ترجع إليه ، وتستمد منه .

والذى نفهمه هو أن الرومان والفرس كانت لهم قوانين موروثة ، فيها أحكام من الشرائع السابقة ، وأحكام وضعوها في عهودهم المختلفة ، منها ما يعاب ، ومنها ما لا يعاب ، فلما جاء الإسلام لم يكن من أهدافه أن يهدم كل ما سواه ، لا يفرق بين الصالح والفساد ، وحاشاه أن يرمى إلى ذلك وهو دين الفطرة السليمة والحق والخير والصلاح أينما كانت ، ولكنه جاء بقواعد عامة للمعاملات وغيرها من النظم الدنيوية اتسعت لذلك الجزء الصالح من التشريعات السابقة ، فأقرها الرسول أو أقرها أصحابه من بعده أو أقرها علماء أمته فيما بعد ، فهل في ذلك من عيب ؟ وهل فيه ما يستوغ الادعاء بأن الشريعة الإسلامية تقل عن الشريعة الرومانية ؟ أظن لا . ولقد كان من محاسن الإسلام أن يحترم ما اصطاح عليه الناس وتعودوه ما دام حسنا ، بل احترامه ولو كان نقصا ما دام صالحا للتطور وعدله وقوامه ، لأن ذلك أدعى إلى قبول الدين وسهولة ديوع الدعوة إليه ، ولأن ذلك هو الفطرة وكما من تشريع أقره الإسلام فترة من الزمن ، فلما امتلأت النفوس بالإيمان ، ورسخت العقائد في الأذهان نسخها الله بسواه ، تلك هي سنة التدرج وهي من سنن الوجود التي أودعها الله هذا العالم .

\* \* \*

الباب الثاني - في مصادر الشريعة الإسلامية بإيجاز ،  
وفي أن الاجتهاد وهو أحد مصادرها وسع كل تطور تشريعي :

الكتاب هو أصل الدين الإسلامى ، وهو كلام الله المنزل على نبيه المرسل ، وقد تحددت به حدود الشريعة ، ففرق بين الحلال والحرام ، وتضمن أوامر الله ونواهيه ، وفرض على الناس الفروض ، ونظم لهم أمور الحياة من معاملات إلى اقتصاد إلى اجتماع . ما فرطا في الكتاب من شيء ، ولكن للأمر في جميع ما ذكر

وجهان : الأول أن الله سبحانه وتعالى بين في كتابه الفرض أو الحد أو الحكم بياناً شافياً لا حاجة معه إلى تأويل أو تعليل أو بحث ، والثاني أنه سبحانه جلت قدرته أنزل الفرض أو الحكم في كتابه بنص عام ، ثم أمر رسوله وحيا أو إلهاما أن يبين للناس كيف يكون أداء هذا الفرض وتفصيل ذلك الحكم ، أما كيف يتبين الرسول الفرض أو الحكم العام فبواحدة من اثنتين إما بالقول ( السنة القولية - الأحاديث ) وإما بالعمل كأن يصلى بالناس فيعلموا أن الصلاة التي فرضت على المؤمنين كتاباً موقوتاً لها كيفية وشرائط وأحكام ولكل صلاة ركعات معدودات . وتلك هي السنة ثاني مصادر الشريعة الإسلامية ، ولقد تضمنت الأحاديث النبوية نصوصاً لأصول بعض الأحكام الشرعية وأمرنا الكتاب باتباعها والخذ بها ، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى - من يطع الرسول فقد أطاع الله - وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا - هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، .

ولكن النصوص الشرعية للأحكام التي وردت في الكتاب والسنة قليلة إذا ما قيست بواد القانون في أية شريعة وضعية ، إذ الآيات القرآنية التي تضمنت أصول الأحكام على ما أحصاها ابن قيم الجوزية لا تعدو مائة وعشرين آية من نيف وستة آلاف آية ، أما الأحاديث فخمسمائة من أربعة آلاف حديث ، واقد أراد الله بذلك أن يهيئ للناس فرصة الاجتهاد في الفروع دون الأصول ، فجعل النصوص الأصلية لقواعد الشريعة عامة دون التعمق في التفاصيل ليتسع لها عقل من نزل فيهم القرآن ، وليرك للقوى الإنسانية التي أودعها مخلوقاته فرصة العمل والتفكير والتدبير واستنباط الأحكام فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة ، لما يجد ويعرض لهم في حياتهم من مشاكل وأقضية تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وهذا هو الاجتهاد ، وهو أحد مصادر الشريعة المحمدية .

ومشروعية هذا المصدر ثابتة من حديث معاذ بن جبل ، إذ أنه لما بعثه الرسول صلوات الله عليه وسلامه إلى اليمن ، قال له : بم تقضى يا معاذ ؟ قال : بكتاب الله

قال الرسول : فان لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد برأى . فأقره على ذلك - وما كان يمكن أن ينزل الكتاب والسنة على غير هذا الإجمال والتعميم ، لأن هذه الشريعة إنما نزلت لكل زمان ولكل مكان - وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً .

ولو أن صاحب الشريعة عني بالتفاصيل والجزئيات لوجب أن يقدر ما سيكون عليه العالم من نظم مختلفة واختراعات مستحدثة في جميع الأمكنة والأزمنة فيضع لها ولما تفرع عنها التفاصيل ولو أنه فعل ذلك لما اتسع وقت الرسالة لهذا كله ، بل لأعرض الناس عن هذه الدعوة لتعقدها ولأنها تضمنت أحكاماً عن جزئيات ومخترعات لا تقع تحت حسمهم ويصعب عليهم تصورهما لأنها لم تعرف في زمانهم ولنضرب لذلك مثلاً فقد نزلت بالقرآن آية تضمنت الحكم العام لآداب التلاوة وجرت على نسق مختصر ، وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، وحدث بعد نزولها بنيف وألف وثلثمائة عام أن اخترع المذياع (الراديو والتلفزيون) ولما بدى باذاعة آيات الذكر الحكيم به بدأ التساؤل عن حكم الشرع والدين في ذلك أحلال هو أم حرام ؟ وهل يصح إذاعته في مقهى عام والناس عن الاستماع لاهون ؟ وهل تصح إذاعته في منتدى ترتكب فيه الآثام والموبقات وتداركثوس الخمر ؟

لا بدع في أن حكم هذه الجزئية لم يرد بنص صريح في الكتاب أو السنة ، وأن ذلك ترك للاجتهاد على هدى الحكم العام الوارد بالآية الشريفة . لا بدع في ذلك إذ لو أريد للشريعة أن تتضمن الأحكام المفصلة لجميع الفروع والجزئيات لوجب أولاً لفهام الذين نزل عليهم الدين وقت الرسالة ما هو الراديو ، وما هو التلفزيون ، ولو حاول الرسول ذلك وقال لهم أن مخترعات البشر بإذن الله ستجيء للعالم بعد ألف وثلثمائة عام بآلة يستطيع بها الواحد أن يسمع ويرى صورة المتحدث وهو على بعد آلاف الفراسخ والأميال لما صدقوه لعدم إمكانهم تصوّره وجادلوه فأكثرُوا جداله في كنه تلك الآلة ، ولما لزمهم حجته في أن ذلك الذي

يقوله ليس من عنده وإنما هو من عند الله لأن الحجة لا تلزمها صفة الإقناع إلا متى دخلت مناط العقل ، أما إذا كانت فوق إدراك المرسل إليهم فهي داحضة .  
ولله ليس بخاف علينا ما ثار من الجدل لا بين العامة فحسب ، بل بين العلماء والفقهاء في حقيقة الإسراء والمعراج أكانا بالروح أم بالجسد ، أم كانت رؤيا .  
ولله بعد أن اخترع عباد الله التلفزيون لا ننكر على قدرة الله أن يكون الإسراء والمعراج بحسد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وصدق إذ قال :  
( أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم ) .

ومن أمثلة هذا الاجتهاد أن أبا بكر رضى الله عنه قسم مال النية فسوّى بين المسلمين جميعاً : الحر منهم والعبد ، وجاء عمر من بعده ففضل بعضاً على بعض في القسمة ، فجعل لأزواج الرسول قدراً معلوماً ، وفضل المهاجرين على الأنصار ، وفضل أهل بدر على غيرهم ، فلما أن ولى على بن أبى طالب الخلافة سوى بين الجميع في القسمة ، ويعقب الإمام الشافعى على ذلك بقوله : إن ما ليس فيه نص كتاب ولا سنة إذا طَلَبَ بالاجتهاد فيه المجتهدون وَسِعَ كَلًّا إن شاء الله تعالى ، وفي الحديث : ( إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر ) .

ومن أمثلة الاجتهاد في صدر الإسلام ما قضى به على بن أبى طالب في شأن مُمَسِّكِ المَقْتُولِ للقاتل ، وخالفه فيه الإمام مالك ، وما قضى به على أيضاً في شأن ميراث من ولد له رأسان وصدران في قفص واحد ، إلى غير ذلك من الامثال مما سيجي ذكره في الباب الثالث من هذا البحث عند الكلام على مقارنة أحكام الشريعة الإسلامية بالموادين الوضعية .

ولاضير في أن يختلف الحكم في المسألة الواحدة باختلاف الحاكمين أو باختلاف الزمان أو باختلاف المكان ، إذ المعول عليه أنه ما دام المقتى أو القاضي على علم بأحكام الكتاب والسنة محيطاً بها فلا حرج عليه في أن يجتهد فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة ، وعليه أن يبحث عن شبهة للمسألة فيه نص ، فإن وجد حكم بمثله وهذا هو القياس - وهو أساس نظام القاضي في إنجلترا ،

إذ ليس هناك قانون مكتوب ذو مواد وبود، والعمدة لديهم على فقه القضاة والعرف والعادة - والاجتهاد هو الباب الذي دخلت منه إلى حظيرة الشريعة الإسلامية كل الحضارات بما فيها من مشاكل قانونية ومالية واجتماعية ، فوسعها جميعا وبسط عليها من محكم آياته وسديد قواعده ما أصاب المحجة ، فكان للشريعة الإسلامية من ذلك تراث ضخم تسمى على كل الشرائع ، وأحاط بكل صغيرة وكبيرة من أمور الدين والدنيا ، وكفاها نفراً أن واحداً من فقهاءها هو محمد بن الحسن أفتى وحده في بضع وعشرين ألف مسألة ، لم يقتصر فيها على ما وجد ويجد للناس في حياتهم ، بل افترض المستحيلات وأفتى في شأها مجتهداً مهتدياً بالكتاب والسنة ، متخذاً من أحكامها الآقية والدلالات ، محترماً لما اصطلاح عليه الناس ، وما جرى لهم من عرف وعادة ، وللعلامة ابن عابدين مصنف في أحكام العادة ، عنوانه : **نشر العرف** في بناء الأحكام على العرف ، أورد به كثير من الأحكام الشرعية التي وسعها الاجتهاد فتعيرت بتغير الزمان ولا عوج في ذلك ، فمُتَزَل هذه الشريعة هو الذي قال : **« ما جعل عليكم في الدين من حرج ، وقال : « فطرة الله التي فطر الناس عليها . »**

أبعد ذلك يصح في الافهام أن تهتم الشريعة الإسلامية بالقصور ، أو بأنها إنما نزلت لعرب الجزيرة لتعالج أمورهم في حقبة من الزمان انقضى عهدها أو أنها قضيت عن أن تجد الحلول لمشاكل الحضارات الحديثة ، ارجعوا إليها وإلى تراثها الضخم تجدوا أنها عاجلت الجليل والخطير والصغير والكبير من أمور الدين والدنيا فيها ذكر ماضى ، وفيها ذكر الحاضر ، وفيها ذكر المستقبل ، وسيظل العلم الحديث يكشف عما فيها من كنوز ، وستتري المشاكل على العالم جيلاً بعد جيل ، وسيضطرب العالم في محاولة الحلول لها دون جدوى إلا أن يرجع إلى أحكام هذا الدين ، وهذه الشريعة المحكمة السمة حيث الدواء الشافي والعلاج الحاسم لكل ما يصيب العالم في حاضره وفي مستقبله ، سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد . ٢

# السُّورَةُ وَالْأَدَبُ

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان  
أستاذ الأدب العربي في كلية اللغة العربية

يتصل الأدب بالثورة اتصالاً غير مباشر ؛ لأن الثورة تتمرد على الأوضاع الاجتماعية ، يتناولها كلاً أو بعضاً بالمحو أو الإصلاح ، في سرعة وعنف ؛ والأدب ظل الحياة الاجتماعية ، فتم اضطربت الحياة الاجتماعية أو وقفت بين عهدين تحسّسُ الطريق الأنجع ، اضطرب الأدب كذلك أو توقف تبعاً لها ، حتى إذا اتخذت طريقها الجديد راشدة مجددة ، وجد الأدب طريقه تحت ظلالها ، يحذوها ويتغنى بآثارها ، ويشيد بأبطالها .

قامت ثورة بني هاشم على بني أمية ، فقلبت الخلافة من أموية إلى عباسية ، وقلبت الدولة من عربية للعرب إلى إسلامية للمسلمين ؛ عجمهم وعربهم ؛ وقلبت الثقافة من عربية صريحة إلى علمية عالمية ، ووقف الأدباء ينظرون ، ثم تأقلبوا ، فانضوا تحت الراية الجديدة ، يبتكرون ويمجدون ، ويتنافسون في الابتكار والتجديد ، حتى أقاموا للأدب العباسي دولة تسمى دولة الأدب الإسلامي وتناظره ، تتلاقى الدولتان في الاشكال والمشابه الظاهرة ، وتختلفان مذاقا واتجاها ، وضمت الثروة الجديدة إلى التراث القديم ، لجمع بهما الإسلام طريقاً إلى تليد ، وحوى بهما المجد من أطرافه .

وقامت ثورة الترك ، فقلبت الخلافة إلى جمهورية ؛ وقلبت اللغة من تركية عربية ، إلى لاتينية ، وقلبت العقيدة من إسلامية متزمنة ، إلى : لا دينية . وقلبت حال المرأة من حجاب صفيق ، إلى سفور سافر .



وقامت ثورة سنة تسع عشرة عندنا، فكان أثرها في الآداب بالغاً كل البالغ !  
 كنا في صدر حياتنا العلمية نعرف من الآداب ما كان يكتبه الكاتب العظيم  
 المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى في صحيفة « المؤيد » تحت عنوان « الأسبوعيات »  
 وتهافت عليها تهافت الفراش على السراج، وندخر الملاليم من مصروفنا اليومي  
 لنشتري « المؤيد »، الذى ينشر « الأسبوعية ». ثم أخذنا نقرأ تنقلاً للكاتبين :  
 عبد القادر المغربى، وكرد على المحررين فى المؤيد، فى صحيفتهما الصغيرة الرشيدة  
 « مصر الفتاة ». إلى ما كان ينشر من شعر أمير الشعراء، وغيره من الشعراء ؛  
 على أن كل أولئك، كان يدور فى محيط القديم، يحلّى فى صور جديدة، طبعاً، على  
 كل مثقف أو طالب أزهرى، أو كالجديدة عند من يجمعون بين الثقافتين ؛ وكنا  
 كذلك نقرأ بعض الخطب النابغة، أو المقالات المخيرة، لبعض كبار الساسة،  
 فى الحين بعد الحين .

فلما هبت الثورة المصرية، هبت معها الخطابة، فتكاثر الخطباء، وانطلقت  
 المواهب الفطرية، وكنت تسير فى الشوارع عند ما تقوم مظاهرة، فترى خطيباً  
 فى كل منعطف، ومجموعة من الخطباء فى كل ميدان، منابرهم أفاريز الشوارع،  
 وعربات اليد والنقل .

وأخذ الشعراء - الذين يحملون بين جوانحهم مبادئ الثورة كالمغفور له الشيخ  
 محمد عبد المطالب وشباب الجامعات - يحدون لها بالاناشيد والقصائد .

فأما غيرهم من خول الشعراء، فاضطربوا، ووقفوا ينتظرون ويستشفون  
 المرشد الهادى والطريق الأمين ؛ ثم استناروا، فضى كل شعب فى سبيل !..

ولقد أثرت الثورة فى فنون الآداب تأثيراً واضحاً، فأدخلت فى الخطابة ألفاظاً  
 بديعة، وابتكرت أساليب رائعة، وأخيلة ومعانى جيادا، مما كان ينقضى الزمن  
 الطويل دون تطورها إليه، لولا حاجة الثورة إلى بذل الوسع فى الاحتيال على  
 الاستمالة والإقناع ؛ وساعد على ذلك الاختلاط بين عنصرى الأمة، وتناوب  
 الخطابة، وتنوع الاتجاهات، كما ساعد عليه بعض المحامين الذين اقتضى دعوتهم

إلى مصر ، قيامُ التقاضى بين المصريين والإنجليز ؛ ولا ريب أن ذلك كان تطعياً للخطابة ، له أثره البين في قوتها وانطلاقها .

\* \* \*

فأما الكتابة ، فقد ضربت في الثورة والانطلاق بأوفى سهم ، واستجذت فيها قنون لم تكن معروفة قبل الثورة ؛ « حديث رمضان ، الذى ابتكره نثر الأزهر ، وأخل كتاب العربية في الشرق ، المغفور له عبد العزيز البشري ، في السياسة اليومية ، و « في المرأة » الذى ابتكره في السياسة الأسبوعية ، أثران من آثار الثورة ، كان لهما في مختلف الصحف ، وعند جبهة الكتاب والمحربين ما جعل الجميع يتأثرونه وينسجون على منواله فيهما ، وهيهات !

\* \* \*

وذهب الشعر من آثار الثورة بنصيب الأسد ؛ فقد قامت ، ونحن - معاشر الأزهرين - عاكفون على القديم ، نقدّس كل ما قدس ، ونهرج كل ما بهرج ، والدكتور طه حسين ، قد أصبح ركنا أقوى ركن من أركان الأدب ، وعماداً من عمد النقاغة ؛ وبيننا وبين الدكتور ترة ، لآتنا أسقطناه في امتحان الأزهر ، والاحرار لا ينسون تراثهم وإن طال الزمن ، والدكتور - وإن كان ضعيداً - لا يريد أن يأخذ بناره على طريقة أهل الصعيد ؛ بل بطريقة أبرح وأقتل تشفى النفس ، ولا تنافى العلم ، فابتكر صفحة الأدب في السياسة اليومية ، فاجتمع الناس عليها كما يجتمع النمل على كؤُور النحل ، ثم ابتكر حديث الأربعاء ، ثم ألقى قبلة الشعر ، الجاملى ؛ وقد أصاب بهذه الأعمال التى نلتقى كلها في مكيدة ، الأزهر ، وفي خدمة الأدب بما تنفق من بحوث نافعة في انتجاعه أوربة ، وفي الدعاية لحزب الاحرار الدستوريين : أصاب آلاف العصفير بحجر واحد ! وإن كان القيدح الذى بقى قوُزه وخلد ، هو قدح الادب بلا ريب .

\* \* \*

وكانت أشعار أمير الشعراء شوق قبل الثورة ، يشبع في أطرافها كثير من

المحاكاة والضعف الذى كان يخشى منه على هذا الشعر إذا زال السلطان الرسمى للأمير ، ورجع الأمر إلى الشعر وحده ؛ فكانت الثورة عاملا مساعداً له على الفحولة والإجادة ؛ لاجرم أن نفىه إلى أسبانيا فى أثناء الحوب الكبرى هز شاعريته هذا ؛ ولكننى أجزم بأنه لو لم تسعده الثورة على المضى فى اتجاه هذه الهزة ، لطلق الشعر بنانا ، كما طلقه المرحوم حافظ حينما استمرأ العيش فى ظلال الخدمة ، فأمعن فى الحرص عليها !

تقرأ لشوقى فى نهج البردة :

لما رنا حدثتني النفس قائلة يا ويح جنبك بالسهم المصيب رى !  
جحدتها وكنعت السهم فى كبدي جرح الأجنة عندى غير ذى ألم  
والبيت الأول أسلوبه ضعيف ، ومعناه فاسد ؛ فقائلة كلبة ضائعة ، والموضع ليس لحديث النفس الذى يصدق ويكذب ، وقد عاد إلى هذا المعنى بعد ذلك فأجاد فذلك حيث يقول :

بروحى البيان يوم رنا عن المقدور أعصمهُ  
رعى ، فاستهدفت كبدى بى الرامى وأسهمهُ !  
وشطر البيت الثانى من البيتين الأولين ، ليس فى وضعه الطبيعى أيضاً .

\*\*\*

ويقول فى نهج البردة أيضاً :

يارب هبت شعوب من منيتها واستيقظت أمم من رقدة العدم  
سعد ونحس وملك أنت مالكة تدل من نعم فيه ومن نعم  
رأى قضاؤك فيه رأى حكمته أكرم بوجهك من قاض ومتنقم  
فالطف لأجل رسول العالمين بنا ولا تزد قومه خسفا ولا تسم  
يارب أحسنت بدء المسلمين به فتمم الفضل وامنح حسن تحتّم

وأسلوب البيت الأول ردى ، فإنه لا يقال : هب فلان من منيته إلا بهجاز ستيف ، ومعنى الشطر الثانى تكرير لمعنى الشطر الأول ؛ وكلاهما موت فى موت

فأما دعاؤه للامة ذلك الدعاء المطعم بالانحلال والاستسلام والمقام على الخسف فكان خيرا منه أن يدعو عليها بالموت الوَحِيّ ، والفناء المريح ، وإن كان بينه الأخير يحتمل ذلك ! .

\* \* \*

انظر بعد ذلك إلى ما يقوله في الحرية الحرام :

سالتُ من الغاب الشُّبُولَ غلى بها	لَبَنُ اللَّبَاءِ وهاجَ عِرْقُ الضَّيْفِ
يومَ النضال ، كستك لون جمالها	حُرِّيَّةٌ صَبغتُ أديمك بالدم
أصبحت من غرر الزمان وأصبحت	ضحكت أسرة وجهك المتجهم
لينم أبو الأشبال ملء جفونه	ليس الشُّبُولَ عن العرين بنوم

وقوله في دمشق :

وللأوطان في دم كل حر	يد سلفت ودين مستحق
ومن يسقى ويشرب بالمانايا	إذا الأحرار لم يُسَقَوْا وَيُسْقُوا
ولا يبنى الممالك كالسحابا	ولا يدنى الحقوق ولا يُحَقَّقَ
ففي القتل لاجيال حياة	وفي الأسرى فدى لهمو وعق
والحرية الحرام باب	بكل يد مضرجة يدق

\* \* \*

هذا شعريحي الموقى ، ويبعث الروح في الجناد ؛ وليس الفضل فيه لأمير الشعراء ؛ بل للثورة التي وضعت على لسانه فغناه ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ! .

\* \* \*

هذا مثل صغير يحمل ، سفته لأدل على فرق ما بين سابق الثورة ولاحقها في الفنون الأدبية ، ولا شك أن الأمر كذلك في غير الأدب من شؤون الحياة .

والادباء بإزاء الثورة صنفان ؛ صنف تضطرب بالثورة جوانحه ، ولكنه يكتبها تقيّة وحذرا ، فما يكاد يخفق للثورة لواء ، حتى يواكبه ، وينضوى تحت ظلالة ، ومن هذا الضرب السيد الحميرى وسديف بن ميمون والشعوبيون أمثال

بشار وأبى نواس وغيرهم ، فى الدولة العباسية ؛ ومنهم أمير الشعراء أحمد شوقى فى ثورة سنة ١٩١٩ ، فقد كان صدره رحمه الله يغلى بالثورة على هؤلاء الذين سلوا عرش سيده الخديو عباس ، ثم لم يكتفوا بطرده من بلده عديل نفسه ، بل تبعوا أوليائه وحاشيته يمزقونهم كل ممزق ، ويفسدون عليهم ، ما بقى لهم من هدوء الحياة فوجد فى الثورة متنفساً يصرف به ما بين جوانحه ، ويقول فيصدق ، لأنه يصدر عن عاطفة ، ويصور شعوراً يحسه فى أعماقه ، ويشهد مثله فى بلده ، وعند أحرار قومه ، كما يشهد مثله فى سورية ، وفى العراق ، وفى غير سورية والعراق ، من الأوطان العربية المغلوبة على أمرها ، فيجيد التصوير ، ثم يهتف بهؤلاء جميعاً ، فتجاوبه الأصدا من كل أفق : يا لبيكاه ، يالبيكاه !

والصنف الآخر يلبس ثيابه عبد ، تشتمل أشباحه على نفوس حشرات طفيلية فى طبيعتها أن تعيش فى أجسام الحيوانات العليا ؛ فلا يد لها من سيد ، لو لم تجده ، لخلقه ، لتعبده ، وتسقط تحت قدميه خاشعة ذليلة ، مقدسة لجلاله ، مسبحة بحمده !

وأمثال هؤلاء ، وهم - ولا كفران لله - عندنا كثير ، لا يمكن أن يواكبوا الثورة ، ولا أن يزعوا عن قوسها ، إلا بعد أن تستقر الأمور فى نصابها ، وتتضح المذاهب والاتجاهات ، وتتمايز المراكز ؛ عند ذلك يملئون اصطواناتهم على ما يشاكل الاتجاه الغالب ، والجانب المأمون .

ومن هنا كان التاج الثورى للأدب ، يأتى دائماً متأخراً ٩

# فَضْلُ الْمَسْجِدِ عَلَى الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

لحضرة الأستاذ عبد الوهاب حموده

أستاذ الأدب الحديث بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

— ٢ —

قد بينا في مقالنا السابق بعض آثار المسجد في الثقافة الإسلامية عصر النبوة والآن نتم الحديث ، ثم ننقل إلى الكلام على ذلك الفضل في العصور التي تلت عصر النبوة .

أفد اتخذ من المسجد في عصر النبوة ميداناً للتدريب العسكري والتدريب الحربي استعداداً للجهاد دفاعاً عن الدين ، فإن منفعة ذلك عائدة على نصرته الحق وحماية الدعوة الصالحة ، أليس يقول القرآن : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها جاء حبش بجراهم يلعبون في يوم عيد في المسجد فدعا صلى الله عليه وسلم فوضعت رأسى على منكبيه ، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذي أنصرف عن النظر إليهم ، قال الحافظ ابن حجر : إن لعب الحبشة بجراهم كان للتمرين على الحرب ، والتدريب على القتال .

وكان صلى الله عليه وسلم يبحث أصحابه على تعلم الرمي بالنبال في المسجد ليكونوا دائماً على استعداد لعدوهم ، ويتحدوا في آلات حربهم ، فلو كان فعل الحبشة مجرد لعب لنهاهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك .

وكان المسجد يتخذ داراً للأنضاء ، ومكاناً لإقامة العدل ، وموطناً لتنفيذ

العقوبات والحدود حتى يشهدا القوى والضعيف ، والغنى والفقير ، والصغير والكبير ، وفي هذا من التقويم الخلقى ما فيه .

وعن ابن عباس : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الجمعة ، إذ جاءه رجل فقال : أقم على الحدّ .

وقال في المدونة . القضاء في المسجد من الأمر القديم ، وهو الحق والصواب . قال ابن أبي زيد : واحتج بعض أصحابنا في قضاء المسجد بقوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ، فدل على أن حكم الحكومة وقعت عنده في مسجده .

وقد عنون البخارى في صحيحه بابا بقوله ( باب القضاء في المسجد ) روى فيه عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في قضية رجل قذف امرأته ، فأمرهما بالتلاعن في المسجد . قال القسطلانى : وهذا جائز عند عامة الأئمة .

\* \* \*

أما بعد عصر النبوة فقد امتدت وظيفة المسجد واتسعت ، وتعددت وتنوعت . فقد فتح المسلمون مصر سنة عشرين من الهجرة على يد عمرو بن العاص ، فكانت القسطاط أول حاضرة للإسلام في مصر خطها عمرو بن العاص سنة ٢١ هـ .

وكان أول ما اتجه إليه نظره أن يبني للمسلمين مسجداً يقيمون فيه شعائرهم ، ويكون رمزاً لسيادة الإسلام الروحية ، ومنبراً للدين الجديد ، فبنى جامعهم . فهو إذن أقدم جوامع مصر الإسلامية ، ومن ثم أطلق عليه المسجد العتيق ، وتاج الجوامع ، والمسجد الجامع ، وهو أول جامعة علمية إسلامية كبرى في مصر ، سبق لها الفضل في تخريج عدد كبير من العلماء كان لبحوثهم أعظم الأثر في توجيه الأفكار وثقيف الأذهان .

وكان القائمون بالتعليم فيه هم الصحابة والتابعون ، وكانت العلوم التي تدرس وقتئذ هي علوم الدين من تفسير للقرآن ، وتلقين لقرامته ، ورواية للحديث ، وكان أشهر الصحابة الذين نزلوا بمصر ، وقاموا بالتعليم فيه ، هو عبد الله بن عمرو

ابن العاص ، ويعد بحق مؤسس المدرسة المصرية في الحديث ، فقد أخذ عنه كثير .  
وأول من أقرأ القرآن بمصر هو أبو أمية عبيد بن نحر المغافرى ، وكان من أصحاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تلقى المصريون العلم في أول الأمر على أيدي المعلمين من الصحابة والتابعين ،  
ثم لم يلبثوا أن أصبحوا معلمين يلقون العلم في مجالسه ، ولهم تلاميذ مصريون  
يأخذونه عنهم ، ويرحلون إلى البلاد في طلبه والتزود منه ، ثم يعودون إلى مصر  
يدرسون ويتدارسون ، ويستنبطون منه الأحكام . فترى مثلاً عثمان بن سعيد  
القفطى المصرى المعروف بـ «رُش» ، وكان من أصل قبضى ، وقد ولد بمصر ، ثم تعلم  
اللغة العربية وقراءة القرآن ، ورحل إلى المدينة فقرأ بها على نافع ، ثم عاد إلى  
مصر ، وإليه انتهت رياضة الإقراء فيها .

كما تخرج في جامع عمرو مركز الدراسة الإسلامية الممتازة في مصر أقطاب  
الفقهاء والمحدثين ، أمثال الليث بن سعد ، وعبد الله بن وهب .

وقد نشط التعليم في مصر على أثر تعدد المذاهب الفقهية ، فقد انحاز كل فريق  
من العلماء المصريين إلى مذهب يأخذ به ، ويدفع عنه ، ويعمل على تعليمه ونشره ،  
فكان بين المالكيين والشافعيين والحنافيين خصام ونزاع في التشريع ومسائل الفقه ، حتى  
جاء الشافعى ، وأقام في مصر نحو خمس سنوات يحرق مذهبه ، ويمليه على تلاميذه  
المصريين ، وكون له حلقة علمية نشيطة ، ومال إليه كثير من المصريين . وذلك  
لأن المصريين كان من عادتهم بعد قضاء حجه في مكة أن يحضروا إلى المدينة  
المنورة للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستماع الموطأ من الإمام  
مالك ، وكان الشافعى يلمه عليهم ، ومن ذلك الحين عرف المصريون الشافعى ،  
ومالت قلوبهم إليه ، واهتموا بالوقوف على أخباره .

فلما جاء الشافعى إلى مصر ابتدأ في إلقاء دروسه بجامع عمرو فكان إذا صلى  
الصبح جاء أهل القرآن وحضروا عليه فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل  
الحديث فإذا ارتفعت الشمس قاموا وحضر قوم للناغرة ، ثم يحجى أهل العربية



والعروض والشعر والنحو ، ولا يزالون إلى قوب انتصاف النهار ، وبعد ذلك يأخذ الشافعي عصاه وينصرف إلى داره ، فكان يعمل في المسجد ثمانى ساعات من الرابعة صباحا إلى النافية عشرة .

وكان طلاب العلم يحضرون على الشافعي رجالا ونساء كظام الجامعات الآن ، ولم يكن هناك حرج من هذا النظام وقتئذ ، لأن مذهب الشافعي وإن كان يقضى بأن لمس النساء ينقض الوضوء ، إلا أن الرجال والنساء أطالت أكام الثياب تفادياً من ذلك اللبس عملاً بوصيته ، وكانت النفوس في حرز من تقواها ، وصون من النزق لخشية ربها .

ونبع على الشافعي كثير من المصريين والمصريات ، فمن الرجال : الربيع الجيزي وحرملة والمزني والبويطي ومحمد بن عبد الله بن الحكم وغيرهم . ومن النساء كثيرات كذلك كالسيدة أخت المزني التي أخذ عنها العلماء ودرج اسمها في جدول كبار فقهاء الشافعية .

وظل التعليم في مصر تعليماً دينياً خالصاً منضماً إليه دراسة العلوم اللغوية التي لا بد منها لفهم القرآن والحديث ، ورفد إلى مصر علماء كثيرون من العراق وغيرها من البلاد الإسلامية ، جاموا يعلمون المصريين أحيانا أو يطلبون العلم في مصر أحيانا أخرى ، فقد جاء نافع فقيه أهل المدينة إلى مصر كي يعلم المصريين ، وأقام بينهم مدة طويلة ، كما جاء محمد بن جرير الطبري المحدث الفقيه المفسر المؤرخ وكان ذلك سنة ٢٥٣ .

يقول ياقوت : ثم سار الطبري إلى القسطنطينية ، وكان بها بقية من الشيوخ وأهل العلم ، فأكثر عنهم كتابة علوم مالك والشافعي وابن وهب وغيرهم ، ثم عاد إلى الشام ، ثم رجع إلى مصر فلقبه أبو الحسن على بن سراج المصري فوجده فاضلاً في كل ما إذا كره به من العلم ، ويحب في كل ما يسأله عنه ، حتى سأله عن الشعر فرآه فاضلاً بارعاً فيه ، فسأله عن شعر الطرماح ، وكان من يقوم به مفقوداً في البلد فإذا هو يحفظه ، فسئل أن يمليه حفظاً بغريبه ، فكان يمليه عند بيت المسال في الجامع .

وإليك ما قاله ابن سعيد في وصفه للمسجد الجامع عند زيارته له « واستحسننا ما أبصرته فيه من خلق المصريين لإقراء القرآن والفقهاء والنحو في عدة أماكن ، أضف إلى ذلك ما ذكره المقرئ نفعلاً عن ابن الصائغ الحنفى من أنه أدرك بجامع عمرو ، قبل الوباء الكائن في سنة ٢٤٩ هـ ، بضعا وأربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه .

وقد عني بنو الإخشيد بهذا المعهد كما عني به غيرهم من الأمراء من قبل ومن بعد ، وزيدت عمارته في عهدهم ، وزينت عمده ، وكانت حلقاته العلوية في زمنهم أشهر مجالس العلم والتعليم .

فقد ذكر ابن سعيد : « وفي سنة ٣٢٦ هـ ، عاد أصحاب مالك والشافعى إلى القتال في المسجد الجامع العتيق ، وكان في الجامع للساكنين خمس عشرة حلقة ، وللشافعين مثلها ، ولأصحاب أبي حنيفة ثلاث حلقات ، فلما زاد قتالهم أرسل الإخشيد ونزع حصرهم وأعلن الجامع ، وكان يفتح في أوقات الصلوات ، ثم سئل الإخشيد فيهم فردهم .

ومهما يكن من أمر فقد بالغ الإخشيدون في إعطاء الأموال والهبات للعلماء المصريين والوآئدين على مصر ، مما أفاد التعليم فائدة عظيمة ، وكانت حلقات الفسطاط حيث يلقي الفقهاء والأدباء دروسهم على طلبتهم في أوج ازدهارها ، ونبع من المصريين كثير من زعماء الفكر والأدب ، منهم : أبو عمر الكندى ، وأبو جعفر النحاس المصرى ، وأبو بكر الحداد ، وكثيرون غيرهم . وكان جامع عمرو هو معهد مصر الأكبر في ذلك العهد .

أما المنبى فكان يعقد حلقاته الأدبية في مسجد ابن عمرو حيث يجتمع إليه الأدباء والشعراء .

ومن أهم الآثار العربية في مصر جامع ابن طولون ، فإنه عند ماتم بناؤه أُملي فيه الحديث الربيع بن سليمان تليذ الإمام الشافعى ، فكان معهداً من معاهد التعليم في مصر من بدء إنشائه ، وقد ظل كذلك في العصور التالية ، فقد ذكر ابن جبير

في رحلته : أن المغاربة كانوا يسكنون زمن صلاح الدين بن أيوب ، ويحلقون فيه ، وكانت رحلة ابن جبير سنة ٥٨٧ هـ . وقال السيوطي في كتابه « حسن المحاضرة » ، إن هذا الجامع كان شهيراً بدروس التفسير والحديث والعقود والقراءات والطب والميقات في زمن حسام الدين لاجين سنة ٦٩٦ هـ .

لم يكبد يتم للفاطمين فتح مصر ، ويستقر سلطانهم حتى أخذ جوهر في بث الدعوة للخليفة المعز الفاطمي خاصة ، وللملويين عامة ، فاتخذ من المساجد ميداناً لبث هذه الدعوة السياسية ، وسرعان ما بنى الجامع الأزهر في القاهرة حاضرة الفاطمين ليكون مركزاً لبث عقائد مذهبهم واجتماع أشياعهم لاسيما وأن بعض المساجد الأخرى كان لا يزال يؤمها كثير من المصريين السنيين ، وسنفرد للجامع الأزهر بحثاً خاصاً في مقال تال يليق بتاريخه المجيد وفضله العميم .

دأب الخلفاء الفاطميون على العناية بالمساجد وغيرها من دور العلم وساعدهم على ذلك ما جمعه من الأموال والثروات الطائلة ، فلم ينس الخلفاء الفاطميون نصيب المعلمين والطلبة من العطف عليهم والعناية بشؤونهم .

وكان لجامع عمرو نصيب موفور من عناية الفاطمين ، فقد ظل محتفظاً بنشاطه العلى ، فكانت حلقاته العلية والأدبية تعقد بانتظام ويشهدها كثير من الأساندة والطلاب والأدباء والشعراء ، فقد وصف ناصر خسرو جامع عمرو عند زيارته لمصر سنة ٤٣٩ هـ . في أيام المستنصر الفاطمي ، فذكر أنه يزوره في اليوم خمسة آلاف رجل ما بين معلم ومقرئ وطالب وزائر وناسخ .

ومن بين معاهد التعليم في مصر في العهد الفاطمي جامع الحاكم بأمر الله الذي أسسه أبوه العزيز بالله ، وكان عدا هذه المساجد الجامعة الكبيرة مساجد أخرى كثيرة في المدن المصرية المختلفة ، وكان التعليم بهذه المساجد شاملاً وإن كان يقل نشاطاً عن التعليم في الجامع الأزهر أو جامع عمرو .

وكان للعلمين في المساجد في العصر الفاطمي الأول مقام اجتماعي رفيع ، وكرامة واحترام كبير عند عامة القوم وخاصتهم ، فقد خرج المعز والحزن باد عليه

يوم وفاة النعمان بن محمد سنة ٣٦٢ هـ . وصلى عليه وأضجعه في قبره بنفسه ، وخرج الحاكم للقاء ابن الهيثم يوم وصل الديار المصرية وأمر بإيثاره وإكرامه واحترامه . يقول جوستاف لوبون في كتابه : « حضارة العرب » .

وكا أن مساجد المسلمين مركز للاجتماع وملجأ للفرقاء ومرجع للرضى هي كذلك موئل للتعليم ، وفي أصغر المساجد يعلم الأولاد ، وتعد المساجد الكبيرة من الجامعات التي لا تقل أحيانا عن جامعات أوروبا أهمية .

« ولم تكن المساجد مشابهة لجامعاتنا السابقة في التدريس وحده ، بل نرى شبا بينهما في حياة الطلاب أيضا . ولما قبض لي أن أطوف بالجامع الأزهر وأن أنظر إلى حلقات تدريسه رأيتني قد انتقلت بقوة ساحرة إلى إحدى جامعاتنا في القرن الثالث عشر ، فتمثل لي ما كان فيها ، كما في الجامع الأزهر من التشويش في دروس علم الكلام ودروس الأدب ، وتمثل لي ما كان فيها مثل ما في الأزهر من أساليب التعليم وحلقات الطلاب وحرثهم » .

هذا ما كان من أثر مساجد مصر في الثقافة الإسلامية ، أما مساجد غير مصر من البلدان الإسلامية كمساجد بغداد والبصرة والكوفة والقيروان والزيتونة وقرطبة فأمرها غير مجهول ، وأثرها غير منكور .

فقد كان مسجد البصرة مركزاً لحركة عليية كبيرة في العهد الأموي ، فتحول الحسن البصري ، وفي حلقة : نشأت المباحث الكلامية . واعتزل وأصل بن عطاء حلقة الحسن وكون له حلقة ، بل كان هناك بجانب حلقات علوم الدين حلقات لعلوم العربية .

قال ياقوت : « كان حماد بن سلة بن دينار يمر بالحسن البصري في الجامع فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية » .

ولما تنوعت العلوم في العصر العباسي تنوعت كذلك حلقات الدروس ؛ فهناك حلقات يدرس فيها النحو كالذي حكى ياقوت أيضاً عن الأخفش ، قال : وردت بغداد فرأيت مكان الكسائي في المسجد فصليت خلفه الغداة ، فلما انفتل

من صلاته ، وقعد بين يديه الفراء والآخر وابن سعدان ، سلبت وسألته عن مائة مسألة ، فأجاب بجوابات خطأته في جميعها .

وكان المغترلة يعلون الكلام في مسجد المنصور ببغداد . كذلك المسجد منتدى لإنشاد الشعر ونقده ، والتلاحي فيه .

فيروى الأغانى أن الكميث بن زيد وحمادا الراوية اجتماعا في مسجد الكوفة فتذاكرا أشعار العرب وأيامهم ، خالفه حماد في شيء . ونازعه ، فقال له الكميث : أنظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها ؟ قال : وما هو إلا الظن ! هو والله اليقين . ثم تناظرا وتساءلا وأرجأ إلى أجل آخر في خبر طويل :

وحكى المرزبانى في كتابه « الموشح » ان مسلم بن الوليد كان يملئ شعره في المسجد وحوله الناس ، وقال أبو محمد البزيدى : كان أبو عبيدة يجلس في مسجد البصرة إلى سارية ، وكنت أنا وخلف الأحمر نجلس جميعاً إلى أخرى .

وبقول ( متر ) في كتابه « الحضارة الإسلامية » .

« كان أبو حامد أحمد بن محمد الأسفراينى المتوفى عام ٤٠٦ هـ إمام أصحاب الشافعى ، كان يدرس بمسجد عبد الله بن المبارك ببغداد . وكان يحضر مجلسه ما بين ثلثمائة وسبعمائة فقيه .

وكان أبو الطيب الصعلوكى الفقيه الأديب مفتى نيسابور وهى مركز علماء خراسان ، يقال إنه حضر مجلسه أكثر من خمسمائة طالب علم في عشية الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة ( ٣٨٧ هـ ) .

وكان عدد الطلاب يعرف بإحصاء محارمهم التى يضعونها أمامهم والتى كانت أهم عتاد الطالب .

وكان إذا مات العالم كسر تلاميذه المحابر والأقلام ، وطاقوا في البلد ناخمين مبالغين في الصياح .

وكان الإملاء فيما مضى من الزمان يعتبر أعلى مراتب التعليم ، وكان المستملى يكتب أول القائمة : مجلس أملاء شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا .

وفي الأندلس وصلت جامعة قرطبة في مسجد ها كما يقول « فيلب حتى ، إلى مكانة عالية بين معاهد التعليم في العالم أجمع في عهد الحكم الثاني المستنصر ، فلقد تقدمت على كل من الأزهر في القاهرة والنظامية في بغداد ، وكانت تجذب إليها الطلاب مسيحيين كانوا أو مسلمين لا من أسبانيا فحسب ، بل من أجزاء مختلفة من أوروبا وأفريقية وآسيا .

ولقد وسع الحكم المسجد الذي كان يضم الجامعة ، وكان يستدعى الأساتذة من الشرق ليحاضروا فيه ، وقد خصص بعض الأموال لوظائفهم ، ومن بين هؤلاء الأساتذة المؤرخ ابن القوطية الذي كان يدرس النحو ، والعالم اللغوي البغدادي المشهور أبو علي الفاي ، الذي لا تزال أماليه تدرس في المعاهد العليا بالبلاد العربية .

هذا إلى ما يلحق بالمساجد من مكاتب زاخرة بالكتب المختلفة في الفنون والعلوم .

يقول ( متر ) :

« وكان في كل جامع كبير مكتبة ، لأنه كان من عادة العلماء أن يقفوا كتبهم على الجوامع . »

وكان في الجامع الآخر المعروف بالفاكهاني مكتبة كبيرة حافلة بمجموعة من المخطوطات في شتى العلوم والمصاحف المذهبية ، أدركت بقيتها وزارة الأوقاف ونقلها إلى الخزنة الزكية وقت أن كانت تابعة لها ، ثم أرسلت إلى مكتبة الأزهر .

\* \* \*

وبعد فهذه لمحة في فضل المسجد على الثقافة الإسلامية ، وموعدا في المقال الآتي إن شاء الله أثر المسجد على الثقافة الفنية ، ثم الإفاضة في فضل الأزهر على العلوم والآداب الإسلامية في مختلف أقطار المسلمين ودولهم ، بل وعلى غير المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

## قِرَاءَةُ مَبَايِنِ السِّطُورِ

لحضرة الدكتور محمد البهى

أستاذ الفلسفة بكلية اللغة العربية

يعيش الفرد من الإنسان عادة في حياتين : يعيش مرة في الحياة العامة ، وهى حياة واقع الناس جميعاً وواقع الجماعة التى تضمه مع غيره ، ويعيش مرة أخرى في حياة خاصة به هى حياة الأمل . والحياة الأولى ، وهى الحياة العامة الواقعية ، حياة جامدة صلبة تعتمد فيها المرونة ، وواضحة مكشوفة لا يُظلمها ستر ولا غطاء . والحياة الثانية ، وهى حياة الأمل ، على العكس من سابقتها : تقبل المد والجزر ، وتخضع للانفراج والاتساع والضيق والانكماش ، كما تُظلم بحجب تختلف كثافة ورقة .

والإنسان في الحياة الأولى يُدفع على السير فيها دفعا ، لا إرادة له فيه غالبا ، ويُحدّد له طريق السير دون أن يختاره أو يقف على معالنه العامة . بينما يرى في الثانية ، وهى الخاصة به ، الملجأ الذى يقصد إليه عن إرادة وكدا عن حب وميل نفسى نحوه .

والنوعان من الحياة من ضرورات وجود الإنسان ، سواء لوجوده الشخصى أو وجوده النوعى ، أو هما من إملاء وجوده وطبيعته حيانه . لأن حياة الواقع إذا قست أو قسى القدر المهيمن عليها على الفرد ، وشعر الفرد بأن نصيبه منها هو النصيب البخس - كانت الحياة الثانية وهى حياة الأمل مجال العوض الدكاى عما يشعر به من غبن إزاء ما قدر له من نصيب في حياة الواقع . لحياة الأمل مصدر لا ينفد يستمد منه الفرد قوة النبض في استمرار سيره في حياة الواقع ، وبالتالي فيها نوع من الصرّف له عن اليأس في الوجود من عقبات الواقع ، وفيها نوع آخر

من الصرف عن تركز التفكير في معارضة حكم الواقع بالانتقام من الشريك صاحب الحظ الحسن ، فهي تبعده عن الحفظية والحقد على الغير ، لأنها متفesse عند الحرج وسلواه إذا استحكت منه الأزيمة . كلتا الحياتين ترتبط إحداهما بالآخري على سبيل الضرورة ، أو تكمل إحداهما الآخري كحلفتين في وجود الإنسان والجماعة . وهكذا بحياة الأمل تطيب النفوس بحياة الواقع أو تسلم بما يسيطر عليها من قانون وهو طبيعة الجماعة نفسها . والحكمة القائلة : « لا حياة بدون أمل » تصور الطبيعة الإنسانية تصويراً واضحاً .

إن غريزة « السعى » لدى الإنسان هي أساس حياة الأمل عنده ، أو الأمل مظهر من مظاهرها . كما أن غريزة « حفظ البقاء » هي التي تحتم عليه البقاء في حياة الواقع . لكن الرضاء بهذه الحياة الآخيرة منوط بالأمل : الأمل في أن يصحّ إذا كان مريضاً ، وفي أن يثري إذا كان فقيراً ، وفي أن يعرف إذا كان قليل الحظ من المعرفة ، وفي أن يطمئن نفساً إذا كان قلقاً مضطرباً . . . الخ .

ويفترق فرد عن آخر في هذين النوعين من الحياة - بعد وضوح ضرورتها لوجود كل فرد من أفراد الجماعة الإنسانية - في أن فرداً مثلاً يمكث طويلاً في حياة الأمل والآخري يقصر مكثه فيها ، أو أن حياة الأمل عند واحد فسيحة الأرجاء ، وعند ثان ضيقة الجوانب ، أو أنها عند إنسان كشيقة الحجاب بحيث لا يراه فيها غيره دون إمعان في البحث عنه ، وعند آخر رقيقة الظلال بحيث يشهده العابر أو قليل الصلة به ، وهو طيب المقام فيها . والعادة أن الذي تطول إقامته في حياة الأمل تتسع رقعتها أمامه ، وسرعان ما ينكشف أمله لغيره بعض الانكشاف لأنه لا يأمن لطول إقامته فيها أن تجذبه منها حياة الواقع بعنف فتتهز ظلال الأمل فوقه فتُرى بين المتنع والسافر .

وهكذا الذي يعيش في الأمل طويلاً يذسى نوعاً ما حياة الواقع ، ومن ثم يتحدث عن آماله كأنها من حياته الواقعة . وهو بدل أن يحكى أن له رغبة في أن يقوم برحلة عالمية مثلاً يقص على المستمع له بصيغة الماضي مناظر الطبيعة التي



نمتع بها ، وما حصل له من أحداث يومية مختلفة في أمكنة متعددة ، وما وقف عليه من مفارقات اجتماعية في رحلته الطويلة هذه ... وغير ذلك مما يذكره الذى قام بمثل هذه الرحلة فعلا ، مع أنه لم يرحل بعد ، ولم يشاهد شيئا بعد ، ولم يقف على أمر بعد ، ولكنه فقط أمـلـ وتـمـنى ، ثم ساعده على أن يصوغ أمله بصيغة الواقع ما قرأه عن مثل ذلك أو ما سمعه من غيره أو شاهده في فيلم يتصل بموضوع أمله ورغبته . وبدل أن يذكر : أنه يتمنى امتلاك ضيعة من الضياع - يحدث صاحبه فى المجلس عن حديثها ، ومقدار غلة الأرض وصافى الربح منها - وغير ذلك مما يشعر سامعه بأنه يمتلك واحدة بعينها . فإذا اصطدم بحقيقة الواقع لجأ إلى التأويل وبالتالي بدأ بين المقنع والسافر . يظن أنه يعيش على الأرض وهو يحدث سامعه من سماء الخيال والأمل .

والآم التى فقدت وحيدها العزيز تمكث بعد فقده مدّة تناجيه فى سرها وتخطبه ، فإذا لم تسمع له جوابا أقامت معه فى المنام ، فإذا ما أصبح عليها الصباح قصت حديثها معه على أنه وقع بالفعل ، أو نفذت مشيئته التى تصورتها على أنها حقيقة ، فتشتري لروحه ما لذ وطاب . تخديشها عنه ليس من قبيل الكذب ؛ بل حياة الأمل هى التى صورته ثم أوحى به على أنه واقع .

\* \* \*

وإذا كان الأمل يلعب دوراً رئيسياً فى حياة الإنسان فهو طبيعة لا تفارقه ، واستعداد غرزى له أثره فى فهمه وتخريجه لما يفهمه على نحو ما يبدو فى تصرفاته التى يأتينا . وألفاظ اللغة وتراكيبها مهما دقت وتحددت لم تزَلْ بجالا لتخريجاته وأفهامه بوحى من الأمل الذى يعيش فيه ، قصر أمد عيشته فيه أو طال .

وهذا المجال فى فهم الألفاظ والتراكيب الذى يخلقه أمل الإنسان هو الذى نعبر عنه بـ " قراءة ما بين السطور " ، وهو مجال لا يخضع لوضع اللغة وقوانينها ولا لمصطلحاتها الطارئة :

فالحزبية فى رأى مثلاً تخلق فى الأخبار نوعاً من المعانى لم توضع له الألفاظ

وضمًا حقيقياً أو مجازياً . وما ينقل من الأخبار والروايات عن المتشاكبين من الطرفين في حرب محلية أو عالمية أمثلة واضحة لما نسميه « قراءة ما بين السطور » . إذ أن الخبر الواحد يفسر بتفسيرين مختلفين حسب ميول أتباع الطرفين وآمالهم . فالطائرات العشر مثلاً التي قيل إنها أسقطت في ميدان الحرب قد تنقلص إلى طائرة واحدة ، وقد تمتد إلى مئة .

وأمل التلبيذ في النجاح كثيراً ما يجعل تفسيره للألفاظ والتراكيب على الضد مما تعطيه حسب وضع اللغة ومألوفها ؛ بل كثيراً ما يجعل أرقام الحساب خارجة عن دقتها الرياضية . فرقم الواحد المكتوب قد يعتبره مساوياً لرقم عشرة ، ويعمل تفاوت الكتابة حيثئذ بأن « الصفر » ترك سهواً . فالأمل عنده كفيل بتكميل الناقص ، أو كفيل بسد كل ثغرة يرى منها ظلاماً في الحياة .

والمقامر قد يحمله أمله في الكسب وتحصيل الربح على عدم تصديقه بغياب الرقم الذي يحمله نصيبه عن كشف الأرقام الراجعة إذا ما اطلع عليه وقرأه للمرة الأولى . وعلى قدر أمله في الربح يكون تفتيشه عن رقمه ، إما بإعادة القراءة مرة ثانية وثالثة ... أو بالموازنة بين الكشف الذي وقع في يده وكشوف أخرى يسعى في معرفة مظانها والاطلاع عليها . وكلما اشتد أمله في الربح كلما بعد في الفهم والتخريج للألفاظ والتراكيب والأرقام عن المتواضع عليه بين أفراد الجماعة المستخدمة لهذه الألفاظ والتراكيب والأرقام .

والحزب السياسي الذي يمثل صف المعارضة ، بقدر ما يؤمل في الحكم وتوليهِ زمام السلطة التنفيذية يكون تفسيره لأخبار الأزمات السياسية ، وتكون « قراءته لما بين السطور » ، وتصبح « الحبة » في واقع الأمر « قبة » عنده أو يتحول البسيط إلى مركب ، والابيض إلى أسود ... وهكذا ينقلب الشيء إلى ضده أو نقيضه . والغلبة الحزبية في مجال سياسة الحكم تعتمد في الأكثر على « قراءة ما بين السطور » ، والتبشير به والترويج له بمختلف الوسائل .

فاللغة في حياة الأمل ليست تحديداً جافاً لا مرونة فيه ؛ بل فيها مجال للفهم والتخريج غير مصطلح عليه . ويرسم طريقه ويحدد معالمه أمل القارىء وحده .

\* \* \*

وإذا كانت حياة الأمل هي متفلس الإنسان إذا حزبه واقع أمره وضائق نفسه بنتائج الكفاح فيه ومشاركة الناس له في إمكانيات الوجود الواقعي، وإذا أعد الأمل من أجل ذلك مقابلاً للحياة الواقع - فهناك في استعدادات الإنسان وطبائعه أيضاً ما يجعله من جديد محتاطاً في التزام الواقع في تصرفاته وأفهامه ، وبالأحرى هناك ما يميل به إلى التشدد والتضييق في تخريج الأحداث وفهم الألفاظ والتراكيب هناك طبيعة الخوف في الإنسان . والمدّ في فهم اللغة من لوازم الأمل ، والتقلص والانكماش في تخريجها من مظاهر الخوف . والإنسان إذن فاعل أيضاً في هذه الحياة . وهذه الحياة ليست إذن كلها حقائق مجردة . ولغة الإنسان كذلك لا تعبر بالتالى تماماً عن حياة الواقع . ودلالات الألفاظ والتراكيب لا بد أن يختلف فيها الناس أيضاً .

إن ضعف الثقة بالنفس في الإنسان - ومنشأ ضعف الثقة عنده سيطرة الخوف عليه في العادة - يجعله على أن يفهم الأوامر والنواهي لا كما تعطيها تراكيب اللغة ، بل يفهمها في نطاق أضيق من نطاقها ، ويتشدد في فهمها إلى أبعد حدود التشدد : فإن كان موظفاً في مصلحة من المصالح وصدر إليه وإلى نظرائه منشور دوري فهمه على النحو الذي يبدو في المرقف المسكاني الذي يتخذ من رئيسه في المصلحة . وموقف ضعيف الثقة بنفسه من رئيسه ألا يثبت في مكان قريب منه إن شخص أمامه ؛ بل يرجع إلى الوراء قليلاً قليلاً ، ثم لا يلتفت يمنة ولا يسرة حين يتجه بصره إليه ، ولا يهدأ روعه إلا عند ما تعيد إليه درجة البعد في مكان الالتقاء . الشعور بوجود نفسه . إنه يحدد من دلالة الألفاظ والتراكيب التي وردت في المنشور ، ويضيق من عموم الحال التي صدر من أجلها ، وما يزال يحدد ويضيق حتى يجعل حال المنشور العامة خاصة بنفسه ، ثم عند ما ينفذه يشك في أن الذي

أتى به من تصرف تطبيقاً له هو المقصود منه ، فيعيد تلاوته مرة أخرى ثم ثالثة أو أكثر من ذلك . وفي كل تلاوة يكون فهمه لـ « ما بين السطور » ليس بعيداً بحسب عن المعنى الوضعي للتراكيب بل يختلف مع سابقه ولاحقه في مرتبة التشدد والتضييق .

والوسوسة في العبادة ظاهرة نفسية أساسها سيطرة الخشية والخوف عند العابد . وعن مثل هذه الخشية وهذا الخوف نشأت قراءة « ما بين السطور » عنده . والرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند ما قال : « من شدد شدد عليه » لم يرم إلى أكثر من أن يؤكد المعنى المقصود من قوله : « إن الدين يسر لا عسر » . ومعناه أن يترك الإنسان نفسه في العبادة وفي المعاملة على فطرتها وبهجيتها الخالصة ، دون التواء في فهم أوامر الدين ونواهيه ، ودون تزمّت في تأدية رسومه ، ومعناه أيضاً أن يحول دون أن يجعل للدين ظاهراً وباطناً ، ومعناه كذلك ترك قراءة « ما بين السطور » في فهم الدين .

\*\*\*

وإذن قراءة « ما بين السطور » تعبير عن حالة نفسية باعثها أمل أو خوف . وهي من ناحية اللغة تأويل غير جار على المتعارف المألوف في دلالات ألفاظها وتراكيبها ، وهو أقرب إلى أن يكون معنى رمزياً أكثر من أن يكون مدلولاً وضعياً على سبيل الحقيقة أو متعارفاً على نحوٍ من المجاز .

إنه أكثر المحرفين للكلمة عن مواضعها أصحاب أُماني ، أضعاف الثقة بأنفسهم ، ومن جهة أخرى أصحاب الأُماني أرباب خطوات واسعة في الحياة ، وضعاف الثقة بأنفسهم مترددون متسككون .

# مَدَى الْوَحْدَةِ السِّيَاسِيَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد المنعم الصعبدى

المدرس بكلية اللغة العربية

من أغراض جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية : السعى فى إزالة ما يكون من نزاع بين شعبين أو طائفتين من المسلمين والتوفيق بينهما ، وقد وضعت الجماعة أساساً للتوفيق بين المسلمين من الناحية الدينية ، وألقت على السياسة تبعه ما حصل بينهم من نزاع وتفرق ، وقد أردت فى هذه الكلمة أن أعالج الناحية السياسية التى كان لها أثرها فى هذا التفرق ، ليقوم الخلاف فيها على أساس التسامح السياسى ، كما يقوم الخلاف بينهم من الناحية الدينية على أساس التسامح الدينى ، وهو بحث جديد أرجو من الله التوفيق فيه ، والهداية إلى الأساس الصحيح للتسامح السياسى بين المسلمين .

ويجب أن نرجع فى بحث هذا الموضوع الجديد إلى القرآن الكريم أولاً ، ثم إلى السنة الشريفة ثانياً ، ليكون بحثنا دينياً دقيقاً ، ويهتدى فيه إلى أساس للتسامح السياسى مستنبط من هذين الأصلين الكريمين ، فلا يسعنا إلا الأخذ به ، والسير فى الطريق الذى يهذى إليه .

لقد قال الله تعالى فى الآيتين - ٩ ، ١٠ - من سورة الحجرات : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تنفى إلى أمر الله فإن قامت فأصلحوا بينها بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحون ،

فأفاد أن النزاع بين المسلمين لا يؤثر في عقيدتهم الدينية وإن وصل إلى حد القتال ، إذ يقول : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فجعلهما من المؤمنين مع اقتتالهما ، فأفاد بهذا أن اقتتالهما لا يؤثر في عقيدتهما ، ولم يستثن من هذا طائفة منهما ، مع أن لا بد أن واحدة منهما تكون على حق في هذا القتال ، وتكون الأخرى على باطل ، ولكنه باطل في السياسة لا يؤثر بشيء في الدين ، ولا يقدح في أصل العقيدة .

ثم أفاد أن ذلك القتال بين الطائفتين لا يؤثر في أخوتهما لنا ، فأبقى بينهما وبينهما هذه الأخوة ، كما أبقى لهما عقيدتهما ، ولم يفرق في هذا أيضا بين محق ومبطل فكل منهما تبقى أخوته لنا ، ولا يؤثر فيها خصومتها ، بل قد يفيد ذلك بقاء هذه الأخوة بين الطائفتين ، كما تبقى بين أخوين في النسب يقا تل أحدهما الآخر .

وقد أمر في الآيتين بالصلح بين الطائفتين ، فإن أبت إحداها الصلح وبغت على الأخرى وجب قتالها إلى أن تنفي إلى الصلح ، وترضى بما يقضى به بينهما بالعدل ، وما أسمى القرآن الكريم حين يأمرنا بالصلح أولا بين الطائفتين المقتلتين ، مع أن فيهما محقة ومبطل ، وما أكثر ما تدفع الطبيعة البشرية إلى الانضمام في القتال إلى الطائفة المحقة ، ولكن القرآن أسمى من أن يندفع مع هذه الطبيعة البشرية ، لأن مثل هذا يزيد في الخلاف بين الطائفتين ، وإنما الواجب السعى في الصلح بينهما أولا ، فإن بغت إحداها على الأخرى عو ملت بالقوة ، حتى تنفي إلى أمر الله ، وترجع إلى طاعة ولي الأمر ، فيكون قتالها مشروعا يدعو إليه نظام الدولة ، ووجوب طاعة المحكوم للحاكم .

ولا شك أن القرآن يدعونا بهذا إلى الأخذ بالتسامح في خلافنا السياسي ، لأنه لم يصل إلى قطع ما بيننا من رابطة الإيمان ، ولم يؤدّ به إلى قطع أخوة الإسلام ، ليتمكن الوصول إلى الصلح فيه بسهولة ، فإذا انتهى بالصلح لم يكن له أثر فيما يتعلق بالعقيدة الدينية ، بل ينتهي باتتهائه كل أثر له ، ولا يبقى منه ما يكدر ما حصل من صلح ، بل يرجع كل من الطائفتين إلى الأخرى كما يرجع الأخ إلى

أخيه ، لم يقطع نزاعهما ما بينهما من صلة النسب ، ولم يوهن ما بينهما من رابطة القرابة .

ولذا كان القرآن قد وضع بهذا أصل التسامح في الخلاف السياسي بين المسلمين وإذا كان قد حكم بأن هذا الخلاف لا يؤثر في العقيدة الدينية ولا في الأخوة الإسلامية ، فإن السنة النبوية قد زادت في هذا التسامح ، وجعلت لكل طائفة من المسلمين الحق في أن تراعى ظروفها السياسية ، فلم تتابع في أمر الوحدة السياسية بينهم إلى الحد الذي لا تراعى فيه هذه الظروف ، ولا تعطى فيه كل طائفة من المسلمين الحرية في توجيه سياستها توجيهاً يلائمها .

فقد عقد النبي صلى الله عليه وسلم قبيل الهجرة معاهدة مع الأنصار أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم إذا هاجر إليهم ، فكانت معاهدة دفاعية لا تكلفهم إلا الدفاع عنه إذا قصده أحد بأذى ، ولم تكلفهم أن يشاركوه في الهجوم على أحد من أعدائهم .

فلما هاجر إلى المدينة وأراد أن يحاسب قريشا على إخراجها لهم من مكة ، وعلى ما نهته من دورهم وأموالهم ، وعلى تعذيبها للضعفين من المسلمين الذين بقوا فيها ، ترك أولئك الأنصار على معاهدتهم الدفاعية ، ولم يشأ أن يحملهم على مشاركته في الهجوم على قومه ، لأن ظروفهم لم تكن تتحمل أن يشاركوه في هذا الهجوم ، لحدائثة عهدهم بالإسلام ، ولأنه لم يكن بينهم وبين قريش ما كان بينها وبين المهاجرين .

فرضى هو والمهاجرون وحدهم في ذلك الهجوم ، عقب هجرتهم إلى المدينة ، وقد بدأ هجومه على قريش في شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة ، فأرسل معه حزة ابن عبد المطلب في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ، ليعترض عيراً لقريش آية من الشام فلما تصافوا للقتال حجز بين الفريقين مجدي بن عمرو الجني ، فأطاعوه وانصرفوا ، وقد شكر له النبي صلى الله عليه وسلم عمله ، لما كان من قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم .

ثم أرسل في شوال من هذه السنة عبيدة بن الحارث ابن عم حزة في ثمانين راكبا من المهاجرين ، ليعترض عيرا أخرى لقريش فيها مائتا رجل ، فكان بينهم الرمي بالنبل ، ثم خاف المشركون أن يكون للمسلمين كمين ، فأنهزوا ولم يتبعهم المسلمون .

ثم كانت غزوة ودّان في السنة الثانية للهجرة ، لاثنتي عشرة ليلة خلت منها ، وقد خرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه من المهاجرين ، فلما بلغ ودّان وجد عير قريش التي كان يقصد الاستيلاء عليها قد سبقته ، فرجع من غير حرب .

وقد خرج بعدها في شهر ربيع الأول من هذه السنة لعير لقريش آية من الشام ، وكان معه مائتان من المهاجرين ، فسار حتى بلغ بواط ، فوجد العير قد فاتته ، فرجع أيضاً من غير حرب .

ثم كانت غزوة بدر الأولى في جمادى الأولى من هذه السنة ، فسرية عبد الله ابن جحش في رجب من هذه السنة . فلم يخرج فيهما أيضاً لقتال قريش إلا المهاجرون من المسلمين ، وبهذا كان المسلمون في هذه المدة الطويلة فريقين : فريق في حالة حرب مع قريش ، وهو فريق المهاجرين ، وعلى رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وفريق لم يكن في حالة حرب مع قريش ، وهم الأنصار من أهل المدينة ، ولم يكن لاختلاف حالهما في ذلك أثر في علاقتهما الدينية والسياسية ، بل كانت العلاقة بينهما على أحسن ما يكون ، وكأنه لم يكن هناك حالة حرب يصلي ناراها المهاجرون وحدهم ولا يلقون فيها مساعدة من اخوانهم الأنصار ، وقد كان المهاجرون في ذلك الوقت قلة ، فكانوا في أشد حاجة إلى مساعدة أولئك الإخوان ، وكانت كثرة قريش تقضي بانضمامهم إليهم في حربها ، لتكون هناك موازنة بينهم وبينهم ، ولكنهم آثروا أن يمضوا في حربها وحدهم ، ولم يشاءوا أن يلجئوا لإخوانهم من الأنصار إلى مشاركتهم في حربها ، مراعاة لما سبق من ظروفهم ، والإسلام دين يسر وتسامح ، فلا يأخذ أموره بالشدّة ، وإنما يأخذها بالتأني والتدبر .



فلما كانت غزوة بدر الثانية في شهر رمضان من تلك السنة ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم لعير لقريش آية من الشام ، وكان معه ثلاثة عشر وثلاثمائة رجل ، وكان منهم ثنيّف وأربعون ومائتان من الأنصار ، والباقيون من المهاجرين ، فخرج الأنصار فيها من أنفسهم ، بعد أن قدم عهدهم بالإسلام ، وبعد أن تمكنت عقيدته من قلوبهم ، وقويت رابطتهم بإخوانهم المهاجرين ، فلم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بخروجهم معهم من أنفسهم ، لأنهم قد يكونون متورطين في خروجهم وهو لا يحب أن يأخذهم بهذا الشكل ، وإنما يريد أن يأخذهم بشكل صريح ، ليكونوا معه بنية خالصة ، وليشاركوه بعزم صادق .

فلما دنا وقت القتال وأخذ المسلمون يتشاورون فيه ، أقبل على الأنصار فقال لهم : أشيروا عليّ أيها الناس ، يريد أخذ رأيهم في قتال قريش ، لأن بيعتهم له قبيل الهجرة لم تكن تلزمهم بالاشتراك في مثل هذا القتال ، فقال سعد بن معاذ سيد الأوس من الأنصار : كأنك تريدنا يا رسول الله . فقال : أجل . فقال سعد : قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهدنا ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخوضناه معك ، وما نكره أن تلقى بنا العدو غدا ، إنا لُصْبُرٌ عند الحرب مُدْقٌ عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك :

وقد أخذ المسلمون بعد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه السماحة في أمورهم السياسية ، فاختلفوا فيها اختلافاً سمحاً كريماً حين كان الإسلام لا يزال غصاً طرياً ، وحين كان المسلمون من السابقين الأولين ، لهم سماحتهم الدينية ، ولهم مرونتهم السياسية ، وكان أول خلاف لهم فيمن يلي الحكم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فرأى الأنصار أنهم أولى به لأنهم أهل دار الهجرة ، ورأى المهاجرون أنهم أولى به لأنهم قوم النبي صلى الله عليه وسلم ، ورأى علي بن أبي طالب أنه أولى به لأسباب قامت عنده ، فلما تم الأمر لآبي بكر مكث عليّ نحو ستة أشهر من خلافته ثم بايعه بها وهو يرى أنه أحق منه بالحكم ، لأنهم لم يكونوا يغالون في الاختلاف في الرأي الديني أو السياسي .

فكان عليٌّ يرى هذا حقاً له لا حرج عليه في الإغضاء عنه ، جمعاً للكلمة ، وحذراً من الفرقة ، وقد تخلف أيضاً سعد بن عبادَةَ الأنصارى عن بيعة أبي بكر ، ومضى على رأيه في أنه أحقُّ بها منه لأنه من الأنصار ، فلم يجبره أبو بكر على بيعته ، ولم ير في تخلفه عن بيعته ما يقدح في دينه ، لأن هذا خلاف سياسى لا شأن له بالدين ، وكذلك لم ير سعد في استئثار أبي بكر بالخلافة دونه مطعناً في دينه ، فلم يتغال في خلافه ، ولم يتجاوز به حد ما عرفوا به من السماحة ، ولم يكن منه إلا أن خرج إلى الشام فأقام بها ، وقد مكث بها إلى أن توفى بحوران سنة خمس عشرة من الهجرة ، وقيل إنه توفى ببصرى .

وكذلك كان علي بن أبي طالب مع من خرج عليه في خلافته ، لأنه قبل التحكيم مع معاوية ، فرأى أن خلافته الثابتة لا يؤثر فيها قبوله التحكيم فتساح بقبوله قطعاً لحجة مخالفته ، وكان يقول لهم : إن لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتموها : لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ، ولا نمنعكم الأنبياء ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدءونا .

فكان علي بن أبي طالب يرى في أولئك الخوارج هذا الرأى السامح الذى يليق بالمسلمين الأولين ، مع أنهم يرون فيه رأيهم الباطل لرضاه بالتحكيم ، فكانوا أول من ساء بدعة التنطع في الدين ، وأول من خرج على أخوة الإيمان ، وبعُد عن أخذ الأمور بالمرونة والسماحة ، لأن الواحد منهم كان يرى الرأى والسيف في يمينه ، يحاول به حمل الناس عليه ، ويقايل به من يخالفه فيه .

ولم تزل بدعتهم تنتشر بين المسلمين حتى تمكنت من نفوسهم جميعاً ، وصاروا أقرب إلى التنطع في الدين والسياسة منهم إلى المرونة والسماحة فيهما ، وقد آن لنا أن نرجع في أمورنا إلى سماحة سلفنا الصالح ، لنصلح أحوالنا ، وتظهر بالحجة نفوسنا ، وتصفو بالمودة قلوبنا .

# فِي سَبِيلِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ

لفضيلة الدكتور محمد يوسف موسى

الأستاذ بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول

١ — دعاني لكتابة هذه الكلمة ما نشرته (رسالة الإسلام) في العدد الرابع من السنة الرابعة ، وذلك مقالان ، أحدهما الأستاذ الشيخ محمد جواد مغنیه رئيس المحكمة الشرعية العليا ببيروت ، خاصا ببعض اجتهادات الشيعة الإمامية ، والثاني للأستاذ محمود اللبابيدي من حلب ، خاصا بنظام الإسلام السياسي ، وعلاقة الدين بالدولة فيه .

وفي المقال الأول نجد الكاتب ينقل عن أحد المراجع الكبيرة للشيعة الإمامية ما نصه : « إن الرسول قد يخبر عن الشيء باعتباره كونه شارعا ومبلغا عن الله سبحانه ، ومأمورا بقلبه عن العباد . وقد يخبر لا من هذه الحيثية ، بل يخبر عن شيء لا دخل له بشريعة سيد المرسلين ، مثل كيفية خالق السموات والأرض ، والخور والقصور ، وما إلى ذلك مما لا يرجع إلى الإخبار عن الأمر الديني . فإكان من هذا النوع فلا إشكال في أنه لا يجب التدين به بعد العلم به ، أي بعد العلم بصدوره عن الرسول ، فضلا عن الظن به ، .

وفي المقال الآخر ترى الكاتب يقول : « أما القول بأن شريعة الإسلام شريعة إلهية ، فلا تقبل التعديل كغيرها من الشرائع السماوية ، فأعتقد أن هذا القول لا ينسحب على الإسلام ، لأن دستوره قد قال بقاعدة النسخ « ما نسخ من آية أو ناسخها نأت بخير منها أو مثلها » . ولا يتوهم أحد أن هذه الآية قد انتهى حكمها بوفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما تبادر إلى ذهن بعضهم ، كلا .

فإن القرآن قد نص على أن الأمة وحدها هي مصدر السيادة والسلطة (١) ، وليس الله . نعم ، كان الله هو المشرع ابتداء ، ثم غدا التشريع إلى الأمة انتهاء ؛ لأن الله سبحانه - رحمة بالناس - هو الذي رد هذه السلطة إلى الأمة حين قال : وأمرهم شورى بينهم . ، ثم ، ألا ترى أن حق الله يفسره الفقهاء دوما بأنه حق الجماعة . .

في هذين الرأيين تعرض خطير لأقدس ما يحرم عليه المسلمون ؛ وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وسنة رسوله الحكيم الذي لا ينطق عن الهوى . ومن أجل هذا ليس من الممكن أن يمر المسلم بهما كما يمر بكثير من الآراء الخاطئة المنتشرة هنا وهناك ، بل يجد من الواجب الديني والعلمي مناقشتهما مناقشة موضوعية لا هدف لها إلا معرفة الحق ، ولذلك نتقدم بهذه الكلمة ، بادئين برأى الأستاذ اللبائدي .

٢ — يرى الأستاذ اللبائدي أن الشريعة الإسلامية وهي إلهية قابلة للتعديل دائماً لما جاء في دستورها ، وهو القرآن ، من تجويز النسخ ، وأن هذا النسخ صار بعد انتهاء عهد الرسالة للأمة ، وأن القرآن قد نص على أن السيادة التشريعية هي للأمة وحدها وليس لله ؛ فقد كان الله هو المشرع ابتداء ، ثم غدا التشريع للأمة انتهاء بنزول الله عن هذه السلطة للأمة .

وهذا الرأي على خطئه الواضح له عرق قديم في تاريخ الفكر والآراء . لقد قال من قبل برأى قريب منه : نجم الدين الطوفي الحنبلي المتوفى عام ٧١٦ هـ ، ثم احتضنه أخيراً الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة المنار (٢) .

إن لنجم الدين هذا رسالة تكلم فيها عن المصلحة بما لم نرمه لغيره من الفقهاء - هكذا يقول الشيخ رشيد رضا - فرأينا أن نشرها بحواشيها في المنار ، لتكون تبصرة لأولى الأبصار ، (٣) . وقد نشرها فعلاً في ص ٧٤٦ - ٧٧٠

(١) يريد الكاتب أن الأمة مصدر السيادة والسلطة في التشريع ، كما هو واضح من المقال كله.

(٢) راجع المجلد التاسع ص ٧٤٥ ، ٧٤٦

(٣) من تقديمه للرسالة ، ص ٧٤٦

من العدد العاشر من المجلد التاسع، ويصدر المؤلف لهذه الرسالة، عن تقديم المصلحة على النص، الذي هو « منحصراً في الكتاب والسنة » (١)، إن تعارضت معه . ولا ندري كيف يكون التعارض بين نص من القرآن تنزيل العليم الحكيم، وبين المصلحة، ثم لم يستطع الطوفي أن يأتي لنا بمثل واحد على هذا التعارض يمكن الأخذ به ! . وقد صرح بتقديم المصلحة على النص في كثير من المواضع في رسالته، ومن ذلك قوله (٢) :

« أما المعاملات ونحوها، فالمتبع فيها مصلحة الناس كما تقرر، فالمصلحة وباق أدلة الشرع، إما أن يتفقا أو يختلفا؛ فإن اتفقا فيها ونعمت... وإن اختلفا، فإن أمكن الجمع بينهما بوجه «ما» جمع، مثل أن يحمل بعض الأدلة على بعض الأحكام والأحوال دون بعض على وجه لا يخل بالمصلحة ولا يقضى إلى التلاعب بالأدلة أو بعضها، وإن تعذر الجمع بينهما قدمت المصلحة على غيرها « أي على الكتاب أو السنة أو الإجماع، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار وهو خاص بنفي الضرر المستلزم لرعاية المصلحة فيجب تقديمه، ولأن المصلحة هي المقصودة من سياسة المكلفين بإثبات الأحكام، وبإثبات الأدلة كالوسائل، والمقاصد واجبة التقديم على الوسائل » .

ونحن لإزاء هذا الرأي الخاطئ عن علم أو اجتهاد، لا يمكن أن نعارض في أن المقصود من الأحكام التشريعية هو مصلحة العباد عامة، وأن هذه المصلحة قد تختلف في بلد عن بلد وفي زمن عن زمن، ولكن هذا الاجتهاد يكون فيما لا يعرف بيقين أنه مصلحة عامة؛ أما ما يعرف، بنص محكّم من القرآن أو سنة ثابتة أنه مصلحة، فلا معنى للاجتهاد فيه، ولا يجوز نسخ الحكم النابت بالنص والذي يحقق هذه المصلحة اليقينية جرياً وراء مصلحة مظنونة يزعمها طائفة من الناس، ومن أصدق من الله قيلاً .

ولضرب لذلك مثلاً واحداً، وهو الربا في قليله وكثيره، وعلى أي شكل من أشكاله، إنهم يلهجون الآن ومنذ زمن بعيد، بأن المصلحة تقضى بالترخص

في المعاملات الربوية ، لأنه لا يمكن - كما يزعمون ! - الاستغناء عنها في هذا العصر وهذا معناه نسخ الآيات القرآنية التي تثبت حرمتها بصفة قاطعة الثبوت والدلالة ودون ذلك خرط الفتاد لتأديته إلى أن الله كان لا يعلم حين حرم الربا هكذا ما فيه الخير والمصلحة للناس ، ومر البدهى أنه لا يرضى بذلك من يؤمن بالله ورسوله وكتبه ، ومن يلاحظ بعين فاحصة ما جره الربا من خراب البيوت وضياع ثروة الأمة .

لأنهم قد يتعلمون بإسقاط سيدنا عمر بن الخطاب أسهم المزلفة قلوبهم من الصدقات ، إذ قال لهم : « هذا شيء كان رسول الله يعطيكوه ليتألفكم على الإسلام والآن فقد أعز الله الإسلام وأغنى عنكم ؛ فإن ثبتتم على الإسلام ، وإلا فبيتنا وبينكم السيف » (١) . كما قد يتعلمون بإسقاط عمر أيضاً حد السرقة عام الجماعة ، كما هو معروف ، ولكن العلماء الراجحون في علم الفقه وأصوله ، لا يرون في شيء من ذلك نسخاً لشيء من الأحكام التي جاء بها الكتاب .

وكيف يظن بعمر هذا ! وهو الذي كان إذا نزلت نازلة تتطلب حكماً شرعياً يبحث أولاً عن هذا الحكم في كتاب الله ثم في سنة رسوله ، فإن لم يجد اجتهد واجتهد علماء الصحابة معه ، بل إنه كان يقدم أحياناً - بعد الكتاب والسنة - ما قد يكون لأبي بكر الصديق من حكم في هذه النازلة ، وكيف يظن بالماروق هذا وهو الذي يقول في كتابه المشهور في القضاء : إن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، ثم يحجى بعد ذلك الاجتهاد ! .

٣ - أما مسألة المزلفة قلوبهم ، فلنا أن نفهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم في حياته من الصدقات بقصد إعزاز الإسلام لضعفه حينذاك ، لجاء عمر ورأى في الدفع إليهم إشعاراً بأن الإسلام في حاجة إليهم ، وفي هذا ما قد يضعف من حمية المسلمين واعتزازهم بأنفسهم دون من في قلوبهم دَخِل ، فكان إعزاز الإسلام حينئذ في عدم إعطائهم شيئاً من الصدقات . إذأ ، لم يكن الأمر نسخاً من عمر لنص قرآني ، وإنما هو تقرير لما كان يقصده الرسول ، وإن كان

على وجه آخر يتفق مع ما صار إليه الإسلام والمسلمون من القوة والعزة (١) .  
ومسألة إسقاط حد السرقة عام الجماعة ، تأويلها وفهمها أيسر كثيراً ، إن النسخ  
كما هو معروف لإزالة حكم بآخر بصفة دائمة ، وهنا لم يفعل أمير المؤمنين ابن الخطاب  
إلا أن راعى الضرورة التي تبيح المحظور كما هو معروف ، فأوقف حد السرقة  
هذا العام عن لجأ إليها مضطراً صوناً لحياته ، كما يلجأ المضطر لشرب الخمر وأكل لحم  
الخنزير حال الضرورة فقط . وبقدر ما يحفظ حياته ، أما في حال السعة فليس له  
أن يقارف شيئاً من ذلك . ولو كان عمر أراد بما صنع ، حال الضرورة ، أن  
يكون ذلك نسخاً لحد السرقة ، لما رأينا هذا الحكم يطبق بعد عام الجماعة المعروف .

أين هذا الذي كان من أمير المؤمنين ابن الخطاب ، في هاتين المسألتين ، مما  
يذهب إليه هؤلاء الناس من القدماء والمحدثين والمعاصرين من تجوز نسخ القرآن  
تبعا للصحة بعد عهد النبوة ! وبخاصة الأستاذ البايدي الذي يذهب في هذا مذهباً  
عجبا ؛ إذ يرى أن القرآن قد نص على أن الأمة وحدها هي مصدر السيادة في التشريع  
وليس الله ، وأن الله كان المشرع ابتداء ثم غدا التشريع للأمة انتهاء ، لأنه رد هذه  
السلطة إلى الأمة ! وليس لأحد مهما كان ميله مع الهوى أن يزعم أن له سنداً على  
شيء من ذلك من قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » ، كما يقول ، فهذه الآية تقر  
أن حكم المسلمين لأنفسهم يجب أن يكون على الشورى ، لا على الاستبداد ؛ أما  
التشريع فهو لله ولرسوله أولاً ، ثم يكون الاجتهاد فيما ليس فيه نص صحيح ثابت .  
ولعل من نافلة القول التدليل على هذا الذي نقول من القرآن ، فهو أمر  
بدهى لا يحتاج لدليل . ولكن ، نشير مع ذلك إلى قوله تعالى : « بين الله لكم  
أن تصلوا » ، وقوله : « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله » ، وقوله : « وما  
آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ، وقوله : « من بطع الرسول فقد  
أطاع الله » ، وقوله : « تلك حدود الله فلا تعتدوها » .

٤ — وبعد مناقشة الكتاب السنّي ، نصل إلى مناقشة العالم الشيعي الإمامي

وهو رئيس المحكمة الشرعية الجعفرية العليا ببيروت - إنه يرى - كما يتبين من موافقته على النص الذي نقله - أنه لا يجب التدين بقول الرسول فيما صدر عنه لا باعتباره شارحاً مبليّغاً عن الله ، وضرب مثلاً لذلك ما جاء في أحاديثه عن خلق السموات والأرض ونحو ذلك من أمور الآخرة .

ونحن لا ندري أن مهمة الرسول عليه الصلاة والسلام كانت شيئاً آخر غير البلاغ عن رب العالمين ، ما دمتنا نصدق بأنه رسول ! أليس الله يقول في قرآنه الكريم مخاطباً رسوله الأعظم : « إن عليك إلا البلاغ » ، ويقول : « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ! » على أن هذه التفرقة التي يزعمها بين تصرفات الرسول حسب أوصافه المتعددة أو بين شخصياته كما جرى على قلم بعض العلماء المعاصرين ، ثم يرتب عليها أنه لا يجب التدين ببعض ما جاء عنه ، « حتى بعد العلم بصدوره عنه » - هذه التفرقة قد يستطيع الباحث إرجاعها إلى الإمام شهاب الدين القرافي المتوفى عام ٧٢٣ هـ ، عند ما تكلم في الفرق السادس والثلاثين بين قاعدة تصرف الرسول بالقضاء وتصرفه بالفتوى وهي التبليغ وبين قاعدة تصرفه بالإمامة صلى الله عليه وسلم (١)

لكن الإمام القرافي ، كان أعلم بالدين والرسول ورسالته من أن يذهب إلى شيء مما يريد هؤلاء . ونظن أن مثل الأستاذ الشيخ محمد جواد مغنیه في منصبه ، لم يفته ما أراد صاحب كتاب الفروق ، غير أننا كنا نود - لو كان يعتمد عليه - أن يبسطه للناس على وجهه . فإن ما ذكره الإمام القرافي ، حين نفهمه حق الفهم ، أن كل ما جاء عن الرسول من أحكام وآراء - على أي وصف أو صفة كان هذا الحكم أو ذلك - هو شريعة وأحكام دينية ملزمة للأمة جميعاً بصفة دائمة .

ومن العجب أن يضرب المثل بخلق السموات والأرض وأحوال الدار الآخرة لها لا يجب التدين به من أقوال الرسول وإن علينا بصدوره عنه ، لأن ذلك لا دخل له بشريعة سيد المرسلين ! إن مهمة الرسل الذين اصطفاهم الله من خلقه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، تقوم - أول ما تقوم - على إثبات وحدانية الله تعالى ووجود الدار الآخرة وتفهيم من أرسلوا إليهم شيئاً من أحوال هذه



الدار ليسهل عليهم التصديق بها ، فكيف لا نجعل ذلك مع كيفية خلق العالم من الشريعة التي جاء بها رسولنا عليه الصلاة والسلام !

لو أن الكاتب ضرب الأمثال ، لما لا يجب التدين به في رأيه من أحاديث الرسول ، بشيء مما يعرف بالتجربة كأمر هذا العالم الذي نعيش فيه ، لكان له بعض العذر ، ولكن خلق العالم ، وأحوال الدار الآخرة وأمثال ذلك ، من الأمور التي لا يمكن أن تعرف بيقين إلا بوحي من الله لأنها من عالم الغيب لا عالم الشهادة فكيف نفهم أو نتصور أن الرسول كان يجازف ويقول في شيء من ذلك برأيه ؟ وهذا ، فضلا عن أن هذه الأمور جاء بها القرآن ، فهل نقول لا يجب التدين أيضا بما جاء عن ذلك في القرآن وهو كثير ؟

أما بعد ، فإن ميدان العلم والبحث والاجتهاد متسع ، ولكن علينا بعد الإيمان بالله وكتبه ورسله ، أن نعرف للقرآن قداسه ولسنة الرسول الصحيحة الثابتة حرمتها وقدرها الذي لا يكاد عالم يصل لمعرفة مداه . ثم إن لنا بعد ذلك كله ، أن نجتهد متى استكمل من يريد الاجتهاد مؤهلاته وأدواته وعلومه ؛ ولكن على ألا نخرج في آرائنا عن فلك القرآن والسنة ، وأن نسير دائما في مسارهما ، وإلا فسقنا عن الدين وكتابه الحكيم وسنة رسوله الذي لا ينطق عن الهوى . والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

رسالة الإسلام : نشرنا رسالة نجم الدين الطوفي التي يشير إليها فضيلة الدكتور بالعدد الأول من سنتنا الثانية ( ص ٩٤ ) .

ثم نشرنا بالعدد الثالث من السنة نفسها ( صفحتي ١٩٣ ، ١٩٤ ) :

أولا : تعليقا كتبه حضرة صاحب السماحة الأستاذ العلامة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء عالم الشيعة الإمامية بالنجف ، جاء فيه نقدا لهذه الرسالة مانصة :  
« إن هذه القاعدة - يعني تقديم المصلحة على النص - لا يمكن التعويل عليها على إطلاقها وإرسالها ، ففيها توسع غريب أدهى من توسع بعضهم في القول بالمصالح المرسلة ، وربما جر ذلك إلى الهرج والمرج والفوضى في أحكام الشريعة الإسلامية

والتلاعب حسب الأهواء ، فيتسنى للفقهاء على هذا أن يحكم بحماسة الربا مثلا ، لأن فيه مصلحة ، والفائدة والمصلحة تعارض النص وتقدم عليه في المعاملات ، إلى كثير من أمثال هذا ، وهل ذلك إلا الفوضى والتلاعب بأحكام الشريعة ؟ نعم يمكن العمل بالمصلحة حيث لا دليل لفظي من نص أو ظاهر .

ثانياً : تعليقا لنا على هذا التعليق جاء فيه : إن الغرض من نشر أمثال هذه الرسالة ، هو بيان ما امتاز به أفق المفكرين المسلمين من سعة في التفكير ، وسعة في التقبل ، لم يؤد أحدهما إلى تشاخن أو تباغض أو ترام بالنهم ، فإذا كان الأمر وصل إلى هذا الحد فيما حفظه التاريخ للسالفين من تراث ، فأجدر باللاحقين ألا يقولوا على هذه الخلافات العسكرية تعويلا يتطعم الأواصر ، ويحل الخناصر ، أما رأى الطوفى أو رأى سواء فى شىء بذاته ، فإنه رأى خاضع للبحث والنظر ، وأن يلتقاء العلماء بما يرون من تأييد أو نقض عمادها البرهان والحجة . فأما الزيد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكنك فى الأرض ، وإن صفحات « رسالة الإسلام » لمعرض آراء ومجلى درس وتبيان ، اهـ .

وقد بينا فى بعض ما كتبناه أيضا رأينا فيما ينسب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أن عدم إعطائه المؤلفة قلوبهم نصيباً من الزكاة كان نسخاً لحكم قرآنى أو وقفاً للعمل بنص إلهى ، وخرّجنا صنيع عمر فى هذه المسألة وغيرها تخريجاً علياً صحيحاً يتبين منه أن لا نسخ بعد الرسول ولا وقف لنص تشريعى ، وحاشا لعمر أن يرى ذلك أو يفعله [ ص ١٧٥ بالعدد الثانى من السنة الرابعة ] .

ولعلنا - وهذه سمة المجلة - فى غنى عن أن نقول : إن نشر مقالى السيدى الفاضل الأستاذ جواد والأستاذ اللبائدى لا يعنى أننا نوافقهما على كل ما جاء فيهما . وقد كان المغفور له الشيخ محمد رشيد رضا ينشر فى مجلته « المنار » بحوثاً خطيرة وآراء لا يوافق أصحابها عليها كآراء الدكتور صدق وغيره ، ولم يضر ذلك بالدين ولا بالعلم ، بل كانت له فوائد عظيمة فى البحث والنظر ، وكانت به مجلة المنار سجلاً واعياً ، وكتاباً حافلاً ، وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .

في صيدانه التقريب :

## إِدَبُ الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ

لماضرة المجاهر الاسلامي الكبير السيد محيي الدين القليبي التونسي

في الحفل الذي أقامه المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة تكريماً لسمو الأمير سيف الإسلام الحسن رئيس وزراء اليمن، سمعت هذا الأمير الوزير يقول في كلمة الشكر التي أجاب بها خطباء الحفل الذين نوهوا بشأه ، وتمنوا لبلاده على يديه كل خير ، ووضعوا أصابعه على كثير من نقاط هذا الخير الذي تمنوه لليمن وأهل اليمن ، سمعته يقول في جوابه : إن التناصح واجب بين المسلمين يؤديه بعضهم لبعض ، ولكي أرى أن أداء النصيحة في لين ولطف ودون تحمس وشدة مما يؤدي إلى الأخذ بها ، والعمل بمقتضاها .

كلمة صريحة صحيحة أدلى بها هذا الأمير لا تختص بالموضوع الذي قيلت فيه ، ولكنها تعم كل الناصحين والهداة ، فالمسلم الداعي إلى الخير والناصح لأخيه هو مدفوع بالحب الذي يملأ قلبه ، والذي صيره يحب لأخيه ما يحب لنفسه من السير على الصراط السوي للوصول إلى الهدف الآسمى ، والحب عادة لا تصحبه الشدة ولا القسوة ، وإن مظهره اللطف والعطف واللين ، وليس بعد أدب الله أدب ، ولا وراء هداية كتابه هداية : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .

فلو التزم المسلمون في تناصحهم وهداية بعضهم لبعض ، هذا الأدب العالي ما وقعت الخصومة بينهم ، ولا اتسع نطاق الفتنة والخلاف حتى أضحت مهارة

وحرّباً أنهار بها الكيان الإسلامي دولة وعقيدة ، فلقد رأيت وسمعت في رحلتى الأخيرة التى قت بها فى الشرق العربى من أقوال وأعمال بعض العلماء الذين يلبسون لباس الهداية والنصح ما يبرأ منه الإسلام ، وحتى أبسط مظاهر الخلق الكريم ، رأيتهم يدعون للدين بما يهدم الدين ، وينصحون للمسلمين بما يشير الفتنة بين المسلمين ، ويحمل كل منهم من الحقد الذى يفيض به قلبه ولسانه للطائفة المخالفة له ما لا يحمله للمستخفين بالدين ولأعداء الإسلام والمسلمين من المستعمرين وكان هؤلاء معاول الاستعمار تعمل لهدم ما بقى من كيان هذا العالم الإسلامى ، وتفريق ما تجمع من شتاته بإيقاظ الفتنة المذهبية والنعرات الطائفية بين المسلمين والاحتجاج بتخريف العامة والدهماء وتزييف وتخريف من على شاكلتهم من أشباه العلماء ، وما كانت أغنى المسلمين وهم اليوم فريسة بين برائن الاستعمار عن هذا الاستهتار ، ورأيت لو أننى نصحت هؤلاء هؤلاء بعنف ، وحاولت صدم عمام فيه بشدة لغفروا ، ولأصبحت طرفاً ثالثاً فى الخصومة ، ولكننى أخذت بأدب الله فى الدعوة إلى ما أمر من أخوة واتحاد ، فاستجاب الناس إلى ما دعوتهم إليه وكفوا عن التنازف بالثمة ، وأخذوا فى التقارب بصفاء وود ، وتلك مهمة المسلم خصوصاً فى هذه الحالة وهذا الزمان .

\* \* \*

لقد افترق المسلمون فى فجر تاريخهم ، واكتتوا بنار تلك الفتنة . افترقوا فى السياسة ، واختلفوا فى نظام الحكم ، ولكن لارتباط السياسة بالدين ، انتقل الخلاف من نظام الدولة إلى العقيدة ، وتطور التباين فى الرأى إلى مهارة وخصومة ، ثم إلى حروب سالت فيها الدماء وأهدرت كرامات وانتهكت حرمان تفككت بها وحدة ، وانهارت بها قوة ، ولا تتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن السبب الأكبر فى كل ذلك هو الخروج عن الأدب الذى أدبنا الله به فى الدعوة إلى الله وإلى ما أنزل من الحق ، والأخذ بما تليه الشهوة والعاطفة اللتين هما مرتع الشيطان من الاعتداد بالنفس والتعصب للرأى ، وأخذ المخالف بالشدّة ، والتبرع فى رمية

بالضلال ، بل بالفسوق والعصيان والكفر ، فيقوم بذلك بين المختلفين سد من العداوة والبغضاء يحول بين الهداية ووصولها إلى القلب فينعدم أثر التناصح .

ولقد وجد على مر العصور علماء انتهازيون حول كل حكومة قامت على نظرية من نظريات الحكم المختلف فيها ، كانوا يخدمون ركبها ، ويتقربون إليها بتدعيم مذهبها الذي قامت عليه ، وابتكار صور له من نصوص الدين ، طمعا في مالها وجاها ، وفي الوقت نفسه يتقربون إلى العامة بتجاراتهم في إشاعة الفتنة وقالة السوء ضد مخالفهم ، فاستحكم بعملهم هذا الخلاف بين الحكومات ، واشتعلت نار الفتنة بين الطوائف ، ولا يمكن أن يكون غير هذا إذا تولى العامة ومن في منزلة العامة من العلماء التحدث في الدين بالشهوة لا باليقين ، ولو رجعنا إلى المكتبة الإسلامية مثلا وأحصينا الكتب التي ألقت في تغذية الخلاف بين المسلمين إلى جانب الكتب التي تعمل على إصلاح ذات البين ، لا تضح لنا كيف كانت عوامل الشر أقوى وأعظم بكثير من عوامل الخير ، ولعلنا علم اليقين السر في بقاء الخلاف بين المسلمين على أشده إلى اليوم ككائن حي ، ينمو ويقوى خصوصا إذا احتضنته أيدي أعداء الإسلام رغم أن المسلمين فقدوا الدولة التي اختلفوا على نظامها ، والسلطان الذي تنازعوا عليه ، وضعف الدين الذي نقلوا إليه الخلاف وتفرقوا فيه ، وأخيرا فقدوا وجودهم وتخطفهم الناس ، فهم على كثرتهم العددية غثاء كغثاء السيل ، لا يملك أحدهم حرية إدارة بيته فضلا عن بلاده وأمتة . والمسلمون هم الذين هياؤا أنفسهم لهذا المآل بمضيهم في الخلاف ومحافظتهم عليه وتغذيتهم لأسبابه ، ولقد شعر غير واحد من المسلمين الصادقين بخطورة الحالة التي آل إليها العالم الإسلامي أمة ودولة وعقيدة ، فأجمعوا وتجمعوا لوضع حد للباطني بما فيه ، واستئناف حياة جديدة تبتدى بتوحيد قلوب أهل التوحيد حول الأصول العليا للإسلام ، وأن تكون الدعوة للحق بالحق ، وبما أدبنا به الحق تعالى ، وهدانا إليه في محكم آياته من وسائل تتفتح بها القلوب ، وتقبل عليها النفوس ، وأن ما عدا ذلك من تراث كل طائفة من طوائف المسلمين لها أن تحتفظ به ، وليس لها أن تجادل أو تجادل فيه ، وأن يكون الخلاف في الرأي خلافا

علياً طاهراً نقياً لا يدعو إلى الخصومة ، ولا يورث الحقد والبغضاء بين المتخالفين يجب اليوم أن تتحد وتعاون لبناء الوحدة التي أرادها الله والامة التي شهد الله لها بالخير ، وأن تبرز الأخوة الإسلامية في أجلى مظاهرها ، وقد أمرنا الله بالمحافظة عليها ، وأنذرنا عواقب تركها ، وأن نعمل بقلوب مخلصة على إنقاذ الكيان الإسلامى من الاستعباد ، ونقيم الدولة التي تحمى العقيدة ، وتؤدى رسالتها لخير الإنسانية .

يجب أن نعمل جاهدين على توحيد القلوب في الأجيال الحاضرة بالدعاية وبكل وسائلها ، وفي الأجيال المقبلة بالتعليم وعلى الخصوص في المعاهد الدينية الإسلامية ، وهنا تتجلى مهمة الفائمين عليها في هذا الأمر وما يجب عليهم من انتقاء الكتب وتطهيرها من لؤثة الخلاف المفرق ، والجدل والانهامات التي تورث الاحقاد بين أهل الدين الواحد الموحد ، وأن تلهم الذين وكل إليهم أمر تربية هذا الجيل أن ينشئوه على التسامح وسعة الصدر واحترام الآراء ، وتقدير العقائد ، وإن الدين الإسلامى الذى أمرنا أن نحسن وننقسط ونبر بأهل الأديان الأخرى ، لا يمكن ، بل لا يسمح لنا أن نكون حرباً على إخواننا في الدين ، وهذا التوجيه يكون له بدون شك الأثر الفعال في البعث الإسلامى الجديد الذى أصبحنا نلحس في وعى المسلمين العام ، وحسن اتجاه كثير من قادتهم .

ولى كما ابتدأت هذا الحديث بكلمة الأمير الوزير النبى أختتمه بكلمة الزعيم الإسلامى العظيم أبى القاسم آية الله الكاشانى التي سمعنا منه في مجلس جمعنى وإياه بدمشق ، وقد سأله أحد الحاضرين عن رأيه في الخلاف بين السنة والشيعة ، وكان الحاضرون في هذا المجلس عدداً كثيراً من الطائفتين ، وظن السائل أنه أخرج الزعيم بهذا السؤال وإيكنه أغضه إذ قال له : أما مسلم ، لا أعرف إلا الإسلام الذى جاء به محمد من عند ربه وهو الذى يجب أن يتحد عليه المسلمون ، أما ما عدا ذلك فليكل أن يحتفظ بما عنده لنفسه ، وإن كل المسلمين يجب أن يتحدوا اليوم لمقاومة الاستعمار بقلب رجل واحد ، وأن يعتصموا بحبل الله كما أمرهم الله ، وألا يتفرقوا ، فحالة المسلمين أخطر مما تتصور ، ووجوب اتحادهم للإنقاذ والخلاص هيؤكد من كل شئ . الآن .

تلك هي آرائى التي اكتسبتها من مدرسة القرآن ؟

# قال شبنم

لخضرة الطائب الفاضل الأستاذ أحمدر محمد بربرى

لقد لامنى عند القبور على البكا      رقيق لتذأرف الدموع السوافك  
وقال أنبكي كل قبر رأيته      لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك ؟  
فقلت له : إن الشجا يبعث الشجا      فدعنى فهذا كله قبر مالك

\*\*\*

إن الشجا يبعث الشجا : تعبير صادق عن حال طبيعية ، لقد بكى حين رأى  
القبور فلامه صاحبه ، لأن قبر مالك بن نويرة شقيق الشاعر النواوى بين اللوى  
والدكادك ، ليس من القبور التى بدت لها . أهو — من أجل ذلك القبر —  
باك كل قبر يراه ؟ ولم لا ؟ أفليس الحزن يبعث الحزن ؟ .

قلت : ليس القبر ذاته حزنا وإنما هو صورة مادية .

قال : أذليست صورة محزنة باكية ، أم تريدنى على أن أترك هذه المعانى  
الواضحة الفصيحة للإشكالات الشككية فأقول ، مثلا : الكلام على حذف مضاف  
تقديره علامة الشجا أو صورته أو دلالة ؟ إن الرجل الأعمى لخرى أن يفهم كلام  
متنم بن نويرة متى كشف له عن معنى اللفظ الذى لا يعرفه دون ما حاجة إلى  
تقدير مضاف أو التعليل بوجه من أوجه المجاز ، نعم فهذه القبور جميعها أو هذا  
كله قبر مالك .

قلت : هذا كله قبر مالك مجازا لا حقيقة .

قال : لو سمعتك متم لأعياء فهم ما تعنى بالمجاز والحقيقة .

قلت : فما خطبه حتى لا يعرف الحقيقة والمجاز ؟ .

قال : خطبه أن أصحاب ، البيان ، الاصطلاحى لم يكونوا قد خلقوا حين قتل أخوه أيام الردة . فصلى ذات يوم الصبح مع أبى بكر رضى الله عنه ثم أنشد :

نعم القتل إذا الرياح تناوحت      تحت العضاء قتيلك ابن الأزور  
أدعوته بالله ثم قتلته      لو هو دعاك بدمعة لم يغدر

فقال رضى الله عنه : والله ما دعوته ولا قتلته . فقال متم :

لا يضر الفحشاء تحت رداءه      حلوا شمالكه عفيف المنزر  
ولنعم حشو الدرع أنت وحاسرا      ولنعم مأوى الطارق المتور

ألا تراه برا طاهرا هذا العفيف المنزر ، الذى لا يطوى الفحشاء تحت رداءه ؟  
لأنه أشجع سواء أكان دارعا أم حاسرا . ثم هو قبل هذا جواد إذا تناوحت الرياح  
وهى إنما تناوح أو تتقابل ، حين الجذب والبأساء ، فكيف تراه إذن حين  
الخصب والرخاء .

قلت : أفكان بالله ابن نويرة مرتدا حين قتله خالد بن الوليد مع غيره من  
أسرى قومه ؟ .

قال : مسألة فيها قولان . بل إن أصحاب الخبر والسير جمعوا إليهم أصحاب  
اللغة فى أمر مالك .

فلقد زعموا أن خالدا لم يزد على أن قال : أذفتو أسراكم . وكانت ليلة قر ،  
وما كان إدفاء الأسير فى لغة الغوم إلا قتله ، وكان مالك بين الأسرى فلذلك قتل .

وأهلك قرأت أو سمعت أن عمر كان على غير مذهب أبى بكر رضى الله عنهما  
فى قضية مالك .

قلت : أو كان فى الإمكان أن يكون لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، مذهبان  
فى مسألة كائنة ما كانت ؟ .



قال : لو قلت : أو كان فى الإمكان ألا يكون لآبى بكر وعمر مذهبان فى مسألة ؟  
إنه لفطرى أن تختلف آراء الناس ويذهبوا مذاهب شتى ، ولو أبناء  
شريعة واحدة .

دع الشرائع السماوية وانظر فى النظم الوضعية ، أترى أصحاب الفقه الفرنسى ،  
مثلا قولاً واحداً ؟ .

قلت : بل أقوالاً ومذاهب كثيرة . فى الفقه الدستورى أرى د اسمان ،  
و د ديجى ، وغيرهما ، ولكل مذهب ، وفى فقه القانون المدنى أرى د بلانيول ،  
و د كابيتان ، و د حوسيران ، وغيرهم ، ولكل مذهب ، وهكذا فى سائر فروع  
القوانين العامة والخاصة . وإن الأمر لفطرى وجد مفهوم فى الشرائع الوضعية .  
أفكذلك هو فى الشريعة الإسلامية ؟ .

قال : لعله كان حقيقاً أن أسألك : إن الأمر فطرى وجد مفهوم فى الشريعة  
الإسلامية . أفكذلك هو فى الشرائع الوضعية ؟ ذلك بأن الإسلام دين الفطرة ،  
و فطرة الله التى فطر الناس عليها . وتالله لقد فطرهم مختلفين صوراً وفكراً ، فلاجرم  
يختلف رأى بينهم وتعدد مذاهبهم . ولكن الشارع الوضعى يستطيع أن يصد  
عن سبيل الفطرة فيعرج أو يلتوى حيث شاء أو شاءت له الصناعة .

قلت : فى وسع الشارع الوضعى أن يسلك غير منهاج الفطرة . . ولست  
أشك فى أن الغرور قد خامره أحياناً فوضع نصوصاً حسبها بينة بيانا يعصمها من  
خلاف المفسرين ، وتأويل المتأولين ، إلا أنهم مع هذا ، اختلفوا فيما بينهم ،  
وذهبوا كل مذهب .

قال : وإذا تركت الفقهاء وأصحاب المقالات النظرية لم تقدم الخلاف والمذاهب  
فى دور القضاء ، بل فى المجالس النيابية .

أفليس لانجلترا دستور واحد ، فى حين ترى الذين يقدسونه ويدينون به  
منقسمين إلى د عمال ، و د أحرار ، و د محافظين ، إلى آخر ما هنالك فإذا تجاوزت

انجلترا إلى فرنسا هالك كثرة المذاهب .. أنها لأمثلة نضربها فلا استرسل ، ولا أذهب بك كل مذهب ، فأجرك إلى أمريكا وغيرها . وحسبك ما ذكرنا .

قلت : لو حاولت عد المذاهب الفقهية أو غيرها في أى بلد من أوربا أو أمريكا فقد أخطئ أو يخطئ الحصر ، فعسى أن أنسى بعضها ، أو عساهما أن ينشأ منها جديد ، ولما نره أو نسمع به . بيد أن اختلاف الرأى هناك لم يؤد إلى أن يختصموا ويتقطعوا أمرهم شيعاً بينهم . ذلك بأنهم ، مهما ذهب الرأى بهم ، يؤمنون بنظام أصيل أو أصلى ، ويعلمون أن هذا النظام لا يدعوم إلى الفرقة أو الاختصام لأنهم ليدمبون ما شاءوا من المذاهب ، وينسبون إلى ما أرادوا من الأحزاب ، ولكنهم لا يتقطعون أمرهم شيعاً بينهم .

قال : مؤدى كلامك أهم يختلفون في الفروع لا في الأصول .

قلت : ومؤدى هذا المؤدى أهم لا يختصمون ولا يبتعدون بعضهم عن بعض ... أفليسوا أمة واحدة ؟ ومذاهبهم : ليست أباء أصل واحد إن قسنا قرابة الرأى بمقياس قرابة الدم ... ؟

قال : ان منطقك هذا لا ينطبق انطباقاً تاماً إلا على الشريعة الإسلامية وفقهها ومذاهبها . فإن مصادر النظم الفرنسية أو الانجليزية أو الأميركية قد تعدد .

قلت : إن تعدد المصادر لا يعنى تعدد النظام . فالدستور الفرنسى هو هو مهما تعددت مصادره .

قال . فما بالك بنظام هو هو ، كما تقول ، ثم هو ، فوق كونه هو هو ، غير متعدد المصادر ؟

قلت : إنه للدلل الأعلى لجمع الكلمة مع اختلاف المذهب أو الرأى .

قال : فذلك هو النظام الإسلامى .

قلت : المذاهب الإسلامية ، إذن ، قريبة بعضها من بعض ، إنها لذرية أب واحد ، أو فروع أصل واحد ، بل إن أباهما جميعاً أو أصلها - على خلاف النظم

الوضعية - واحد المصدر ، أفليس الأمر كذلك ؟ .

قال : هو كذلك فإذا بعد ؟ .

قلت : أما بعد : فإلى المسلمين قد ذهبت بهم ، المذاهب ، إلى حيث ألفت  
رحلها أم قشهم ؟

ما بالهم تقطعت بهم الأسباب ، فخرجوا من حيز أبناء الأصل الوحيد المصدر  
إلى مجاهل العرق والانقسام ، حتى لكأنهم أمم لا يجمعها نسب ولا يربطها سبب ؟  
قال : إذا كانوا كذلك فقد خرجوا على حكم الله : « إن هذه أمتكم أمة واحدة » ،  
مكذا قال أصدق القائلين ورب العالمين .

لأنه لجد معقول أن يذهب المسلمون مذاهب مختلفة على أن الأصول مؤتلفة ،  
فذلك سنة الله ، أما أن يفترقوا ، وقد جمعهم كلمة الله فذلك هو الخسران المبين .

قلت : أسأل عن العلة فيما فعلت فيهم المذاهب من أفاعيل .

قال : العلة بسيطة بساطة الجهل .

قلت : كيف هي بسيطة بساطة الجهل ؟ .

قال : لأنها - أعنى العلة التى نسأل عنها - هي الجهل عينه .

قلت : الجهل غمة يكشفها العلم .

قال : يبدو أن « الجهل » ليس شيئاً بسيطاً .

قلت : أتعنونه مركباً ؟ .

قال : بل أعنى أن الجهل ليس ضد العلم فقط ، أرجع إلى اللغة وإلى القرآن  
الكريم تجد كلمة « جهل » تفصح عن معان أخرى غير عدم العلم أو المعرفة وتبين  
أنك لا تخطئ التعبير إذا تحدثت عن علم الجهلاء أو جهل العلماء .

# الدِّينُ وَالْحَيَاةُ

لحضرة صاحب الفضيلة الدكتور محمود قياض

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين بالازهر

شهدت أوروبا - في فجر عصر النهضة - جدلاً غنياً حول ضرورة الدين للحياة ، أو عدم ضرورته لها ، وهل يمكن بعث أوروبا قوية جديدة ، وخلق نهضة فكرية وعمرانية فيها على أنقاض الجهل والجمود - اللذين نشرهما الدين ورجال الكنيسة - بعيداً عن سلطان الدين ، وسطوة رجال الكنيسة ؟ أم أن ذلك أمر غير ميسور ؟ . ويستطيع الباحث أن يضع يده بسهولة على صنوف من هذا الجدل في جميع مظاهر الحياة إذ ذاك ، يتميز فيها بوضوح اتجاهان :

الأول : يدعو إلى التحرر من كافة القيود ، وتحرير حياة الإنسان كلها من استعباد الكنيسة ، ورجالها ، ودينها ، والنظر إلى الدين نظرة بسيطة تقوم على أساس أن الدين مجاله حياة الشخص الخاصة لا حياة المجتمع ، وأنه ليس إلا علاقة شخصية صرفة بين الإنسان وربه ، لا يقوم عليها أى التزام إلا بين هذين الطرفين ، ولذلك فكل ما يدعيه رجال الكنيسة لأنفسهم من سلطان على الناس ، ليس إلا زعماً باطلاً لا أساس له من الحقيقة في الواقع .

والثاني : يدعو إلى التعلق بأهداب الكنيسة ورجالها ، لأن ذلك هو طريق الخلاص من المحن والشور والنجاة في الآخرة من عذاب الجحيم . لأن رجال الكنيسة هم خلفاء القديس بطرس ، ولهم ما كان له من سلطة الحل والربط في الأرض والسماء ، وهم بذلك فوق الملوك والباطرة ، لأن سلطان هؤلاء لا يكون شرعياً إلا عن طريق الكنيسة وتبريكها ، وبالتالي فإلهم مقاليد الحياة يتحكمون فيها بما يرون أنه يرضى الرب أو لا يرضيه .

تجد هذين الاتجاهين واضحين في الفن ، فهذا فن يتجه الاتجاه الوثني ، ويستوحى الفن الإغريقي القديم في النحت والنقش والتصوير ، وهذا آخر يستمد من تعاليم المسيحية طابع رسمه ونقشه وتصويره ، وفي الأدب تجد الأدب الطليق المتحرر ينشد الجمال في كل شيء ، ويستثير إحساس الإنسان . وتجد إلى جانب ذلك الأدب المسيحي الذي يحاول أن يلفت الإنسان إلى عظمة المسيح وخلفائه ، ويوجهه إلى نوع خاص من السلوك المفاضل ، أساسه تمجيد الدين ورجال الكنيسة ليضمن النجاة في الآخرة من العذاب عن طريق الكنيسة ، لأنها الطريق الوحيد لذلك .

ولقد تأثر بذلك الكتاب السياسيون ، فمنهم من اتجه ببحوثه إلى التحرر من سلطان الكنيسة وتحرير الدولة منه ، ومنهم من اتجه الاتجاه الكنسي الذي يجعل البابوية ( الكنيسة ) فرق الامبراطورية ، والبابا سيداً للإمبراطور ، وقام فضال دموى بين الانجماين ، وتميزت نظريات في السياسة لرجال الدنيا ( الدولة ) ونظريات أخرى لرجال الدين ( الكنيسة ) وتناول ذلك أصل الدولة ، وما يجب أن تكون عليه لتحقيق السعادة للناس ولتكون دولة خيرة ! .

وإذا كانت الكنيسة قد انهزمت آخر الأمر في كافة الميادين ، فإن ذلك كان راجعاً إلى أمرين اثنين :

الأول : طبيعة الدين المسيحي ، الذي جاء تسكلة للتشريع الموسوى في بعض النواحي فلم يقبله اليهود ، وظلوا بشريعة ناقصة ، ولم يشأ المسيحيون الاخذ بالاصول الموسوية التي في أيدي اليهود ، وعاشوا بديانة لا تشريع لها ، وخلو المسيحية من التشريع الذي يواجه ضروريات الحياة ، واضطراب تعاليمها ، جعلها عاجزة عن مواجهة التطورات السياسية والاجتماعية ، غير صالحة لتعزيز وثبات الإصلاح ، فلما تسعف طلاب الإصلاح بما يريدون ، اضطرب بعض المستقيمين من رجال الدين الذين فهموا الحياة الجديدة ، إلى القيام بثورة إصلاحية كان لها بعض الأثر في التحرر الفكري ، والخط من قداسة رجال الدين بعد نشر مثالبهم ، ومن هؤلاء : لوثر ، وكالفن ، وغيرهما ، ومع هذا فقد ظلت المسيحية عاجزة عن معونة

المصلحين ، قاصرة عن تقديم مقومات النهضة المنشودة ، ولهذا اسقطتها النهضة من حسابها .

الامر الثاني : هو ربط الدين برجال الكنيسة ، بحيث لا يرى الدين ديناً إلا عن طريق هؤلاء ، ثم السلوك السيء جداً الذى كان عليه البابا ورجال الكنيسة جميعاً ؛ لقد كان التعليم كمرأ ، لأنه وسيلة الثورات ، استغلوا جهالة الشعوب وسيطروا على العقول باسم الدين ، وجددوا الفكر باسم الدين ، وحرّموا النظر والبحث فى الدين نفسه ، وليس لأحد أن يفهم من الدين إلا ما يُفهمه له رجال الكنيسة ، حتى ظل الدين فى الحقيقة مجهولاً للتدنيين لا يعرفون حقيقة ، هذا من ناحية ، ومن أخرى فقد أغرق البابوات وكبار رجال الدين أنفسهم فى المتع المحرمة والشهوات العاجزة ، وفاق ما ارتكبه من المنكرات كل ما ارتكبه معاصروهم من الملوك وذوى الاقطاع ، وبكى أن تقرأ خطبة واحدة للقسيس البائر الفلورنسى سافونا رولا ، لتعلم ما وصل إليه رجال الكنيسة ، فلما لم تجد الشعوب ولم يجد طلاب الإصلاح المدنى من رجال الدين قدوة حسنة أسقطوهم أيضاً من الحساب .

وقد كان يتقابل هذا الانحلال الدينى والخلقى فى رجال الكنيسة ، قوة جبارة سيطرت على الأعلمية فى الشعوب ، ووجهت الحياة كلها بروحها ، وهى القوميات التى تجمعت وتكتلت ثم ظهرت على مسرح السياسة الأوربية ، واندفعت كل قومية إلى التحرر من سيطرة الملوك والاباطرة الأجانب ، وسيطرة رجال الكنيسة على السواء ، وكان فضاها شافا وعتيها ضد المستعمرين ورجال الكنيسة .

وافند خلقت الحركات القومية فى أوربا أثناء كماحها لسيطرة الأجانب والكنيسة فكرة جديدة هى فكرة فصل الدين عن السياسة ، وإبعاده عن توجيه الحياة الإنسانية الحرة ، وقصرة على ما فهم منه إذ ذاك من طوس ومراسم خاصة ، واعتباره أمراً شخصياً يهم الشخص وحده ، وكانت حجة القوميين إذ ذاك قائمة قوية : لأن الدين المسيحى لا يسموهم بالنشرع الذى يريدونه لمواجهة شئون السياسة ، وأمور الاجتماع فى العصر الجديد ، ولأن رجال الدين المسيحى

كانوا فاسدى السيرة لا يصلح واحد منهم للاقتداء به ، وأكثر من ذلك . فإن رجال الكنيسة وعلى رأسهم بابا روما يقفون في وجه حركة التحرير القومية في إيطاليا ، ويعاونون المستعمرين الأجانب من النمساويين ثم من الفرنسيين ضد طلاب الحرية في إيطاليا ضد الشعب الإيطالى نفسه ، الشعب الذى يرعونه ، وفى أرضه تقوم كنيسة القديس بطرس الذى هو الأب الروحى للإيطاليين ، والذى هو مصدر السلطة الروحية لهؤلاء لأنهم خلفاؤه ، وإذن فمن حق القومية الإيطالية وطلاب الحرية جميعا فى أوربا أن ينادوا بفصل الدين عن السياسة ، وإنعاد رجال الكنيسة الملوئين عن حياة الدولة ، والغرض من ذلك هو إبعاد فساد الكنيسة عن توجيه الحياة ، وسجن دينها ورجالها داخل أسوار الكنيسة ، لهم حياتهم الكنسية الخاصة ، وللدولة الحرة حياتها الخاصة .

وهكذا تم لرجال النهضة القومية الجراح فى تحرير شعوبهم ، وعزل الكنيسة ورجالها عن الدولة . وعلى هذا قبعوا فى كسائهم فى كل دولة ، وقامت دولة القانون ، فى ركن من روما . ولا زالت إلى اليوم تمثل فى نظر القوميين فكرة فصل الدين عن السياسة .



ولقد شهد الشرق الإسلامى مثل هذا الجدل فى القرن التاسع عشر الميلادى ، أو بالضبط منذ فسد حكم الأتراك العثمانيين لبلاد المسلمين ، وشغل الكتاب بهذه العسكرية بشكل بارز عند ما ألغى « كمال أتاتورك » الخلافة الإسلامية بعد نجاح حركته التحريرية .

ولذا كان مصطفى كمال قد تخلص من الخلافة التى يفترض أن حكمها يقوم على دين الإسلام فإنه لم يستطع أن يتخلص من الدين الإسلامى كعامل موجه حياة الشعب التركى حتى اليوم ، رغم كثرة تشريعاته الديكتاتورية وحكمه العسكرى ، ثم خفت صوت الداعين إلى فصل الدين عن السياسة ، وتوجيه حياة الشعوب العامة ردها من الزمن ، ثم تحول إلى الإلحاح فى التقليل من أهمية رجال الدين

الإسلامي ، ومعاهد التعليم الإسلامية بصفة عامة ، والأزهر الشريف بصفة خاصة . وبين الحين والحين تقوم زوابعات في العالم الإسلامي ، يثيرها قوم من طراز خاص ، حول أهمية علماء المسلمين ، ومعاهد الدين التعليمية . أو عدم أهمية هؤلاء ، وتلك ، وفي كثير من الأحيان يقع الهجوم على الدين ورجاله ومعاهده من قوم يلبسون مسوح الإصلاح والغيرة على الدين والآثار الإسلامية ، والنصيحة للأئمة والخاصة والعامه . وعجيب أن تقع تلك التوجيهات القاسية ، الشيطانية ، ممن لم يعرف بأثر في الإصلاح والنصح والغيرة ، أو ممن أخذ عليه إلحاد في الدين ، وتحريف للكلم عن مواضعه باسم الفن تارة ، أو التفلسف تارة أخرى ، وعجيب أنهم يؤمنون بأن الدين متمكن من نفوس الناس ، وأن منزلة علماء الإسلام في نفوس بنيه تعظم كلما تحامل عليهم هؤلاء ، ويؤمنون بأنهم يلبسون الحق بالباطل . وأن لعبهم هذا ليس من ورائه طائل ، ولكنهم لقائت خاص فاتهم . حاقدون . وهم لهذا يشوهون الحقائق ، ويسرفون على الدين ورجاله ، ويربطون أحيانا بين الدين وبعض علماءه المنحرفين في نظرهم . كما يستدل خصوم الإسلام بضعف المسلمين اليوم على ثقافة دينهم ، وعدم صلاحيته لتطورات الزمن .

ومن سوء حظ هؤلاء الذين يخاضعون المثل العليا الفاضلة . أن ما وقع في أوروبا المسيحية ، لا يمكن أن يقع في بلاد المسلمين ، للاختلاف الشديد بينهما من الجهات الآتية :

(١) طبيعة الإسلام وطبيعة المسيحية .

(٢) والشرق غير الغرب .

(٣) والأزهر وما مثله من الجامعات الدينية في بلاد الإسلام غير معاهد التعليم الكنيسية .

(٤) والقومية هنا غير القومية هناك .

خصائص الشرق وقومياته ، والإسلام ومعاهده ورجاله ، تكاد تكون واحدة ، وأهداف الإسلام ورجاله ، هي نفسها أهداف القوميات الشرقية ورجالها ،



اذ تلتقى أهداف هذه العناصر كلها عند نقطة واحدة ، هي تحقيق السلام والأخوة والحرية ، والاستقلال في ظلال الإيمان بالله رب العالمين ، أى أن العوامل التى انتجت في أوروبا فكرة فصل الدين عن السياسة ، لا وجود لها عند المسلمين ، بل الموجود عكسها تماما عوامل حافزة ودافعة إلى غاية واحدة مشتركة بينهما تحقق السعادة للجميع ؛ ولهذا لن تتحقق فكرة فصل الدين عن السياسة في الشرق ، كما نجحت في الغرب .

فالإسلام شريعة عامة تسعف البشرية بالعلاج الناجع من كل أدوائها ، في السياسة والاجتماع والاقتصاد والأخلاق ، وهو خير منظم لحياة حرة فاضلة ، لأنه يقرر الحرية والأخوة والمساواة في كل شيء ، وهو بذلك يغاير المسيحية التى لم تسعف طلاب النهضة بما يريدون ، وإذا قدر للشرق الحديث أن ينهض من كبوته فلن يكون ذلك إلا عن طريق الإسلام ، وإذا كانت النهضة الأوروبية قد استمدت كثيراً من التشريعات الإسلامية ، فإن الشرق في نهضته لا يمكن أن يغفل تعاليم الإسلام .

والشرقيون وروحانيون منذ فجر الحياة ، ومهما أسرفوا في ماديتهم ، فلن تتمكن ماديتهم من اقتلاع الروحانية المأصلة فيهم ، ولعل ذلك هو سر سخرية الشرقيين - حتى غير المتصمين بالدين تماما - من كل دعوة إلحادية تظهر في محيطهم ، كما أننا نجدهم يهللون كل دعوة إلى الخط من أقدار علمائهم ومعاهدهم الإسلامية ؛ والمتتبع لحركات النهوض في بلاد المسلمين ، يجد أنها قد اعتمدت على الدين ومبادئه ، كما يجد علماء الإسلام يتزعمون معظمها ، أو يناصرون زعماءها .

والذى نريد معرفته بإلحاح ، أن يدلنا إنسان على حركة تحريرية أو قومية في بلاد المسلمين تحلف عنها علماء الإسلام ، وطلاب معاهده ، أو قاوموها ، وساعدوا خصومها كما كان يفعل رجال الكنيسة البابوية في روما ؛ وعندئذ يكون لنا كلام آخر نواجه به تلك الفكرة الملحدة !! وهل يستطيع منصف أن ينسى أثر السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده في النهضة الإسلامية ؟ وإذن ، فالإسلام

ورجاله ، بشاركون في كل نهضة ، ويدعمون كل حركة إصلاحية يراد بها الخير للناس ، ولا يقفون في وجه حركات التحرير ! لأن أولى تعاليم الإسلام تدفعهم دفقاً إلى العزة والكرامة والسيادة ، وتحرضهم على الجهاد في سبيل الحرية ضد الغاصبين ، بل الجهاد في تحرير العالم كله من العبودية لغير الله رب العالمين ، ولهذا سيظل الإسلام أقوى عناصر التحرير للشرقين عامة ، وسيظل رجال الإسلام وعلماؤه دعاة كل نهضة ، مهما أرجف المرجفون ، ومهما تقول المبطلون ، وهكذا يلتقي الدين ورجاله ، مع القومية والقوميين الصالحين ، الذين يرجون الخير لأوطانهم على هدى وبصيرة ، وتبطل حجة الملحدين .

ولقد كان أمل المستعمرين الأوروبيين الذين أجهدهم العمل على تحقيقه ، ولا زال يتبعهم ويضنيهم ، ويركبون في سبيله كل مركب ، هو التقليل من أهمية رجال الدين الإسلامي في الشرق ، والقضاء على مكانة الثقافة الإسلامية في نفوس المسلمين عامة والمصريين خاصة ، ليمس لهم قياد الشرق ، ويسهل عليهم استغلاله ، ومن ثم عاونهم في ذلك الملحدون ، والمستغربون من الشرقيين المسلمين ، أملاً في «تسيادة والسلطان» يريدون أن يطفئوا نور الله بأغواهم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وهؤلاء الدعاة الصادون عن سبيل الله ، وخير بلادهم يظهرعون عادة عقب كل حركة تحريرية ، ولأثر كل فورة أو ثورة خيِّرة يراد بها وجه الله والوطن وصالح المسلمين ، فليحذرهم أخوانا الشرقيون والمسلمون ، ليحذروا هذه الافكار المدخولة ، التي يراد بها دوام أسرهم وذلمهم ، وهوانهم على أنفسهم وعلى الناس ومن حقنا اليوم أن نطلب في رفق غير هدامين ولا عيابين - إلى شيوخ الإسلام - كثيراً من اليقظة لعوامل الهدم ، والوقوف بعزم في وجهها ، كما نطلب تنشيط التوجيه الحثيث للشعوب ، والأخذ سريعاً في إصلاح أدوات الدعوة إلى الله وتقويم المعوج من أسننها ، والمشاركة المعالة بأ كبر نصيب في توجيه الشعوب إلى الخير والجمال ، والحرية والأخوة ، وتدعيم الإشراف الخلقى على سلوك الأئرد والجماعات ،

لخلق جيل جديد ، قوى عزيز ، يكون جدير بآبائهم أجداده ، قادراً على تمثل مبادئ الإسلام ، والعمل بها ، والدعوة إليها ، ولا غرو فالإصلاح أمل عند المؤمنين يتجدد بتجدد الزمن ، وتطور الأحوال ووجود المقننات ، لأنه تطلع إلى الكمال ، ونشدان للجمال ، ثم هو ينصب على الوسائل والكيفيات ، لا على المبادئ والأصول الكلية الدائمة الخالدة .

أما بعد : فهذه كلة نوجهها إلى الذين يريدون الخير والإصلاح ابتغاء مرضاة الله ، ونبصر بها أولئك السادرين في غوايات الغربيين ، الذين يشيعون الريب ، وبشككون الناس في إمكان نهضة الشرق تحت لواء الإسلام ، ويحسونهم على عزل الدين عن الحياة ، وفصله عن السياسة ، ويحسونه مع رجاله في « فانيكان » شرقية ، كما حدث للسيحية ورجالها في الغرب ، وإن ربك بالمرصاد ؟

### من جماعة التقريب

ترد إلى « دار التقريب » رسائل كثيرة من مصر وغيرها من الشقيقات الإسلامية يطلب فيها أصحابها الأفاضل أن تقبلهم « جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية » أعضاء منتسبين أو مراسلين .

ونحن - مع شكرنا لحضراتهم لإقبالهم على فكرة التقريب وحسن استعدادهم لخدمتها - نذكر لهم أن الجماعة جرت على أن تؤثر من الراغبين في الانضمام إليها بالانتساب أو المراسلة : من يؤدون لفكرة التقريب في بلادهم أو في غيرها خدمة جلية .

لهذا نرجو أن يُرفق كل طلب في هذا الشأن بتقرير مفصل عن الجهود التي بذلها صاحبه حتى يتيسر تحقيق طلبه ، والله ولي التوفيق .

من معجم مجمع فتاوى الاول للغة العربية<sup>(١)</sup>

## معجم ألفاظ القرآن الكريم

— ٧ —

لجنة المرحوم الأستاذ على الجارم  
وحضرة الأستاذ على حسب الله

### ع ج ب

**عجب** يعجب عجباً : انفعلت نفسه لشيء خفى سببه ، وكأنه يسائل نفسه كيف كان ، ومن ذلك قوله تعالى : « بل عجبنا ويسخرون » ١٢ / الصافات . أى عجبنا لانكارهم الرسالة والبعث ، وقوله تعالى : « أفمن هذا الحديث تعجبون؟ » ٥٩ / النجم وقوله تعالى : « قالوا أتعجبين من أمر الله » ٧٣ / هود . أى أنتبعتين أمراً من أمور الله .

**عجاب** والعجاب والعجيب ما يتعجب منه أيضاً ، وقد ورد في قوله تعالى : « إن هذا لشيء عجاب » ٥ / ص . وقوله تعالى : « إن هذا لشيء عجيب » ٧٢ / هود . ومثله ٢ / ق .

**العجب** وقد يراد بالعجب ما يتعجب منه ، ومن ذلك قوله تعالى : « وإن تعجب

(١) بإذن خاص من حضرة الأستاذ الكبير أحمد لطفي السيد رئيس المجمع .

فَعَجِبَ قَوْلَهُ ، ٥ / الرعد . أى فالتعجب قولهم ، وقوله تعالى : ٧ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ، ٩ / الكهف . أى ظننتهم كانوا شيئا عجيبا بين آياتنا الكثيرة ، وقوله تعالى : ٨ واتخذ سبيله في البحر عجبا ، ٦٣ / الكهف . أى اتخذ الحوت سبيله في البحر اتخاذاً عجيباً ، ومنه ما في (٢ / يونس وأول الجن) .

أعجبه الشيء أراقه وحسن عنده ، فهو معجب ، ومنه قوله تعالى : كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ٢٠ / الحديد ، وقوله تعالى : ٨ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ٢٠٤ / البقرة ، وقوله تعالى : ٨ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم . ٥٥ / التوبة ، أى لا يقع منك موقع الاستحسان ، فإنها وإن عظمت أعراض زائلة .

## ع ج ز

عجز عن الفعل يعجز كضرب : لم يقدر عليه ، وقد ورد في قوله تعالى : ٨ قال عجز يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب ، ٣١ / المائدة .

أعجز فلان فلانا جعله عاجزاً ، ومنه قوله تعالى : ٨ وأما ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً ، ١٢ / الجن ، وقوله تعالى : ٨ ومن لا يحب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ، ٣٢ / الأحقاف أى فهو لا يعجز الله في الأرض ، وقوله تعالى : ٨ واعلموا أنكم غير معجزي الله ، ٢ ، ٣ / التوبة ، وقوله تعالى : ٨ إن ما توعدون لآت وما أتم بمعجزين ، ١٣٤ / الأنعام .

عاجز فلان فلانا : حاول إغمازه ، ومنه قوله تعالى : ٨ والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم ، ٥١ / الحج .

العجز مؤخر الشيء أو الجسم ، وعجز النخلة أصلها ، والجمع أعجاز ، وقد ورد أعجاز في قوله تعالى : ٨ كأنهم أعجاز نخل خاوية ، ٢٠ / القمر ، ٧ الحاقة .

العجوز من كبرت سنه فوهنت قوته ، ذكر أكار أم أنثى ، وجمع المذكر عجوز ، وجمع الإناث عجائز ، ولم يرد في الكتاب الكريم إلا المفرد المؤنث ، وقوله تعالى :

د قالت يا ويلنا ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ، ٧٢ / هود . وقوله تعالى :  
فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ، ٢٩ / الذاريات .

## ع ج ف

عجاف الحيوان يعجف عجفا كتعب : هزل ، فالذكر أعجف ، والانثى عجفاء ،  
والجمع عجاف ، وقد ورد في قوله تعالى : د إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع  
عجاف ، ٤٣ / يوسف . وقوله تعالى : د أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع  
عجاف ، ٤٦ / يوسف .

## ع ج ل

عجل يعجل عجلا وعجلة كفرح : أسرع ، ومنه قوله تعالى : د وعجلت إليك  
رب لترضى ، ٨٤ / طه . وقوله تعالى : د فلا تعجل عليهم ، ٨٤ / مريم ، أى فلا  
تطلب لهم ملاما قريبا ، وقوله تعالى : د خلق الإنسان من عجل ، ٣٧ / الأنبياء  
جعل الإنسان كالمخلوق من العجلة لما أن ذلك من طبعه ، ومن ذلك ما في  
( ١١ / الإسراء ، ١١٤ / طه ، ١٦ / القيامة ) .

وعجل الأمر استبطأ فتصرف دونه ، وقد ورد في قوله تعالى : د أعجلتم أمر  
ربكم ، ١٥٠ / الأعراف ، أى أنقذتم أمر الله فلم تنتظروا رجوع موسى به إليكم  
وعبدتم العجل من دون الله .

أعجله : حثه على العجلة ، وحمله على السرعة ، وقد ورد في قوله تعالى : د وما  
أعجلك عن قومك يا موسى ، ٨٣ / طه .

عجل له الشيء : قدمه إليه قبل أوانه ، وأعطاه إياه من غير إبطاء ، ومنه قوله  
تعالى : د وعدمكم الله مغانم كثيرة نأخذونها فعجل لكم هذه ، ٢٠ / الفتح ،  
وقوله تعالى : د لو يؤخذم بها كسبوا لعجل لهم العذاب ، ٥٨ / الكهف ،  
ومنه قوله ما في ( ١١ / يونس ، ١٨ / الإسراء ، ١٦ / ص ) .

تعجل قصد إلى الإسراع في الأمر فلم يتأخر ، وقد ورد في قوله تعالى :  
د فن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه ، ٢٠٣ / البقرة .

**استعجل** الأمر وبه : طلب الإسراع به ، ومنه قوله تعالى : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه ، أول النحل ، وقوله تعالى : « بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ، ٢٤ / الأحقاف . أى ما طلبتم سرعة وقوعه بكم من العذاب ، وقوله تعالى : « قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بيانا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون ، ٥٠ / بونس وقوله تعالى : « قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون ، ٧٢ / النمل . وقوله تعالى : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ، ٢٥ / الأحقاف أى لا تطلب لهم عذاباً عاجلاً .

واستعجله الأمر وبه ، طلب منه الإسراع به ، ومنه قوله تعالى : « ويستعجلونك بالسيدة قبل الحسنه ، ٦ / الرعد ، وقوله تعالى : « ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ، ٤٧ / الحج ، وقوله تعالى : « سأريكم آياتى فلا تستعجلون ، ٣٧ / الانبياء

**عاجل** الأمر حاضره ، وآجله ما ينتظر وقوعه منه فى المستقبل ، وقد أطلقت **العاجلة** على الدنيا فى قوله تعالى : « كلا بل تحبون العاجلة ، ٢٠ / القيامة . لما أن أمورها بالإضافة إلى الآخرة حاضرة ، ومثله ما فى ( ١٨ / الإسراء ، ٢٧ / الإنسان ) .

**العجل** ولد البقرة ، وقد ورد فى قوله تعالى : « عجل جسدأله خوار ، ١٤٨ / الأعراف ، ٨٨ / طه

## ع ج م

يقال عجم يعجم عجمة إذا أبهم فى كلامه ولم يفصح وإن كان عربياً ، فهو أعجمى ،

وأعجمى والمرأة عجباء ، ويطلق الأعجم والأعجمى أيضاً على غير العربى ، ولسان أعجمى غير عربى ، وقد ورد فى قوله تعالى : « لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ، ١٠٣ / النحل . وقوله تعالى : « ولو جعلناه قرآماً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمى وعربى ، ٤٤ / فصلت . أى لو نزلنا القرآن بغير لغة العرب لأنكروه أيضاً وقالوا : أقرآن أعجمى والمخاطب به عربى ، فهلا فصلت آياته .

وجمع الأعجم أعجمون ، وقد ورد فى قوله تعالى : « ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ، ١٩٨ / الشعراء ، وجعله البصريون جمعاً لأعجمى على حذف الياء كما قيل فى جمع أشعري أشعرون لأن مثل أعجم لا يجمع عندهم جمع تصحيح .

## ع د د

عد الشيء بعده عدا فهو عاد : حسبه ليحصى آحاده ومنه قوله تعالى : ه لقد أحصام وعدم عدا ، ٩٤ / مريم ، وقوله تعالى ه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ٣٤ / إبراهيم ، وقوله تعالى ه قالوا لبئسا يوما أو بعض يوم فأسأل العادين ، ١١٢ / المؤمنون ، أى فأسأل ذوى الخبرة بالعد والحساب .

وتقول عدت فلانا من بنى فلان إذا جعلته منهم ، وقد ورد في قوله تعالى : ه وقالوا ما لنا لازى رجلا كنا نمدم من الأشرار ، ٦٢ / ص ، أى كسا ندخلهم في زمرة الأشرار في الدنيا .

العدد عد الشيء مقدار آحاده بالحساب ، ومنه قوله تعالى : ه لتعلموا عدد السنين ، ٥ / يونس ، ١٢ / الإسراء ، وقوله تعالى : ه قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين . ١١٢ / المؤمنون ، ومثله ما في ( ٢٤ ، ٢٨ / الجن ) .

وقد يذكر العدد للإنارة إلى الكثرة بالإضافة إلى القليل الذى لا يحتاج إلى عد ، وقد ورد في قوله تعالى : ه فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ، ١١ / الكهف ، أى سنين كثيرة .

المعدود المعدود المعلوم عدده ، ومنه قوله تعالى : ه وما تؤخره إلا لأجل معدود ، ١٠٤ / هود ، أى أجل معلوم مداه ، وقوله تعالى : ه واذكروا الله في أيام معدودات ، ٢٠٣ / البقرة ، أى معلوم عددها ، وهى عند الجمهور ثلاثة أيام التشريق .

وقد يراد من المعدود القليل بالإضافة إلى ما لا يحصى لكثيرته ، وقد ورد في قوله تعالى : ه وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، ٨٠ / البقرة ، وقوله تعالى : ه كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات ، ١٨٤ / البقرة ، ، ومثله ما في ( ٨ / هود ، ٢٠ / يوسف ، ٢٤ / آل عمران ) .

عدّد فلان ماله : عدّه مرة بعد أخرى حباً له ، وشغفاً به ، أو جعله كثيراً



ذا عدد ، أو جعله أصنافاً وأنواعاً ، وبكل فسر قوله تعالى : « الذي جمع مالا وعدده ، ٢ / الحمزة ، وقيل عدده كأعده جعله عدة للنائب .

يقال عد له المال فاعنده ، أى استوفى عدده ، ككالم له القمح فاكتاله ، اعتد وقد ورد في قوله تعالى : « فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، ٤٩ / الأحزاب ، أى فليس لكم عليهن عدة تلزمونهن التريص فيها كلها .

أعد الشيء : أحضره وهيباه ، ومنه قوله تعالى : « وأعد لهم جنات تجري أعتد تحنها الأنهار ، ١٠٠ / التوبة ، وقوله تعالى : « وأعد للكافرين عذاباً أليماً ، ٨ / الأحزاب ، وقوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ٦٠ / الأنفال .

العدة بالضم : الاستعداد والتأهب ، ويطلق على ما يعد وهيباً من مال العدة وسلاح وغيرهما ، وقد ورد هذا في قوله تعالى : « ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ، ٤٦ / التوبة .

العدة بالكسر العدد ، ومنه قوله تعالى : « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر العدة فعدة من أيام أخر ، ١٨٤ / البقرة ، وقوله تعالى : « قل ربى أعلم بعدتهم ، ٢٢ / الكهف ، وعدة المرأة المدة التى أوجب الشارع عليها أن تمتنع عن الزواج بعد الفقرة ، وقد ورد في قوله تعالى : « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ، أول الطلاق ، أى طلاقاً متصلاً بمبدأ العدة ، وفى ( ٤٩ / الأحزاب ، ٤ / الطلاق ) .

## ع د س

العدس حب صغير مستدير يبدو بعد قشره أصفر اللون ، وهو غذاء معروف العدس تكثر زراعته بمصر ، وقد ورد في قوله تعالى : « بما تنبت الأرض من قبلها وقتانها وفومها وعدسها وبصلها ، ٦١ / البقرة .

## رجاء من التقريب

إلى الكتاب والباحثين

١ - نرجو من الكاتب الإسلامى أن يحاسب نفسه قبل أن يخط أى كلمة ، وأن يتصور أمامه حالة المسلمين وما هم عليه من تفرق أدى بهم إلى حضيض البؤس والشقاء ، وما نتج عن تسمم الأفكار من آتار تساعد على انتشار اللادينية والإلحاد .

٢ - ونرجو من الباحث المحقق - إن شاء الكتابة عن أية طائفة أو طوائف إسلامية - أن يتحرى الحقيقة في الكلام عن عقائدها ، وأن يعتمد على المراجع المعتبرة عندها ، وأن يتجنب الأخذ بالشائعات وتحميل وزرها لمن تبرأ منها ، وأن لا يأخذ معتقداتها من مخالفيها .

٣ - من المعروف أن سياسة الحكم والحكام ، كثيراً ما تدخلت قديماً في الشؤون الدينية ، واستغلتها فأفسدت الدين وأثارت الخلافات لالشيء إلا لصالح الحاكمين وتثبيتاً لأقدامهم ، وقد سخرُوا - مع الأسف - بعض الكتاب والأقلام في هذه الأغراض ، وقد ذهب الحكم وانقرضوا ، بيد أن آتار الأقلام لا تزال باقية ، تؤثر في العقول أثرها ، وتعمل عملها ، فعلينا أن نقدر ذلك ، وأن نأخذ الأمر فيه بنتهى الحذر والحيلة .

هذا ما نريد أن نلفت إليه أنظار بعض المؤلفين أو المعلقين على الآتار في عصرنا هذا ،

ونرجو ألا يأخذ أحدُ القلم ، إلا وهو يحسب حساب العقول المستتيرة ، بل مصلحة الإسلام والمسلمين قبل كل اعتبار .

## من القانون الاساسى لجماعة التقريب

### المادة الثانية

أغراض الجماعة هي : —

ا - العمل على جمع كلمة أرباب المذاهب الإسلامية ، الطوائف الإسلامية ، الذين باعدت بينهم آراء لا تمس العقائد التي يجب الإيمان بها .

ب - نشر المبادئ الإسلامية باللغات المختلفة وبيان حاجة المجتمع إلى الأخذ بها .

ج - السعى إلى إزالة ما يكون من نزاع بين شعبين أو طائفتين من المسلمين ، والتوفيق بينهما .

## فهرس

كلمة التحرير . . . . .	٣
عبر القرآن الكريم . . . . .	٦
روح جديد في شعوب الفرق والإسلام	٢٦
يات للمسلمين . . . . .	٣٠
أساس الشعور بالمشولية . . . . .	٣٤
في الإلهيات بين ابن سينا وابن رشد	٣٩
الفرعية الإسلامية [ . . . ] والقوانين الوضعية بمصر [ . . . ]	٤٤
الثورة والأدب . . . . .	٥٢
فضل المجد على الثقافة الإسلامية	٥٨
قراءة ما بين الطور . . . . .	٦٧
مدى الوحدة السياسية بين المسلمين	٧٣
في سبيل القرآت والسنة . . . . .	٧٩
أدب الدعوة إلى الحق . . . . .	٨٧
قال شيخى . . . . .	٩١
الدين والحياة . . . . .	٩٦
من جماعة التقريب . . . . .	١٠٣
معجم ألفاظ القرآت الكريم	١٠٤
رجاء من التقريب . . . . .	١١٠
من القانون الأساسى لجماعة التقريب	١١١

## رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ

مجلة إسلامية عالمية  
تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة

رئيس التحرير: محمد محمد المدين مدير الإدارة: عبد العزيز محمد عيسى  
الإدارة: ١٩ شارع حشمت باشا بالزمالك - القاهرة - تليفون ٥٨٩٨٤  
قيمة الاشتراك عن سنة في البلاد العربية خمسون قوساً مصرياً  
وفي أمريكا أربعة دولارات وفي البلاد الأخرى ليرة إنجليزية

مطبعة عجمر شارع الجيش ت ٤٧١٩٣

# رَسَالَةُ الْإِسْلَامِ

مجلة إسلامية عالمية

تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً  
وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ  
"قرآن کریم"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كليلة النحوي

بين صدور هذا العدد والذي قبله من (رسالة الإسلام) أصيب العالم شرقه وغربه ببيع قوارع متلاحقات، بين عاصفة من الريح، أو غاشية من الماء، أو حارقة من النار، أو قرية تطوى في جوف الأرض بقضها وقضيضها، حتى وجفت القلوب، وذهلت العقول، وخاف كثير من الناس أن تكون هذه الأحداث نذراً متتابعة بين يدي عذاب شديد.

وكان أشهر هذه القوارع خبراً، وأبعدها أثراً، وأشدّها عمومًا في الناس، وشمولاً لما صنعت يد الحضارة، ما حل بأوروبا أواخر جمادى الأولى فاهتزت بأنباته أسلاك البرق، وأمواج الأثير، وتناقلته الصحف والمجامع، وتواصفته أفلام الكائنين في كل مشرق من الأرض أو مغرب :

ذلك أن ماء البحر طغى على بعض البلاد الأوربية طغياناً شديداً، ووافق هذا الطغيان ريحاً صرصراً عاتية، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل خاوية، بل تنزع ما صادفها من بنى راحضة، وقلاع شاحنة، فالتقى الماء والريح على أمر قد قدر، وعلا صراخ المستصرخين، ودعاء المستغيثين، ووقفت المدينة بمخترعاتها وآلاتها وعجائبها حائرة حائرة لا تدري ما الله صانع بها، وظل الناس على ذلك أياماً وليالى حتى أتم الله أمره، وأنفذ قضاؤه، فكأيت من بلاد هُدُمت، ومدائن أغرقت، ومصانع خربت، وآلات عطلت، وأشجار باسقات اقتلعت، ومزارع بالملح الالاج غمرت، وكأيت من أبصار زاغت، وأحلام طاشت، وأرواح فاضت، وكأيت من أب حان شهد مصارع أهله وولده وهو لا يستطيع أن يغنى

عن أحد منهم شيئا ، وكأين من أم روم ألفت برضيعها ذاهلة ، ثم افتقدته باكية مُعولة ، فإذا هو جثة هامدة طافية مع السيل ، أو عالقة بأغصان الشجر .

\*\*\*

لو أن امرأ مؤمناً خشى أن تكون هذه الاحداث بوادر غضب إلهي يوشك أن ينزل بالناس فيوبقهم بما كسبوا ؛ لما كان مُبْعِداً ، فقد ضل البشر سواء السبيل ، ولجئوا في طغيانهم يعمهون ، وعَتَسُوا عن أمر ربهم ورسله ، وجنحوا إلى الظلم ، واصطلحوا على البغي ، وتعاونوا على الإثم والعدوان ، وتبادلوا الحقد والشئان ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ، فأكلوا الأموال بالباطل ، وسفكوا الدماء التي حرم الله ، واستلبوا الحقوق الواجبة ، اعتماداً على القوة الجاحشة ، ودبر بعضهم لبعض أفانين الكيد ، وأحاييل الختل ، وتباروا في استحداث أسباب الفناء والاستئصال ، وسخروا كل شيء في الفساد وقد خلفه الله للصلاح ، وهكذا ملئوا الأرض جوراً ، وقلوبوا الخيـر شراً ، وبدلوا نعمة الله كـفـراً ، وأحلوا قومهم دار البوار .

وقد جبرت سنة الله في خلقه - إذا فشا الفساد والمنكر ، وعم الظلم والبغي - أن ينذرهم متدرجاً بهم ، فيأخذهم بالبأساء والضراء ، ويبلوهم بشيء من الجوع والخوف ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات لعلمهم يتضرعون ، فإذا قست قلوبهم ، وأعرضوا عن آيات ربهم ، واستكبروا في الأرض بغير الحق ، وعلم الله فيهم أنهم لم يعودوا أهلاً لما كرمهم به من الخلافة في الأرض ، قَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ ، واستبدل بهم قوماً غيرهم .

تلك سنة الله في خلقه ، ولقد عرَّفَها آدمُ وزجَّه بعد أن زين لها الشيطان أن يعصيا ربهما ويخرجا عن أمره : « قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فأما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشق » ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ، وللعذاب الآخرة أشد وأبقى .



وكما عرف الله أبونا هذه السُّنة على أول عهدهما بالحياة الدنيا، قص علينا مصائر أهل البغى والظلم والفساد في الأرض : « فكأن من قرية أملكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ، « وكأن من قرية عنت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً ، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً ، « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه اليه شديد . »

\* \* \*

واند تجلت في الناس حين كثر ثمتهم هذه الكوارثُ مظاهرٌ جديدة بالنأمل والاعتبار :

وجدناهم على اختلاف أديانهم وأوطانهم وأممهم ، ذكروا الله ، فاستغاثوا به ، واستنزلوا رحمته ، واستدفعوا بلاءه ، فأقيمت الصلوات في المساجد والكنائس والبيسج ، وتضاعدت الدعوات بمختلف اللغات : « ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون . »

وجيل من الإنسان أن يعرف ذنبه ، ويدكر في اللأواء ربه ، ولكن أجمل منه أن يكون ذلك في السراء كما يكون في الضراء ، فإن الذي يرجى للعُسرى ، هو الذي ينسر اليسرى . بيد أن هذا دليل على أن الإيمان بالله مركز في النفوس ، فطُرت عليه القلوب ، وتلاقت العقول ، فعلى قادة الأمم ، وأرباب دعوات الخير أن يفيدوا من ذلك ، فيعملوا على إثارة هذه الفطرة الصالحة في نفوس الناس حيثما وجدوا إلى إثارتها سبيلاً ، فإن الإصلاح القائم على الإيمان هو الراسخ أصولاً ، الباسق فروعاً ، الطيب ثماراً ، « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار . »

\* \* \*

ووجدنا العالم كله يقف أمام هذه الأحداث والمحن متعاوناً متكاتفاً يريد أن يخرج من معركتها ظافراً ، حتى لقد طلبت إحدى الأمم أن تُمدَّ « بأكياس ، من الرمل لتجعلها حاجزاً بين الماء وما ضعف من شواطئها ، فإذا الطائرات بين يوم

وليلة تنبرى إليها من مختلف البلاد - لافرق بين عدوة لها وصديقة - حاملة ملايين هذه الآكياس ، وإذا هي تتمكن بفضل هذا التعاون الإنسانى من دره ماتوقعت .  
أليس هذا مثلاً رائعاً لما يجديه التعاون الصادق على الإنسانية ، علمتنا إياه المياه الجارفة ، والرياح الموحج ؟ فماذا على الإنسان لو جعل التعاون فى سائر شئون الحياة منهجه ، ووسيلته لافرق بين المادية منها والروحية ؟

وإذا كان هذا من خير الأمم كلها ، بل من واجبها بمقتضى الرحم الإنسانية ، فإنه لنا معاشر المسلمين أزم ، وعلينا أوجب ، حيث بدعونا إليه مع داعى الإنسانية داعى الأخوة فى الإيمان ، والرغبة المشتركة فى رفع راية القرآن .

ألا فليعلم المسلمون أنهم أمام كارثة عظمى ما زالوا منها فى حرب ونضال منذ حلت بهم ، هى كارثة الخلاف الذى جعلهم شيعاً ، وقطعهم فى الأرض أمماً ، وقد تركهم رسولهم أمة واحدة ، دينها واحد . وكتائبها واحد ، وشعارها واحد ، لأنها كارثة قد أضعتهم ، وأطمعت فيهم ، ولن تزال بهم أفاعيلها وسمومها حتى تردبهم وتأتى عليهم ، لا قدر الله ، أفلا يتعاونون على دره شرها ، وإطماء نارها لعل الله أن يبوئهم فى هذه الدنيا حسنة كما بوأ آبائهم الأولين .

\* \* \*

ووجدنا البلاد التى أصيبت فى هذه المحن على شدتها وما أنت عليه من مال وبنين ؛ لم تياس ولم تستسلم للحزن والضعف ، بل نفضت عنها غبارها ، وعادت سواعد أبنائها تشيد ما انهدم ، وتعمُر ما خرب ، وتصلح ما فسد ، وقام أبرارها وأهل الخير فيها بإقالة العثار ، وتعويض الخسار ، وجبر الكسار ، وتلك أماره الحياة ، وعلامة القوة ، فإنه لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة .

وإن لنا فى ذلك لعبرة ، فما ينبغى أن يكون فينا من يدركه اليأس من صلاح أمتنا ، أو يقعده الحزن على سوء حالها ، عن الجهاد فى سبيلها ، أو يخذل العاملين على إنقاذها من وهدة التفريق ، وحمأة التقطع .

ءاعلموا أن الله يحى الأرض بعد موتها ، قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون . .

محمد حيدر

# نفس القرآن الحكيم

لخبرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد سليم

## سورة المائدة

- ٣ -

خلاصة ما سبق ذكره عن النداءين الأولين - النداء الثالث - مقدمة في الصلاة - مكانة الصلاة من الدين وكونها عنصراً من العناصر المكونة لشخصية المؤمن - أثرها في تهذيب النفوس - كونها أقدم عبادة عرفت مع الإيمان في جميع الفرائع - عناية الإسلام ببيان صفاتها وأحكامها وجميع ما يتصل بها - هل يؤخذ عدد الصلوات المفروضة من القرآن - فضل صلاة الجماعة - دلالتها على أن الصلاة ليست مجرد عبادة شخصية - اشتمال الصلاة على جميع أساليب التعظيم - تيسير الله على عباده في الصلاة - توحيد الاتجاه إلى القبلة وحكمته - شرح آية الطهارة - الوضوء والاختلاف في أركانه وشروطه - رأينا في المسح بالرأس - وفي النية - وفي التدليك - وفي الترتيب - وفي الأذنين والمرفقين والكعبين - رأى الجمهور في فريضة « الرجلين » - حجة من قال إن الفرض مسحهما لا غسلهما - رد الإمام الرازي عليهم - رأينا في ذلك - دلالة هذا الخلاف على سعة الشريعة ويسرها - الفصل -

خلاصة ما سبق ذكره عن النداءين الأولين :

قرر النداء الأول من النداءات الإلهية في هذه السورة الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » . الأساس في مسؤولية الالتزام التعاقدى ، وهو تشريع

كلّی يتناول الالتزام التعاقدی بين الله وعباده سواء أكان منشؤه الفطرة التي خلقهم عليها ، أو التكليف الذي بعث به الرسول وأنزل به كتابه ، ويتناول الالتزام التعاقدی بين الأفراد بعضهم مع بعض ، وبين الجماعات والأمم بعضهم مع بعض . وخلاصته أن الوفاء به واجب ، وهو على إطلاقه يتناول كل تعاقد ما لم يتضمن أو يشتمل على تحريم ما أحل الله ، أو إحلال ما حرم .

وقرر النداء الثاني : « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله : وجوب المحافظة على الشخصية الدينية لجماعة المؤمنين ، وهو تشريع كلّی أيضاً ، يتناول أشياء كثيرة كما يشمل جانب الفعل فيما طلب ، وجانب الترك فيما نهى عنه ، وقد أردف كل من الندامين بالنص على بعض الجزئيات التي يتناولها ، وسبق بيان ما عن لنا بيانه مما يتصل بهذين التشريعين السكليين .

### النداء الثالث :

وهذا هو النداء الثالث ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى السكبين وإن كنتم جنباً فاطهروا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون . واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور ، .

وهو تشريع جزئى يتعلق ببيان ما تتوقف عليه صحة الصلاة من جهة الطهارة وضوءه وأغسلوا .

### مقدمة فى الصلاة :

ويحدر بنا أن نعرض فى هذا المقام قبل أن نتناول الآية بالشرح والبيان ، لمكانة الصلاة من الدين ولازمتها فى نفوس المؤمنين على ما جاء فى القرآن الكريم فنقول :

### مكانة الصلاة من الدين وكونها عنصراً من العناصر المكونة لشخصية المؤمن :

عرض القرآن الكريم للصلاة من جهات متعددة : عرض لها في أول سورة وأطولها من سوره ، على أنها من أوصاف المتقين ، الذين ينتفعون بهذا الكتاب الكريم ، والذين كانوا بتلك الأوصاف على هدى من ربهم وكانوا هم المفلحين ، اقرأ : « التم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ، وبهذا الوضع كانت الصلاة هي العنصر الثاني من عناصر الشخصية الإيمانية .

وعرض لها باعتبارها عنصراً من عناصر البر والحق الذي رسمه الله لعباده ، ودعاهم إليه وجعله عنواناً على صدقهم في الإيمان وعلى أنهم المتقون ، وقرأ في ذلك : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین وآتى المال على حبه ذوى القربى والیتامى والمساكين وابن السبیل والساألین وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرین فى البأساء والضراء وحین البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ، .

عرض لها هكذا ، ثم جعل لإقامتها أول عمل بعد الإيمان يدل على صدقه ويستحق بها صاحبها أخوة المؤمنين « فإن تابوا وأقاموا الصلاة فإخوانكم فى الدين ، كما جعلها عنواناً على التمسك بالكتاب وسبيلا للحصول على أجر المصلحين « والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين ، .

### أثرها فى تهذيب النفوس :

وكما يتبين منزلها فى تكوين الشخصية الإيمانية هكذا ، يتبين أثرها فى تهذيب النفوس ووقايتها من الفحشاء والمنكر ، وتطهيرها من غرائز الشر التى تفسد على الإنسان حياته « وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، « إن الإنسان

خلق ملوعا إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون .

وفي مقابلة هذا كله جعل تركها عنوان الانغماس في الشهوات ، وسبيل الوقوع في الغي والضلال وسبباً من أسباب الخلود في النار ، تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا . كل نفس بما كسبت رهينة ، إلا أصحاب اليمين ، في جنات يتساءلون ، عن المجرمين : ما سلككم في سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين .

كما جعل الغفلة عنها وعن معناها وروحها آية من آيات التكذيب بيوم الدين . « رأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون . ولعلنا ندرك أن في الإتيان بها بين ما ذكر في هذه السورة إيحاء قويا إلى أن السهو عن روح الصلاة - الذي يجعلها صورة جافة لا يؤدى حق الله فيها من خشوع ومراقبة واستشعار عظمة - سبب قوى في التكذيب بيوم الدين وإهانة اليتيم ، وإهمال حق المسكين ، كما هو سبب في غرس شجرة الرياء في القلوب ، وانصراف الإنسان عن فضيلة التعاون والبر بأخيه الإنسان .

وقد قرنها الله بعد هذا كله بالصبر وجعلهما عدة المؤمن في التغلب على مشاق هذه الحياة .

إن الصلوات الخمس لخمس رحلات إلهية أوجها الله على عباده في أوقات متفرقة من اليوم واللييلة ، يخلص فيها المؤمن من دنياه ويفرغ لربه بالتكبير والمناجاة وطلب المعونة والهداية ويلقي فيها بنفسه في كفالة الربوبية الرحيمة ، متمثلا العظمة المطلقة التي تصغر أمامها كل عظمة في هذه الحياة ، وإن تلك الرحلات لجديرة أن تفرج همه ، وأن تخفف ويله ، وأن تحقق رغائبه الخيرة ، وقد كان من سنة النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر أن يفرع إلى الصلاة ، وكان يقول : « جعلت

قوة عيني في الصلاة ، ، يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، ، واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملائقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ، .

كونها أقدم عبادة عرفت مع الإيمان في جميع الشرائع :

وقد كانت الصلاة لما لها من هذا الأثر العظيم في تهذيب النفوس ، وتقريبها إلى ملائكة الطهر أقدم عبادة عرفت مع الإيمان ، ولم تخل منها شريعة من الشرائع ، وقد حكيت عن الأنبياء والمرسلين :

فإبراهيم عليه السلام يسكن ذريته بواد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم ويقول : « ربنا اقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

ويحيى في عهد الله إليه وإلى ولده اسماعيل : « أن تطهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » .

وتنادى الملائكة أم عيسى عليه السلام : « يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين » . وعيسى عليه السلام يحدث بنعمة الله عليه فيقول : « وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » .

وينوه الله بشأن اسماعيل فيقول : « وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » .

وانبأ يعظ ابنه بالإيمان ، والإحسان إلى الوالدين ، وبمراقبة الله في السر والعلن ، فيقول : « يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » .

ويأخذ الله الميثاق على بني إسرائيل ، فتكون إقامة الصلاة من أهم مواده وعناصره : « ولذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذی القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » .

« ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم  
لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً  
لا كفرن عنكم سيئاتكم ولا دخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، فن كفر بعد  
ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل . »

وهكذا نجد مكاتب الصلاة عند الله وفي دينه عنصراً تالياً لعنصر الإيمان في  
جميع الرسالات وعلى السنة جميع الرسل ، وقد جاء الإسلام فنسج على منوال  
الرسالات المتقدمة ، وجعلها ركناً من أركان الدين ، وأفاض في ذكر فوائدها  
ما أفاض ، وأمر بالمحافظة عليها وبإقامتها فيها مع القنوت والخشوع ، وكال  
التوجه إليه والتفرغ له ، وقال : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى  
وقوموا لله قانتين . »

### عناية الإسلام ببيان صفتها وأحكامها وجميع ما يتصل بها :

نعم لم يتصل إليها من طريق موثوق به كم كان عدد الصلاة في السابقين ، ولا  
كيف كانت صفتها وأحكامها ، وقد جاء في الإسلام الذي أكمل الله به دينه : جميع  
ما يتعلق بالصلاة من هذا الجانب ، فبين أنها خمس صلوات في اليوم والليلة ،  
وأنبأت الأحاديث القولية الصحيحة ، والسنة العملية المتواترة منذ عهد النبي صلى الله  
عليه وسلم إلى يومنا هذا عن : عددها ، وكيفيتها ، وأوقاتها ، وقد ذكر منها في القرآن  
الكريم صلاة الفجر ، وصلاة العشاء ، وذلك حيث يقول في آية الاستئذان من  
سورة النور : « من قبل صلاة الفجر . . . ومن بعد صلاة العشاء . »

وذكر صلاة الظهر بذكر وقتها في قوله تعالى من سورة الإسراء : « أقم الصلاة  
لدلوك الشمس إلى غسق الليل ، ودلوك الشمس هو زوالها عن كبد السماء ، وهو  
أول وقت الظهر ، وقد قال كثير من المفسرين أخذنا من الأحاديث التي صحت  
عندهم : إن الصلاة الوسطى المذكورة في آية المحافظة على الصلوات هي صلاة العصر .

### هل يؤخذ عدد الصلوات المفروضة من القرآن :

وأخذ بعضهم من عطفها على الصلوات ، مع ملاحظة أن الصلوات جمع وأن



المعطوف غير المعطوف عليه أن الصلوات المأمور بها هي خمس لأن أقل جمع يكون له وسط يتحقق الجمع بدونه هو خمس .

والواقع أننا لسنا في حاجة إلى تكلف مثل هذا الاستدلال على أن الصلوات المفروضة خمس فإن التواتر العملي الذي طبق الآفاق الإسلامية منذ عهد الرسالة إلى يومنا هذا من أقوى الأدلة اليقينية القطعية على أن الصلوات التي فرضها الله في الإسلام هي « خمس » ، وما كان لإجماع المسلمين في جميع العصور على أن من جحد صلاة منها يكون كافراً وخارجاً عن الملة لا يجرى عليه شيء من أحكام الإسلام ، إلا أثراً من آثار تلك القطعية التي تعلو عن مرتبة الاستدلال عليها بمثل هذا الطريق الذي سلكه بعض العلماء في آية المحافظة على الصلوات . ومن ما صح لنا كما صح لغيرنا أن نحمل الصلاة الوسطى في الآية على أنها الصلاة التي يحضر فيها القلب ، وتزاح عنه فيها الوسوس ، ويتجه بها إلى الله وحده ، مستشعراً عظمته ، مستمطراً رحمته ، وبذلك تكون الوسطى ، لا بمعنى التي تقع في الوسط ، بل بمعنى « الفضلى » . وهي ذات الخشوع والتأمل لعظمة الله ، كما ينبئ عنه قوله بعدها « وقوموا لله قانتين » .

#### فضل صلاة الجماعة :

هذا وقد طلب الله من المؤمنين تحصيلاً لفوائد الصلاة الاجتماعية أدامها بجماعة ، كما طلب منهم تسوية صفوفهم فيها خلف الإمام . وقد جاءت في ذلك عدة أحاديث صحيحة منها قوله عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عنه ابن عمر رضي الله عنه : « صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » ، وفيما يرويه عنه أبو هريرة : « صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعا وعشرين درجة » . وفيما يرويه أبي بن كعب : « صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل ، وما أكثر فهو أحب إلى الله عز وجل » . وقد حرص المسلمون على أدائها بجماعة منذ العصر الأول للإسلام ، وصح عن عبد الله بن مسعود أنه قال : لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا ما بقى معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين

الرجلين حتى يقام في الصف . والآحاديث الواردة في فضل الجماعة والحث عليها كثيرة صحيحة ومن أرادها فليرجع إليها في كتب الحديث .

دلالتها على أن الصلاة ليست مجرد عبادة شخصية :

والذي يهمننا من هذا أن الصلاة ليست كما يظن كثير من المسلمين مجرد عبادة شخصية يقوم بها المؤمن فيما بينه وبين ربه ، تقتصر فائدتها على تهذيب النفس وإنما هي مع ذلك جعلت عن طريق الاجتماع لها - فرضا كان الاجتماع أم سنة أم فضيلة - سبيلا لتعارف المؤمنين وتفاهمهم فيما يحتاجون إليه من خير في دينهم ودنيائهم ، وبذلك كان مكان اجتماعهم في الصلوات الخمس أشبه بالنوادي التي يهرع إليها أهل الحي الواحد في أوقات متعددة معينة على وجه منظم محدد ، وفيها يتعارفون ويتبادلون المنافع والآراء فيما يحتاجون إليه جماعات وأفراداً . وتحقيقاً لهذه الغاية أوجب الجماعة في نطاق أوسع على أهل البلدة الواحدة ، أو ما هو في حكم البلدة الواحدة كل أسبوع ، وجعل ذلك شرطاً في صحة الصلاة التي تؤدي في ذلك الاجتماع وهي صلاة الجمعة ، يجتمعون فيها للتعارف والتعاون ، واستماع الوعظ والإرشاد ، وبيان أحكام الله فيما يحل وما لا يحل ، وبذلك أخذت هذه الصلاة لون المحاضرات والدروس الدينية يجتمع لها المؤمنون لتلقى أحكام الله ومعرفة دينه . وصارت اجتماعات تعاونية ثمافية . ولم يقف الدين الإسلامي في الحث على الاجتماع عند هذا الحد الأسبوعي . بل أوجبه بصفة أعم وأوسع في كل عام لأداء صلاة العيدين ثم أوجبه بصفة جامعة للمسلمين من كافة الأقطار في أداء ركن من أركان الدين وهو الحج الذي يفد له المسلمون من كل فج إلى بيت الله الحرام في مكة منبع الهدى والنور . وهناك يجتمعون لأداء المناسك ، ورؤية المشاهد ، وتذكر أماكن الوحي وآثار النبي وصحبه الذين قاموا بتركيز هذا الدين ونشره على عباد الله في كافة المعمورة .

اشتغال الصلاة على جميع أساليب التعظيم :

ولا يفوتنا في هذا المقام لفت الأنظار إلى ما احتوت عليه أفعال الصلاة

وكيفيتها التي دلت عليها أفعال الرسول وأقواله - من مظاهر التعظيم التي عرفت مفرقة في أساليب التعظيم التي يقوم الناس بها بعضهم لبعض ؛ فالناس يعظم بعضهم بعضاً برفع الأيدي ، وبالقيام وبالاختناء ، وبالسجود ، وبالدعاء ، وبترديد أقوالهم ... بفعل الناس ذلك كله في تعظيم بعضهم لبعض ، وفي تعظيمهم ملوكهم ورؤسائهم وأرباب الجاه والنفوذ فيهم . ولكن لم تجر عادة للناس أن يجمعوا كل تلك الأساليب في تعظيم أحد منهم ؛ فشرع الله الصلاة اعترافاً بنعمته وعظمته ، وجمع في كيفيتها جميع ما تفرق عند الناس من أساليب التعظيم ، فجعل افتتاحها بإعلان أن الله أكبر من كل ما يرون تعظيمه ، مصحوباً بذلك برفع اليدين معاً على وجه يمثل فيه وضعهما المعنى الذي فسر في القلب حينما ينطق اللسان بكلمة التكبير ثم جعل من أركانها القيام المصحوب بتلاوة آيات من كتابه . وأوجب في كل صلاة ، وعلى كل مصلى قراءة الفاتحة ، التي تعتبر أم الكتاب ، وقد جمعت كل ما تفرق فيه نصاً وإشارة . ثم الاختناء المعروف باسم الركوع ، مصحوباً بالتكبير في الانخفاض والرفع . ثم بحجاء السجود نهاية لما يتصور من وجوه التعظيم ، وبذلك يكون العبد قد وقف من ربه في موضع العبودية الحقة ، وكأن الله بتنظيم أسلوب تعظيمه على هذا الوجه يلفت نظر المؤمنين إلى أن تعظيمه يجب بمقتضى الإيمان بربوبيته وألوهيته أن يكون فوق كل تعظيم عرفه الناس في تعظيم بعضهم لبعض . وأن هذه الصورة من التعظيم التي رسمها الله لنفسه لا يصح أن يعظم بها غيره كما لا يصح أن ينتقصها المؤمن أو أن يغير شيئاً من أوضاعها ؛ أو أن يزيد فيها ، فهو سبحانه المعبود ، وهو المعظم ، وقد شرع لنا طريق عبادته وأسلوب تعظيمه ، وليس لأحد من خلقه أن يفكر أو يستظهر شيئاً غير ما رسم في تعظيمه بزيادة أو نقص .

ولعل هذا هو الأساس الذي بنى عليه حظر الابتداع في الدين وفي سبيله كثرت الأحاديث الصحيحة في التحذير من البدع التي ينساق إليها الناس بناء على ما يتصورون من الزيادة في معنى العبودية .

## تيسير الله على عباده في الصلاة :

وقد كان من رحمة الله بعباده وهي رحمة تم الخلق والتشريع أنه في الصلاة - مع هذا الرسم الذي رسم - راعى التيسير على عباده فأدخل كثيراً من وجوه اليسر على هذه الفريضة ، وقد رأينا أن اليسر تناولها من جهات : تناولها من جهة أوقاتها ، فأباح للمؤمن أن يجمع بين صلاتين في وقت واحد . وقد اتفق الأئمة على هذا المبدأ غير أنهم اختلفوا في مدى تطبيقه فاقصر بعضهم فيه على الجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم في وقت الظهر بعرفه ، وبين المغرب والعشاء جمع تأخير في وقت العشاء بمزدلفة ، ومنعوه في غير هذين المكانين ، وغيرهم أجازوه في غير المكانين المذكورين ، وأجازوه بعضهم للسفر والمطر ، وزاد بعضهم جوازه للمريض الذي تلحقه المشقة بالتفريق ، وللرضع والمستحاضة ، ولمن خاف ضرراً يلحقه في معيشته بترك الجمع ، وتوسع بعضهم في جواز الجمع مطلقاً بشرط ألا يتخذ ذلك خلفاً وعادة ، وحكى ذلك الشوكاني عن جماعة من العلماء ، وقال صاحب فتح الباري : « ومن قال به ابن سيرين ، وربيعه ، وأشب ، وابن المنذر ، والقفال الكبير ، وحكاه الخطابي عن جماعة من أصحاب الحديث ، وحكاه غيره عن غيرهم وفي هذا من السعة واليسر ما يتفق مع أساس اليسر الذي بنيت عليه الشريعة الإسلامية ، ومن شأن المؤمن أن يضع العزائم في محلها ، والرخص في محلها ، وألا يتخذ الرخص سيلاً وعادة بها يتحلل من أمر الله وتكليفه ، والحكم في هذا هو الإيمان ، والاطمئنان ، فليرجع المرء فيما يريد من رخصة أو عزيمة إلى إيمانه والله عليم بذات الصدور .

وكما دخل اليسر الصلاة من جهة أوقاتها ، دخلها أيضاً من جهة عدد ركعاتها ، وفي هذا الجانب اتفق الأئمة أخذاً من نصوص التشريع على أن للمسافر أن يقصر الصلاة الرباعية ، فيصلها ركعتين ، ولكنهم اختلفوا : أهذا القصر فرض وواجب حتم على المسافر ، أم سنة وفضيلة ؟ وإلى كل من الرأيين ذهب فريق من الأئمة .

وكما دخل اليسر في عدد الركعات للمسافر دخل أيضاً في كفييتها على وجه عام ، فأبيحت من قعود لمن عجز عن القيام ، وبالإيماء لمن عجز عن القعود ، كما أبيحت في حالة الحرب من ركوب وأبيع فيها حمل السلاح وما يقتضيه الحذر من الأعداء وقد تكفلت كتب الفقه ببيان صلاة الحرب وآراء الأئمة فيها بعد أن اتفقوا على تقرير مبدأ التيسير على المحاربين في أدائها ، واذكر في هذا المقام قوله تعالى عقب الأمر بالمحافظة على الصلوات : « فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا ، فإذا أمتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون » وقوله تعالى : « وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبيناً ، وإذا كنتم فيهم فأقمتم لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وذ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً ، فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فإذا اطمأنتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً . »

هذه هي الصلاة في أركانها وكيفياتها ورخصها ، وما ينبغى فيها .

توحيد الانحاء إلى القبلة وحكمته :

وقد طلب الله من المؤمنين أن يتجهوا فيها على اختلاف أقطارهم ، وتباين آفاقهم إلى مكان واحد من المعمورة ، فيه بيت المعبود ، ناركا في ذلك الجهات الأصلية الطبيعية كالشرق والغرب ، والشمال والجنوب لحلوها عن المعاني الخاصة التي تثير عندهم عاطفة الإيمان ، وتوحى إليهم بذكريات هدايته وإنعامه عليهم بها ، وبذلك كان البيت الحرام قبلة تنجيه إليه الأبصار وترتبط به القلوب وتتجمع فيه الأشعة المنبعثة من اتجاهات المؤمنين مهما اختلفت جهاتهم بالنسبة إليه ، فمن في شرقيه يتجه غرباً ، فلتلقى أشعة بصيرته بأشعة بصيرة من هو في غربيه ويتجه

إليه شرقاً ، ويتجه من في جنوبه إلى الشمال فتلتقي أشعة بصيرته بأشعة بصورة من هو في شماله ، ويتجه إليه جنوباً ، وتلتقي موجات تلك الأشعة المنبعثة من جهات العالم كلها في مركز الهداية الإلهية وتكون كتلة وهاجة قوية من أشعة الإيمان المنبعثة من القلوب المؤمنة في كافة المعمورة ، ويكون لها قوة الإشعاع والإضاءة على العالم كله فتبصّره بطريق الهدى وتهديه إلى صراط الله المستقيم ، وهذا معنى يبعد غوره ، ويعظم أثره في نفوس المصلحين من خلق الله الذين اصطفاهم ربهم للأخذ بيد الإنسانية من حمة الشهوات العاسدة عن طريق طهر القلب ، وصفاء النفس ، وقوة الإيمان واليقين ، واذكر في هذا المقام قوله تعالى : « قد نرى قلب وجهك في السماء فلو نلينك قبله ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ، يقدم في الصلاة بالاتجاه هكذا لإشعاراً بوحدة المعبود وجمعاً للقلوب على تعظيمه ، وربطاً بمساقط رحمته وهديه ، وأطلق سراحهم في أدائها ، لم يقدم فيه بمكان معين ، بل جعل لهم الأمانة كلها من حول تلك البقعة الطاهرة مسجداً يقيمون فيه الصلاة : في البناء ، في العراء ، في الصحراء ، في الماء ، في الهواء ، في أى مكان حول المركز استطاع أن يؤدي فيه الصلاة فهو مكان للصلاة ، ومن هنا تتجلى بساطة الإسلام الذي لم يتخذ رسماً مخصوصاً ، ولا مكاناً معيناً لأداء الصلاة ، فالصلاة لله ، والأمانة لله ، والإنسان عبد الله .

هذه هي المقدمة التي رأينا أن نبين بها مكانة الصلاة ، وتطهيرها للقلوب ، قبل أن نتحدث عن النداء الثالث من فداءات سورة المائدة الذي جاء ليرشد إلى ما يجب على الإنسان أن يقوم به تطهيراً حسيّاً لكله أو بعضه ليجتمع له إذا دخل في الصلاة طهارة جسمه ، وطهارة قلبه ، وطهارة باطنه ، وطهارة ظاهره ، فيكون طهراً كله كما أراد الله .

### شرح آية الطهارة .

وقد تضمنت هذه الآية طهارة الوضوء ، وطهارة الغسل كما تضمنت طهارة التيمم التي جعلت تيسيراً على العباد خلفاً عن طهارة الماء ، والتي دل اعتبارها طهارة

على أن تركية النفس ترجع في الواقع إلى تلبية التكليف وامتنال الأمر أكثر مما ترجع إلى الصورة الحسية وما يحدثه التكليف من أثر في الجسم .

طلبت الآية من المؤمنين إذا اتجهت نياتهم إلى الصلاة وعزموا عليها أن يغسلوا وجوههم وأيديهم إلى المرافق ، وأن يمسحوا برؤوسهم وأرجلهم إلى الكعبين ، وأن يظهروا إن كانوا جنباً ، ثم أباحت لهم - إن كانوا مرضى أو على سفر ، أو قضى أحدهم حاجته الطبيعية أو الجنسية ، ولم يجدوا ماء يتوضئون به أو يغتسلون : أن يقيموا صعيداً طيباً فيمسحوا بوجوههم وأيديهم منه ، ثم ذيلت الآية بما يدل على أن إرادة الله من هذا التكليف إنما هي : تطهير عباده وإتمام نعمته عليهم . تلك هي رموز الموضوعات التي احتوى عليها هذا النداء ، وهي : الوضوء والغسل والتيمم .

#### الوضوء والاختلاف في أركانه وشروطه :

أما الوضوء ، فلم تذكر الآية فيه سوى غسل الوجه واليدين إلى المرفقين ، والمسح بالرموس وغسل الأرجل إلى الكعبين أو مسحهما . وإذا نظرنا إلى أن الآية لم تعرض للأذنين ، وأنها ذكرت المرافق في اليدين على أنها غاية ، وأنها عدت المسح إلى الرموس بالباء ، ثم جاءت الأرجل فيها بقراءة نصب والجر ، وذكر فيها الكعبان على أنها غاية . ونظرنا بعد ذلك إلى أنها لم تعرض إلى حكم الية في الوضوء ، ولا إلى حكم الترتيب والمواالاة والتدليك ، ونظرنا إلى أن عباراتها فيما عرضت له ليست قطعية في معنى معين وإنما هي عبارات قابلة لوجوه من النظر ؛ إذا نظرنا إلى هذا كله استطعنا أن نقول : إن أركان الوضوء وشروطه لم ينل منها شيء اتفاق الأئمة وإجماعهم سوى غسل الوجه فيما تقع به المواجهة ، واليدين دون المرفقين ، وأصل مسح الرأس لا كلها ولا بعضها ، أما الأرجل فقد دار فرضها بمقتضى القراءتين بين الغسل والمسح . وفيما وراء ذلك اختلاف الأئمة .

اختلفوا في أن الأذنين من الرأس فتكون وظيفتهما المسح ، أو من الوجه فتكون وظيفتهما الغسل أو هما عضو مستقل لم يفترض غسله ولا مسحه . واختلفوا

في أن المرفقين يفترض غسلهما بناء على دخول الغاية ، أو لا يفترض بناء على خروجها .

واختلفوا في أن الرأس فرضها مسح الجميع أو مسح بعض معين ، أو مسح أى جزء منها ، وذلك بناء على مكانة الباء في قوله « برؤوسكم » هل هي زائدة أو هي للالصاق ، وإذا كانت للإصاق فهل يتحقق بمسح أى جزء أو هناك ما يدل على أن المطلوب الصاق المسح بجزء معين .

واختلفوا في أن وظيفة الأرجل هي الغسل عملاً بقراءة النصب عطفًا على الوجوه المغسولة ، أو وظيفتها المسح عطفًا على الرؤوس عملاً بقراءة الجر . وهل يدخل الكعبان في وظيفتها غسلًا أو مسحًا كما قيل في المرفقين .

واختلفوا في فرضية ما لم يذكر بنصه في الآية من النية وما إليها .

اختلفوا في كل ذلك ، وقد عنت كتب الفقه ببسط الآراء والأدلة في كل مسألة من هذه المسائل ، وكان أوسعها قولاً ، وأشدّها خلافاً مسألة « المسح بالرأس » و « غسل أو مسح الرجلين » . وقد عرضنا في كتابنا « مقارنة المذاهب » في الفقه لمسألة الرأس ، ومسألة النية ، والدلك ، والترتيب ، والمحوالة .

### رأينا في المسح بالرأس :

وكانت نتيجة نظرنا في المسح بالرأس أن الآية من قبيل المطلق ، وأنها لا تدل على أكثر من إيقاع المسح بالرأس وذلك بتحقيق بمسح الكل ، وبمسح أى جزء قل أو كثر ما دام في دائرة ما يصدق عليه اسم المسح وهو إمرار البلية بالعضو الممسوح . وأن مسح شعرة أو ما يتناوله وضع الأصبع من الشعرات لا يصدق عليه عنوان « المسح بالرأس » .

### وفي النية :

وكانت نتيجة نظرنا في « النية » رجحان القول بفرضية النية في الوضوء ، وأن انقباس الأعضاء في الماء بدون قصد رفع الحدث ، أو بقصد التبريد ليس غسلًا



لصلاة حتى يؤدي مهمته الشرعية ويحقق المأمور به ، والمقصود أن يحقق المكاف ما أمر به لا أن يتحقق .

#### وفي التدليك :

وكانت نتيجة نظرنا في مسألة « التدليك » فرضية الدلك في الوضوء ، وفي غسل الجسم كله في الغسل ، وقد بيننا ذلك على الفرق اللغوي بين معاني الألفاظ الآتية : أسال ، صب ، غمس ، غسل .

#### وفي الترتيب :

وكانت نتيجة نظرنا في مسألة « الترتيب » اختيار القول بالفرضية وبيننا ذلك على أسلوب الآية حيث لم تذكر الأعضاء مرتبة كواقعها في الجسم ، ولا كوظيفتها في الغسل أو المسح ، وإنما وسطت بمسوحا بين مغسول ومغسول . وعلى ما تواترت به الأخبار الصحيحة من مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده على الترتيب ، وكان ذلك بيانا مؤكدا لما تدل عليه عبارة الآية ، وكذلك كان رأينا في الموالاة .

#### وفي الأذنين والمرفقين والكعبين :

أما مسألة الأذنين فرأينا فيها مع الجمهور القائلين بأنهما عضو مستقل ليس من مسمى الرأس ولا من مسمى الوجه ، وبذلك لم يفرض فيه غسل ولا مسح وإنما كانت وظيفته أخذاً من الوارد عن الرسول المسح على وجه السنية . وكذلك رأينا في « المرفقين والكعبين » بناء على دخول الغاية في مثل ذلك ، وقد بسط الفقهاء وجهة نظر الجمهور في كل مواضع الخلاف فليرجع إليها من شاء .

#### رأى الجمهور في فريضة « الرجلين » :

أما وظيفة « الرجلين » فرأى الجمهور أنها الغسل ، وكان أساسهم في هذا قراءة النص التي عطف بها الأرجل على الوجوه المغسولة فتأخذ حكمها وهو الغسل ، وقالوا : إن قراءة الجر بمحولة على قراءة النصب وليس الجر بمقتضى العطف

على الروس المسوحة حتى تشاركها في المسح وإنما كان الجر بحكم المجاورة الذي عرف كثيراً في اللغة العربية .

حجة من قال أن الغرض مسحهما لا غسلهما :

ويجدر بنا هنا أن نسوق عبارة الفخر الرازي في الاحتجاج لمن قال بوجوب المسح . قال : حجة من قال بوجوب المسح مبنية على القراءتين المشهورتين في قوله وأرجلكم ، فقرأ ابن كثير وحزة وعاصم في رواية أبي بكر عنه بالجر ، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه بالنصب ، فنقول :

أما القراءة بالجر فهي تقتضي كون الأرجل معطوفة على الروس ، فكما وجب المسح في الرأس فكذلك في الأرجل ، فإن قيل : لم لا يجوز أن يقال هذا جر على الجوار كما في قوله « جحر ضب » خرب ، وقوله « كبير أناس في بجاد منمل » قلنا هذا باطل من وجوه :

الأول : أن الكسر على الجوار معدود في اللحن الذي قد يتحمل لأجل الضرورة في الشعر ، وكلام الله يجب تزيهه عنه .

وثانيها : أن الكسر إنما يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس كما في قوله « جحر ضب » خرب ، فإن من المعلوم بالضرورة أن الخرب لا يكون نعتاً للضب بل للجحر ، وفي هذه الآية الأمن من الالتباس غير حاصل .

وثالثها : أن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف ، وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب .

وأما القراءة بالنصب فقالوا إنها أيضاً توجب المسح ، وذلك لأن قوله وامسحوا برؤوسكم . فروعكم في محل النصب ، ولكنها مجرورة بالباء ، فإذا عطفت الأرجل على الروس جاز في الأرجل النصب عطفاً على محل الروس ، وجاز الجر عطفاً على الظاهر وهذا مذهب مشهور للنحاة . إذا ثبت هذا فنقول : ظهر أنه يجوز أن يكون عامل النصب في قوله « وأرجلكم » هو قوله : « وامسحوا » ويجوز أن يكون هو قوله « فاغسلوا » لكن المالمين إذا

اجتمعا على معمول واحد كان إعمال الأقرب أولى فوجب أن يكون عامل النصب في قوله « وأرجلكم » هو قوله « وامسحوا » ثبت أن قراءة « وأرجلكم » بنصب اللام توجب المسح أيضا . فهذا وجه الاستدلال بهذه الآية على وجوب المسح ، ثم قالوا : ولا يجوز دفع ذلك بالأخبار لأنها بأسرها من باب الآحاد ونسخ القرآن بخبر الواحد لا يجوز .

### رد الإمام الرازي عليهم :

ثم قال واعلم أنه لا يمكن الجواب عن هذا إلا من وجهين :

الأول : ان الأخبار الكثيرة وردت بإيجاب الغسل ، والغسل مشتمل على المسح ولا ينمكس ، فكان الغسل أقرب إلى الاحتياط فوجب المصير إليه ، وعلى هذا الوجه يجب القطع بأن غسل الرجل يقوم مقام مسحها .

والثاني : أن فرض الرجلين محدود إلى الكعبين ، والتحديد إنما جاء في الغسل لا في المسح .

### رأيا في ذلك :

والذي نفهمه أن الغسل غير المسح ، وأن الإتيان بأحدهما لا يحقق الأمر بالآخر ، فانه إذا أمر بالمسح ، وهو غير الغسل ، لا يعد ممثلا للأمر من أتى بالغسل وبالعكس ، وإقامة أحدهما مقام الآخر تحتاج إلى دليل شرعي ، وليس هناك من دليل على ذلك ، فجوابه الأول غير مقبول في نظرنا . نعم لجوابه الثاني وجهة نظر قوية ، ويضم إليها أن الكعبين قد عرف في اللغة ، وفي العرف أنهما العظمان النائمان في جانبي الساق ، ومنشأ القول بغير ذلك افتراض أن وظيفة الرجل المسح ، وهو أصل الدعوى فلا ينهض دليلا على أن هذا هو معنى الكعب .

بقي أن عمل الأخبار التي تكاد تبلغ حد التواتر في أن وظيفة الرجل والغسل ، ليس هو نسخ الكتاب بالآحاد ، وإنما هو بيان وترجيح لاختيار أن قراءة النصب مبنية على اعتبار الأرجل معمولة لقوله « اغسلوا » ، وليس واجبا أن تكون معطوفة على المحل في قوله : « وامسحوا برؤوسكم » ، وما دامت الأحاديث

تلتقى مع وجه محتمل في الآية فإنها لا تكون ناسخة للآية ، وإنما تكون مبنية ومرجحة لهذا الاحتمال .

بقى علينا أن نشير إلى النكتة التي من أجلها وسط الممسوح بين المغسول ، وهي لإفادة وجوب الترتيب بين أعمال الوضوء على الوجه الذي ذكر في الآية ، ودلت على اعتباره أخبار وضوئه صلى الله عليه وسلم ووضوء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . والذي نراه في هذا الموضوع هو غسل الرجلين لا مسحهما ، عملاً بالأحاديث الكثيرة الواردة في هذا الشأن ، وعملاً بالتجديد الوارد في الآية ، وبتحكيم معنى الكعبين المعروف لغة وعرفاً ، وليس من شك في أن أحاديث « غسل الرجلين » أكثر وأقوى من روايات مسحهما ؛ فليكن الغسل هو الرأي أما الجمع بين القراءتين أو بين الأحاديث بالتخيير بين المسح والغسل ، أو بجمعهما أو بحمل المسح على حالة لبس الخف فكل ذلك تكلف ظاهر لا يستند إلى جانب أقوى من النظر .

#### دلالة هذا الخلاف على سعة الشريعة ويسرها :

هذا ما أردنا أن نسوقه للقراء فيما يختص بالوضوء ، ومواقف الأئمة بالنسبة للآية الكريمة ، وهي مواقف تدل دلالة واضحة على أن الإسلام لم يُرد في تشريعه حتى في العبادات أن يرمق أتباعه أو يقيدهم بحكم معين فيما يرى أن القصد منه يحصل على أى احتمال ذهب إليه الفقيه جرياً وراء ما يظهر له من قرائن وأدلة ، فمن ترجع عنده الغسل وجب عليه الغسل ، ومن ترجع عنده المسح وجب عليه المسح لا يحال بينه وبين ما اطمأن إليه قلبه ما دام الحق مطلبه والدليل رائده ، أما المخالعة عن طريق التشبهى ، أو طريق التعصب المذهبي فليست من الإسلام ولا يعرفها الإسلام وهذه كلمتنا ورأينا في كل الموضوعات الخلافية المبنية على النظر وإرادة الحق ، ومراد الله تعالى ، ولكل مجتهد نصيب .

#### الغسل :

ثم أردفت الآية بيان الوضوء وهو المعروف بالطهارة الصغرى بطهارة الغسل

وهو المعروف « بالطهارة الكبرى » ، فقال : « وإن كنتم جنباً فاطهروا » ، والتطهر هنا مراد به المبالغة في الطهارة ، وتلك لا تكون إلا بغسل البدن كله ، كما دل عليه قوله تعالى : « حتى تغتسلوا » ، من قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا » ، وقد أفادت صيغة المبالغة في آيتنا وجوب غسل جميع ما أمكن غسله من الجسم دون إيذاء أو ضرر ومن ذلك افترضت المضمضة ، والاستنشاق في الغسل عند من لم ير فرضيتهما في الوضوء ، وقد دل اعتبار الجنابة في وجوب الغسل على اعتبار الحدث في الوضوء كما دل اعتباره أيضاً قوله بعد : « أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا » حيث اعتبر في وجوب التيمم الذي جعل خلفاً عن الوضوء والغسل وجود الحدث الذي عبر عنه بالجمي من الغائط وملامسة النساء . وكان هذا وذاك مع الأحاديث الواردة في هذا الشأن أدلة ظاهرة على أن قوله في صدر الآية « إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا » مبنى على وجود حالة الحدث التي يزيلها غسل الوجه وما عطف عليه .

وإلى هنا تم ما أردنا سوقه لقراء رسالة الإسلام فيما يختص بطهارة الوضوء والغسل وموعدها في الكلام على « التيمم » ورخصه ، العدد المقبل إن شاء الله ؟

# نظرات

لحضرة الأستاذ الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام

سفير مصر في باكستان

لحضرة الأستاذ الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام سفير مصر  
في باكستان كتاب قدمه للطبع في إحدى مطابع كراتشي سيظهر  
بعد ثلاثة أشهر تحدث فيه بأسلوبه السهل وتصويره البارع عن  
كثير من الشؤون التي تعرض للناظر المفكر - وقد رأينا أن نسوق  
لقراء (رسالة الإسلام) تحت هذا العنوان بعض فصول  
هذا الكتاب المتع .

## الله والناس :

الناس في ذكر الله مختلفون ، منهم الغافلون : الذين لا يذكرونه ليلاً ولا نهاراً  
ولا يتقونه في صغيرة ولا كبيرة ، وأولئك يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ،  
وهم المحجوبون .

وآخرون بين الذكر والغفلة ، تضلهم أهوائهم وتزين لهم منكراتهم ثم يذكرون  
فيندمون ويزعون إلى الخير ويستغفرون ، وأولئك أكثر الناس ، وكثير من  
هؤلاء يذكرون فيفريق فيندم فما يزال بنفسه حتى يعد في الصالحين .

وجاعة في ذكر دائم ، وتبقى مستمر ، ولكن تدرك أحدهم غفلة فيقفوا ،  
وتأخذ سنة فيخفوا ثم يعود على نفسه باللوم ، وعلى خطيئته بالندم والتوبة  
فتكون الزلة وسيلة إلى علاج نفسه ، وتقدمها في سبيل الخير ، وأولئك هم  
التوابون ، وإنهم لفي الدرجات العالية .

وآخرون مصطفون ، هم في ذكر لا يفتروا ، وبقظة لا تدركها سنة ، وهم في  
رقى دائم ، وعروج مستمر ، سائررون كل لحظة ، عاملون للخير كل ساعة ، قد خلصت  
سرائرهم لله ، وفيت إرادتهم فيه ، فهم فيه يفكرون ، وبه يريدون ، وله يعملون ،

وهم في هذه الدنيا كالأجرام والشمس والقمر ، يسرون بقوانين الله على سنة الله ، لا يتخلفون ولا يحيدون ... أولئك هداة الله في خلقه ، وأمناءه في عباده ، ورسله إلى الناس .

هؤلاء هم النبيون والصديقون والمقربون ، وقليل ما هم .

\* \* \*

### وإرسمته للنساء في هذا العصر :

المرأة جمال الخليقة ، ونور الإنسانية ، وملاك الشفقة ، ومعدن الرحمة ، وينبوع السعادة ، هذه الحاملة الواضعة ، والوالدة المرضعة ، الساهرة الحانية ، المريية العانية ، المنشئة للأمة أولادها ، المانحة لها أكبادها ، البيت من يدها روض زاهر ، ومعبد عامر ، وجنة ونعيم ، وسلام مقيم .

هل الأمة إلا من الأم ، وهل غيرها يستطيع أن يؤم ؟ (١) لأنها سر الحياة ، ودليل النجاة . إن عرفت قدرها ، ولم تخدع عن مكانتها .

إني لأرثي للمرأة حين أجدّها عاملة في المصانع ، صانقة في الأسواق ، وأقول إن هذا في نظام الأمم خلل . وفي كيانها علة من العلل .

وأرثي للمرأة حين تهجر دارها ، وتهمل صغارها ، وتقضي النهار سائمة وشطراً من الليل هائمة . وأقول كيف يرجي للعش صلاح ؟ ومن يبسط على الفراخ الجناح ؟ وأرثي للمرأة حين أجدّها في هم دائب ، وأنصب ناصب ، بالصبيغ والطلاء ، صباح مساء ، تعرض زينتها في الطريق ، وتنافس بجملها في السوق . وأقول : ضياع المال والوقت والراحة ، والوقار والسعادة والصباحة .

وأرثي للمرأة وأغضب لها وأغار عليها وأحزن من أجلها حين أراها متمعة بالجماع ، والسُّبية الملاهي ، وسلعة التاجر ، وفريسة الفاجر ، فهذه الملاهي الخاشدة بالليل والنهار ، والمعارض الصاخبة على أسياف التجار ، وتجارة الرقيق في كل

(١) يؤم : يعمل عمل الأم .

طريق ، هذه المرأة المسكينة صيدها وسلعتها ، وفريستها ومتعتها ، تخدع عن نفسها حيناً فتضحك ، وتعرف امرها حيناً فتبكي . وهى بين الضحك والبكاء ، مفتونة مغلوبة ، مخدوعة مسلووبة ، لا تجد فى السوق الصاخبة والفتنة الغاصبة وقتاً لتفكير ولا نهزة لتدبير ، والناس يعجبون ويضحكون ولا يبكون . إني والله لأرثى للنساء وحق لمن الرثاء .

\* \* \*

### قياس الزمان :

يقيس الإنسان زمانه بالسنين والشهور ، وبالأيام والساعات فيرى الزمان سريع المر شديد الجرى ، لا يكاد يجاريه حساباً وعداً ، وهو فى غم وكآبة من إسراع هذا الزمان وعدوه ، وفى هم من نفسه بما يرى مر الزمان نقصاً فى عمره ، ومضياً فى حياته ، واقترباً إلى أجله . كما قال طرفة :

أرى العمر كنزاً ناقصاً كل ليلة      وما تنقص الأيام والدهر ينغد  
وكما روى أن الحجاج أنشأ أو تمثل بهذا البيت حين بلغ الخمسين .

وإن امرأة قد سار خمسين حجة      إلى منهل ، من ورده لقريب

وكم قال الشعراء فى مضى الزمان ، وسرعة الدوران ، دوران الفلك والأعوام ذلك لمن وعى الزمان كنهه جار ، أو قطار مسرع ، بسيران إلى غاية قريبة أو بعيدة ، والناس سائرون يسيرهما منتهون إلى غايتيهما ؛ ولكن من استطاع ثباتاً فى التيار وانحيازاً إلى الشاطئ ، واستقل بفكره وعمله ، ولم يعد نفسه عوداً فى نهر يجرى به غير مختار ، فهذا الإنسان هو الزمان ، وحساب الزمان بفكره وعمله . هو لا يعد ساعات وأياماً ، ولكن أفسكاراً وأعمالاً ، وهو لا يحسب سنين التوالية ، ولكن آراء وأفعالا تؤرخ بها العصور ولا تحدهى بالعصور ؛ إذ كانت أعماله قوازين يتبعها ، وسنناً يسير عليها ، لا نزعات وقت وأهواء ساعة .

إن من سائر التيار واستسلم للزمن قائماً ينسج على نفسه شبكة الليل والنهار ،



فهو منها في إسار . ومن اعتد بنفسه ، واستقل بقوله وفعله ، فهو شبكة الأيام وقيودها ، ومسافاتها وحدودها .

\* \* \*

### دستور إسلامي :

جمعني مجلس بصاحبين ، مصري وباكستاني . فتحدثنا في وضع دستور إسلامي وهذا أحد مقاصد المؤتمر الإسلامي الذي اجتمع في كراچی العام الماضي ، وهذا الباكستاني من أعضائه ، قال الباكستاني : إن علماء باكستان متشددون ، يرون أن يكون كل شيء في عصرنا كما كان أيام الخلفاء الراشدين . ومن أجل هذا كان الخلاف بينهم وبين غيرهم ، وقال : لا بد من اجتماع علماء من بلاد إسلامية مختلفة لينظروا في هذا الشأن . والعلماء في البلاد الأخرى أوسع فكراً وصدراً ، فعسى أن يغلبوا علماء المتشددين ويفسحوا لنا الطريق .

قلت : ينبغي أن ننظر إلى مقاصد الإسلام ، لا إلى مآشره علماءنا أو خلفائنا في عصر غير عصرنا ، فإن فعلنا اتسع المجال ووجدنا في سعة الإسلام ما يخرجنا من ضيق عقولنا وصدورنا ، والأمر ليس عسيراً ، فكل دستور وضعه المسلمون لمصالحهم لا يخالف أصلاً من الأصول التي أجمع عليها المسلمون في كل العصور ، يسوغ أن يسمى دستوراً إسلامياً ، ولا يكلفنا قبول الإسلام إياه إلا أن فصله بمقاصد الإسلام ، ونبين ما بينها من صلوات ، وندخله في سعة الإسلام وسماحته ونفي عنه كل نص يبعده من مقاصد الإسلام ، وقد وضع علماءنا من القواعد ما يعترف باختلاف الأحكام باختلاف الأزمان والأوطان ، وهذا إيماننا الشافعي هاجر من الحجاز إلى العراق فمصر . فكتب في مصر مذهبه الجديد ، وكثير من مجتهدينا رجحوا عن آراءهم حيثما انتقلوا من مكان إلى مكان أو حال إلى حال ، فإن أراد المسلمون أن يبينوا عن سعة الإسلام ويؤلفوا النافرين ويوحوا الأمل إلى الياثسين ، فهذه سبلهم ، وإلا أفلت من أيديهم الزمام وخلفتهم وراءها الأيام .

### من آفات هذه المدينة :

لا أقص هذه المدينة قيمتها ، ولا أبخسها حقها ، ولست في حاجة إلى الإبانة عما يسرت للبشر وذلك ، وفتحت من كنوز الأرض وأسرار الكون ، وما رفعت عن المرضى ، ووقت الإنسان من مصائب كثيرة ، ولكني أقول : إن مع الخير شرا ، وإن هذه المدينة فتحت على الناس أبواب الفلق والضجر ، وأمدت لهم في الشره ، وزينت لهم من الشهوات والأهواء ، وأناحت لهم من أسباب العذاب والحراب ما أحاط بهم من فوقهم ، وعن أيمنهم وعن شمائلهم .

وأدع المصائب الكبيرة التي جلبتها هذه الحضارة التي يتحدث الناس عنها كل حين وأقول في أمور تبدو صغيرة ولكن لها في حياة الإنسان آثار كبيرة : هذه الضوضاء المحيطة بالناس في ليلهم ونهارهم ، من القطارات والسيارات وأشباهاها ، ومن السينما والإذاعة والمجاهر وأشباهاها .

وأخرى أذكر بها : كان الإنسان في العصور الخالية لا يعرف إلا حوادث بلد ، ولا يهتم بغيرها ، فإن دامت حرب خمسين سنة في الصين فعسى أن لا يسمع بها أهل مصر ، وإن سمعوا بها لم يعرفوا إلا قليلا من أخبارها ، والذين يعرفون لا يهتمهم منها كثير ولا قليل ، بل تقع الحوادث في جانب من مملكة فلا يسمع بها أهل الجانب الآخر إلا بعد أيام كثيرة ، ولا يهتمهم أمرها كثيرا ، واليوم تقع حرب في الصين أو يفيض نهر أو تهتز أرض أو ينزل وباء فيسمعه الناس في أرجاء الأرض يوم وقوعه ، فلا تخفى على الإنسان مصيبة على هذه الأرض ، وكل ما يصيب البشر يهم الإنسان أو يحزنه أو يقلقته .

لقد طويت المسافات فصار ما يقع في جانب من الأرض يصيب من في أقصى الأرض بقليل أو كثير ، جمعت على الإنسان مصائب الأرض كلها خيرا وشرا وكان من قبل لا يهجمه إلا مصيبة نفسه وجيرانه الأدين .

من تردد تردى :

التردد والتردى من مادة في اللغة واحدة . تكرر تضعيف الدال فاعتلت . وما أشد الصلة بين التضعيف والعلّة . وهما في الأعمال قريبان ، وفي الشدائد حليفان . وقديماً قيل :

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فان فساد الرأى أن ترددا  
الإنسان يفكر ويدبر ، وبعد عدته ، فإذا تهيات الأسباب عزم قضى فبلغ  
غايته . فإن فكر فلم يجزم ، ولبت ككفى الميزان بين الحفة والرجحان ؛ لم يتجاوز  
الفكر إلى الفعل .

وإن جزم ، ثم ثقلت عليه الكلفة ، وبعدت الشقة ، فبقى يرنو إلى المقصود مشتاقا ،  
وينظر إلى الوسيلة لإشفاقا ، تلبد بين الإقدام والإحجام ، ولم يتلبث له الزمان .  
وإن فكر وقدر ، وأعد ودبر ، وتردد بين يومه وغده ، وتعجيله وتأجيله ،  
فهو حرى أن تفوته الفرصة ، فتعقبه غصة .

وجماع هذا الأمر قول القرآن الكريم : « وشاروهم في الأمر ، فإذا عزمت  
فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين » ، والتوكل في لغة الإسلام أن تستمد من الله  
القوة والقدرة ، وقطمخ إلى الغاية لا تبالي بُعد المسافات ، واعتراض العقبات ،  
كأنك نجم في حباكه أو قر في أفلاكه ، لا يقف ولا يبطئ ، ولا يصده شيء .

ألا إن قوام كل أمر ، فكر وجزم ، وهمة وعزم . وليس بعد هؤلاء إلا سبل  
مدلة ، وغاية مكشبة ، وصلة المقدمات والنتائج ، والغايات والوسائل . وآفة  
الأمور عقل نائم ، وفكر غير جازم ، وهمة كليلة ، وعزيمة عليلة ، وتردد ينقض  
كل فكر ، ويحل كل عزم ، ويعطل المقدمات ، ويحول بين الوسائل والغايات .

\* \* \*

العافية :

كلية جامعة محبوبة مباركة ، من ظفر بها فقد ظفر بالحظ الأوفر ، بها يطيب  
كل شيء لمن ذكرها وقدرها ، ويهون كل ماعداها . في قصص الحجاج أنه دعا

في بربة أعرابياً إلى طعامه فقال : إنه صائم ، فقال إنه طعام طيب ، فقال : ما طيبه خبازك ولا طبّاخك ؛ ولكن طيبته العافية ، وسمعت من الكلام المأثور : نعم الآدم العافية ، أى ان الإنسان المعافى لا يحتاج إلى أدام الحُبز ، بل يلد أكله حافاً بالعافية ؟ وأشمل العافية ما جاءت في الكلمة الجامعة : اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة .

والناس لا يقدرّون العافية ما داموا فيها ، كالماء لا يقدره إلا فاقده ، فهو كما قيل : أعزّ مفقود وأهون موجود ، فن رزق العافية الشاملة فاسواها لعب في الحياة ولهو ، إن ناله لها به ولعب ، وإن لم ينله لم يكن حرياً أن يأسى عليه ، واعتبر هذا بالمرضى يهون عليه كل شيء إلا الصحة ، وكل ما يمدّه متاعاً في المعيشة أو جابها وسلطاناً ، قليل حقير في جانب صحته ، وما الصحة إلا بعض العافية .

العافية هي براءة الإنسان من كل ما يكره ، وعلى الحقيقة براءة الإنسان من كل ما يكره العقلاء ، فإن أذى بعض الناس على ما فاته من كنز الأموال ، وسعة السلطان فأخل هذا بعافيته لم يخل هذا بعافية العاقل ، إنما يخل بالعافية قوّة الصحة في البدن ، أو الكفاف في القوّة ، أو الأمن في الجماعة ، أو السلامة في الخلق ، أو قوّة أحد هذه في الأهل والولد والأقرباء ، فن رزق العافية في هؤلاء لم يكن أساء بعد إلا نقصاً في عقله ، ولم تختل عافيته إلا بهذا النقص ، فهو في حاجة إلى أن يعافى منه .

فكرت فيما يحيط بالإنسان من آلام وآمال ، وما يغريه من سمعة وبسطة في الرزق ، وسعة في الجاه ، وسمرت على مطامع الناس وأهواؤهم وما يُعبدّم من الأحقاد والشهوات ، فاستعذت بالله فوجدت أمتع ما أمتنع به وأعز ما ألوذ به وأعوذ : أن أسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة ، والعافية من كل ما ينقص هذه العافية من آفة في الرأى ، وخلل في الفكر .

### عارية :

كثيراً ما قلبت كتباً مخطوطة ، عليها أسماء من ملكها جيلاً بعد جيل ؛ تدخل في ملك إنسان فتخرج إلى ملك غيره ، حتى لنجد الأسماء المتوالية تاريخاً للكتاب أو عبرة للعبير ، أو رثاء للبشر ، وكنت أجد هذه الكلمة على كتب فارسية وتركية قديمة فتبلغ من نفسى ، ويطول فيها تأملى كثيراً : وجدت أصحاب الكتب يتورعون عن أن يسموا أنفسهم مالكين ، ويدركون حقيقة الملك في هذه الدنيا ، فيكتبون : « نوبت عاريت بما رسيد » أى بلغت نوبة العارية ، يعنون أن الكتاب ككل شيء في هذه الدنيا عارية مستردة ، كان الكتاب عارية في يد من سبق وتداوله المستعيرون واحداً بعد واحد ، حتى جاءت نوبة العارية إلى فلان ، وهى حقيقة لا ريب فيها .

كثيراً ما أفكر في الأرض يملكها الإنسان والدور يقننها ، فأقول إنها أبقي من الإنسان وأقدم ، كانت قبله وتبقى بعده ، ويمر بها هو ويزول ، فكيف يملك الإنسان ما هو أثبت منه على الحادثات وأبقى . إنها عوار يبتلى الإنسان بحيازتها والتصرف فيها ، فليجتهد أن يتخذها وسيلة إلى الإصلاح والعمران ، والمواساة والإحسان ، فهى أمانة يسأل عنها ، وابتلاء يجزى به ، إنه مستعير لا مالك ، فليس بخيراً فى الإساءة والإحسان ، والجد والكسل ، والرعاية والإهمال ، فليتخذها فرصة لعلمارة يُجِدُّها ، أو مبرة يصطنعها ، أو يد يتخذها عند من يستحقها من الناس ، إنه لا يملكها فليحذر من أن تملكه هى فتستعبده ، وليذكر الآية الكريمة « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، والآية « هو أشاكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه ، وليذكر الحديث : « ليس لك من مالك إلا ما لبست فألبيت ، أو أكلت فأفانيت ، أو تصدقت فأمضيت ، .

والله ولى الهدى والتوفيق ؟

# نقط على الحُرُوف

## أَوْ مَرْيَدٌ مِنَ الْإِضْطَّاحِ

لمضرة صاحب السعادة العلامة الأستاذ محمد تقي القمي  
السكرتير العام لجماعة التقريب

طبيعي جداً أن يهتم المسلمون بفكرة التقريب هذا الاهتمام ، ويؤيدوها هذا التأييد ، أليسوا هم أول من جربوا أن الفرقة ضعف ، كما أن التكتل قوة ؟ .

وطبيعي أيضاً لفكرة اتسعت دائرتها ، وامتدت آثارها ، وذاع صيتها في كل البلاد الإسلامية ، وبين الطوائف المختلفة ، أن تتساءل بعض الأعلام عنها ، وتستوضح نقاطاً منها ، كما أنه من الطبيعي أن تجد أية فكرة في أولى خطواتها شيئاً من التحامل ، من قلة اعتادوا التسرع في الحكم ، وفي فكرتنا بالذات لعل الداعي مع التسرع هو التعصب الموروث ضد طائفة من الطوائف .

وطبيعي كذلك أن نسر بكل من هذا وذاك لأننا لسنا عن سنة الدعوات بغافلين ، ونرى أن في كل هذا لفتنا للأنظار إلى دعوة هي في الواقع دعوة الفطرة وإلى فكرة هي فكرة الاسلام السليمة ، وأن شأن دعوة كهذه أن تتقبل بأقل تنبيه . فكيفها كان فنحن نرحب بكل ما يكتب حول الفكرة ، ونفيد منه ، فإن كان سؤالاً سقنا جوابه ، وإن كان استيضاحاً أتينا ببيان ، وإن كان تحاملاً على طائفة إسلامية من الطوائف الذين شملتهم جماعتنا ، أحسن المسلمون شدة الحاجة إلى فكرة التقريب ، وأحسننا نحن ضرورة مضاعفة الجهد لبين للناس ما غرض ، ونوضح من الأمور ما استبهم .

ولئن تبارى أصحاب الأقلام المخلصة في تأييد فكرة التقريب - وما أكثرهم -  
 ينصرونها ويشرحون أهدافها ، فإنها لا تزال بحاجة إلى مزيد من الإيضاح ،  
 أو وضع النقطة على الحروف كما يقولون .  
 وهذا ما قصدنا إليه في هذا البحث .

\* \* \*

قال قائل منهم : مادعوة التقريب هذه ؟ وكيف يمكن التقريب بين المذاهب ؟  
 أيريدون من كل طائفة أن تنزل عن بعض ما تراه لتقرب من الأخرى ، وهل  
 ترضى الشيعة بأن تنزل للسنة عن كذا وكذا ، أو ترضى السنة بأن ترى رأى الشيعة  
 في كيت وكيت ؟ .

وإني أقول لهذا القائل وأضرابه ما قلناه من قبل ، وما أعدنا فيه وأبدأنا  
 مراراً : لا يأخى ، فما هذه دعوتنا ، ولا إلى هذا قصدنا .

إنما دعوتنا أن يتحد أهل الإسلام على أصول الإسلام التي لا يكون المسلم  
 مسلماً إلا بها ، وأن ينظروا فيما وراء ذلك نظرة من لا يتغنى العاج والغلب ،  
 ولكن يتغنى الحق والمعرفة الصحيحة ، فإذا استطاعوا أن يصلوا بالإنصاف  
 والحجة البينة إلى الاتفاق في شيء مما اختلفوا فيه ؛ فذاك ، وإلا فليحتفظ كل منهم  
 بما يراه ، وليعذر الآخرين ويحسن الظن بهم ، فإن الخلاف على غير أصول الدين  
 لا يضر بالإيمان ، ولا يخرج المختلفين عن دائرة الإسلام .

\* \* \*

وقال قائل منهم : إن الطوائف الإسلامية مختلفة في بعض المسائل الجوهرية  
 التي تجعل البعد بينهم شاسعاً ، والتقارب بينهم يكاد يكون مستحيلاً .

وإني أقول له : على رسلك ، إن الطوائف التي نعمل على التقريب بينها هي  
 السنة بمذاهبها ، والشيعة الإمامية والشيعة الزيدية ، فهل المسائل التي اختلف فيها  
 هؤلاء مما كثررت به طائفة صاحبها ؟ ولا بد من لا ، فإن أحداً من علماء هذه  
 الطوائف لم يرم طائفة منها بالكفر ، ولم يقذفها بالمرق عن الإسلام ، وما ذلك

إلا لأن الخلاف إنما وقع في غير الأصول ، فليس صحيحاً أنه خلاف في مسائل جوهرية .

ولعل قائل يقول : ما هذه الأصول التي تجعلونها الحد الفاصل بين المسلمين وغيرهم ؟ فأذكر له بعضها على سبيل التمثيل ، لا على سبيل الحصر : فنحن جميعاً نؤمن بالله رباً ، وبمحمد صلى الله عليه وآله نبياً ورسولاً ، وبالقرآن كتاباً ، وبالسكبة قبله وبيتنا محجوجاً ، وبأن الإسلام مبنى على الخمس المعروفة ، وبأنه ليس بعده دين ، ولا بعد رسوله نبي ولا رسول ، وبأن كل ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله حق ، فالساعة حق ، والبعث حق ، والجزاء في الدار الآخرة حق ، والجنة حق ، والنار حق ، ... الخ ، وما اختلفنا فيه من شيء فحكمه إلى الله ورسوله ، أى أننا متفقون على أسلوب الخلاف ، فليس منا من يقول : هذا أمرٌ أمرٌ به الله أو رسوله ، ومع ذلك لا نلتزمه ولا نقول به ، وليس منا من يقول : كلفنا الله أو رسوله أن نؤمن بكذا ومع هذا لا نؤمن به ، وليس منا من ينكر معلوماً من الدين بالضرورة ، وإنما يقول المختلفون : هذا أمر به الله أو أمر به رسوله ، أو هذا لم يأمر به الله ولا رسوله ، أو هذا من المواضع التي يسوغ فيها الاجتهاد ، فالخلاف إنما هو في إثبات أن الله أو رسوله أمرا بهذا الشيء أو لم يأمر به ، مع الاتفاق على أن أمرهما واجب الطاعة على المسلم ، وأن شريعة الله إنما ترجع إلى كتاب الله ، وسنة رسول الله .

وقد قلت إنني لست الآن بصدد استقصاء أصول الإسلام ، فإن كان أحد يعرف شيئاً من أصول الإسلام أنكرته إحدى هذه الطوائف فليدُلنا عليه ، وإن كان أحد يعرف أن إحدى هذه الطوائف زادت في أصول الإسلام ما ليس منها على سبيل اليقين ، مما تعد زيادته كفراً وخروجاً على الملة ، فليأت ببرهانه على ذلك إن كان من الصادقين .

بهذا يتبين أنه ليس من أغراضنا أن يتشيع سني ، أو يتسني شيعي ، بل لو نظرنا إلى أصل التسمية في هذين الاسمين لوجدنا المسلمين كلهم شيعة لأنهم جميعاً يحجون



أهل بيت الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ، ثم لوجدناهم كلهم أهل سنة لأنهم جميعاً يوجبون الأخذ بسنة الرسول متى وردت من طريق معتمد عليه، فنحن جميعاً سنيون ، شيعيون ، قرآنيون ، محمديون .

\* \* \*

وقال قائل منهم : إن جماعة التقريب تريد أن تقرب بين المذاهب الفقهية ، وذلك غير ممكن فإن الشافعية إذا اختلفوا مع الحنفية مثلاً في أن كذا من نواقض الوضوء أو ليس منها ، لم يمكن حمل أحد المذهبين على الرجوع إلى الآخر ، وإذا حكمنا بينهما فرجحنا رأى هؤلاء في مسألة ، ورأى أولئك في أخرى وهكذا ، لم نفعل أكثر من أننا زدنا مذهباً على المذاهب الموجودة فهو تشيع لا تقريب .

وإنى أقول لهذا القائل : إننا لم نجعل من أهدافنا إدماج المذاهب الفقهية بعضها في بعض ، فإن الخلاف أمر طبيعي ، وهو في الفقه مبنى على أصول ومدارك كلها في الدائرة التي أباح الله الاجتهاد فيها ، فلا ضرر منه ، بل فيه خير وسعة ، وتيسير ورحمة .

وهبنا قصدنا إلى التوفيق فما ضرره ؟ ألم يقل الشافعي مثلاً : هذا قولي وما رأيته ، وإذا صح الحديث فهو مذهبي ، واعتبروا بقولي عرض الحائط ، أو لم يرد مثل ذلك عن كل مجتهد ؟ بل أليست هذه هي القاعدة التي أوجبها الله علينا في كتابه إذ يقول : فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ، فطلب إلينا عند الاختلاف أن نرد الأمر إلى الله ورسوله ، والرد إلى الله هو العمل بكتابته ، والرد إلى رسوله هو العمل بسنته .

وهل لذلك من معنى إلا أن يعدل أحد المختلفين عن قوله المخالف لما تبين أنه قول الله أو رسوله إلى قول صاحبه الموافق لهما ، وهل هذا إلا سبيل المؤمنين . ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونفله جهنم وساءت مصيراً .

إن كل مجتهد يرى أن مذهبه الفقهي صواب يحتمل الخطأ ، ومذهب غيره خطأ يحتمل الصواب ، وهذا أعظم ما يتصور من الإنصاف : إنصاف المرء لنفسه ، وإنصافه لغيره .

بيان ذلك أن المجتهد إذا غلب على ظنه بعد البحث في الأدلة أن حكم الله هو كذا وجب عليه الفتوى والعمل به ، لأنه هو الراجح في نظره ، وغيره هو المرجوح وصرح العقل أن يُتمسك بالراجح على المرجوح ، ولكنه مع هذا الإنصاف لعقله ونظره ، لا يفوته إنصاف غيره ، فيقول : إن ما رأيته وقلت به ليس هو اليقين الذي لا يحيص عنه حتماً ، وإنما هو ظني وما رجح لدى ، وهو محتمل للخطأ احتمالاً ضميماً ، ويجوز أن يكون غيري قد تبين أنه الراجح القوي فيجب عليه الأخذ به . فذه هي خطة الإنصاف والسباحة ، وعليها كل المجتهدين في الشريعة الإسلامية ، ومعنى هذا أن هناك أملاً كبيراً في أن يتفق فقهاء في بعض ما اختلفوا فيه حين يدلي كل منهما بما عنده لصاحبه ، فيتكاشفان ويتراجعا .

وهل هذا إلا التقريب ؟

وقال قائل منهم : لقد سمعنا أن من غايات التقريب أن يدرس مذهب الشيعة في الأزهر .

ولاني أقول له : إن من غايات التقريب أن يعرف المسلمون بعضهم بعضاً ، وإن أول من يجب عليهم التعارف هم العلماء وأهل الفكر في كل طائفة ، والعلم لا يصادر ولا يتكتم ، فلا بأس على الشيعة أن يعلوا علم السنة ، وهم يدرسونه فعلاً ، وكثير من مجتهدهم يتوسع في درسه . ويتعمق في بحثه ، ولا بأس على أهل الأزهر أن يعلوا علم الشيعة ، بل ذلك واجبهم الذي يدعوا إليه الإخلاص العلمي ، ولا يكون النظر تاماً إلا به ، أليس الأزهر جامعة علمية أعدت للدرس والبحث ، وشعارها الدليل وما يثبت به النظر السليم ، أو ليست مقارنة المذاهب تدرس بالأزهر منذ عهد المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي ، وهي لا تقيّد بالمذاهب الأربعة ولا بمذاهب أهل السنة ، ولو تقيّد بذلك لما كانت مقارنة

تامة ، بل أليس الأزهر يدرس في إحدى كلياته أقوال الفلاسفة والمعتزلة والجبرية وغيرهم فيحكم في آرائهم الحججة والبرهان ، ويأخذ بما يراه حقاً ، ويبطل ما يراه باطلاً ، فهل يكون الفقه الشيعي الإمامي أو الزيدي أخطر من هذه المذاهب حتى يتحفظ في شأنه هذا التحفظ ؟

ثم ألم تأخذ لجنة الأحوال الشخصية في مصر بأحكام من هذا الفقه ، وفيها صفوة من رجال الأزهر وكبار علمائه ؟

\* \* \*

وفي الوقت الذي يقف فيه هؤلاء من التقريب هذا الموقف ، فيرونه أملاً بعيداً ، ويتخيلون في طريقه ما شاء لهم الخيال من عقبات وأهوال ، لا يتخلو التقريب من أفراد آخرين يقفون على طرف النقيض من هؤلاء ، فيقولون : لماذا تكتفون بالتقريب ؟ وكيف تبذلون في سبيله ما تبذلون من جهود ؟ هلا كانت دعوتكم إلى الاندماج والتوحيد ؟ أليست الأصول واحدة ، وقواعد البحث والنظر واحدة ؟

ولسنا الآن بصدد الرد على هذه الفكرة ، وبيان ما فيها من خطأ ، وما يدعونا إلى رفضها وإبعادها - فقد نفرد لذلك فيما بعد مقالا - وإنما نذكرها لنسجل هذا الاختلاف الواضح بين طرفي النقيض من الفريقين : هل التقريب جراءة واقتحام ، أو تقصير وإحجام ؟

\* \* \*

الحق كل الحق أنه لا ضرر على المسلمين في أن يختلفوا ، فإن الاختلاف سنة من سنن الاجتماع ، ولكن الضرر كل الضرر في أن يقضى بهم الخلاف إلى القطيعة والخروج على مقتضى الأخوة التي أثبتها الله في كتابه العزيز لا على أنها شيء يؤمر به المؤمنون ، ولكن على أنها حقيقة واقعة رضى الناس أم أبوا : إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون ،

# الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية بمصر

لمحاضرة الأستاذ على على منصور

رئيس الدائرة الأولى بمحكمة القضاء الإدارى بمصر

— ٤ —

محصل ما سلف نشره من أبحاث هذا الموضوع :

أسلفنا أن البحث الأول كان في أن الشريعة الإسلامية هي الأصل الأصيل لكل تقنين وتشريع في مصر ، وأن الدستور المصرى يقر هذا النظر ، ولقد تفضلت المجلة مشكورة بنشره في العدد الثالث من السنة الرابعة ص ٢٦ .

وكان البحث الثانى في أن التزامات مصر الدولية لا تحدد من سيادتها وبالتالي لا تحدد من سيادة الشريعة الإسلامية فيها . وقد تفضلت ( رسالة الإسلام ) بنشره في العدد الرابع من السنة الرابعة ص ٤٠٣ وما بعدها .

وكان البحث الثالث والأخير في الرد على دعوى عدم صلاحية أحكام الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان . والكلام فيه من أبواب :

الباب الأول : في صلة الشريعة الإسلامية بما قبلها من شرائع وعلى الاخص القانون الرومانى .

والباب الثانى : في مصادر الشريعة الإسلامية بإيجاز ، وفي أن الاجتهاد وهو أحد مصادرها وسع كل تطور تشريعى . وقد تفضلت المجلة بنشره أيضاً في العدد الأول من السنة الخامسة .

وهذا هو الباب الثالث من البحث الثالث :

### البحث الثالث :

الباب الثالث : في مقارنة بعض أحكام الشريعة الإسلامية ببعض أحكام القوانين الوضعية التي تسود البلاد في هذه الآونة ، من دستورية إلى إدارية ، إلى مدنية ، إلى جنائية ، مع إظهار ما عليه القواعد الشرعية من سمو وشمول ودقة وإحكام ، واتسامها دائماً بالجدّة وملاءمة أحكامها لكل حضارة ولكل بيئة ولكل زمان ومكان .

لست أبغى بهذا البحث أن آتى على جميع أحكام الشريعة الإسلامية فأقارن بينها وبين جميع القوانين الوضعية حتى يبدو للناس ما في ترائنا التشريعى من جمال وجلال وعظمة ، إذ أن ذلك عمل ضخم دونه جهود جماعات من علماء الثقاتين من تهيأت لهم أسباب هذا النوع من الدراسة المقارنة ، وقليل ما هم ، ولعترات قد تبدو من أعمارنا طويلة ولكنها في أعمار الأمم والحضارات ضئيلة وإنما الذى قصدت اليه هو أن أضرب الأمثال ، ففتحاً للباب ، واستنهاضاً للهمم وتقديماً للأسوة والله المستعان وهو ولى التوفيق .

درج فقام القوانين الوضعية على تقسيمها إلى قسمين عامين :

(أولاً) القانون العام : وينتظم (١) القانون الدستورى (٢) القانون الإدارى (٣) القانون الدولى

(ثانياً) القانون الخاص : وينتظم (١) القانون المدنى - والتجارى (٢) قوانين العقوبات (٣) قوانين الإجرامات ومنها قانون المرافعات وقانون تحقيق الجنايات . وبدأت التشريعات الاجتماعية تتميز في العصر الحديث بذاتية خاصة لتكون قسماً ثالثاً وسأسير على النهج في سرد الأمثال والممارنات .

الشريعة والقوانين الدستورية :

(١) مكاة رئيس الدولة :

عمدت جميع الدساتير التي وضعت في مختلف الأمم في القرن الماضى وشرط القرن الحاضر على أن ترتفع برئيس الدولة ملصكا كان أو رئيساً للجمهورية عن

المسئولية ، فجعلت منه إنساناً فوق البشر ، أو على حد تعبيرها فوق القانون ، وذلك على الرغم من حرص كل تلك الدساتير على النص على حقوق الأفراد ، وأهمها المساواة في الحقوق والواجبات وأنهم جميعاً أمام القانون سواء ، ولعمري إنها لمساواة ناقصة لا تنسأى إلى تلك المساواة الحققة الكاملة التي كفلتها الشريعة الإسلامية لجميع الناس حاكمين ومحكومين ، وإليك قبساً من هذا النور هو بعض نوافع الامثال وروائع الآثار .

وقف النبي صلى الله عليه وسلم بين قومه يوماً يقول : من كان له على حق أو ذنب فليطالب به ، فقد أغفل عن بعضه ، فقام إليه أعرابي وقال : لقد تلثني بضربة من درنك وأنت تسوى الصف عند ما كنت تهبثاً للغزو ، فقدم إليه الرسول الدرة وكشف له عن جسده الشريف وقال له : اقتص مني يا هذا فالحياة قصاص ، فقبل الرجل جسد الرسول وقنع بذلك مؤملاً أن يجنب الله فيه عذاب النار بعد أن لامس جسد رسول الله . أفرأيت كيف أن رئيس الدولة سوى بين نفسه وجميع أفراد أمته في المسؤولية الجنائية ، ثم أما سمعت أنه قد جاءه صاحب دين فطالبه به وأغلظ له الكلام ، فهم به بعض الصحابة فهاهم النبي وقال : دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً هلام مع صاحب الحق كنتم ، لا قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قوياً ولا يتعنته .

صحيح أن الدساتير الوضعية بقوانينها جوزت مقاضاة الملك ورئيس الدولة أمام المحاكم في الأمور المدنية خُصب ، ولكنها حفظت لذلك حق التماهي على مجلس القضاء بحيث يوفد إلى المحكمة من يمثله ، ويتنب عنه من يرفع الدعاوى باسمه ، ومن ثم وجدت النظرية القانونية ( لا يجوز لإنسان أن يتقاضى بوكيل إلا الملك ) فكانت صحف الدعاوى المدنية تقدم إلى المحاكم في بلادنا باسم ناظر الخاصة الملكية وما كان يجوز أن يطلب الخصم استدعاء الملك أمام القضاء ليناقشه أو ليوجه إليه التهم الحاسمة مثلاً ؛ أين ذلك من العدالة المطلقة والمساواة الكاملة في الشريعة الإسلامية ، فلا ملك ولا مملوك ، بل الكل أمام الله والقانون سواء ، ولقد كان

خلفاء رسول الله يَمْتَسِلُونَ في مجلس القضاء إذا ما دعوا ، وكان القضاء يَسْتَوُونَ بينهم وبين خصومهم في الخطاب وطريق التداعي وفي المجلس ، فهذا عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين يذهب إلى مجلس القضاء حين قاضاه المصري بطلب أرضا بمحلولان فأذن القاضي - بعد أن أجلس الخصمين أمامه - للمصري بالكلام أولا إذ البينة على من ادعى ، ولم يتكلم الخليفة إلا بعد أن أذن له القاضي ، ثم قضى للمصري ، فقال عمر : إن أرى أنفق عليها ألف ألف درهم في الإصلاح فيقدر القاضي غلة الأرض ويجعل الربع في مقابل الإصلاح .

وهذا أبو جعفر المنصور يقاضيه أحدهم أمام قاضي المدينة ، فيكتب القاضي للخليفة بالحضور ، فحضر وأمر القاضي جلساءه ألا يقوموا للخليفة عند دخوله .

وهذا المأمون يقاضيه أحد أفراد رعيته لدى القاضي فينتظر حتى يجرى دوره فينادى عليه الحاجب فيدخل ، فيطرح بعض أفراد الحاشية مصلى ليجلس عليها الخليفة ، فيقول القاضي : يأمر المؤمنين لا تأخذ على خصمك شرف المجلس ، وأمر فطرح مصلى أخرى ليجلس عليها الخصم مساواة له بالخليفة .

ولعل أروع ما تختتم به الحديث في هذه الناحية ما كان من أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب لعلي بن أبي طالب حين قاضاه اليهودى وراه عمر جالسا فقال له فم يا أبا الحسن وساو خصمك ، وبعد أن قضى بينهما لاحظ شيئا من الألم في وجه علي ، وظن عمر أن عليا تألم لأمره بالوقوف فسأل عليا فقال لا ، بل إن ألمي لأنك لم تسو بيني وبين خصمي فإنك إذ ناديتني كسيتني وقلت يا أبا الحسن ، ولم تكن خصمي بل ناديتني باسمه مجردا ، فلم تسو بيننا .

#### ( ب ) الحريات العامة في الشريعة الإسلامية وفي الدساتير الوضعية :

كفلت الشريعة الإسلامية لبني الإنسان حريتهم الشخصية بأوسع مما خطر على بال واضعي الدساتير العصرية ، وإليك بعض الأمثال :-

الحرية الشخصية : كتب عمر إلى أحد ولاته يقول متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .

حرية الفكر : قال تعالى « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ولم يجد من هذه الحرية المطلقة سوى قول الرسول : ( لا تفكروا في الله فتضلوا وتفكروا في خلق الله » .

حرية القول : وهي جماع ما عرفته الدساتير الحديثة من حرية الكلام وحرية الخطابة ، وحرية الكتابة وحرية النقد ، فقد أمرنا الله أن نصدع بالحق ونأمر بالعدل والإحسان ، ونهى عن المنكر والبغى ، ونحاج بالبين والمنطق ، وندعو إلى ما نعتقد بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولا نفر ظليماً ، ولا نسكت على ضيم أو خسف ، كل ذلك دون أن نقول زوراً ، أو نفتري بهتان ، أو نعصى الله وهذا أبو بكر يقول للناس في أول خطبة له عند ما ولي الخلافة (أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، وهذا ثاني الخلفاء عمر الفاروق يخطب فيقول (من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه ، فرد عليه واحد من عامة الناس ( والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيف ) فحمد الله على أن جعل في الأمة من يقوّم اعوجاج عمر بحد السيف وهو الذي خطب الناس يحثهم على الإقلال من المهور ، فتقول له امرأة من آخر المسجد ( ليس ذاك يا عمر أيعطينا الله بالفنطار وتعطينا بالدينار ) فلم يحفل من مقاطعتها وقولها ، بل قال : أصابت امرأة وأخطأ عمر ... وهو الذي كان يمشى في المدينة فلقبته عجوز فاستوقفته ، وأخذت تبلى عليه إرشاداتها وتنبهه إلى ما تراه حقاً وأوصته بالعدل في الرعية ، فاستولاه منها برمٌ ، ولا أزججه منها نقد .

حرية العمل : وهذه تنظم أكثر ما وسعته الدساتير الوضعية من حرية الاجتماع فقد نهى النبي عن الاجتماع إلى قوم في مجلسهم من غير إذن منهم ، وعن الجلوس بين اثنين بغير رخصة منهم . وكذا حرية المسكن ، فحرمة مصونة في الإسلام ، لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تسألوا ، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا ، ونهى الرسول عن النظر إلى الجيران من منافذ منازلهم ( من نظر إلى كوة جاره فإنما ينظر في النار ) ( من تتبع عورات الناس تتبع الله عوراته ، ومن تتبع الله عوراته فضحه ولو في عقر داره ) . حتى حرية اللباس ، فقد حفظها الإسلام



للناس في حدود هي السكال ، خشية الفتنة والضرر ، فللرجل أن يلبس ما يشاء ما لم يكشف عورة .

ويكره الإسلام للرجل الترف ، فيحرم عليه لبس الحرير والتختم بالذهب ، ولا يكرههم ما للمرأة ، ولها أن تتخير ملابسها كما تشاء بشرط أن تكون سائرة للعورات ، لا تشف ولا تفسر ، فوى ان شفت عما تحبها أو كانت من الضيق بحيث تفسر تقاطع جسم المرأة ، فهي بمثابة للكشف عن العورات وهو حرام ... ومنها أيضاً حرية التنقل ، بل إن الهجرة والتنقل مأمور بها في الإسلام . هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ، د قل سيروا في الأرض ، د قالوا اكفروا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكسر أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، .

حرية العقيدة : أمرنا الإسلام أن ندع أهل الأديان الأخرى ، ونضمن لهم حرية إقامة شعائرهم وعباداتهم مقابل أن يدفعوا الجزية ، وهى شبيهة بالضرائب التى يدفعها لحزاة الدولة المواطنون من ذوى الأديان الأخرى ، بل أمرنا أن ندع لهم الحرية في أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية ، وأن لا نقيم عليهم من الحدود إلا ما كان خاصاً بحقوق العقباد ، أما ما كان خاصاً بحقوق الله فأمره إلى الله ، وألا نجادلهم في دينهم مجادلة تخرج عن الرفق بهم ، ونفضى إلى إساءتهم ، ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن ، د ولما أولياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ، .

واقدر ظن بعض المشرعين الحاليين أن هذه الحرية : حرية العقيدة تنسج للمسلم في أن يرتد عن دينه ، واقدر فندنا هذا الزعم الخاطيء في البحث الاول الذى نشر في مجلة (رسالة الإسلام) بالعدد الثالث من السنة الرابعة ص ٢٦٠ وما بعدها . وفي البحث الثانى الذى نشر في المجلة نفسها في العدد الرابع من السنة الرابعة ص ٤٠٣ وما بعدها .

بل ذهب الإسلام في تقديس حرية العقيدة إلى أن أمرنا أن نعامل المجوس كما نعامل الكتابيين في هذا الصدد ، فقد جاء في حديث على عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ ) .

## الشريعة الإسلامية والقانون الإداري :

### ( ١ ) نظرية الصالح العام :

من أهم النظريات الحديثة في القانون الإداري أن جميع تصرفات الحكام يجب أن ترمى إلى رعاية الصالح العام : صالح الجماعة ، من إيصال الحق أو دفع الباطل ، وفرعوا على ذلك بطلان تصرفات الحكام ولو كانت موافقة للقانون من ناحية الشكل والموضوع إذا ما انحرف الحاكم بسلطانه وبالقانون عما أعد له ، العيب الذي يشوب مثل هذه التصرفات وبطلانها هو عيب إساءة استعمال السلطة ، وعما فرعه على ذلك أيضاً إهدار المصلحة الشخصية في سبيل رعاية المصلحة العامة ، وهذه النظرية قديمة عريقة في القدم في الشريعة الإسلامية ، ويسمونها فقهاؤنا : ( باب رعاية المصلحة ) وفي كنف هذه النظرية واستعمالها لها عطل عمر بعض الحدود عام الجماعة ، كيف يقيم حد السرقة مثلاً على جائع كادت تهلك الجماعة فسرق لدفع الهلكة عن نفسه ، لا ضرر ولا ضرار في الإسلام ، والضرورات تبيح المحظورات ، وقد فعل مثل ذلك مقتدياً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص حين كان يقود المسلمين في حرب القادسية ، إذ كان قد قيد أباً محجن توطئة لإقامة حد شرب الخمر عليه وهو الجلد ، ولما كان أبو محجن قد أبلى بلاء حسناً في تلك الحملة راجع سعد نفسه ورأى من الصالح العام أن يعفو عنه وقاله في ذلك معروفة : « لا والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى الله على يديه للمسلمين ما أبلى ، وأطلقته ، فنظر أبو محجن في أمر نفسه وتاب عن شربها وقال : « كنت أشربها حيث كان الحد يقام عليّ ، وأطهر منها ومن لثمتها . أما اليوم فوالله لا أشربها أبداً . » ( ص ٢٧ الخراج ) .

### ( ب ) ولاية الوظائف العامة حق سواء للكفاءة القادرين الصالحين :

#### لا محسوبية ولا قرابة ولا غرض ولا هوى ولا حزية :

وهذا الرسول الكريم يضرب أروع الأمثال في ذلك ، فقد ذهب إلى عمه العباس وهو من هو بلاءً وذوداً عن حياض النبي وعن الإسلام ، فهو الذي سمع

يوما أن أبا جهل آذى ابن أخيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأخش له القول ، ولم يكن العباس قد أسلم بعد ، فذهب من ساعته الى حيث كان أبو جهل ورد له الشتم صاعاً بصاع ، وضربه في رأسه بالقوس فشجّه شجاً عميقاً وتركه بين الناس أشد ما يكون مهانة . ذهب هذا العم المجاهد إلى الرسول يطلب منه أن يولية ولاية فنظر النبي فرأى المصلحة ألا يولى العباس هذه الولاية ، فلم تشفع لديه عمومة العباس ولا سابق فضله لأن الأمر يس صالح المسلمين عامة ، فقال له : يا عم نفس تحيها خير من ولاية لا تخصها ، وفي حديث آخر لمسلم عن أبي ذر أنه ذهب إلى رسول الله طالباً منه أن يعينه عاملاً على إحدى الولايات ، وجرى الحديث بينهما على هذا النسق ، قال أبو ذر : قلت يا رسول الله ألا تستعلمني ؟ فضرب بيديه على منكبي ثم قال : يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها ووفى الذي عليه فيها ، أو سمعت أروع من ذلك إن ولاية الوظائف العامة في الدولة أمانة في يد الخلفاء والوزراء وكبار الحكام لا تعطى إلا للأقوياء ، وكان أبو ذر أضعف من أن يحمل هذه الأمانة التي سيأل عنها يوم القيامة ولن يجد ثم سوى الخزي والندامة لأنه بضعفه لن يؤديها خير الأداء وهكذا بصره النبي بمستقبل أمره ، وحال بينه وبين تلك الوظيفة العامة التي يجب أن تترك لمن يأخذها بحقها ، أي وهو مستحق لها ، قادر على أن يؤتي ما عليه فيها من واجبات ، وجاء في مسند أحمد أن رسول الله قال في هذا الشأن : ( من أولى من أمور المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً بحبابة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ) وأريت كيف أن مجرد تعيين موظف عام عن طريق المحاباة دون كفاية كاف لأن يحبط عمل من ولاءه ، وزيراً كان أو رئيساً فلا يقبل الله منه شيئاً ، فهو ملعون مطروء من رحمة الله ، وأفند روى أن بعض الخلفاء طلب إليه أن يزيد في راتب أحد العمال فأنهر محدثه وقال : أو ما سمعت أن رسول الله قال : ( الرجل وقدمه والرجل وعمله ) ، هذه قواعد الترقية في الوظائف العامة ، قد سنّها الرسول ورتبها بحسب الأقدمية والكفاية منذ نيف وثلاثمائة وألف عام .

(ج) نظرية الخطأ الشخصي والخطأ المصلحي :

حاصلها في عرف القانون الوضعي الإداري أن الموظف العام ، إذا ارتكب خطأ أو خطيئة خارج نطاق عمل وظيفته ، فهذا خطأ شخصي يسأل عنه وحده دون مسؤولية على الجماعة أو الدولة ، وكذلك الحال إذا أتى خطأ ولو وقت عمله الوظيفي ، وكانت القوانين واللوائح تحرم عليه إتيانه - أما إذا ارتكب أمراً تحت مظنة أن القوانين واللوائح في نصوصها تنسج له أو كان الخطأ قد وقع منه بسبب أعمال وظيفته ، وأثناء قيامه بتلك الأعمال ، فهذا خطأ مصلحي تسأل عنه الحكومة أو الدولة منفردة في بعض الأعمال ، ومشتركة بالتضامن مع موظفيها النخطي . في بعض الحالات الأخرى .

ومنذ هذه النظرية الإسلام منذ صدره الأول ، فقد كان أبو بكر يحمل بيت المال ( خزانة الدولة ) تضمنين أخطاء عماله في سبيل قيامهم بواجبات وظائفهم ، وذلك أن القائد خالد بن الوليد لما قتل متمم بن نويره خطأ لم يؤاخذه أبو بكر وودى القتل من بيت المال ( دفع دينه ) وذهب عمر بن الخطاب إلى غير ما رأى أبو بكر ، فكان يقتص من عماله ويحملهم دون بيت المال مسؤولية جميع أخطائهم ، وكان يقول في ذلك ( إني لم آمرهم بالتعدي فهم أثناءه يعملون لأنفسهم لآلى ) .

(د) نظرية الضرورة :

كثر الحديث عن هذه النظرية في هذه الأيام ، ويكثر الحديث عنها كلما أعوز المشرعين النصوص الأهلية في الدساتير الوضعية لمواجهة حالات طارئة تحتاج إلى تشريع خاص فرجعوا بذلك إلى أصلها في الشريعة الإسلامية ، فهي أسبق التشريعات في إقرار هذه النظرية ، وعليها فرع فقهاء الشريعة قواعدهم المعروفة (الضرورات تبيح المحظورات) (الضرورة تقدر بقدرها) .

والقاعدة الأولى مستمدة من نصوص في القرآن ، كقوله تعالى ( فن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ) وذهب الإسلام في ذلك إلى أبعد الحدود حيث

أباح للإسلم أن ينكر إسلامه ويوالى غير المسلم عند الضرورة ، فقال الله تعالى :  
 « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » ، ومن ذلك ما روى من أن رجلاً جامع  
 زوجته في رمضان وهو صائم فطلب النبي منه أداء الكفارة ، وهى إطعام ستين  
 مسكيناً ، فإذا هو فقير لا يستطيع ذلك ، فأتاه الرسول بزييل فيه تمر مهدى إليه  
 وقال له تصدق به ، فقال الرجل : إني أحق به من غيرى ، فليس فى المدينة من هو  
 أفقر منى ، فأجاز له النبي أكله ، وجعل ذلك كفارة له نظراً للضرورة التى تلبس  
 بها الرجل

ومن الحالات التى احترم الإسلام فيها الضرورة ، أنه رسم للصلاة نظاماً  
 ورخص فى السفر الذى هو مظنة المشقة بقصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين فقط ،  
 كما أباح جمع صلاتين فى وقت واحد فى حالة ضرورة معينة وشروط بعينها ، فنصح  
 صلاة العصر بمجموعة إلى صلاة الظهر فى وقت الظهر ، وبعض المذاهب الفقهية  
 يتوسع فى ذلك ، فلا يقيد بحالات معينة ، والصلاة لا يدخلها إلا متوضىء وعند  
 الضرورة وعدم وجود الماء أو عدم القدرة على استعماله . استعصى عنه بالتيمم ،  
 وكمن حرمت حرماً الإسلام فى السعة وأباحها عند الضرورة ، كأكل الميتة  
 ولحم الخنزير .

ولكن فقهاء الشريعة الإسلامية لم يدعوا الأمر على إطلاقه ، فكما قالوا إن  
 الضرورات تبيح المحظورات ، قالوا : إن الضرورة يجب أن تقدر بقدرها ، حتى  
 لا يجرؤ الناس على الاستهانة بأحكام الشريعة ، ولذلك كان بعض العلماء لا يبيع  
 التيمم لبرودة الماء برودة عادية ، إذ لم يعتبروها ضرورة ، وإنما ضبطوا الأمر  
 بأن يؤدى ذلك إلى مرض المتوضىء أو تأخر برئه .

#### ( هـ ) جريمة استغلال النفوذ وبعض العقوبات التأديبية :

كتب عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين إلى عماله وولاته على الأمصار يحرم  
 عليهم استغلال نفوذهم أو سلطات وظائفهم لجر مغنم أو نفع شخصى والكتاب  
 طويل منه : « ونرى ألا ينجرّ لإمام ولا يحل لعامل تجارة فى سلطانه الذى هو عليه

فإن الوالى متى يتجرب ستأثر ويصعب أمورا فيها عنت مهما حرص على أن لا يفعل . .  
وقد بدأ عمر بن عبد العزيز بنفسه ليكون أسوة للعالم والولاية ، فلما وصله  
الوطب من أمير الأردن ، وعلم أنه جاء على دواب البريد ، أمر ببيعها وجعل ثمنه  
فى علف تلك الدواب ؛ ولما وفد عليه البريد ليلا جلس إلى عامله يسأله أخبار  
الرعية فى ذلك القطر الثانى ، حتى اذا انتهى من تصريف أمورها وبدأ العامل ،  
وكان من ذوى قرياه يسأل عمر عن حاله وحال عياله ، قام إلى الشمعة فأطفأها ،  
وأمر غلامه بالسراج فأرقده لأن الشمعة من بيت المال فوجب أن ينتهى عملها  
باتتهاء أعمال الدولة ؛ وقدم هذا الوالى الذى يمت لعمر بصلة القرى تفاحات  
استقدمها من الشام ، فأبى أن يقبلها ، فقال له عامله : لقد كان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقبل الهدية ، فقال عمر : هى لرسول الله هدية ولنا رشوة فلا حاجة  
لى بها ؛ وافد تشدد عمر فى أن يبعد عن نفسه وذويه كل شبهة من شبهات استغلال  
النفوذ مهما ضوكت ، فعند ما ولى الخلافة نزل عن جميع ما ورث ووضع فى بيت  
مال المسلمين ، وقدر ذلك بخمسة وعشرين ألف دينار ، وذلك خشية أن يكون  
من ورثوه هذا المال من الخلفاء لم يتحروا فيه الكسب الحلال المحض ، ولم يبق  
عمر لنفسه سوى أرض بالسويداء كان قد كسبها بجهد قبل أن يتولى أمر المسلمين  
تم عمد إلى حلى زوجته التى زفت إليه بها ، فوضعها فى بيت المال وقال لها :  
( أما ما علمت حال هذا الجوهر وما صنع فيه أبوك ومن أين أصابه ، فهل لك  
أن أجعله فى أقصى بيت المال ، وأنفق على المسلمين ما دونه ، فإن خلصت إليه  
انفقته ، وإن مت قبل ذلك فلعلمهم يردونه إليك ) فأقرته على ذلك ، فلما مات ولى  
الخلافة بعده أخوها يزيد بن عبد الملك فهم برده إليها فأبى احتراماً لارادة زوجها  
ولإبعاداً للشبهة عن نفسها .

وقصة عمر مع عمته معروفة ، فقد وفدت إليه تشكو من أنه قطع عنها روائها  
الضخمة التى رتبها لها من بيت المال الخلفاء السابقون ، فلما أنت داره إذا بين  
يديه أقراص من خبز وشئ من ملح وزيت يتعشى بها ، فقالت يا أمير المؤمنين :

أنيت لحاجة لى ، ثم رأيت ان ابدأ بك ، قال : وما ذاك يا عمة ، قالت : لو اتخذت لك طعاما ألين من هذا ، فابتسم وقال : ليس عندى غيره يا عمة .

هذا وقد وسعت الشريعة الإسلامية ما نعرف اليوم بالعقوبات التأديبية التى توقع على الموظفين والخدم ، فنها كما جاء فى شرح الكنز للشبىخ العبى ج ١ : ص ٢٣٤ التوبىخ بالكلام العنيف والاذار بعد الإعذار ، والنظر إليه من القاضى أو الرئيس بوجه عبوس ، وهو للخدم بالضرب الخفيف وبتعريك الآذان ، وعن أبى يوسف أن التعزىز بأخذ الأموال جائز ، وهو ما يعرف اليوم بالغرامات التأديبية وخصم شىء من رواتب الموظفين عقوبة لهم .

#### ( و ) مجلس الدولة فى الإسلام — دار الشورى فى الأندلس :

الشورى أساس من أم أسس جمىع النظم فى الدولة الإسلامية ومكاة أهل الصفة فى زمن الرسول معروفة ، وكان أبو بكر يلجأ إلى الصحابة والعلماء لىتشىرم فىما غم عليه إن لم يجد فى الكتاب أو السنة نصاً ، وزاد عمر على ذلك أن كان يسأل عن سابقة رأى لأبى بكر قبل أن يشاور العلماء .

وأصل هذه القاعدة مرده إلى القرآن « وشاورهم فى الأمر ، . . . ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلبه الذين يستنبطونه منهم ، ولكثرة العلماء والفقهاء فى عصور الإسلام الأولى لم يستدع الأمر تدوين فتاواهم وآراءهم ، فلما أن جاءت الدولة الأموية فى الأندلس عنيت بأمر هذه الناحية التشريعية ، وأنشأت مجلساً يسمى مجلس المشاورىن ، وكان العضو فىه يسمى ( مشاوراً ) وقد كملت عدتهم فى زمن الناصر ستة عشر مشاوراً ، منهم الفقيه أبو لإبراهىم التجبى ( الفكر السامى ص ١١٤ ، ونفع الطىب ص ١٧٥ ج ١ ) وخصصت لهؤلاء المشاورىن دار فى قرطبة ، كما قال صاحب كتاب قضاء الجماعة ، وورد ذكرهم كثيراً فى تراجم كبار الفقهاء كقولهم : كان فلان مشاوراً ، وطلب فلان إلى الشورى فأبى ، وفى كتاب تبصرة الحكام درر من فتاوى مجلس المشاورىن وهو أشبه ما يكون بمجلس الدولة فى عصرنا الحاضر .

# من أصول الشيعة الإمامية

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد جواد مغنیه  
رئيس المحكمة الشرعية الجعفرية العليا ببيروت

يتساءل البعض : لقد انقطع دابر الساسة الذين فرقوا المسلمين إلى مذاهب ، فكيف بقى هذا الانقسام ، وقد زالت أسبابه ؟

أجل ، إن الانقسام كان فى بدئه عرضيا - وما زال - ولكن سرعان ماتحول إلى انقسام جوهري عند الكثير من رجال المذاهب ، فظنوا أن الاختلاف فى الفروع والاعتبارات اختلاف فى الأصل والجوهر ، وما زال أثر هذا الظن الحاطى حتى اليوم ، على أن عمل الساسة فى كل عصر يرتكز على بث روح العداوة والتعصب عن طريق الأديان وغير الأديان ، وهذا هو السبب لاستمرار الانقسام والشقاق .

والغريب أن هذه الحقيقة يقرها الكثير من حملة الأقلام ، ولكنهم يذهبون عنها وعن أنفسهم إذا وقع نظرم على اختلاف يسير بين فقيهين من مذهبين ، فيجعلونه اختلافا دينيا ، لا نظريا .

وأغرب من ذلك أن ينسبوا لأحد المذاهب قولاً لم يقل به أحد من أتباع ذلك المذهب ، أو قال به فرد أو أفراد خالفهم فيه أكثر فقهاء المذهب نفسه ، فينسبون إلى أهل السنة أجمعين قولاً للأحناف ، أو لفقيه منهم ، وينسبون إلى الشيعة كافة ، بما فيهم الإمامية ، قولاً لغلالة الشيعة ، أو لفقيه من الإمامية خالف علماءهم جميعاً ، بل قد ينسبون إلى الشيعة قولاً للجاهل لا يفهم عن التشيع شيئا .

هذا ، والمعروف من مذهب الإمامية القول بفتح باب الاجتهاد ، ولازم



ذلك أن قول مجتهد أو جماعة من المجتهدين ، لا يكون حجة على الآخرين ، فمن الخطأ أن ينسب إلى مذهب الإمامية قول وجد في كتاب عالم منهم ، ومن عرف طريقهم ، وتتبع كلمات علمائهم ، تجلت له هذه الحقيقة بأوضح معانيها .

وعند الشيعة الإمامية كتب أربعة للمحمدين الثلاثة : محمد الكلي ، ومحمد الصدوق ، ومحمد الطوسي ، وهي : الاستبصار ، ومن لا يحضره الفقيه ، والكافي ، والتهذيب ، وهذه الكتب عند الشيعة تشبه الصحاح عند السنة ، ومع ذلك يقول الشيخ جعفر كاشف الغطاء في كتابه « كشف الغطاء » صفحة ٤ : « الحمدون الثلاثة رضوان الله عليهم كيف يعول في تحصيل العلم عليهم ، وبعضهم يكذب رواية بعض بتكذيب بعض الرواة .. وما استندوا إليه مما ذكروا في أوائل الكتب الأربعة من أنهم لا يروون إلا ما هو حجة بينهم وبين الله ، أو ما يكون من القسم المعلوم دون المظنون ، فبناء على ظاهره لا يقتضى حصول العلم بالنسبة إلينا ، لأن علمهم لا يؤثر في علمنا ... » وإذا كانت هذه الكتب الأربعة لا يعول عليها إلا بعد نقدها حديثاً حديثاً ، وخصها دلالة وسندا ، فكيف ينسب إلى الشيعة مالم يؤمن به الكل أو الجمل ؟

فإذا أراد الكاتب أن ينسب لأحد المذاهب أصلاً أو فرعاً يجب عليه قبل كل شيء أن يكون على معرفة بأقوال علماء المذهب واصطلاحاتهم وطريقتهم في تقرير الأصول ، واستنباط الفروع ، وأن ينقل عن يعبر عن عقيدة الطائفة دون تعصب لها أو على غيرها من الطوائف .

على هذا الأساس ، أساس النقل عن المرجع الذي اتفقت كلمة علماء المذهب على فضله وإخلاصه للدين ، والتجرد للحق ، نقل جملة من أصول مذهب الإمامية التي كثر حولها القيل والقال ، ونسبت إليهم على غير وجهها جهلاً من الناقل ، أو نقلاً عن جاهل ، أو عالم متعصب .

#### معنى الإسلام :

قال الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس سره في كتابه : « كشف الغطاء » باب الاجتهاد صفحة ٣٩٨ : « يتحقق الإسلام بقول أشهد أن لا إله إلا الله ،

محمد رسول الله ، أو بما يرادفه من أى لغة كانت ، وبأى لفظ كان ، فمن قاله  
 «حكم بإسلامه ، ولا يسأل عن صفات نبوتية ولا سلبية ، ولا عن دلائل التوحيد ،  
 وشواهد الرسالة (١) .

### معنى العصمة :

تضاربت الأقوال في تفسير العصمة ، فمنهم من قال : إن المعصوم يفعل الطاعة  
 مع عدم قدرته على المعصية ، فهو مجبر على فعل الحسن ، وترك القبيح ، ومنهم من  
 قال : إن للمعصوم غريزة تردعه عن المعصية ، كما تردع غريزة الشجاعة عن الفرار ،  
 وغريزة الكرم عن الإمساك ، وقال نصير الدين الطوسي في كتاب التجريد صفحة  
 ٢٢٨ طبع العرفان : « المعصوم قادر على فعل المعصية ، وإلا لم يستحق المدح على  
 تركها ، ولا الثواب ، ولعل الثواب والعقاب في حقه فكان خارجاً عن التكليف  
 وذلك باطل بالإجماع والنقل (٢) ، وقال الشيخ المفيد : « ليست العصمة مانعة  
 من القدرة على القبيح ، ولا مضطرة للمعصوم إلى الحسن ، ولا ملجئة إليه ، (٣)  
 وعلى هذا يكون معنى العصمة عند الإمامية أن المعصوم يفعل الواجب مع قدرته  
 على تركه ، ويترك المحرم مع قدرته على فعله ، ولكنه مع ذلك لم يترك واجباً ،  
 ولم يفعل محرماً .

### الغلو :

قال الشيخ المفيد : الغلاة من المنتظمين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين على  
 ابن أبي طالب والأئمة من ذريته إلى الألوهية والنبوة ، ووصفوه من الفضل في الدين  
 والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد ، وخرجوا عن القصد ، فهم ضلال كفار ، (٤) ؟

(١) الشيخ جعفر كاشف الغطاء شيخ الشيعة الإمامية ، انتهت إليه رئاسة المذهب  
 في زمانه ، له كتاب : « بنية الطالب » و « رسالة العقائد الجعفرية » وغير ذلك .  
 توفي سنة ١٢٢٨ هجرية . (٢) نصير الدين الطوسي الحجة الكبرى لمذهب الإمامية ،  
 ومن كبار فلاسفة الإسلام توفي سنة ٦٧٢ هجرية . (٣) كتاب « شرح عقائد الصدوق »  
 للشيخ المفيد ص ٦١ طبعة ثانية تبريز ، والمفيد شيخ مشايخ الإمامية ، وأستاذ الشريفين .  
 المرتضى والرضي ، توفي سنة ٤١٣ هجرية . (٤) نفس المرجع ص ٦٣

# قال شيخنا

حضرة الطاب الفاضل الأستاذ أحمد محمد برى

قال شيخنا :

عفاريتاً علىّ وأكل مالى وحلماً عن أناس آخرين  
فملاً غير عمكو ظلمتم إذا ما كنتمو متظلينا  
فلو كنتم لكيسة أكاست وكيس الام أكيس للبنينا  
وكان لنا فزارة عم سوء وكنت له كشر بنى الاخينا

يجهلون على عمهم ويأكلون ماله . وإذا عدا عليهم أناس آخرون ظلم ومغفرة :  
لله در أمكم هلا ظلمتم غير عمكم إن كنتم لابد متظلين ؟ لقد ولدتم أم غير كيسة  
فكيف تكونون أكياساً ؟

قلت : لنقف عند « عم السوء » و « شر بنى الاخينا » ، فهو يعنى :  
« شر بنى الاخ » ، فد الكسرة مدأ بالغا حتى أنجبت الياء ، ولم يكفه هذا بل أضاف  
نوفاً فتحها مطلقاً الفتحة لإطلاقاً ، أو قل هو « طلق » - تمخض عن ألف « الاخينا » .

ولذا كانت الضرورات تبيح المحظورات ، فما كنت أحسبها بالغة هذا الحد :  
لقد يستباح أن يقصر الشاعر أو يمد أو يستبدل فتحة بكسرة : أما أن يخلق النون  
خلقاً ليسوق الأخ أو « الاخينا » مع « البنينا » و « متظلينا » و « آخرين » ، فقيح .

قال : حسبك سخرية غير متبصرة ، فما ثم ضرورة قبيحة أو مليحة ، وإنما  
هى طريقة من طرائق القول عندهم ، شعراً كان أو نثراً ؛ وإلا فما قولك فى قوله

تعالى : « سلام على إلياسين ... » أفلم تستبدل بفتحة « الياس » كسرة تمتد فتتجيب ياء تلحق بها هذه النون المفتوحة التي رأيتها - على غير علم - ضرورة في « الأخينا » ؟

إنى لأحسبها قاعدة عامة في مثل هذه الأحوال ، وإن للنون ومنها - التنوين - لمكانا ملحوظا في لغة القرآن المبين ، أعنى لغة العرب ، فهو مثلها الأعلى فيما يرى الكافرون والمؤمنون .

إن لا ثريب على القائل « كشر بنى الأخينا » أو كما قال الآخر :

أقلى اللوم عاذل والعتابن وقولى إن أصبت لقد أصابن

ألم تسمع الأعلام « حسنين » و « محمدين » و « عوضين » وأشباهاها . لقد يكون الأصل فيها أن الاسم « حسن » أو « محمد » أو « عوض » جاء في نثر أو شعروبه « نون » متبعة كنون « إلياسين » فتوهم اسما هكذا وضعه ، فجرت التسمية كما هي الآن ، وتنوسى الأصل . لقد كان الوهم منشأ أسماء كثيرة منها « ياسين » ، فيما أرى ، فهي بداية إحدى سور القرآن كما تعلم ، ولكنهم توهموها اسما ودرج الناس على أن يسموا أبناءهم « ياسين » ولعلك تذكر « الحواميم » في لغة « الكتاب » ، فهي علم على مجموعة من السور تبدأ كلها بـ « حم » . لقد كان يمكننا أن نسمى الناس « حم » ، فيكون عندنا الشيخ « حم » ، كالشيخ « يس » ، مثلا . قلت . في قول الشاعر « إذا ما كنتمو متظلمينا » نظر ، فهو يعنى بالمتظلمين الظالمين أو المعتدين ، في حين أن التظلم في اللغة الرسمية ، بل في لغة بعض الكرام الكاتبين من الصحفيين ، هو الشكوى .

فتحن نقول « تظلم فلان من كذا » أى رفع ظلامته منه ، ولقد قرأت اليوم في إحدى الصحف « فتح باب التظلم » وليس المقصود بطبيعة الحال « فتح باب الظلم أو الاعتداء » .

قال . لو سمع قائل « إذا ما كنتمو متظلمينا » عبارة « فتح باب التظلم » فربما حسبها إذنا في الاعتداء . ألا فلتفعلوا عن هذا التعبير سواء أكنتم صحفيين أم كتبة في الدواوين .

قلت : أفقولي ، تظلمت من فلان ، خطأ ؟

قال : ليس خطأ ، فالفعل مشترك . هو ، متعديا ، كقولك ، تظلمته ، يعنى الاعتداء وغير متعد أو إن شئت متعديا بالحرف كقولك ، تظلمت منه ، يعنى ، شكوت ظله ، . وإليك قول صاحب القاموس المحيط ، الظلم بالضم وضع الشيء في غير موضعه ، والمصدر الحقيقي الظلم بالفتح ، ظلم يظلم ظلما بالفتح فهو ظالم وظلوم ، وظلمه حقه وتظلمه إياه ، وتظلم أحال الظلم على نفسه ومنه شكاً من ظلمه ، قلت : حسبي من ظلم وتظلم . والحاصل أن تعبيرنا صحيح ، وقد تظلمونا إذ تأمرون بالإقلاع عن تعبير صحيح .

قال : إن إقلاعه عن استعمال التظلم بمعنى الشكوى أهون على من جهل المعنى الآخر في قوله ، إذا ما كنتمو متظلمينا ، ومع هذا هبها إحدى عثرائى . وتالله ما أكثر عثرات الشيوخ .

قلت : وتالله ما أبعد أثرها السىء ، فهى تجر عثرات آخرين يسعون وراء الشيوخ باعتبارهم الهداة المرشدين .

هأنت ذا تعظ شيخك ، فالعجب لزمان يهتدى فيه الشيوخ بهدى الشباب ! . اجعل على ما شاء لك الجهل ، فلقد جهلنا عليكم وبكم ، فحق علينا أن نجنى ثمار غرسنا .

قلت : يبدو أنه عود على يده ، فلقد انتهينا في حديثنا السالف إلى علم الجاهل أو جهل العلماء . ولقد رجعت إلى أصحاب اللغة فوجدتهم يقولون . جهله جهلا وجهالة ضد علمه ، وجهل عليه أظهر الجهل ، وما عثرت على وجهالة ، تحمل معنى قد يتحقق فيمن يوصف بأنه عالم ، فيصح أن أتحدث عن علم الجاهل أو جهل العلماء . قال : لست أدري أبحث مستقصيا محصيا ، أم نظرت في مرجع بعينه فحسبت أنك رجعت إلى أصحاب اللغة وأخطت .

ولأنه لكاف شاف أن أرجع إلى محفوظك أنت في الشعر العربى ؛ انشدنى أى شعر يتضمن جهل أو ما اشتق منها .

قلت : أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكمو تشفى من الكلب

ولن يلبث الجبال أن يتضموا أخا الحلم ما لم يستعن بجهول  
 ألا لا يجهل أحـد علينا فجهل فوق جهل الجاهلينا  
 أعلامنا تزن الجبال رزاة ويفوق جاهلنا فعال الجهل  
 أظن الجهل دل على قومي وقد يستجمل الرجل الحلم  
 قال : قدنى وكفى . فإن الجهل فى كل ما أنشدت قد يتحقق فى أعلم العلماء  
 وأفقه الفقهاء ، ألا تراه يضاد الحلم ، فهو سفه وحلم وعدوان ، وما شئت من  
 هذه الألوان .

كن من علماء الذرة أو من أصحاب الخبر والسير أو من الأدباء أو كن كل  
 هذا ، فأنت معه قد تكون من يتحدث إليه زهير بن أبى سلى إذ يقول :  
 إذا أنت لم تقصر عن الجهل والحنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل  
 والظاهر أن أصحاب اللغة لم يخدموا مادة جهل ، خدمتها المستحقة ، ولعل  
 معانيها كانت من المعروف ، الذى لا يعرف ، كانت كذلك أيام صنفوا وألفوا ،  
 وإلا فإن الجهل فى أكثر ما حفظنا من مآثور اللغة العربية إنما هو السفه  
 والعدوان وما إليهما ... والجاهلية أراها فى لغة الإسلام تعنى جهل العلوم  
 الإنسانية التى كانت معروفة آنذاك ؟ .

لقد كان أحد أئمة الكفر على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام مؤرخاً يحدث  
 الناس عن الأكاسرة والقيصرة ، بل كان مع هذا يسخر من النبي الأمى ومن  
 القرآن فى معرض الحديث عن عاد وثمود ، وإرم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها  
 فى البلاد ، فتلك هى أساطير الأولين فيما يرى شيخ العرب المؤرخ الجاهل المنسوب  
 بحق إلى الجاهلية الجهلاء ، ألا ترى جهل العلماء ؟ ألا ترى من حقا أن تتحدث  
 عن علم الجهلاء أو جهل العلماء ؟ .

لقد وصف أعرابى رجلاً عالماً سفيهاً أو قل جاهلاً فقال : هو ذو أدب  
 وافر وعقل نافر .

قلت : إذا كانت الفكرة تدعى كما يقول أصحاب علم النفس فلقد حدثنى

نفسى بما كان من شأن الجاهلية والامة الإسلامية ... وإذا كان مؤدى الجهل شيئاً آخر غير الذى علمونا ونحن تلاميذ ، وإذا كانت معرفة الشيخ العربى القرشى لم تنف عنه الجهل والنسبة إلى الجاهلية ، فلم لا نكون الآن نحن الامة الإسلامية فى حال تشبه تلك التى كانت أيام نهاية الجاهلية وبداية الإسلام .

لقد كان الجهل أو السفه أو العدوان قاعدة الحياة العربية خاصة ، والحياة الإنسانية عامة ، فكانت الفرقة والاختلاف ، فلما جاء الإسلام ، ونقض قاعدة الجاهلية استبدل بالفرقة والاختلاف ، الوحدة والاتلاف ، أفلسنا أمة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ؟ كذلك أمر الله ، وكذلك كنا ، بيد أن الأيام لم تطل حتى تفرقت الكلمة ، وأصبحنا أمماً أو شيعاً ومذاهب لا يجمعها سبب ، وهى - علم الله - ذات نسب واحد ، أفليس عجيباً أننا جميعاً نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ونحن مع هذا آحاد ودكل منها لو أكل سائرهما ؟ إنها والله لجاهلية ذقنا وبال أمرها ، وإذا لم تقترب تلك الآحاد وأنالف كما ألفها محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه ، فعلى آثار من ذهب العقاء .

قال : أجل فإن التقريب بين المذاهب الإسلامية هو دلالة الوعى الإسلامى ولن يقف فى سبيله إلا جهل العلماء ، العلماء مجازاً أو شكلاً ، فإن العالم بحق فى هذه الامة نبي أو كني « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل ، أفيتأتى أن يكون النبي داعية فرقة وانقسام ؟ »

لأنى لأذكر واقعة مر عليها نصف قرن أو يزيد كنت طالباً أزهرياً مالكي المذهب ، وكان شيخنا رحمه الله يحرضنا على قتال الحنفية . وكنت شاباً قوى البنية أحمل هراوة غليظة أهويت بها يوماً على رأس حنفى هو زميلى الآن فى المجمع اللغوى ، فأحدثت به ما تسمونه « عاهة مستديمة » ، ولقد كان هو من فتيان الحنفية الأشداء على المالكية والشافعية ، فلما انجلت الواقعة عن إصابته ، سر شيخنا - عفا الله عنه - سروراً عريضاً نقص من أطرافه أن صاحبنا لم يمت ، فكان الشيخ

يقول : ليتها كانت القاضية . نعم إن ضربتي لم تكن قاضية والحمد لله ، على أن جزأتني عليها كان شافيا شها ، فقد منحني الشيخ رأس عجل أكلته وحدي وإخواني ينظرون ، وكل يني نفسه جائزة مثلها إذا قدمت يداه ضحية خفية كما قدمت يداي . ولا أحب أن أظلم شيخي نعمده الله برحمته ، فلقد كان - على بغضه الحنفية - حجة في فقه المالكية .

قلت : لقد ولي عهد المعارك المذهبية في الأزهر، بل في الأمة الإسلامية جمعا فدعوة التقريب جاءت في حينها ، وما أظن أن بين شيوخ الإسلام في أيماننا من يسير سيرة شيخكم الذي كان يحرضكم على قتال الحنفية .

قال . إن لبابة الإسلام - إذا شاء الله أن تكشف المحنة - لشيوخ أحلامهم تزن الجبال رزاة كما قال صاحبك الذي أنشدتني شعره ، فأولئك هم الذين يصلح بهم أمر هذه الأمة .

قلت فما معيار رزاة الحلم ، أو سلامة العقل ؟

قال : الإيمان بما دعا الله إليه من الألفة والوحدة والأخوة الإسلامية ، إن الله يقول : إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون .

فكن أعلم الناس بالآثر والخبر والكلام والفقه والأصول والنحو والبلاغة وسائر ما اصطالحوا على أن يسموه علماً ، ولا تؤمن بهذه الوحدة ، فأنت - وهذا شأنك - جاهل ينتمى بحق إلى الجاهلية الجهلاء ، ولو أنك - شكلا ومظهراً - في طليعة العلماء .

قلت : لقد جاء في القرآن الكريم : « أتتخذنا هزوا ؟ » قال أعود بالله أن أكون من الجاهلين ، و « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، فما فضيلة العلم هنا ؟ أهو من لون ما ورد في الشعر الذي أنشدناه أم هو ما علمناه ونحن صغار ؟

قال : ليس الاستهزاء بالناس وليد عدم المعرفة دائماً ، فقد تكون غير عالم



وممهداً لا تسخر من الناس ، وإنما السخرية مصدرها « السفه » أو « الجهالة » بالمعنى الذى شرحناه ، فسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ينق عن نفسه أن يكون سفياً يسخر من أولئك الذين استفتوه فيما حل بهم وفيما عساهم يفعلون ، وتكليف الله رسوله الإعراض عن الجاهليين ، إنما يقصد به الصد عن السفهاء ، وإلا فهل شأن الرسول ألا يعلم جاهلاً يريد أن يعلم فيعرض عنه ؟ كلا ، بل يعرض عن السفهاء الذين كانوا يؤذونه ويؤذون المسلمين .

قلت : « وتلك الأمثال نضربها للناس » فهلا ضربتم لنا مثلاً نفهم منه الجهل والجهال بالمعنى العام الذى نستبينه إذا درسنا أدب القرآن وأدب اللغة العربية عامة ؟

قال : خذ المثل : هناك جماعة من الناس يدعون إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية ، أى أنهم يرغبون إلى الأمة الإسلامية فى أن تلم شعثها ، وترأب صدعها ، فتعود سيرتها الأولى ، تلك هى دعوة التقريب ، ودعوة هذا شأنها لاغزو يعترض سبيلها جماعة من الناس ، لعل منهم من تسمونه مثقفاً أو عالماً ، وواقع الأمر أن علمه علم شاس بن قيس وصاحبه .

قلت : ومن شاس بن قيس وصاحبه ، وما شأنهما .

قال : لقد كان شاس بن قيس شيخاً يهودياً عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين ، فمر ذات يوم على نفر من الأوس والخزرج فى مجلس جمعهم يتحدثون ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم فى الإسلام ، بعد الذى كان بينهم فى الجاهلية من العداوة ، فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال اعمد إليهم ، واجلس معهم ، ثم ذكرهم يوم بعث ، وما كان قبله ، وأنشدهم بعض ما تقاولوا فيه من الأشعار - وكان بعث يوماً اقتتل فيه الأوس مع الخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج - ففعل وتكلم فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا إلى أن تنادوا السلاح السلاح ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال « يا معشر المسلمين . أبدوى الجاهلية - وأنا بين أظهركم بعد إذا أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع به عنكم أمر

الجاهلية وألف بينكم - ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً ، الله الله ، فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين . فأنزل الله تعالى هذه الآية : يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .

أفرأيت إلى جمل شاس وصاحبه على علمهما ، وما كانا يرويان عن دبعث ، وما قيل في دبعث ، من شر كاد يعيد الحرب بين الفريقين المؤمنين جذعة ، لولا أن تداركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فما أرى من يثير بواعث التفريق إلا داعياً بدعوى الجاهلية ، خارجاً على أمر الله ورسوله إلى ما آثره من عرض زائل ، أو رأى حائل د وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ،

## الفضيلة بدون دعوة

لمحاضرة الأستاذ الفاضل الدكتور محمد البرهوي

مدير عام البحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر

يظن بعض الناس أن الفضيلة - لأنها فضيلة - لابد أن تشيع بين الناس بدون عناء، إن لم تدفع الناس دفعاً إلى دائرتها. وبأسف هذا البعض أشد الأسف عند ما يجحد فريقاً كبيراً لا يتبع الفضيلة، ولا يسعى نحو القيم الرفيعة والمثل العليا في حياته الخاصة والحياة العامة.

ولكن الحياة الإنسانية منذ القدم صراع بين شيئين لاثاث لهما: بين ما يسمى بالحق والفضيلة والمثل العليا من جهة، وما يعرف بالباطل والريضة من جهة أخرى. وقيمة أى طرف من الطرفين ليست في غلبة أحد الطرفين على الآخر في وقت ما، بل هي قيمة ذاتية لا يؤثر فيها بريق النصر لطرف، ولا مذلة الهزيمة للطرف الآخر.

الفضيلة يعرفها الإنسان. وهي موجودة في الحياة. ولكن الإنسان لا يدركها إلا إذا تأمل الحياة كلها، أو ووجه إليها من إنسان سبق له أن تأمل الحياة وأدركها وركن إليها. ولذا هو يدعو لها. ليس كل الناس إذا عرف الفضيلة - بله يتمسكون بها - لأنها في حاجة إلى كشف فالإنسان العادى أول ما يدرك من الوجود يدرك مظاهره المادية، وهي ليست الفضيلة، بل الفضيلة وراها. وشأن الإنسان العادى شأن الطفل الذى يجرى وراء المحسوس ويسمى إلى أن يستولى على ما يلفت نظره فيه، ولا يصل إلى ما عدا المحسوس من مبادئ عامة أو قيم إلا بعد تطوره في التفكير والتثقيف. وقبلها مع ذلك يصل إلى الحقيقة كما هي، إلا بعد عناء الفكر والدرس، أو عن طريق الرسالة الإلهية.

وليس الإنسان العادى هو الذى لم يتثقف فى مدرسة ، وإنما هو كل من لم يستطع أن يتصور من الوجود إلا صفحته الظاهرة ، أو ذلك الذى لم يؤمن إلا بما يعود عليه من نفع مادى خاص به . فالأسمى ، ونصف المثقف ، والطفل فى تطور طفولته الأولى والثانية سواء : فى أنهم يظهرون المادة ويتبعون المظاهر الحادثة فى الحياة .

ولهذا نجد أعوان الباطل كثيرين ، ونجد كذلك المستهزئين بالقيم العليا وبالفضيلة أكثر من أولئك الذين يتعشقون الفضيلة لذاتها ويدعون إليها ، لإيمانهم بوجودها ، ويرتكبون فى سبيل التمسك بها الصعاب . وأكثرها صعاب نفسية .

الرزيلة لا تحتاج إلى دعوة والباطل لا يحتاج إلى داع ، بل هما يقتحمان على الناس سمهم وبصرهم وبقية مداركهم الحسية ، والمتبعون لها لذلك لا يلقون عتاً فى اتباعهما ، وإنما يُدفعون دفعاً إلى السير فى طريقهما بدافع غزى .

فإذا كانت للناس إرادة فى مخالفتها فقط ، وإذا كان لهم إيمان فللحيلولة بينهما وبين أن يسيطرا على نفوسهم سيطرة تامة .

أما الحق ، وأما الفضيلة فهما فى حاجة إلى دعوة وإلى داع . وحاجتهما إلى الدعوة وإلى الداعى ليس لأنهما لا يطفوان فى الوجود فقط ، بل لأن قوة جذب المحسوس للإنسان - كما ذكرنا - عنيفة بحيث لا يتخلف عن الوقوع فى دائرته إلا من قوى إيمانه ، أو اكتمل نضوجه الإنسانى فى التفكير والسلوك .

« \* »

ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما دعا قومه إلى الحق ودعا الناس جميعاً إلى اتباعه وإلى اتباع الفضيلة لى صعباً جمة فى سبيل دعوته هذه . لأن من دعاهم كانوا فى إدراكهم ونصرفهم أشبه بالطفل فى إداركه وتصرفاته ، ولو أنهم كانوا غير واقعين تحت تأثير التقاليد القائمة بينهم ، والعادات المنتشرة فيهم - وهى تقاليد وعادات تم عن بعدم بعداً شديداً عن التطور فى حياتهم الفكرية ، وفى تصوراتهم

للوجود - لما لقي في دعوتهم إلى الحق والفضيلة من الصعاب مثل ما لقي منهم في هذا السبيل ، على النحو الذي يتحدث به مؤرخو الدعوة الإسلامية .

ولو أن الفضيلة والحق يجذبان إليهما الناس في يسر ، مثل ما يجذب الباطل وتجذب الرذيلة ، لحف شأن الدعوة إلى الخير ، ولصارت الشعوب والجماعات إلى مجتمع فاضل يعرف الحق ويسير في طريق الفضيلة بحكم تطور أفرادها ، دون حاجة إلى دعوة وإلى داع ، إلا في القليل النادر . وإذا دعا الداعي إلى الحق والفضيلة عندئذ كانت دعوته أشبه بتنبيه وبلطف نظر ، ولم يحتاج فيها إلى تكرار أو إلحاح .

لكن دعاة الحق والفضيلة قليلون ، والدعوة إليهما شاقة صعبة ، والمستجيبون لهما لا يعدون أصحاب قيمة عددية في الجماعة ، وإن كان لهم اعتبار فيها من حيث قوة إرادتهم في توجيهها .

ولأن الدعوة إلى الحق والفضيلة شاقة والسبيل لاقناع الناس بهما غير معبدة كان من العوامل القوية في النجاح في الدعوة لهما صبر الفائمين عليها وتمسكهم في سلوكهم الشخصي بالنتائج المترتبة على الإيمان بهما .

وإن قيمة الإنسان الحقة ليست في اتباعه الباطل ولا في سلوكه مسلك الرذيلة لأن ذلك أمر لا تتجلى فيه إرادة الإنسان ، والإنسان بإرادته وإيمانه . ولذا فقيمه مرتبطة أيما ارتباط بحمل نفسه على تجنب الباطل والرذيلة وبالتالي على السلوك مسلك الفضلاء .



فإذا أضيف إلى طبيعة الباطل وإلى طبيعة الرذيلة عامل الترويج عن طريق أولئك الذين اندفعوا في تأييدهما ولم يستطيعوا التخلص منهما ، أو بالآخرى ألفوا اتباعهما - كان ذلك من أسباب انتشارهما . وكان انتشارهما بخطوات فسيحة ، وفي مجالات متعددة .

وإذا أضيف إلى هذا وذاك اكتفاء أصحاب الفضيلة باتباع الفضيلة دون دعوة إليها ، والعمل في دائرة الحق دون إعلان عنه - تضاعف تيار الرذيلة

وتيار الباطل وأصبح من الصعب أن يحاول فريق في سرعة وقف تيارهما ، واحتاج الأمر في ذلك إلى قوة إيمان وجلد .

ولأن طبيعة الباطل وطبيعة الرذيلة على ما شرحنا ، ولأن طبيعة الحق وطبيعة الفضيلة كما ذكرنا أيضا - كان من الضروري لخير الجماعة والأفراد أن تستمر دعوة الداعين إلى الفضيلة والحق ، وأن تقوم دعوتهم على الإيمان بهما والتضحية في سبيلهما .

اتباع الفضيلة فحسب لا يروج الفضيلة ، ولا يجعلها مهيمنة على التوجيه . بينما الباطل يسعى وحده على قدميه ويقتنص التابعين له في غير عناء . وتلك سنة الله في الوجود والحياة الإنسانية . وما الرسالة الإلهية إلا دعوة إلى الفضيلة والحق ، وما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا طلب لاستمرار هذه الرسالة فيما تهدف إليه ، حتى لا يسيطر الباطل وتروج مظاهر الرذيلة .

وأن من يعجب لفوز الباطل على الحق في وقت ما ، دون أن يرى دعوة ودعاة إلى هذا الحق ، ودون أن يرى مؤمنين أقوياء بين هؤلاء الدعاة إن وجدوا - ليعجب من شيء يسير سيرته الطبيعية ، ووفق أحداث الحياة نفسها .

\* \* \*

الإيمان بالحق وبالفضيلة أولا قبل كل شيء . وإدراك الإنسان لهما لا يحد في تمكينهما من نفوس الناس دون الإيمان بهما . والإيمان بهما يتعارض مع الإيمان بالذات ومطالبها . ثم تأتي بعد الإيمان مرحلة الدعوة لهما عن طريق العمل السلوكي ، وعن طريق بيان مضار ما يقابلهما من الباطل والرذيلة .

ولو أن الحق يسير وحده لما كانت هناك حاجة إلى رسالة ولا إلى دعاة . ولا يكفي لصاحب الفضيلة والعاشق وجه الحق أن يكتب في نفسه الغيظ من رواج الباطل ، بل عليه أن يعلمها صيحة مدوية ضده وضد المروجين له إن كان له مروجون . ولا عليه بعد ذلك إن نجح في صيخته هذه في آنه ، أو تأخر إحقاق الحق وقتاً ما .

# شعر الكميّ في آل البيت

لمحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان  
أستاذ الأدب العربي في كلية اللغة العربية

الكميت بن زيد الأسدي شاعر إسلامي ، شيعي ، عدناني ؛ ولد في الكوفة ،  
ونشأ بها ، ومدح بني هاشم ، ثم بني أمية ؛ وهجا الذين هجاء أثار الفتنة بين عدنان  
وقحطان ؛ حتى انتهت بانقيار ملك بني أمية ، وقيام دولة بني العباس ؛ وكان مولده  
سنة ستين ، ووفاته سنة ست وعشرين ومائة من الهجرة .

والكميت من الشعراء الذين اضطربت آراء النقاد في الحكم لهم أو عليهم ،  
اضطراباً كبيراً ؛ ومن أشهر ما روى في ذلك : أنه قيل للفرزدق : أحسنَ الكميّ  
في مدحه لآل البيت في دهاشيماته ؛ فقال : وجد أجراً وجصافيني !

ومن المأثور : أن جريراً سئل : من أشعر الناس ؟ فأخذ بيد السائل ومضى  
به حتى وقف على شيخ رث ، زرى الهيئة ، قد اعتقل عزاء ، وجعل يرضعها واللبن  
يسيل على لحيته ، ثم قال للسائل : أعرف من هذا ؟ قال : لا ؛ قال هذا أبي !  
أندري لماذا يصنع ما يصنع ؟ قال : لا ، قال : اتلأ يسمع صوت الحلب فيطلب  
منه اللبن .

أشعر الناس من فاخر بهذا ثمانين شاعراً ففخرهم جميعاً ! .

فإذا وضعنا قصة جرير بإزاء شهادة الفرزدق للكيميت ، تبين لنا خطأ النقاد الذين عدوا كليلة الفرزدق شهادة للكيميت ، وعرفنا أنها شهادة عليه ؛ ذلك بأن الفرزدق شيعي ، فهو من ناحية يريد أن يرضى نزعة هذه ؛ وهو من ناحية أخرى شاعر ذواق ؛ فلنكي يصيب عصفورين بحجر واحد شهد هذه الشهادة التي يشغل ظاهرها جماهير المسلمين - وكل مسلم شيعي - ويضمر باطنها رأيه الشرعي الصحيح وهو أن إجادة الكيميت ليس مصدرها سمو خياله ، وقوة إبداعه ، بل مصدرها مجادة آل البيت ، وسمو مفاخرهم ؛ وهي - لعمرى - إحدى أفاعى الفرزدق العظيم !

فأما الأعمى الحثيث بشار ، فإنه لما سئل عن الكيميت ألقى بها صريحة عريانة فقال : ما كان الكيميت شاعرا ! فلما روجع في ذلك وقيل له : كيف تقول هذا ، وهو الذي يقول :

أَنْضَفُ أَمْرِي مِنْ نَصْفِ حَيِّ يَسْبِنِي      لعمرى لقد لاقيت خطبا من الخطب  
هَنِيئًا لَكَلْبٍ أَنْ كَلْبًا تَسْبِنِي      وأنى لم أردد جواباً على كلب  
لَقَدْ بَلَّغْتَ كَلْبٍ بِسَبِي حَظْوَةٍ      كفتها قديمت الفضاخ والوصب  
قال بشار : لا أبا لسانك (١) ، أترى رجلا لو شرط ثلاثين سنة ، لم يستملح منه شيء .

ويعده بعض النقاد أشعر الناس (٢) وتقول فاطمة بنت الحسين رضى الله عنها : هذا شاعرنا أهل البيت .

وعلى الجملة فالكيميت قد استأثر بحظ عظيم من اهتمام الناس ، جمهورهم وشعرائهم ونقادهم وقادتهم ، وقد عرض له أبو الفرج الأصبهاني فيما لا يقل عن عشرة مواضع من كتابه العظيم « الأغاني » ، لجميع ما يتصل بحياته وشعره معروض هناك لمن تطلب المزيد .

(١) لا أبا ولا أب لسانك ، قال ابن السكيت : موكناية عن قولهم : لا أباك « لسان » .

(٢) فأما قول الفرزدق له : أذع ثم أذع ، فأنت أشعر من مضى وأشعر من بقى ؛ فإنما أراد به عظمة ممدوحه ؛ حتى يلتقى بشهادته الآتية : وجد أجراً وجصافى .



فأما أنا ، فإنما قصدت هنا أن أعرض عرضاً إجمالياً لأبرز مواضع الجمال الفني في شعره ، وأتبعها بأظهر مواضع الضعف فيه ، لانتهى من ذلك إلى رأى مدلل ، وحكم خاص ، على قدر نظرى القريب ، وطاقتى المحدودة .

\* \* \*

أجاد الكميث ، وأتى بنى أمية بمؤيدة ، أشد عليهم من الصواعد المدمرة ، ومن النار المحرقة ، باحتجاجة لاستحقاق الهاشميين للخلافة ؛ ذلك الاحتجاج الدامغ الذى لا مهرب من سطوته ، ولا خلاص من منطق القاطع إلا بالانقطاع والخذلان .

فانحراف الخلافة عن بنى هاشم في نظر جمهور المسلمين ، إنما كان لأن البنى لا يورث ؛ ولكنها كذلك لم تعدل عن الأوس والخزرج ، إلا بحجة أن الأئمة من قريش ، ولما تنازعها المهاجرون والأنصار يوم السقيفة ، كان الفصل فيها كلمة الصديق رضى الله عنه : « أن العرب لا تدين إلا لهذا الحى من قريش ، فهى - إذا - إنما وصلت إلى الخلفاء الراشدين ثم إلى الأمويين على طريق الوراثة القبلية عن قريش » ، ولولا ذلك لئالها البين التى دُفعت عنها في اشخاص آبنى قسيلة يوم السقيفة بهذه الحجة ؛ ولئالها ربيعة التى جاء الإسلام وهى أقوى قبيلة ، حتى قيل : لولا مطلع الإسلام لا كلت ربيعة العرب . ولئالها غيرهم وغيرهم من القبائل ؛ فكيف تنكرون على غيركم ما تعرفون لأنفسكم !؟

يقولون : لم يورث ، ولولا تراثه	لقد شَرِكت فيه بَيْكَيْلٌ وأَرْحَب
وعكَّ ولحم والسَّكون وحير	وكندة والحيان : بكر وتغلب
ولا تنقلت عضوين منها يُحابر	وكان لعبد القيس عضوٌ مؤرَّب (١)
ولا تنقلت من خندف في سوام	ولا قندحت قيس بها ثم ألقبوا
ولا كانت الأنصار فيها أذلة	ولا عُشبا عنها إذ الناس غيَّب

وأجاد الكميث معنى وأداء ، في تعيير بنى أمية باغتصاب حقوق الهاشميين

في الإمامة والخلافة ، وإعلان التكبير عليهم ، والنهك اللاذع بهم ، وإثارة الحفائظ عليهم ، مما كان له وقع السياط ، ولذع المحاور :

بختكم غصبا تجوز أمورهم فلم أر غصبا مثله حين يغصب

بحكمكم أمت قريش تسوسنا وبالمذمنا والرديفين تركب (١)

وقالوا : ورثناها أبانا وأمتنا وما ورثتهم ذاك أم ولا أب

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ويا حاطباً في غير حبلك تحطّب

قل لبنى أمية حيث حلّوا وإن خفت المهند والقطيعة

ألا أف لدهر كنت فيه هداناً طائماً لكم مطيعاً (٢)

أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجوركم أجيعا

بمرضى السياسة هاشمي يكون حياً لأمته ربيعاً

وبلغ الكهيت من الإجادة ، فوق الإرادة - على حد تعبير أحمد بن عبد ربه - في مدحه لبني هاشم ، في جملته : على الرغم من رأى المرزوق : أنه وجد أجراً وجصافني . وفي هاشميته التي مطلعها :

من لقلبٍ مقيم مستهام

أقوى شاهد على هذه الإجادة ؛ ولقد أعياني أن أختار منها . لكثرة عيونها . يقول فيها يمدحهم ويوازن بينهم وبين بني أمية ، وذلك شر أنواع الهجاء :

ساسة لا كمن يرعى الناس ، سواءً ورعية الأنعام

لا كعبد الملك ، أو كوليّد أو سليمان بعدد ، أو كتهشم

رأيه فيهم كراى ذوى السُلّة في البانجات ججنح الظلام

(١) الفذ : الأول من قذاح المبسر ، والرديف : الذى يجيء بعد فوز أحد الأبطال ، فيسألهم أن يدخلوا قدحه في قذاحهم .

(٢) رجل هدان : بليد يرضيه الكلام ، أو هو الأحمق الثقيل في الحرب .

جَزُؤُ ذِي الصَّوْفِ وَانْتِفَاءُ لَذَى الْمَخَّةِ نَعَقًا وَدَعْدَعًا بِالْبَهَامِ (١)  
 مِنْ يَمْت لَا يَمْت فَقِيدًا ، وَأَنْ يَحْـُـيَ ، فَلَاذُو إِلٍ وَلَاذُو ذِمَامٍ  
 ويقول في هاشميته التي مطلعها :

أَنَّى وَمَنْ أَبْنِ أَبْكَ الطَّرَبِ

يا خير من ذلك المطى لهم أنتم فروع العِصَاهِ لَا الشَّدَبُ  
 أنتم من الحرب في كرائمها بحيث يُبْلَى من الرحي القُطْبُ  
 وفي السنين الغيوثُ بأكرةً لِذَلَا يُدِرَّ العَصَوْبُ مَعْتَصِبُ (٢)  
 أ برق للمُسْنِفَتَيْنِ عِنْدَكُمْ بِالْجُودِ فِيهَا التَّنَاءُ وَالْعُشْبُ (٣)

\* \* \*

بيد أنى أنهم :

١ — ذوق الكيميت : في هذه الشكوى التي تتردد في هاشمياته ويرتاح إليها ،  
 ولا يكاد يتركها حتى يعاودها ؛ مما يلاقيه من الأذى في سبيل حب بنى هاشم ،  
 ومدحهم والإخلاص لهم ، والانتقطاع إليهم ؛ فلقد أسرف في ذلك إسرافاً خرج ،  
 أو كاد يخرج به إلى المنّ على بنى هاشم بهذا التشيع الذي كلفه من ضروب العناء ،  
 وألوان الشقاء ، ما لا يكاد يحتمله إنسان !

فطائفة قد كفرتني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب  
 فما ساءني تكفير هاتيك منهم ولا عيب هاتيك التي هي أعيب  
 يعيوني من خبهم وضلالهم على حبكم ، بل يستخرون وأعجب

ألم ترني من حب آل محمد أروح وأغدو خائفا أترقب

- (١) النعق والنعيق : دعاء الراعي للشاء ، وصياحه بها يزعجها ؛ ودعده بالمعز  
 أو الضأن الصغار — قال لها : داع داع ، يدعوها .  
 (٢) العصوب : الناقة التي لا تدر حتى يعصب نخذاها أو أدانى منخريها تحيط حتى تحلب .  
 (٣) ج نهى : القدير .

كأنى جانب محدث ، وكأنما بهم أنقى من خشية العار أجرب  
على أى جرم ، أم بأية سيرة أعنف فى قريظهم وأؤنب ١٩  
وتصل به هذه الغفلة إلى أن يقول :

إلى السراج المنير أحد لا يعدلنى رغبة ولا رهب  
عنه إلى غيره ولو رفع لنا س ، إلى العيون وارتقبوا  
وقبل : أفرطت ، بل قصدت ، ولو عنفى القائلون أو ثلبوا !  
إليك - يا خير من تضمنت الـ أرض ، وإن عاب قولى العيب !  
ج بتفضيلك اللسان ولو أكره فيك الضجاج والصخب (١)

\* \* \*

فإذا عسى أن تكون هذه الطائفة التى كفرته بحب آل البيت ، أو عابته  
بجهنم ، إلا طائفة مارقة ليس أكبر جرماً منها كفرته أو عابته ١٩ ومن هو هذا  
الذى يقول له : أفرطت فى مدح من مدحه الله من فوق سبع سموات : محمد خير  
خلق الله كلهم ، ويعيب قوله فيه ، إلا كافر بالله ، خارج من ربة الإسلام ، يسفل  
به شأنه عن أن يعار أى التفات ١٩

لقد أخذ على النابغة الذبياني قوله للنعمان :

وعيرتنى بنو ذبيان خشيته وهل على بأن أخشاك من عار ؟  
قالوا : إن هذا مما لا يقال مثله للبلوك ! ذلك مع أن الذبياني إنما أراد  
أن يقول : إن عز عشيرتى ومنعتها لم تمصنى من خشيته ، فهو فى حقيقة تفخيم  
لشأن النعمان ، وإنما الهجته فى لفظه حسب ، وهو معنى قول الآخر ، أو  
قريب منه :

أهابك لإجلالا ، وما بك قدرة على ، ولكن ملء عين حبيها

وهذه اللطيفة لا تحتملها أبيات الكميّ ، لا في آل البيت ولا في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - وأتهم عقله : فإن الكميّ - لو أنه عاقل - لطوى قوله :

وإني على مُحبّهم وتطلّعي	إلى نصرهم، أمشي الضّرّاء وأختلّ (١)
تجود لهم نفسي بما دون وثبة	تظل بها الغربان حولي تحجّل !!!
ولكنني من علة برضاهم	مقامي حتى الآن بالنفس أبخل

ولا كتنى بقوله قبله :

لهم من هواي الصفو ما عشت خالصاً	ومن شعري الخزون والمتنخل
فلا رغبت فيهم تغنيض لرهبة	ولا عقدني من حبههم تتحلل
ولا أبا عنهم محدث أجنبيّة	ولا أنا معترض بهم متبدل

فإن قوله : فلا رغبت في الخ لا يتلاقى مع قوله بعده : تجود لهم نفسي الخ في هذه إحالة ؛ وإعلان أنه يجود لهم بما دون القتل ، اعترافٌ أحق بالجبن ، لا يرفعه أن ذلك يرضى بنى هاشم ؛ على أن هؤلاء إنما يريدون نصره اللسان ، وجهاده في دعوتهم بشعره ، لا بسيفه ولا بتضحيتته بدمه ! ولكن : أذل الحرص أعناق الرجال .

\* \* \*

٣ - وأتهم إخلاصه : في الأغاني : أن ابن شبرمة قال للكميّ : إنك قلت في بنى هاشم فأحسنّت ؛ وقلت في بنى أمية أفضل . قال : إني إذا قلت ، أحبيت أن أحسن !

ودخل المستهلّ بن الكميّ على عبد الصمد بن علي ، فقال له : من أنت ؟

(١) يقال : فلان يعمى الضراء ، إذا عمى مستخفياً فيما يوارى من الحجر ، ويقال للرجل إذا ختل صاحبه ومكر به : هو يدب له الضراء ، ويعمى له الخمر . والخمر ( بفتحين ) ما وارك من شجر أو أرض أو جبل .

فأخبره : فقال عبد الصمد : لا حياك الله ، ولا حيا أباك ، أليس الذى يقول :  
 فالآن صرت إلى أميَّة ، والأمور إلى المصائر ؟  
 قال المستهل : فأطرقت استحياء مما قال ، وعرفت البيت : ثم قال لى : ارفع  
 رأسك يا بنى ، فلئن كان قال هذا ، فلقد قال :

بخاتمكم كرها تجوز أمورهم فلم أر غصبا مثله حين يغضب  
 قال فسلى عنى بعض ما كان بى !

ودخل مرة على أبى مسلم الخراسانى ، فقال له : أبوك الذى كفر بعد إسلامه !  
 فقال المستهل : كيف وهو الذى يقول :

بخاتمكم كرها تجوز أمورهم فلم أر غصبا مثله حين يغضب ؟  
 فأطرق أبو مسلم مستحييا !

ولست أبلغ بالنفاق السياسى الذى وقع فيه الكميث ، الحد الذى أوصله إليه  
 أبو مسلم ، وعبد الصمد ؛ ولست أقبل من الكميث جوابه لابن شبرمة : لأن  
 إيمان الكميث وحبه لبني هاشم أثبت وأقوى من أن يرتفع ليحل محل حبه لبني أمية  
 ولأن الإجابة فى الشعر لا ترجع إلى إرادة الشاعر أن يجيد ، وإنما ترجع بعد  
 استكمال الاداة ، إلى قوة العاطمة وصدقها : فالكميث متهم بلا ريب ولكنه غير  
 مارق من نزعة الشيعة ؛ على الرغم من قوله :

أبني أمية لأنكم أهل الوسائل والأوامر  
 نقتى لكل ملّة وعشيرتى دون العشائر  
 أقم معادن للخللا فة كابرا من بعد كابر  
 بالتسعة المتسا بعين ، خلائها وبخير عاشر  
 وللى القيامة لا ترا ل لشافع منكم وواثر

وعلى الرغم من رده على هشام بن عبد الملك ، حين قال له :

فأنت القائل : أجاج الله من أشبعتموه : الأبيات . بقوله : لا تريب - يأمير  
 المؤمنين - أن أردت أن تمحوا قولى الكاذب ! قال : بماذا ؟ قال : بقولى الصادق

أَوْرَثَتْهُ الحصان أم هشام      حسباً ثاقباً ووجهاً نضيراً  
وتعاطى به ابن عائشة البد      رَ ، فأمسى له رقيقاً نظيراً  
وكساه أبو الخلائف مرواً      نُسْنِي المكارم المأثوراً  
لم يَجْهَمْ له البطاح، ولكن      وجدتها له مَعَانَا ودوراً (١)

فإن الرجل جبان غلبه الخوف على أمره ؛ فقال ما قال ؛ ولكن الجبن لا يصنع  
إجادة ، فهو - بإجادته - قد خضع لبعض الأمر ، واعترف بالأمر الواقع  
بلا جدال .

وقد كان عبيد الله بن قيس الرقيات زبيرياً ، ثم مدح بنى أمية ، ودخل على  
عبد الملك ، فقال له : أَمَا لِي فَتَقُول :

يَأْتِلْنِي التَّاجُ فَوْقَ مَفْرَقِهِ      عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ  
تَمْدَحُنِي بِالتَّاجِ كَأَنِّي مِنَ الْعَجَمِ !  
وَأَمَّا لِمُصْعَبٍ فَتَقُول :

لَمَّا مَصْعَبُ شَهَابٍ مِنَ اللَّهِ      تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ  
مَلِكُهُ مَلِكُ قُوَّةٍ لَيْسَ فِيهِ      جَبْرُوتٌ وَلَا بِهِ كِبَرِيَاءُ  
يَتَّقِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفَ      لَمَحَ مِنْ كَانَ هَمَّهُ الْإِنْقَاءُ

ولعل نقد عبد الملك ليس لما قاله حسب ، مما يشير إلى فرق ما بين الخلال  
الكسبية والطبيعية النفسية ، بل لما ختمها به معه ، من قوله :

\* \* \*

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا      تَشْمَلُ الشَّامَ غَارَةَ شَعْوَاءُ  
تَذْهَلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتَبْدَى      عَنْ بُرَاهَا الْعَقِيلَةَ الْعَذْرَاءُ  
أَنَا عَنْكُمْ - بَنِي أُمِيَّةٍ - مُزَوَّرُ      رُ ، وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِي الْأَعْدَاءُ  
لِنْ قَتَلِي بِالطَّفِّ قَدْ أَوْجَعْتَنِي      كَانَ مِنْكُمْ لَنْ قَتَلْتُمْ شِفَاءُ

ومهما تختلف الآراء في الكميت ، فإن مما لا يخامرره ريب أنه لم يكن غالباً

(١) المعان بفتح الميم : المباءة والنزل ؛ ومعان القوم : منزلهم .

في تشيعه ولا مسرقا فيه ، بل كان معتدلا معقولا ، عف اللسان شريف الهجاء ،  
لم يلعن ولم يسب سببا مقذعا ، ولم يقل كما قال السيد الحيرى يخاطب المهدي العباسي :

قل لابن عباس سمي محمد	لا تعطين بنى عيسى درهما
احرم بنى تيم بن مرة لانهم	شر البرية آخرها ومقدما
منعوا تراث محمد أعمامه	وبنيه ، وابنته عديلة مريما
وتأثمروا من غير أن يستخلفوا	وكفى بما فعلوا هنالك مأثما
لم يشكروا لمحمد لإنعامه	أفيشكرون لغيره إن أنعم
والله من عليهم بمحمد	وهدام ، وكسا الجنوب وأطما
ثم انبروا لوصيه ووليه	بالمسكرات فجرعوه العلفما

قال الكميث مرة :

ويوم الدّوح دوح غدیر خُمّ	أبان له الولاية لو أطيعا
ولكن الرجال تباعوها	فلم أر مثلها خطراً مبيعاً
فلم أبلغ بها لعنا ، ولكن	أساء بذاك أولسهم صنيعاً

وقال في مرة أخرى :

أهوى عليا أمير المؤمنين ، ولا	ألوم يوما أبا بكر ولا عمرا
ولا أقول - وإن لم يعطيا فدكا	بنت النبي ولا ميراثه - : كفرا
لله يعلم ما ذا يأنيان به	يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا !

رحم الله الكميث ، وأحسن جزاءه على قدر بلائه في الله .



# فَضْلُ الْمَسْجِدِ عَلَى الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

لمحاضرة الاستاذ عبد الوهاب حموده

أستاذ الآداب الحديث بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول

— ٣ —

قد كانت نشأة الفن الإسلامى فى المساجد ، فيها ولد فى وضع النهار وفى رحابها  
نما وترعرع تحت رعاية المسلمين وبين أنظارهم .

وكانت المساجد الاولى أبنية عادية أقيمت للصلاة والوعظ وحدهما ، وليس  
فيها نزوع إلى إنقان فى العماره ، وكان أئمتها حين وجد - إذ لم يكن لها أئمة  
فى بادئ الأمر - غاية فى البساطة ، وكان كل تجديد يظهر فى المساجد عرضة  
للقند اللاذع .

وعند ما انتشر الإسلام ، وامتد سلطانه إلى كثير من بلاد الله اختلط العرب  
بغيرهم من الأجناس الأجنبية عنهم ، وأدّى ذلك إلى اتساع أفق الفن فى أعين  
المسلمين الذين استطاعوا أن يخرجوا بفضل هذا الاختلاط صوراً جديدة للثقل  
الأعلى فى الفن عندهم مع الوقوف عند الحدود التى رسمها لهم الدين .

وعلى الرغم من أن العرب كانوا فيما يُظن يجهلون فن العماره إبان السنين الأولى  
من فتوحاتهم ، فإن الحقيقة الواضحة التى لا سبيل إلى إنكارها أن فن العماره  
الإسلامية كان فى كل زمان ومكان محتفظاً بشخصية ظاهرة ، ولعل عقيدة الإسلام  
كانت العامل الذى أعان على تغيير الأساليب المحلية المختلفة فى فن العماره ، كما أعان  
على أن يستخرج منها طراز له ميزانه الذاتية .

فقد كانت الأبنية التى بناها العرب فى السنين الأولى جوامع أو قصوراً

في الغالب ، ومعظم المنشآت الهامة في فن العمارة في القرون التالية ظلت مقصورة على المساجد والأبنية الدينية الأخرى كالمدرسة أو التسكية ذات المصلى .

فالمسجد أهم ما تتمثل فيه العمارة العربية ، وكان يختلف إلى حد ما باختلاف البقاع ، ولكنه ظل دائماً يحتفظ بمميزاته الرئيسية .

وقد كان الحج السنوى إلى مكة من كافة أنحاء العالم الإسلامى ، مما ساعد بلا ريب على وجود نظام تقليدى لبناء المسجد ، فإن الحاج كان في كل مدينة يمر بها يقوم بصلاته في مسجدها المحلى ، وإذا حدث وكان ذلك الحاج من رجال فن العمارة فإنه لا يفوته أن يلاحظ رسم هذا المسجد .

ومهما يكن من شيء فإن المسجد الذى بناه الرسول صلوات الله عليه بالمدينة سنة ( ٦٢٢ م ) يعتبر النموذج الأول لساثر المساجد الأخرى .

كان هذا المسجد مساحة من الأرض مربعة الشكل ، يحيط بها جدران من الآجر والحجر ، وقد كان هناك سقف على جزء من أجزاء هذا الجامع ، ويحتمل أن يكون هو الجزء الشمالى حيث كان النبي يؤم المصلين ، ولعل الأسف كانت مصنوعة من جريد النخل المغطى بطبقة من الطير ، والمستند على عدد من جذوع النخل ، وفي مثل هذا البناء الأول لم تكن ثم ضرورة إلى استعارة أساليب معمارية من مكان ما ، إذ لم تكن ثمة حاجة لهذه الأساليب .

أما المسجد الثانى الذى بنى في الكوفة بأرض الجزيرة ( سنة ٩٣٩ م ) فكان سقفه مرفوعاً على عمد من الرخام أتى بها من قصر ملك من الملوك الفرس في إقليم الجزيرة .

وتم مسجد آخر أصغر من المسجد السالف الذكر بنىه عمرو بن العاص في القسطنطينية ( سنة ٦٤٢ م ) وهو الذى يعرف إلى الآن بجامع عمرو .

في هذا المسجد نرى ظاهرة جديدة هي وجود منبر مرتفع .

نعم إن المنبر كان من أثاث المسجد الإسلامى منذ عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يخطب مستنداً إلى جذع نخلة ، ثم جعل له منبر

من أنل بدرجتين ومجلس ، ثم رفعه معاوية في خلافته ، وجعل له ست درجات .  
روى البخارى عن جابر بن عبد الله أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه فإن لى غلاماً نجاراً ؟  
قال إن شئت ، فعملت له المنبر ، فلما كان يوم الجمعة فعد النبي صلى الله عليه وسلم  
على المنبر الذى صنع له .

وفى المقدمات لابن رشد : د فى سنة سبع اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم المنبر  
وقيل فى سنة ثمان .

والمنبر الحالى من تجديد السلطان عبد المجيد ، وهو من الرخام المحلى بالذهب ،  
ولما كان زمن الوليد بن عبد الملك أرسل إلى عامله على المدينة : عمر بن عبد العزيز  
بأمره بتجديد المسجد والزيادة فيه ، فبناه بالحجر ، وبلطه بالرخام ، وطفى سقفه  
بالذهب ، وحلى جدره بالفسيفساء ، وجعل أساطينه من الحجارة والمرمر ، واتخذ  
له محراباً ولم يكن له محراب من قبل ، وهو أول محراب مجوف بنى فى الإسلام ،  
والثانى بنى فى جامع عمرو بالقسطاط ببناء قره بن شريك العبسى والى مصر بأمر  
الخليفة الوليد بن عبد الملك . كما وضع به منبرا خشبياً ( سنة ٩٤ هـ ) .

وعلى ذكر المحاريب نقول :

إن المحاريب لتحديد الاتجاه شطر المسجد الحرام لم تكن معروفة فى أول  
الإسلام ، وكان المقصود باللفظ قصرأ أو جزءاً من قصر ، او مكان النساء فى البيت  
أو طاقه فيها تمال ، وهناك على هذه الاستعمالات شواهد عدة ، جاء فى لسان العرب :

المحراب صدر البيت ، وأكرم موضع فيه ، والجمع المحاريب ، وهو أيضاً  
الغرفة ، والمحراب عند العامة الذى يقيم الناس اليوم مقام الإمام فى المسجد ،  
وقال الزجاج فى قوله تعالى : د وهل أناك نبأ الخصم إذ تسووا المحراب ، قال :  
المحراب أرفع بيت فى الدار ، وأرفع مكان فى المسجد ، قال والمحراب ههنا كالغرفة .

والمحاريب صدور المجالس ، ومنه سمي محراب المسجد ، ومحاريب بنى إسرائيل  
مساجدهم التى كانوا يجلسون فيها ، وفى التهذيب التى يجتمعون فيها للصلاة ،

وفي حديث أنس رضى الله عنه : أنه كان يكره المحارب ، أى لم يكن يحب أن يجلس في صدر المجلس ، ويرفع على الناس .

وقال ابو عبيدة : المحراب سيد المجالس ، ومقدمها واثرفها ، وكذلك هو من المساجد .

وقال الأصمى : العرب تسمى القصر محرابا لشرفه .

وقيل : المحراب الموضع الذى ينفرد فيه الملك فيقباعد من الناس .

قال الأزهري : وسمى المحراب محرابا لانفراد الإمام فيه ، وبعده من الناس .

وقال الفراء فى قوله عز وجل : « من محارب وثمانيل » : ذكر أنها صور الأنبياء والملائكة ، كانت تصوّر فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة .

وليس من شك فى أن المسلمين ادخلوا فى مساجدهم المحراب ، بالمعنى الذى نعرفه الآن متأثرين بعمارة الكنائس عند المسيحيين ، وبالحنية التى توجد فى صدر الكنيسة ، وما يستحق الذكر أن هذه الحنيات يكون اتجاهها فى الكنائس غالباً إلى جهة الشرق أى جهة بيت المقدس ، وقد فطن كثيرون من مؤلفي العرب إلى أن المحراب متخذ من حنية الكنيسة .

وقد ألف السيوطى رسالة سماها « إعلام الأريب بحدوث بدعة المحارب » ، ذكر فيها ما رواه البزار فى مسنده عن عبد الله بن مسعود أنه كره الصلاة فى المحراب ، وقال : إنما كانت للكنائس فلا تشبهوا بأهل الكتاب . وذكر حديثاً مرسلًا رواه ابن أبي شيبة فى مصنفه عن موسى الجنى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تزال هذه الأمة أو قال أمتى بخير ، ما لم يتخذوا فى مساجدهم مذابح كذاب النصارى .. يعنى محارب .

وليس علماء الآثار متفقين فى تحديد التاريخ الذى بدأ فيه استعمال المحارب فى المساجد ، ولكن أكثرهم يعتقد أن ذلك كان فى عصر الوليد بن عبد الملك .

على أن هناك مساجد متأخرة لا محراب فيها . من ذلك الجامع القديم الذى بنى بضريح الشيخ صنى الدين بأردبيل فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ،

والذى يحدد اتجاه القبلة فيه مدخله فقط . وأكبر الظن أيضاً أن جامع أبي داف بـسمرالم يكن له أى محراب .

وبعض الجوامع لها عدة محاريب كالجامع الطولونى ، فإن له ستة محاريب ، ويبدو لى أن الدافع إلى هذا التعدد ، هو تعدد المذاهب ، ويعزز هذا الرأى ما أثبتته ابن كثير فى كتابه : « البداية والنهاية » من أن صاحب تقى الدين بن مـراجـل ناظر الجامع الاموى بدمشق عمل فيه محرابين : للحنفية والحنابلة ( سنة ٧٦٤ هـ ) .

فالمحاريب معتبرة موطناً من مواطن الإبداع فى الفن ، وبجـالا للـتفنن فى صور الجمال الزخرفى . فقد كان مثلاً فى تجويف المحراب الكبير فى الجامع الطولونى كسوة من الألواح من الرخام الملون فوقها نطاق من الفسيفساء المذهبة .

وفى سنة ( ٤٣٨ هـ ) أمر الخليفة المستنصر بالله بعمل منطقة من الفضة فى صدر المحراب الكبير فى جامع عمرو ، وجعل لعموديه أطواقاً من فضة .

وفى سنة ( ٤٤٢ هـ ) عملت للإمام فى جامع عمرو فى زمن الصيف مقصورة خشبية ومحراب من خشب الساج منقوش بعمودين من الصندل ، على أن ترفع هذه المقصورة فى الشتاء ، إذا صلى الإمام فى المقصورة الكبيرة كما ذكر المقرئى فى خطه .

وفى سنة ( ٥١٩ هـ ) أمر الخليفة الأمر بأحكام الله أن يعمل للجامع الأزهر محراب من الخشب فعمل ، وهو محراب مزخرف بالقوش بطرفيه عمودان رشيقان ، وعظمه من خشب ( قرو ) تركى ، وتجويفه من قلق ، وتواشيجه من خشب جيز ، والحشوات من خشب نبق ، ويعاوه لوح مكتوب فيه بالخط الكوفى : « بسم الله الرحمن الرحيم » : حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين ، . « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » .

ثم أدخلت فى عمارة المساجد المقصورة لتعجب الإمام عن بقية المصلين وأول من اتخذها هو عثمان بن عفان رضى الله عنه فى مسجد المدينة حيث بنى حول

مصلاه مقصورة من لبن وفيها كوة ينظر الناس فيها إلى الإمام ، اتخذها لما طعن عمر ، وذلك ليتقى بها الأشرار .

ثم ظهرت المآذن أو المنارات في أواخر القرن الأول .

ولعل أول إشارة نعرفها إلى المآذن ما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على زيادة مسلمة بن مخلد الأنصاري في الجامع العتيق : ( جامع عمرو ) فقد ذكر أن هذا الوالي أمر بابتناء منار المسجد الذي في القسطنطينية ، وأمر أن يؤذنوا في وقت واحد ، وأمر مؤذني الجامع أن يؤذنوا للفجر إذا مضى نصف الليل فإذا فرغوا من أذانهم ، أذن كل مؤذن بالقسطنطينية في وقت واحد .

وجعل مسلمة للمسجد الجامع أربع صوامع في أركانه الأربعة ، وهو أول من جعلها فيه .

وقد كان لهذه المآذن ، ولا سيما مآذن المساجد في القاهرة إبان القرن الرابع عشر والخامس عشر ، أثر في تصميم أبراج النواقيس في إيطاليا في آخر عصر النهضة ، وهي التي نقل عنها المهندس الكبير السير ( كريستوفر رن ) ما صممه من الأبراج .

ومن المنارات التي تسترعى الانتباه ، وتجذب إليها الأنظار منارة الجامع الطولوني ، فإنه لا نظير لها في الأقطار الإسلامية ، اللهم إلا بالمسجد الجامع ، وبمسجد أبي دلف بسامرا ، ووجه الغرابة فيها أنها تتكون من قاعدة مربعة تقوم عليها طبقة اسطوانية عليها أخرى مئمنة ، وأن مراقبها من الخارج على شكل مدرج حلزوني .

ولبعض المساجد الكبيرة منارتان ، مثل مسجد الحاكم ، والسلطان حسن ، وبرقوق بالصحراء ، وجامع المؤيد .

وفي سنة ( ٩١٥ هـ ) أمر السلطان قانصوه الغوري ببناء منارة للجامع الأزهر تلك المنارة الضخمة ذات الرأس المزدوجة ، وهي منارة عالية امتازت بتبليس

القاشاني يبدن دورتها الثانية ، كما امتازت بوجود سلين فيما بين دورتها الأولى والثانية ، لا يرى الصاعد في أحدهما الآخر ، وهي إحدى النكت الفنية في العمارة الإسلامية .

ومن مظاهر الفن في المساجد القباب ، وما فيها من كتابات وزخارف حيث تجد هناك الخط الكوفي بأنواعه ، والنسخ الجميل .

فان تطور القبة في تاريخ فن العمارة الإسلامية أمر من الأهمية بمكان كبير . وهناك ظاهرة أخرى ترى في المساجد التي شيدت بمدينة القاهرة ، وهي شرفات على شكل أسنان المنشار ، ومن المعتقد أن تكون هذه الظاهرة قد تأثر بها مهندسو ( قصر الدوق ) وغيره من القصور الأخرى في البندقية .

\* \* \*

وخلاصة ما ذكرناه في هذا البحث ان دين العالم الغربي للإسلام في فن العمارة كبير في جملته ، وأن المساجد سجل للفن الإسلامي ، ومعرض للذوق الجمالي . ولا عجب فإن الإسلام دين الجمال والذوق السامي ، قال تعالى : . ولکم فیہا جمال حین تریحون وحين تسرحون . . وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد ومسلم والترمذی عن ابن مسعود : ( إن الله جميل يحب الجمال ) ؟

# الترجمة

## شروطها ومناهجها

لحضرة الكاتب الفاضل الاستاذ محمود محمد الخضيرى

المدير المساعد لمجلة الأزهر

الترجمة الصحيحة هي نقل المعانى نقلاً يؤديها من لغة إلى لغة أخرى ، بحيث لا تتغير المعانى بالنقل ولا يختلف التعبير عنها من حيث القيمة البيانىة بالرغم من اختلاف اللغة .

ولا بد لتحقيق هذه الغاية على الوجه الأكمل من توافر شروط ثلاثة :  
التمكن من اللغة المنقول منها ، والتمكن من اللغة المنقول إليها ، والخبرة بموضوع الكلام الذى يراد ترجمته ومعرفة ما يدور حوله من أمور .

ومثال ذلك : إذا كان الموضوع مما يتصل بعلوم القانون ، وكان الأصل مؤلفاً باللغة الفرنسية ويراد ترجمته إلى اللغة العربية ، فإنه من الواجب ألا يتصدى لترجمته إلا من كان ذا خبرة كافية بعلوم القانون ومتعوداً دراستها والنظر فى المدون فيها من الكتب فى اللغتين ، وكان مع ذلك متمكناً من اللغتين الفرنسية والعربية .

وفى هذا يقول الجاحظ : إن الترجمان لا يقدر على أداء العلوم والمذاهب إلا أن يكون فى العلم بمعانيها ، واستعمال أقصايف ألفاظها ، وتأويلات مخارجها مثل مؤلف الكتاب وواضعه ، ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه فى نفس الترجمة فى وزن علمه فى نفس المعرفة ، وينبغى أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيها سواء وغاية . اهـ باختصار عن الجزء الأول من كتاب الحيوان .



وإذا توافرت هذه الشروط في المترجم فإن عليه قبل الشروع في ترجمة أى كلام أن يتفهم عبارته ، ويعرف مقصوده مستعيناً بمنهج تفسير النصوص .  
وينبغي أن يكون المترجم المتقن لعمله متعوداً على تفسير النصوص في اللغة التي ينقل منها واللغة التي ينقل إليها ، وتفسير النص هو في الحقيقة أولى مراحل الترجمة ، لأنه يمكننا من تحويل مضمون النص كما نتلقاه من عبارة صاحبه إلى معان ترتسم في أذهاننا تصورها تصوراً واضحاً ، وكأنها من نتائج أفكارنا .

وأول ما يرمى إليه تفسير النص هو فحص عبارة المؤلف بجميع الوسائل التي نتسلها من علوم اللغة والبيان ، ثم البحث عن مقصوده ، وإذا تبين مقصوده فلا نطرح كيف تؤديه عبارته ، وربما تكشفنا لنا بواسطة هذا المنهج عيوب في تعبير المؤلف عن مقصوده مما يرجع إلى السهو أو التقصير في اللغة ، وينبغي أن نكون من الحيطة والبصر بالأمور بحيث نميز بين ما يجوز على المؤلف من سهو أو تقصير في اللغة وبين ما يعرض للكلام من سهو من تداولوه في النسخ والنقل ، وما أحدثوا فيه من مختلف التصرفات ، وأعنى بذلك أنه لا بد في بادئ الأمر من تقويم النص ، أو ما يسمى بالفرنسية : *Etablissement du Texte* .

وللترجمة في اللغة العربية تاريخ مجيد طويل ، إذ ترجم إليها الشيء الكثير عن اليوناني والسرياني والفارسي المتوسط ، أى اللغة الهلوية ، ويسمى بالعرب : اللسان الفارسي القديم ، والسكسكيتي أو لغة الهنود الدينية ، ولا نطرح في هذا التاريخ تراجع كتب الفهرست لابن النديم ، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة وأمثالهما ، ومن المؤلفات الحديثة كتب اشتاينشneider M. Steinschneider وبرگشتراسر Bergstraesser وغيرهما من العلماء الغربيين .

واشتهر عند مترجمي الإسلاميين في العصر العباسي طريقتان في الترجمة ، تنحصر أولاهما في استيعاب النص المطلوب ترجمته وفهمه خير فهم مستطاع ، ثم التعبير عنه بالعربي ، وهذه طريقة حنين بن إسحاق المتوفى سنة ٢٦٤ هـ . الموافقة سنة ٨٧٧ م ، وهو أشهر مترجمي العرب ، والطريقة الثانية هي الترجمة الحرفية

أو نقل النص كلمة كلمة . والترجمة حسب الطريقة الأولى تعطى كلاماً أبسر فهماً ، وأوضح عبارة ، ولهذا كانت ثمراتها سائغة ، وفائدتها أقرب وأعم ، وأما الترجمة على حسب الطريقة الثانية ، فقد جاءت عبارتها غامضة وغير جميلة ، ومع ذلك فإنها أفادت العلم ، واستطاع بواسطتها بعض العلماء استرداد النص المنقول في حالة فقدان أصله ، وذلك بترجمة الترجمة متبعاً نفس الطريقة التي اتبعها المترجم العربي .

وفي شرح هاتين الطريقتين في الترجمة يقول الصلاح الصفدى : وللترجمة في النقل طريقتان : أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحصى وغيرهما ، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية ، وما تدل عليه من المعنى فيأتى بلاغظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتى على جملة ما يريد تعريبه ، وهذه الطريقة رديئة لوجهين : أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ؛ ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها والثاني أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائماً ، وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات ، الطريق الثاني في التعريب طريق حنين بن اسحاق وغيره ، وهو أن يأتى الجملة فيحصل معناها في ذهنة ، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفها ، وهذا الطريق أجود ؛ ولهذا لم تحتاج كتب حنين بن اسحاق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية ، لأنه لم يكن قبيحاً بها ، بخلاف كتب الطب والمنطق ، والطبيعي والإلهي ، فإن الذي عربه منها لم يحتاج إلى إصلاح ، (عن الكشكول للبهاء العاملي . طبعة بولاق القاهرة سنة ١٢٨٨ ، ج ٢ ، ص ١٩١)

والواقع أن حنين بن اسحاق كان نسيج وحده في اتقان الترجمة واستحقق بنبوغه واجتهاده أن يخلد اسمه في تاريخ العلوم في العصور الوسطى عند الإسلاميين في الشرق والمسيحيين في الغرب على حد سواء . وهو من مفاخر العرب أصله من قبائل عباد (بفتح العين وتخفيف الباء) بالحيرة أخذ العربية عن شيخه الحليل بن أحمد ، وقيل

لأنه هو الذى أدخل كتاب العين بغداد . ومعنى ذلك أنه كان يتقن اللغة العربية . ثم إنه تعلم اللغة اليونانية فى الاسكندرية على بعض الروايات ، وقيل إنه تعلمها على اسحق بن الخصى ، وهو رومى الأصل من جهة والديه ، وتأدب بأدب الروم وقراءة كتبهم بفضل جارية رومية كانت خازنة عند الرشيد . وبلغ من تذوق حنين للغة اليونانية أنه كان يردد شعر أوميروس باليونانية وينشده . ثم كان فوق ذلك فيلسوفا وطيباً ممتازا يعالج الخلقاء ، ويخصونه بالقة فى وقت كثير فيه المشهورون من الأطباء ، واشتد فيما بينهم التنافس . ثم كان أيضا يحسن السريانية ، إذ ترجم إليها بعض الكتب عن اليونانية ، كما ترجم منها إلى العربية . وحسبه نغراً أن وصفه الخليفة العباسى بهذه العبارة : « لقد أحرز من طبائع الألفاظ وتحديد المعانى ما فاق به نظرائه » ؛ ( تراجع أخباره وترجمته فى كتاب طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ج ١ ص ١٨٤ - ٢٠٠ ) .

وكان من طرق الترجمة المألوفة عند الإسلاميين أن يتولى الرجل الذى يعرف اليونانية والسريانية ترجمة الكتاب من اليونانى إلى السريانى ، ثم يتولاه رجل آخر يعرف السريانى والعربى فينقله إلى العربى . وأحيانا أخرى كثيرة كان يترجم النص رجل متمكن من اللغة المنقول منها ، ولكنه غير متمكن من اللغة العربية فيتعهد ترجمته رجل آخر يحسن العربية بالنصحيح والتهذيب ، لكى يكسبها رونقا عربياً خالياً من آثار اللغة الأجنبية .

وحصل ما يشبه هذا فى العصور الوسطى الأوروبية ، لاسيما أثناء النهضة الخاصة بالترجمة فى مدينة طليطلة الأسبانية . وكان لهذه النهضة أثر كبير فى ازدهار العلوم وتقدمها فى أوروبا . كان النص العربى يحول أولاً إلى اللغة العامية القشتالية ثم يترجم الترجمة القشتالية إلى اللغة اللاتينية التى كانت لغة العلم والدين فى جميع أوروبا المسيحية .

ولا شك أن هذه الترجمة على درجات أدت إلى خلل فى الأداء ، فجاء المنقول غير مطابق فى كثير من الأحيان للأصل ، ولا يخلو من بعض الخروج عن مقصوده . وفى وقتنا الحاضر نلاحظ فى بلادنا هذا العيب الناتج عن ترجمة الترجمة .

ذلك أننا نجد كتباً مترجمة إلى لغتنا العربية لا عن لغة الأصل ، بل عن ترجمة لها في لغة أخرى . ونحن نعرف كتباً أصلها مؤلف بالإنجليزية ، ولكنها منقولة إلى لغتنا عن ترجمة فرنسية ، وأخرى أصلها موضوع بالفرنسية ترجمت عن ترجمتها الإنجليزية ، وأخرى أصلها ألماني أو لاتيني أو يوناني أو غير ذلك ، نقلت إلينا عن ترجمتها الإنجليزية أو الفرنسية أو التركية أو غيرها . والواقع أنه ما دام الناقل لا يعرف لغة الأصل ، فلا سبيل له إلى أن يعرف مقدار الصحة والأمانة في الترجمة التي اعتمد عليها معرفة صحيحة .

ومن طرق الترجمة أيضاً طريقة التلخيص . ونحن نجد نماذج كثيرة لهذه الطريقة في تاريخ الترجمة عن اليوناني والسرياني عند العرب . وإذا نظرنا في الأصول المترجمة على هذا النحو ، وجدنا أنها في حاجة إلى الشرح والبسط ، لا إلى الاختصار ، وإذن فإن الذي دعا المترجمين إلى اختصارها هو تيسير الترجمة بالتخلص من بعض الصعوبات ، كما دعاهم أيضاً إلى سلوك هذه الطريقة حاجة المبتدئين في التعليم إلى الاكتفاء بالمختصرات ليحفظوها عن ظهر قلب .

ومن طرق الترجمة أيضاً ، التزام بعض القيود اللغوية ، مثل ترجمة الشعر شعراً مع التزام وزن الأصل ، أو التزام الصناعات الاعظية الأخرى . وهذه الترجمة سقيمة لا تعطي شيئاً من النتائج الجيدة لما ينقلها من التكلف ، ولأن لكل لغة خواصها في دلالات أفعالها وأوضاعها ، واتصال كل كلمة بطائفة من الكلمات ذات معان معينة ، مما يجعل محيط التعبير في أي لغة مختلفاً في حدود معانيه عن محيط التعبير في غيرها من اللغات . وأقوى ما يكون هذا الاختلاف ظهوراً في الشعر .

وبالجملة ، فإن الترجمة بطريقة استيعاب النص ، وفهم معناه ، ثم التعبير عنه باللغة المنقول إليها ، والترجمة الحرفية كلمة كلمة ، هما الطريقتان الرئيسيتان ، وينبغي التوفيق بينهما لضمان الأمانة في النقل من جهة ، والوضوح في التعبير من جهة أخرى .

وأكبر ما يقع في الترجمة من خطأ هو ما يسمى بالفرنسية Non-Sens وهو أن يخلو النقل من معنى من معاني الأصل ، ويورد المترجم شيئاً آخر في مكانه .

وهذا يأتي في الغالب من عدم فهم النص والرغبة في التزام الترجمة الحرفية . والخطأ الثاني هو ما يسمى Contre-Sens وهو إيراد عبارة في الترجمة يخالف معناها معنى العبارة الأصلية ، والخطأ الثالث الغموض واللحن في اللغة المنقول إليها . والخطأ الأخير العجز عن مسايرة المؤلف في اختيار الألفاظ والعبارات لأداء غايات بيانية معينة مما تشرحه علوم اللغة وفنون الشعر والخطابة .

وفي الواقع إنه لا بد لإتقان الترجمة أن ينتبه المترجم إلى القيمة العاطفية للفظ والعبارة في لغة المؤلف . إذ أن هذه القيمة تصاحب الألفاظ والعبارات لميزة في تكوينها وتاريخها . وفي تأثير الوسط الذي وضعها فيه كبار الكتاب والشعراء والخطباء . ولهذا القيمة وزنها وحسابها بجوار مجرد الدلالة على الأشياء .

ومن مشكلات الترجمة إلى اللغة العربية عدم تيسر الألفاظ المطابقة لألفاظ في اللغات الأوروبية تدل على معان استحدثها الأوروبيون في مدنيهم الحديثة ، وهذه الألفاظ العربية المطلوبة لا توجد في قواميس يعتمد عليها . كما أن المترجم لا يجدها بسهولة .

وهذا واجب يقع عبؤه على المتخصصين في شتى العلوم والفنون على شرط أن يحسنوا اللغة العربية ، واللغات التي ترد فيها مصطلحات هذه العلوم ، أو أن يستعينوا بالمتخصصين من أهل اللغة .

وهناك مشكلات أخرى يعالجها علماء المجمع اللغوي ولا يتسع المجال لتفصيل الكلام فيها .

وبالجملة ، فإن للأديب المنشئ أن يختار من الألفاظ ما يراه مناسباً لأداء معانيه أو أن يختار من المعاني ما يناسب خزانته من الألفاظ . أما المترجم فليس له الحق في مثل هذا الاختيار ، لأنه أمين على معاني غيره ، وترجمان لشعوره وذوقه وعليه أن يؤديها في أوفق الألفاظ ، وإذالم يؤد هذه الأمانة على أتم وجه سمى خائناً ، وصدق عليه المثل الإيطالي القديم الذي معناه : « الترجمان خائن » .

# برامجنا التعليمية

## وخطط الاستعمار

للكاتب الفاضل الأستاذ جميل الرافعي

على أثر احتلال الجيش البريطاني لفلسطين الشهيـدة ، وانتعاش الروح الاستعمارية التبشيرية في العالم ولا سيما عند هيئات التبشير في أوروبا وأمريكا ، صحت عزيمة القوم على أن يعقد في فلسطين للمرة الأولى مؤتمر تبشيري يضم ممثلين لكثير من الدول الغربية ، ولا سيما التي تتخذ من التبشير أخطر الوسائل الاستعمارية . وتم عقد هذا المؤتمر في جبل الزيتون يومئذ وحضره جماعات من المبشرين ورؤسائهم من كل بقاع أوروبا وأمريكا ودام هذا المؤتمر زهاء سبعة أيام متوالية .

ويرجع ما دار في هذا المؤتمر إلى ما يأتي : —

بدأ كل زعيم لمبشري دولة من الدول يدلي ببيانات خطيرة باللغة الخطورة عن الجهود التي قامت بها طوائف المبشرين في خلال مائة عام حتى سنة ١٩٢٨ فذكرت الإحصاءات التي تقدم بها أولئك الزعماء على مجهودات يكاد المرء يظن أنها فوق مقدور الناس ، فقد انتشرت تلك الجماعات في جميع الممالك الإسلامية في مختلف قارات الأرض ، وانساب أفرادها يحجبون القرى والدساكر بعد أن تركزوا في البلدان والعواصم ، وتغلغلوا في المدارس والمستشفيات وذهبوا

(\*) تنشر رسالة الإسلام هذا المقال ، الذي يفصح عن نيات المبشرين الذين لا هم لهم إلا محاربة الإسلام ، وهي في الوقت نفسه تفرق بين هؤلاء وأهل العلم والبحث المنصفين من المستشرقين ، كما تعرف لبعض المعاهد الغربية في الشرق فضلها وخدمتها وحيادها فيما تعالج من بحوث ، أو تنظم من دراسات .

في افتنانهم لمقاومة الإسلام كل مذهب ، وتوسلوا إلى ذلك بجميع وسائل الدعاية والتبشير في المجتمعات والكنائس والأندية ... حتى تهجموا على الجوامع وعلى الأزهر نفسه في توزيع الرسائل المشككة في الإسلام والعقيدة المحمدية وغشوا المجتمعات التي يختلف إليها شباب المسلمين ، فكانوا يذرون البذور المؤدية إلى زعزعة العقائد .

تحمل المبشرون في كثير من المجاهل التي ارتادوها ضروبا من المناعب المادية والأدبية بالرغم مما نشرته عليهم دولهم التي تتحكم في العالم الإسلامي من أنواع الحمايات وأمدتهم به من الأموال ، فسهلت لهم بقوتها كل السبل لبناء المحطات والنخيمات والانتقال والإقامة حتى بين الوحوش في بعض جهات أفريقيا النائية ، والتعرض لاختطار لاحصر لها ، منها أن بعض الزوج الذين كان المبشرون يذلون في سبيل تنصيرهم كل جسد ، كانوا يأكلون أولئك المغامرين في سبيل نشر المسيحية وضرب الإسلام بها ، أو سبقه إلى تلك الأماكن السحيقة .

وصف المبشرون تلك الأهوال التي أحاطت بهم في كثير من مختلف بقاع الدنيا ، ولم ينسوا الإشارة إلى إهمال الطائفة المتعلمة بين المسلمين ، ولا سيما الذين كان الإسلام يفرض عليهم الدفاع عن هذا الدين الذي تشرفوا بالانتساب إليه ، وفهموا أسرار هدايته للعالمين ، وكان كل خطيب من أولئك الخطباء ينتهي ببيان مقنع مدعم بالأرقام يقر فيه لإفلاس التبشير المسيحي في العالم الإسلامي خلال الأعوام المائة السالفة ، فتجمعت هذه النتائج في اليوم السابع لدى سكرتيرية المؤتمر بحجة كلها على معنى واحد لا يخرج عن حقيقة الفشل الذريع للتبشير ، بينما ينتشر الإسلام في أفريقيا ، ويتدفق رغم هذه السدود على الدنيا ، وفي الوقت نفسه يغزو الإسلام المسيحية في أكبر عواصمها من القارتين الأوروبية والأمريكية ، برغم إهمال المسلمين جماعات وحكومات ، وأن من هذه الجماعات والحكومات من تشترك بتصرفاتها في تعويق انتشار الإسلام مع روح التبشير الاستعماري .

وما كاد المؤتمر يصل إلى هذه النتيجة ويعلمها ويقرر على ضوءها مصير هذه الجهود التبشيرية ، حتى وقف الرئيس القس زويمر - وهو الذى كان رئيس المبشرين فى القطر المصرى ووزع فى الأزهر يومئذ رسالة يخطئ فيها المسلمين لاتجاههم فى صلواتهم إلى الكعبة المعظمة ، ويصححه بضرورة الاتجاه إلى بيت المقدس -

وقف القس زويمر فقال ما خلاصته —

أيها الإخوان الأبطال ، والزملاء الذين كتب الله لهم الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام ، فأحاطهم غناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس . لقد أديتم الرسالة التى نيظت بكم أحسن الأداء ، ووقفتم لها أسبى توفيق ، وإن كان يخيل إلى أنه مع إتمامكم العمل على أكل الوجوه لم يظن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه .

إنى أفركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية لم يسكنوا مسلمين حقيقين ، لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة : إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام ، أو رجل مستخف بالأديان لا يبنى غير الحصول على قوته ، وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، أو آخر يبنى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية ، ولكن مهمة التبشير التى نذبتمكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست هى إدخال المسلمين فى المسيحية ، فإن فى هذا هداية لهم وتكريما ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لاصلة له بالله ، وبالتالي لاصلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري فى الممالك الإسلامية ، وهذا ما قتم به فى خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما أهنكم عليه ، وتهنكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً من أجله كل التهنة ، لقد قبضنا أيها الإخوان فى هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية المستقلة ، أو التى تخضع لنفوذ المسيحية أو التى يحكمها المسيحيون حكماً مباشراً ، ونشرنا فى تلك الربوع مكامن التبشير المسيحي فى الكنائس والجمهيات وفى المدارس المسيحية الكثيرة



التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية ، وفي مراكز كثيرة ولدى شخصيات لا تجوز الإشارة إليها ، الأمر الذي يرجع الفضل فيه إليكم أولاً ، وإلى ضروب كثيرة من التعاون بارعة باهرة النتائج ، وهي من أخطر ما عرف البشر في حياة الإنسانية كلها ، إنكم أعددتهم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد .

إنكم أعددتهم نشأاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار المسيحي لا يهتم بالعظام ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في دنياه إلا إلى الشهوات ، فإذا تعلم للشهوات ، وإذا جمع المال للشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز في سبيل الشهوات يجود بكل شيء .

إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه وانتهيت إلى خير النتائج ، وباركتكم المسيحية ، ورضى عنكم الاستعمار ، فاستمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحت بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب ، .

وبذلك انتهى المؤتمر إلى قرار الاستمرار في خطته بالوسائل القديمة وبوسائل جديدة ، ونشأت الحالة التي صار إليها أبناء الأمم الإسلامية نتيجة برامج المبشرين ، وهذا هو السر الحقيقي في أن العلم في بلاد المسلمين أخفق وأصبحت معظم طبقات المتعلمين حرباً على الإسلام نفسه .

وإنك إذا تأملت عند وقوع الكوارث الكبرى في العالم الإسلامي رأيت أنها وقعت بأيدي المسلمين ، ومن ورائهم الاستعمار المسيحي يوجههم الوجهة التي يريدونها ، والأمثلة على هذا كثيرة تفوق الحصر ، وآخرها فكبة فلسطين الكبرى ، وهي المأساة التي لم يرو التاريخ لها مثيلاً ، فإن الذين مثلوا أدوارها نخبة من أرقى المتعلمين في الممالك العربية السبع .

فقد انتهوا فيها بإرشاد المستعمرين وتهديدهم إلى ما يريد الاستعمار المسيحي

بالإسلام ، وهو وضع خنجر في قلب فلسطين ، أو في الواقع في قلب العالمين الإسلامي والعربي ، وقطع الصلة بين العرب في مشرقهم ومغربهم ، وطبع وصمة عار على جبين المسلمين ، وقتل عزة النفس الإسلامية فيهم .

ولو أن تلك الفئة من الرجال المتعلمين وهم من خيرة الأسر العربية الإسلامية في الشرق الأوسط نشئوا في غير هذا الوسط الاستعماري التبشيري ، وتعللوا في مدارس عمادها الثقة بالله وبالأمة والوطن والحقيقة المجردة ، لما أصيبت فلسطين بمثل نكبتها ، ولما شرد زهاء مليون من المسلمين الآمنين إلى جميع الأقطار العربية وأصبحوا لسوء حظهم في حالة تنفست الأكباد لمجرد ذكرها ، أو قراءة وصفها على القرطاس .

ومن العجيب جداً أن التبشير المسيحي أدخل في روع الناس أن الحياة الإسلامية لا تسمح للبره مهما أوتى من الذكاء أن يتقدم ، فهي رجعية بكل معاني هذه الكلمة ، وأن الرقي والتقدم ومسيرة هذه الهضات الحديثة لا يكون إلا عن طريق التقدم الأوروبي .

وقد أدخل في روع الناس منذ ثلاثة أرباع القرن أن الرقي منوط بالمدينة الأوروبية ، وإذا قلت لمن أصيبوا بهذه الكارثة : إن الأوروبيين أنفسهم يرون أن الأعمال العظيمة من مظاهر الإيمان بالله ، صموا آذانهم عن هذا كله .

ولإني أذكر كلمة بسمارك العظيم إذ يتحدث عن علاقة الجندي بالله ، وهو يجاهد ويجالد ويموت وإن لم يكن قائده يراه ، ويقرر أن هذا شعور ووجدان . يقول بسمارك :

« انظروا إلى تجدوني قد ملكت من موارد الرزق مالا مطعم بعده ، فلماذا أحمل نفسي هذه الهموم والآلام ؟ لا يحملني على شيء من ذلك إلا اعتقادي أنني في جميع أعمالي أتجه لوجه الله . »

« إنني لأعجب كيف يعيش قوم ، أو كيف يؤدون ما عليهم من واجبات إذا لم يكن لهم دين سماوي ، وإله يحب الخير ، ويدعو إليه . »

« لو لم أكن مسيحياً مخلصاً لما كان لكم وزير كبير مثلى يدبر أسرار الاتحاد الألماني . »

« انزعوا ثقتي بالله انزعوا محبتي لوطني . »

هذا ما يقوله بيسارك داهية أوروبا ، فالتكبة الآن لم تعد قاصرة على برامجنا التي أعدها التبشير الاستعماري المسيحي بل معظمها انتقل إلى أيدي المسلمين الذين تعلموا في نطاق هذا البرنامج ، تحيط بهم المظاهر الأوروبية الخلافة ، والدسائس السياسية ومدارس التبشير من كل جنس وكل مذهب مسيحي .

فإذا لم تحل هذه المسألة على الطريقة السلمية وتغير برامج التعليم والتربية ، ويمنع الناس بالوسائل المعقولة من أن يرسلوا أولادهم لغير مدارس الدولة ذات البرنامج السليم من شوائب الاستعمار ، فإن الموقف سيزداد سوءاً بالرغم من جميع الحركات العظيمة التي يتمخض عنها الوعي القومي في هذا الشرق .

ألا إنها حقيقة أعلنها على رموس الأشهاد ، وإن تكن مرة المذاق : هي أنه لامناص من تغيير نظم التعليم والتربية في كل مكان قامت فيه على الأسس التي وضعها الاستعمار من قريب أو بعيد .

يجب أن تستبدل هذه النظم حينما كانت ، وأن يحل محلها في جراحة وسرعة برنامج ينطوي على الإيمان القوي والعلم الصحيح والتربية السكاملة ، ورعاية ديننا وتقاليدنا وتاريخنا ، حتى نستطيع أن نعد للعالم الإسلامي ناشئة في استطاعتها أن تتحمل أعباء النهوض من كبوة الأجيال المستضعفة ، وفساد الاستعمار الماكر الخبيث ، وتدهور الأخلاق إلى ما تدهورت إليه من الحضيض .

وإلى أن نرى هذا التفكير السليم يعقبه العمل السريع سنظل في إشفاق على جميع النهمضات التي تقوم في مصر أو في غيرها من بلاد العالم الإسلامي .

ولله الأمر من قبل ومن بعد ؟

من بحوث مجمع فؤاد الاول للغة العربية<sup>(١)</sup>

## معجم ألفاظ القرآن الكريم

— ٨ —

لجنة المرحوم الأستاذ على الجارم  
ونحضره الأستاذ على حسب الله

### ع د ل

عدل يعدل عدلا كضرب : أنصف ولزم جانب الحق ، ضد جار ، ومنه قوله تعالى : « وأمرت لأعدل بينكم » ، ١٥ / الشورى . وقوله تعالى : « ولذا قلتم فاعدلوا ، ١٥٢ / الأنعام . وقوله تعالى : « وليكتب بينكم كاتب بالعدل » ، ٢٨٢ / البقرة . وقوله تعالى : « أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ، ١٥٩ ، ١٨١ / الأعراف . وقوله تعالى : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ، ١٢٩ / النساء . أى لن تستطيعوا أن تمنحوهن أقساطاً متساوية من البر والحبة ، فإن الميول القلبية لا قبل للإنسان بالعدل فيها ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يعدل بين زوجاته في النفقة والمبيت ويقول : ( اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تواخذني فيما لا أملك ) .

وعدل فلان الشيء يعدله عدلا : قومه وناسب بين أجزائه ، وقد ورد في قوله تعالى : « الذى خلقك فسواك فعدلك » ، ٧ / الانفطار . فالتسوية جعل الأعضاء سليمة معدة لمنافعها ، والعدل جعل الجسم معتدلا متناسبا الخلق لا تنافر بين أعضائه وقد قرئ : « عدلك » بالتشديد ، للبالغة في هذا المعنى .

(١) بإذن خاص من حضرة الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد رئيس المجمع .

وعدل فلانا بفلان يعدله به عدلا : سوى بينهما ، وقد ورد في قوله تعالى :  
« والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون » ، ١٥٠ / الأنعام . أى يجعلون  
نظيراً مساوياً ومكافئاً له .

وعدل عن الشيء يعدل عدولا : انصرف عنه ، وقد ورد في قوله تعالى :  
« ألم له مع الله بل هم قوم يعدلون » ، ٦٠ / النمل . أى يعدلون عن الحق إلى الضلال  
والشرك ، ويحتمل أن يكون من النوع السابق ، والمعنى بل هم قوم يسوون بالخالق  
غيره من الشركاء والاول أقرب ، وقوله تعالى : « الحمد لله الذى خلق السموات  
والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » ، ١ / الأنعام .  
إن جعلت « بربهم » متعلفا بـ « كفروا » كان من العدول ، أى يعدلون عن الحد  
المستحق له تعالى بمقتضى خلقه للكائنات ، وإن جعلته متعلفا بـ يعدلون - كان من  
النوع الاول ، أى يسوون بينه وبين غيره من الشركاء . مع ما امتاز به من دلائل  
الالوهية ، ولعل هذا أقرب ، وقوله تعالى : « فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا » ،  
١٣٥ / النساء ، يحتمل الوجهين على السواء ، أى فلا تتبعوا الهوى لتعدلوا وتتحرفوا  
عن طريق الحق ، أو فلا تتبعوا الهوى كراهة العدل وإحقاق الحق .

وعدل يعدل عدلا : أعطى المثل أو الفداء ، ومن ذلك قوله تعالى . « وأن  
تعدل كل عدل لا يؤخذ منها » ، ٧٠ / الأنعام ، أى أن تحاول الاقتداء فى أى صورة  
من صوره لا يقبل منها .

والعدل بالفتح والكسر المثل والفداء ، ومنه قوله تعالى : « ولا يؤخذ منها  
عدل » ، ٤٨ / البقرة ، أى لا يقبل منها فدية ، ومثله ما فى ١٢٣ / البقرة ،  
٩٥ / المائدة .

## ع د ن

عدن بالمكان يعدن ويعدن عدنا وعدونا ، أقام فيه واستقر ، وإنما يكون عدن  
هذا فى الكثير عند الاطمئنان والدعة ، ومنه جنات عدن ، أى جنات النبات

والاستقرار والرضا ، وقد ذكرت في أحد عشر موضعاً من الكتاب الكريم ، ومنها قوله تعالى : « ومساكن طيبة في جنات عدن » ، ٧٢ / التوبة .

## ع د و

عدا — عدا يعدو عدواً : جرى مسرعاً ، وقد ورد في قوله تعالى :  
« والعاديات مضجاً » ( أول العاديات ) ، وهو قسم بالخيل المسرعة في سيرها  
للقاء العدو .

٢ — عدا عن الشيء بعدو عدواً : تجاوزه إلى غيره ، وقد ورد في قوله  
تعالى : « ولا تعد عيناك عنهم » ، ٢٨ / الكهف ، أى لا تنحرف عن مصاحبة الأخيار  
إلى غيرهم .

٣ — عدا يعدو عدواً وعدواً : تجاوز الحق المشروع أو جار وظلم ،  
ومنه قوله تعالى : « وقلنا لهم لا تعدوا في السبت » ، ١٥٤ / النساء ، وقوله تعالى :  
« فن اضطر غير باغ ولا عاد » ، ١٧٣ / البقرة ، ١٤٥ / الأنعام ، ١١٥ / النحل ،  
أى ولا متجاوز قدر الحاجة ، وقوله تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون  
الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » ، ١٠٨ / الأنعام ، وقوله تعالى : « فن ابتغى وراء  
ذلك فأولئك هم العادون » ، ٧ / المؤمنون ، ٣١ / المعارج .

العدوان — والعدوان الظلم الصراح ، ومنه قوله تعالى : « ونرى كثيراً منهم يسهرون  
في الإثم والعدوان » ، ٦٢ / المائدة .

اعتدى — جاوز الحد المشروع أو جار وظلم ، ومنه قوله تعالى : « ولقد علمتم  
الذين اعتدوا منكم في السبت » ، ٦٥ / البقرة ، وقوله تعالى : « تلك حدود الله  
فلا تعتدوها » ، ٢٢٩ / البقرة ، وقوله تعالى : « فن اعتدى بعد ذلك فله عذاب  
أليم » ، ١٧٨ / البقرة ، وقوله تعالى : « وما يكذب به إلا كل معتبد أثيم » .  
١٢ / المطففين .

وقد يطلق العدوان والاعتداء على القصاص مشاكلة ، وقد ورد في قوله تعالى :

«فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين .. فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، ١٩٣ ، ١٩٤ / البقرة .

عادى فلان فلانا : جاوز الحد في كراهته وبغضه ، وقد ورد في قوله تعالى : عادى عسى أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ، ٧ / الممتحنة .

العداوة المعادة ، ومنه قوله تعالى : «وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، ٦٤ / المائدة :

العدو : المصادى ، ويقال للواحد والجمع مذكراً ومؤنثاً ، وقد يثنى ويجمع ويؤنث ، والجمع أعداء ، ومنه قوله تعالى : «فإن الله عدول للكافرين ، ٩٨ / البقرة . وقوله تعالى : «وقلنا أهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ٣٦ / البقرة ، وقوله تعالى : «فأنهم عدوى ، ٧٧ / الشعراء ، وقوله تعالى : «فلا تسمت في الأعداء ، ١٥٠ / الأعراف .

العدوة - مثلثة العين - شطر الوادى ، وقد ورد في قوله تعالى : «إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى ، ٤٢ / الأنفال . قرى بتدليث العين فيهما . والعدوة الدنيا القربى من المدينة ، والقصوى البعدى منها .

## ع ذ ب

عذب الماء يعذب عذوبة : طاب وبرد فساغ مشربه ، فهو عذب ، وقد ورد في قوله تعالى : «هذا عذب فرات ، ٥٣ / الفرقان ، ١٢ / فاطر .

عذبه قيل أصل معناه : أزال عذب حياته ، كرضه إذا حاول إزالة مرضه ، وقيل أصل معناه : حمله على أن يعذب ، يقال : عذب الرجل يعذب إذا ترك الغذاء والدوم فهو عاذب وعذوب . ثم استعمل في الإيلاام بحبس أو ضرب أو إحراق أو غير ذلك . والاسم العذاب .

وقد وردت هذه المادة كثيراً في الكتاب الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى : «وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا ، ٢٦ / التوبة ، وقوله تعالى : «فأني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، ١١٥ / المائدة ، وقوله تعالى :

« وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، ٣٣ / الأنفال ، وقوله تعالى : « فلا تدع من الله إله آخر فتكون من المعذنين » ، ٢١٣ / الشعراء .

## ع ذ ر

عذره يعذره عذراً كضرب : قبل عذره ورفع عنه اللوم .

**العذر** والعذر ما يحتاج به لمحو الذنب وعدم المؤاخذه عليه : كأن يشكر وقوعه ، أو يبين لفعله وجهها صحيحاً ، أو يقر بالخطأ ، وقد ورد في قوله تعالى : « فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذراً » ، ٧٦ / الكهف ، أى قد بلغت منى ما يعد عذراً لى فى ترك مصاحبتك ، وقوله تعالى : « فالملقيات ذكرا ، عذراً أو نذراً » ، ٦ / المرسلات يعنى الملائكة الذين يبلغون الذكر إلى الأنبياء ليسكون عذراً للؤمنين ونذراً للكافرين ، ولذلك يقال : القرآن حجة لك أو عليك .

**المعذرة** المعذرة العذر ، وقد ورد في قوله تعالى : « لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربك ولعمري يتقون » ، ١٦٤ / الأعراف ، أى نعظم التماساً للعذر عند الله تعالى حتى لا نؤاخذ بالتقصير فى إرشادهم ، وقوله تعالى : « فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم » ، ٥٧ / الروم ، أى لا ينفعهم ما يبدون من أعذار ، ومثله ما فى ٥٢ / غافر .

وجمع المعذرة معاذير على غير قياس ، وقد ورد في قوله تعالى « بل الإنسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره » ، ١٥ / القيامة ، أى أن المرء سيكون يوم القيامة حجة على نفسه بشهادة جوارحه عليه ، وأن أبدى كل ما عنده من أعذار .

**يعتذر** واعتذر فلان أبدي عذرا يدفع عنه اللوم ، ومنه قوله تعالى : « يعتذرون اليكم إذا رجعت إليهم قل لا تعتذروا إن نؤمن لكم » ، ٩٤ / التوبة .

**المعذر** عذر المرء تظاهر بالعذر ولا عذر له ، فهو مُعَذَّر ، وقد ورد في قوله تعالى : « وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم » ، ٩٠ / التوبة ، وقرئ المعذرون بالتخفيف من أعذر إذا بالغ فى الاعتذار .



## ع ر ب

العرب جيل من الناس خلاف العجم ، وهم أولاد اسماعيل عليه الصلاة . العرب والسلام ، والعربي ثابت النسب فيهم ، ومنه قوله تعالى : « أَعْجَمِي وَعَرَبِي » ٤٤ / فصلات . أى أقرآن أعجمي ، والمخاطب به عربي ، والعربي من السلام البين الفصيح منه ، ومنه قوله تعالى : « وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » ١٠٣ / النحل .  
والحكم العربي الذي يحق الحق ويبطل الباطل في وضوح ، ومنه قوله تعالى :  
« وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حِكْمًا عَرَبِيًّا » ٣٧ / الرعد .

الأعراب سكان البوادي من العرب ، والواحد أعرابي ، ومنه قوله تعالى : الأعراب . الأعراب أشد كفراً ونفاقاً » ٩٧ / التوبة .

وامرأة عروب وعروبة : متحبة إلى زوجها ، معربة بحالها عن غفنها وحفظها . هرب لغيره ، والجمع عرب ، وقد ورد في قوله تعالى : « لَجَعَلْنَاهُمْ أَكْبَارًا » عرباً أرباباً ،  
٣٧ / الواقعة

## ع ر ج

عرج يعرج عرجاً كفرح : أصيبت رجله بعلّة لازمة فاختلفت مشيته ، فهو أعرج . أعرج والأثني عرجاء ، وقد ورد في قوله تعالى : « لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ » ١٧ / الفتح .

عرج يعرج عروجا كدخل : ذهب صاعداً ، ومنه قوله تعالى : « تَعْرِجُ يَعْرِجُ لِلْمَلَكَةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ » ٤ / المعارج .

المعرج والمعراج : المصعد ، والجمع معارج ومعارج ، ومنه قوله تعالى : المعارج . « سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ، لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ، مِنْ أَفْئِدَةِ الْمَعَارِجِ » ٣ / المعارج . فالمعارج الدرجات ، والمراد تصوير علو الله تعالى .

العرجون عود الكباسة - أى العذق من النخل - الذي يثبت فيه الشماريح ، العرجون وقد ورد في قوله تعالى : « وَالتَّمْرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ » ٣٩ / يس . أى حتى عاد مقوساً دقيقاً كالعرجون الجاف .

## ع ر ر

معره عرف قومهم بالشر كَرَدَ : لظنهم به ، والعَر والعَر الجرب الذى يعُر البدن ، والمعرة المساءة والإثم ، وقد ورد فى قوله تعالى : « فتصيبكم معرة بغير علم » ٢٥ / الفتح

المعتر واعتز فلان فلانا : تعرض لمعروفه من غير مسألة ، وقد ورد فى قوله تعالى : « فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر » ٣٦ / الحج .

## ع ر ش

عرش البيت كضرب ونصر عرشا وعروشا : بناء ، وعرشه أيضاً سقفه ، وعرش الكرم جعل له ما يشبه السقف على دعائم ليمتد عليه ، فالكرم معروش أى مرفوع على عروشه .

يعرشون وقد ورد من ذلك قوله تعالى : « ودرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » ١٢٧ / الأعراف . قيل المراد بما كانوا يعرشون ما كانوا يقيمون من الأبنية الضخمة العالية ، وقيل ما كانوا ينشئون من الجناات التى بها عروش للكرم ونحوه ، وقوله تعالى : « أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » ٦٨ / النحل . أى ومما يقيمون من عروش ، وقوله تعالى : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات » ١٤١ / الأنعام . فالمعروشات المرفوعات على عروش ، وذلك من النبات ما تمتد فروعه ، وقد تتعلق بما تمتد إليه وتتسلقه ، وغير المعروشات ما يقوم على سوقه من الأشجار .

المعرش ١ — العرش سقف البيت وما يقام للكرم مثل السقف ، والجمع عروش ، ومنه قوله تعالى فى القرية : « وهى خاوية على عروشها » ٢٥٩ / البقرة ، ٤٥ / الحج أى متهدمة قد سقط سقفها ثم سقطت عليه الحيطان ، فأصبح عاليها سافلها ، وهو أبلغ فى الدمار ، أو المتصود خلوها من السكان ، وقوله تعالى فى مثل الجنتين : « وهى خاوية على عروشها » ٤٢ / الكهف . أى سقطت كرومها فوق عروشها ، وهو كناية عما أصابها من التلف والفساد .

٢ — والعرش مجلس السلطان وسريره ، لأنه مرتفع حساً أو معنى ، ومنه قوله تعالى : « ورفع أبويه على العرش ، ١٠٠ / يوسف ، ومثله ٢٣ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ / النمل .

٣ — وقد يكتنى بالعرش عن الملك والسلطان ، أو العز ورفع الشأن ، فيقال : قوى عرش الخليفة - إذا ثبت ملكه وعز سلطانه ، ونل عرشه - إذا ذهب ملكه أو زال عزه ، وقد يكون من هذا : « ولها عرش عظيم ، ٢٣ / النمل . قال أبو مسلم : العرش هنا الملك .

٤ — وعرش الله تعالى شيء استأثر سبحانه بعلم حقيقته ، وقد دلت الآيات على أن من خواصه أنه محمول ، وأنه لا يعتريه من الخلل والانحلال ما يصيب العالم عند فناء الدنيا ، ولعل المراد به مركز تدبير العالم ومصدر تاتي الملائكة أوامر الله تعالى ، وذلك ما ورد في « وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ، ٧ / هود . وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ، ٧٥ / الزمر . والذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ، ٧٦ / غافر . وفي قوله تعالى بعد ذكر النفخ في الصور : « فيومئذ وقعت الواقعة ، وانشقت السماء ففى يومئذ واهية ، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، ١٧ / الحاقة .

وقد يفسر عرش الله تعالى - فيما عدا هذا - بالملك والعظمة ، كقوله تعالى : « ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار ، ٥٤ / الأعراف . « عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، ١٢٩ / التوبة .

## ع ر ض

١ — عرض فلان الشيء اعلان وعرضه عليه كضرب : أبرزه له وأظهره ، ومنه : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ، ٣١ / البقرة . « وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً ، ١٠٠ / السكف . ومثله ٣١ / ص . وقوله تعالى : « إنا عرضنا الامامة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملها وأشفقن منها

وحملها الإنسان ، ٧٢ / الأحزاب . ليس فيه عرض حقيقى ، وإنما هو تصوير لعظم التكاليف الدينية ، حتى أنها لو عرضت على أعظم الأشياء لأبت حملها ، لعدم استعدادها لذلك بالفطرة ، وحملها الإنسان على ضعفه ، لما منحه الله تعالى من عقل واستعداد لذلك .

٢ — وعرض الخلاق على الله يوم القيامة ، حسبهم للحساب ، ووقوفهم له صفوفاً كما يقف الجند بين يدى السلطان ، وقد ورد هذا فى : « وعرضوا على ربك صفا ، ٤٨ / المكف . وأوائك يعرضون على ربهم ، ١٨ / هود . وفى ١٨ / الحاقة .

٣ — ويقال : عرض الأسير على السيف إذا قتله به ، ومنه : « البار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، ٤٦ / غافر . أى يعذبون بها ، ومثله ٤٥ / الشورى ، ٢٠ ، ٣٤ / الأحقاف .

عارض العارض الذى يبدو عريضاً واسعاً ، ويطلق على السحاب المعترض فى الأفق ، ومنه : « قلنا رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، ٢٤ / الأحقاف أى لما رأى ماسيعذبون به قد ظهر عريضاً واسعاً فى الأفق ظنوه سحاباً فقالوا مقالهم .

العرضة اسم لما يكثر تعرضه لك أو تعرضك له ، وقد يطلق على الحائل والمسافع ، وورد فى : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ، ٢٢٤ / البقرة ، أى لا تجعلوا الحلف بالله معترضاً فى أحاديثكم ، فلا تحلفوا به كثيراً ، لتكونوا بررة أتقياء مصلحين من غير تعرض للحنث ، وقيل معناه : لا تجعلوا الله بسبب الحلف به مانعاً لكم من البر والتقوى .. الخ ، فالآية على الأول نهى عن كثرة الحلف ، وفى الثانى نهى عن ترك البر بسبب الحلف .

العرض العرض الشئ كظرف عرضاً وعرضاً فهو عريض - بعد ما بين جانبيه ، وهو ما يقابل الطول منه ، ويمكن بذلك عن السعة فى المحسات ، ويتجاوز به عن الكثرة فى المعنويات ، فمن الأول : سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ، ٢١ / الحديد ، أى جنة واسعة ، ومن الثانى : « وإذا صه الشر فذو دعاء عريض ، ٥١ / فصلت ، أى دعاء كثير مستمر .

العرض ما لا بقاء له ، ويطلق على متاع الدنيا لسرعة زواله ، ومنه : « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » ، ٦٧ / الأنفال ، « لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تبعوك » ، ٤٢ / التوبة ، « أى لو كان مطلباً سهلاً » ، « يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وأن يأتهم عرض مثله يأخذوه » ، ١٦٩ / الأعراف ، « أى يأخذون حطام هذه الدنيا الدنيئة » ، والمراد ما كانوا يأخذون من الرشا .  
بحكم مناصبهم .

أعرض عن الشيء انصرف عنه وأهمله ، ومنه « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا » ، ١٢٤ / طه ، « وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا » ، ٤٢ / المائدة ، « يا إبراهيم أعرض عن هذا » ، ٧٦ / هود ، « ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » ، ٢٣ / الأنفال .

عرض بالامر تكلم بما يدل عليه من غير تصريح به ، وقد ورد في « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » ، ٢٣٥ / البقرة ، قالوا : كأن يقول لمن يريد خطبتها : وددت أن تكون لى زوجة صالحة مثلك .

# أُنْبَاءٌ وَأَرَاءُ

أُسَعة الدين المهرندين :

سماحة السيد الجليل ، آية الله ، هبة الدين الحسيني الشهرستاني ، معروف بنشاطه في خدمة الدين ، وانصالة الوثيق بجمعيات د المهتدين إلى الإسلام ، في البلاد الغربية كألمانيا وهولندا وانجلترا وفرنسا وأمريكا واليابان وغيرها ، وهو يدعو إلى إنشاء مسجد للمسلمين في هامبورج ، ورسالة الإسلام تؤيده في مساعيه المشكورة ، وتدعو المسلمين لتلبية دعوته إلى إنشاء هذا المسجد ، وقد أوصل سماحته إلى جمعيات المهتدين بواسطة معتمده الدكتور أويسكارفوس المهتدى هذا البيان ، وقد وصلتنا نسخة منه فرأينا نشرها وهامى ذى :

الدين منهاج ربانى لتربية العقل الإنسانى وبلوغه سعادة الحياة ، والسعادة معشوقة الجميع ، وهى نبيل الحى لآهم آماله فى سبيل استكمالها ، وهى نوعية وشخصية روحية وبدنية ، ومنهاج السعادة الإنسان دينه ومذهبه ، ولا بد لكل حى من منهاج يسير عليه منفرداً ومجتمعاً ( كمنهاج القوافل ) وكما لأبناء الأرض منهاج يسير ، فإن لبنات السماء منهاج يسير أيضاً ، وكل فى فلك يسبحون ، وهذا منهاج العام هو الزمام وهو الحافظ للأجرام من التيه والاصطدام . فلا بد للإنسان ونيل سعادته من التزام منهاج يسير عليه يسمى الدين ، وخير منهاج جربناه لخير البشر ويختاره عقلاء عصرنا هو الإسلام ، أى تسليم المخلوق وجهه لخالقه جل شأنه ، واتباعه للفطرة الإلهية ، وما تقتضيه نوااميسها العامة ، دأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، فالإسلام هو دين الفطرة التى فطر العموم عليها ، وسننها التى تجرى

على العموم ، فينبغي أن يجرى العموم عليها ، ومن أحسن ديننا من أسلم وجهه لله وهو محسن ، أى يسلم وجهه وتوجهات قلبه إلى ربه ، ويسلم نفسه لاتباع سنن الخالق الفطرية ، ويسالم عباد الله ويحسن إليهم ، فالإسلام دين السلام ، ودين الإحسان إلى الأنام ، وشعار الإسلام : « السلام على عباد الله الصالحين ، فى كل اجتماع ، وفى كل وداع ، وفى ختام الصلوات وافتتاح الخطاب والكتاب ثم مثوام فى دار السلام ».

\* \* \*

### إمضاء المسلمين ومعرفة أهوال طوائفهم :

تختلف الأنظار فى تحديد عدد المسلمين فى العالم ، وفى معرفة الأحوال الاقتصادية والثقافية لطوائفهم المتعددة ، ويصل التفاوت فى البيانات المتعلقة بذلك إلى حد بعيد .

ويقف الباحثون والمؤلفون من هذا الأمر موقف الحيرة والاضطراب ، لا فرق فى ذلك بين الباحثين المسلمين والباحثين الغربيين من مستشرقين وغيرهم .

والسبب فى هذا الاختلاف والتفاوت يرجع إلى أمور :

منها أنه لم توجد حتى الآن عناية بهذه المسألة الهامة من أية هيئة عالمية أو إسلامية ، وقد همت بذلك « عصبة الأمم الأوروبية ، قبل الحرب العالمية الأخيرة ولكن دول هذه العصبة لم تتعاون عليه تعاوناً صادقاً لأسباب سياسية ، فلم يأت لهذه العصبة أن تخطو فى شأنه خطوة عملية .

ومنها أن أصحاب المصلحة فى أن يكون المسلمون فى العالم - قلة يتأثرون بهذه المصلحة فيعطون فى بياناتهم عدداً يقل عن الواقع كثيراً ، ومن جانب آخر تلعب العواطف دورها فتجعل بعض الكتاب الإسلاميين يذكرون أرقاماً عالية تتفاوت بين العشرات من الملايين والمئات منها .

ومن طريف ذلك أن كل طائفة من الطوائف الإسلامية تعطى نفسها عدداً كبيراً لتبرهن على أن أتباع المذهب الذى تعتقه هم أكثر المسلمين ، أو هم أكثر

بحسب حسابها فيهم ، حتى إننا لو جمعنا هذه الأرقام عن جميع الطوائف الإسلامية لما أبقينا لغير المسلمين في العالم رقبا يذكر .

ومنها أن بعض البلاد الإسلامية لم تصل عنايتها بالإحصاء إلى الحد الذي يطمأن معه إلى ما يذكر عنها من أرقام .

ومنها أن كثيراً من المسلمين يعيشون في بلاد غير إسلامية في أوروبا وأمريكا وغيرها ، ولا تعنى هذه الدول بأحصائهم لإحصاء دقيقاً ، ولا بإعطاء أية معلومات منضبطة عنهم .

ومنها أن بعض غير المسلمين ينتسبون إلى المسلمين مع عدم اعتراف المسلمين بهم لخروجهم عن أصول الإسلام التي يجب الإيمان بها .

إلى غير ذلك من الأسباب .

وما يقال عن الإحصائيات المعروفة بعدد المسلمين في العالم ، من حيث الاضطراب وعدم الدقة ، يقال عن البيانات المعروفة بأحوالهم ومشاكلهم وبلادهم ونواحيهم الاجتماعية والثقافية ، فلا يجد الكاتب أو الباحث ما يعتمد عليه في ذلك وهو مطمئن ، وكثيراً ما استعان بعض الباحثين بما لدينا من معلومات في هذا الشأن ، فكتبوا إلى دار التقريب يطلبون بعض هذه المعلومات في نواح مختلفة .

ولا شك أن ذلك نقص يجب على المسلمين تلافيه ، وإن أقل واجب على أية أسرة أن تعرف عدد أفرادها ، وأن تفيد به من يريد أن يعرفه .

لذلك كان من الطبيعي أن تهتم دار التقريب بهذه الناحية ، وتعرف عدد المسلمين أولاً ، وبالتالي عدد المنتسبين إلى كل طائفة من الطوائف الإسلامية ، وبلادهم ، ومشاكلهم ، وأحوالهم .. الخ وقد أقدمت على ذلك منذ زمن ، وهيأت فيه بعض مقدمات لهذه المعلومات النافعة ، واتفق من أنها تؤدي بذلك خدمة جليلة للأمة الإسلامية الكريمة ، تهيتها لها مكانتها في مختلف شعوب المسلمين وطوائفهم ، بل مكانتها العالمية حتى في بلاد أوروبا وأمريكا ، وأنها حين تصل إلى النتيجة



في هذا العمل الصخم تكون قد يسرت أمام الباحثين والمؤلفين طريقهم إلى ما ينتفون من علم وإصلاح .

ويسرنا أن نتلقى في هذا الموضوع كل ما يرى قراؤنا وأنصارنا أن يمدونا به من بيانات مدعمة على قدر المستطاع بما يؤيدها من الأدلة أو الشواهد ، ونرجو أن يكون ما يبعث به إلينا من ذلك بهذا العنوان :

دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - لجنة الإحصاء ،

الزمالك - القاهرة

\*\*\*

### شكرهم « رسالة الإسلام »

استقبل المسلمون في مختلف الشعوب والطوائف الإسلامية العدد الأول من السنة الخامسة لمجلة « رسالة الإسلام » ، بمزيد من الغبطة والتقدير ، فتلقينا كثيراً من رسائل التهئة التي تفيض تأييداً وعرفانا وتشجيعاً ، وقرأنا في كثير من الصحف والمجلات المصرية وغيرها تنويهات بشأن هذه المجلة وما تقدمه من جهد في سبيل التقريب بين المسلمين وجمع كلمتهم على أصول دينهم الواحد ، وما تنشره من بحوث عميقة في مسائل الدين والشريعة ، وقرأنا كذلك ترجمات باللغات المختلفة لبعض ما نشر في ذلك العدد وفي غيره من أعداد المجلة ، وكل ذلك قد أثر في نفوسنا تأثيراً عميقاً ، وأشعرنا بما يحيطنا به إخواننا في مختلف شعوب الأمة الإسلامية من حب وإعزاز وتقدير وتكريم .

ونحن إذ نقدم الشكر الجزيل لهؤلاء الإخوان الخالصين ، نعاهدهم على أن نظل كعهدهم بنا ، أوفياء للحق ، أقوياء في الجهاد ، ندعو إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة ، ونجادل عن دعوتنا بالتى هى أحسن ، وندفع عن هذا الدين كيد الكائدين ، وتحريف المبطلين ، وغلو الغالين ، وبهذا يكون شكرنا لإخواننا شكراً عملياً يرضيهم ونقر به أعينهم ، نسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه رضاه ، وأن يصلح أمتنا العزيزة صلاحاً يعيد إليها مجدها السالف ، وعزها القديم .

## رجاء من التقريب

إلى الكتاب والباحثين

١ - نرجو من الكاتب الإسلامي أن يحاسب نفسه قبل أن يخط أى كلمة ، وأن يتصور أمامه حالة المسلمين وما هم عليه من تفرق أذى بهم إلى حضيض البؤس والشقاء ، وما نتج عن تسمم الأفكار من آثار تساعد على انتشار اللادينية والإلحاد .

٢ - ونرجو من الباحث المحقق - إن شاء الكتابة عن أية طائفة من الطوائف الإسلامية - أن يتحرى الحقيقة في الكلام عن عقائدها ، وألا يعتمد إلا على المراجع المعتبرة عندها ، وأن يتجنب الأخذ بالشائعات وتحميل وزرها لمن تبرأ منها ، وألا يأخذ معتقداتها من مخالفيها .

٣ - ونرجو من الذين يحبون أن يجادلوا عن آرائهم أو مذاهبهم أن يكون جدالهم بالنى هي أحسن ، وألا يجرحوا شعور غيرهم ، حتى يمهّدوا لهم سبيل الاطلاع على ما يكتبون ، فإن ذلك أولى بهم ، وأجدى عليهم ، وأحفظ للمودة بينهم وبين إخوانهم .

٤ - من المعروف أن سياسة الحكم والحكام ، كثيراً ما تدخلت قديماً في الشؤون الدينية ، فافسدت الدين وأثارت الخلافات لا لشيء إلا لصالح الحاكمين وتثبيتاً لأقدامهم ، وأهم سخّروا - مع الأسف - بعض الأقلام في هذه الأغراض ، وقد ذهب الحكام وانقضوا ، بيد أن آثار الأقلام لا تزال باقية ، تؤثر في العقول أثرها ، وتعمل عملها ، فعلياً أن نقدر ذلك ، وأن نأخذ الأمر فيه بمنتهى الحذر والحيلة .

\* \* \*

وعلى الجملة ، نرجو ألا يأخذ أحدُ القلم ، إلا وهو يحسب حساب العقول المستنيرة ، ويقدم مصلحة الإسلام والمسلمين على كل اعتبار .

## من القانون الأساسى لجماعة التقريب

### المادة الثانية

أغراض الجماعة هى : —

- أ - العمل على جمع كلمة أرباب المذاهب الإسلامية ، الطوائف الإسلامية ، الذين باعدت بينهم آراء لا تمس العقائد التى يجب الإيمان بها .
- ب - نشر المبادئ الإسلامية باللغات المختلفة وبيان حاجة المجتمع إلى الأخذ بها .
- ج - السعى إلى إزالة ما يكون من نزاع بين شعبين أو طائفتين من المسلمين ، والتوفيق بينهما .

## فهرس

١١٥ . . . . .	كلية التحرير . . . . .
١١٩	تفسير القرآن الكريم . . . . .
١٣٨	نظرات . . . . .
١٤٦	نقط على الحروف . . . . .
١٥٢	المريضة الإسلامية [ والقوانين الوضعية بمصر ] . . . . .
١٦٤	من أصول الشيعة الإمامية . . . . .
١٦٧	قال شيخى . . . . .
١٧٥	الفضيلة بدوت دعوة . . . . .
١٧٩	شعر الكميث في آل البيت . . . . .
١٨٩	فضل المسجد على الثقافة الإسلامية . . . . .
١٩٦	الترجمة - شروطها ومناهجها . . . . .
٢٠٢	برامجنا التعليمية . . . . .
٢٠٨ . . . . .	معجم ألفاظ القرآن الكريم . . . . .
٢١٨	أنباء وآراء . . . . .
٢٢٢	رجاء من التقريب . . . . .
٢٢٣	من القانون الأساسى لجامعة التقريب . . . . .

## رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ

مجلد اسلامیہ عائشہ  
تعداد عن دار النشر بين المذاهب الأربعة بالغة

رئيس التحرير: محمد محمد المذنب مدير الإدارة: عبد العزيز محمد عيسى  
الإدارة: ١٩ شارع جشمك ناسا بالرمالك القاهرة - تلفون ٥٨٩٨٤  
قيمة الاشتراك عن سنة في البلاد العربية خمسون قرشاً مصرياً  
وفي أمريكا أربعة دولارات وفي البلاد الأخرى ليرة إنجليزية

# رَسَالَةُ الْإِسْلَامِ

مجلة إسلامية عالمية

السَّنة الْخَامِسِيَّة  
الْمَكَّةُ الْثَالِثُ

ذو القعدة ١٣٧٢ هـ  
يوليو ١٩٥٣ م

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً  
وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ  
”قرآن کریم“

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قال بعض العلماء : إن أكثر الأخلاق التي يصلح عليها الاجتماع ، وترتبط بها أسباب السعادة ؛ يرجع إلى فضيلتين اثنتين ، هما السماحة والعدالة .

فأما السماحة ؛ وهذه كلمة حق : فإن الإنسان مخلوق لا يستغنى بنفسه ، ولا يمكنه أن يتخلى عن ملابسة ما هو ميسر له ، ولا أن يميت في نفسه نوازع الرغبة فيما زين له بمقتضى خلقه وتكوينه ، من حب المال والبنين والشهوات والجاه والمناصب ونحو ذلك ، ليتم ما أراده الله باستخلافه في الأرض ، من عمارتها وإثارتها واستباط ما فيها ، واستكشاف كنوزها ، وتفجير ماثها ، واستنبات بذورها وأشجارها ، حتى يبلغ الكتاب أجله ، ولكل أجل كتاب .

لا يستطيع الإنسان أن يتخلى عن ملابسة ذلك في صورة من الصور ، أو طرف من الأطراف ، ولو كان من أهل الزهادة ، ومن غلب عليهم التصوف ، غير أن الناس في ذلك صنفان :

صنف يسلك سبيله إلى هذه الوجوه من ضروريات الحياة أو كلياتها على نحو من البهيمية وإغراق في المادية ، والحرص على استيفاء كل عنصر من العناصر التي تتطلبها الشهوة والرغبة دون اكتراث بأى معنى من المعاني السامية ، فتراه يسعى إلى تحقيق ما يريد بكل وسيلة ، ويسلك إليه أى سبيل ، ويحطم في سبيله كل ما يعترضه ، ولا يعنيه إلا أن يصل إلى مبتغاه ، فإذا فاته شيء ولو يسير من آماله وما رسم لنفسه ، غضب لذلك غضباً شديداً ، وظل يعالج من الوجع والحزن والشعور بالشقاء ما هو كليل بتفخيص حياته ، ورلزلة صرح سعادته .

وصنف يأخذ سبيله إلى هذه الوجوه كهونا في غير تكالب ولا إغراق ولا نسيان لأشرف جانبي الإنسان روحه التي كان بها شيئا بعالم الملائكة ، فتراه ينظر إلى الآمال والرغاب نظرة قاصدة فلا يجعلها هي الحياة كل الحياة ، ولا يحسب فوتها الموت أو شرأ من الموت ، ولذلك يملكها ولا تملكه ، ويسخرها ولا تسخره ، ويرضاها ما رضىته ، فإذا اجتواه شيء منها لم يكن به ضئينا ، ولا على استبقائه حريصا ، ذلك أنه لم يتشبث به على أنه بضعة من حياته ، أو عنصر من مقوماته ، ولكنه أخذَه أخذَ العواري التي لا تلبث أن يستردها أصحابها ، وهل في العقل أن يحزن المرء أو يجد مرارة اللوعة إذا استردَّ منه ما استعار إلى أجل محدود ؟

هذان الصنفان على طرفي نقيض ، وبينهما أوساط ودرجات ، وأساسهما السباحة وضدها وإن اختلفت الأسماء في مواطن الأخلاق والأفعال ، فإن كان ذلك في المال سمي سخاوة أو شحاً ، وإن كان في الشهوات سمي عفة أو شرهاً ، وإن كان في موطن الاحتمال والمناضلة ، سمي صبراً أو هلعاً ، وإن كان في مجال الطاعة أو العصيان سمي تُقى أو فجوراً ، وهكذا .

فما الجرد بالمال إلا تصوير صادق لحالة نفسية في صاحبه نعلم منه أن المال لم يمتزج بروحه امتزاج شيتين اختلاطاً وتركباً ، حتى يصعب انفصال أحدهما عن الآخر ، ولكنهما اتصلا ، ويسهل أن يفصلا ، فانفصالهما ييسر هو السباحة .

وصاحب الشهوة الذي ينصرف عنها التماساً لكمال نفسه ، أو احتراماً لبيته ومجتمعه ، أو نزولاً على أمر ربه ، إنما صدر في ذلك عن ملكة السباحة ، لأنه سمح بما يملك أن يُتمسك به ، ولا ينزل عنه .

وما الصبر إلا علامة على أن ما فاتك من الخير ، أو أصابك من الشر ، لم يخرج عن نطاق ما تستطيعه ، وتسمح به .

وقل مثل هذا في أضداد هذه الأشياء ، فالشح لا يصدر إلا عن نفس كزفة .



استعبدها المال ، فهي لا تملكه حتى تسمح به ، والاستجابة إلى النزوات عبودية للشهوات ، والهلل والجزع اماره على أن ما فائك أو أصابك كان له في حسابك قيمة أغلى من نفسك ومن صفو عيشك ، فأنت تسمح بنفسك ، ولا تسمح به ، وتذهب في شأنه مذهب ذلك الشاعر الذي يقول :

ودعته وبودي لو يودعني صفو الحياة وأنى لا أودعه

وفي القرآن الكريم ما يدلنا على أن الأصل في الإنسان هو النزوع إلى ما ركب فيه من حب المال والشهوات ، وأن الله جعل لمن يقاوم ذلك من نفسه ثواباً عظيماً ، فهو جل جلاله يريد منا أن نتعود السباحة ، فنزل راضين عما تدعونا إليه النفوس لنكسب رضاه ، ونفوز بثوابه : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ، قل أؤنبشكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد » .

\* \* \*

وأما العدالة فهي أساس التوازن ، والتوازن هو الشرط الذي لا بد منه في صلاح كل شيء واستقامته ، فمن كان يسره أن يُعطى حقه فليؤد واجبه ، وإلا أخل بالتوازن في المجتمع إن نال ما يريد ، لأنه أخذ ولم يعط ، وأنفق ولم يُخلِف ، فإن لم ينل بغيته أخل بالتوازن في نفسه ، لأنه يظل مألوماً مكظوماً ينعى سوء حظه ، فلا يمتضى في طريق الحياة إلا بشق مائل .

ومن كان يسره أن يُنصف فليُنصف ، وأن يُرحم فليُرحم ، وأن يُعذر فليُعذر ، وأن تُصان له حريته فليَصُن حريته غيره .

وإذا رأيت امرأ يعتد برأيه غاية الاعتداد ، حتى لا يرى لأحد حقاً في أن يخرج عليه ، فاعلم أنه قد أخل بميزان العدالة ، ذلك بأن الله وحده هو الحَكَم العَدْل الذي لا يضل ولا ينسى ، ولم يضمن ذلك لأحد من خلقه إلا من عهَم

فالناس في احتمال آرائهم للصواب والخطأ سواء ، فمن أراد أن يفرض على الناس رأياً رآه ، غير واضح أنه من الله أو ممن عصم الله ، فقد حاد عن سنن العدالة .

ومن غش فقد جار ، لأنه استوفى الثمن ، ولم يوف ما يقابله ، وفي التجارة غش وعدل ، وفي الحكم غش وعدل ، وفي العلم غش وعدل ، وبين الزوج والزوجة كليهما غش وعدل ، وبين الخادم والسيد كليهما غش وعدل ، وبين الابن وأبيه ، والأخ وأخيه ، والصاحب وصاحبه ، والشيخ ومريديه ، والاستاذ وتلاميذه ، والجار وجيرانه ، والمواطن ومواطنيه . . . الخ ، كل أوائك أساس صلاحهم وسعادتهم العدالة ، وسرُّ فسادهم وشقاوتهم الغش والظلم ، وما قامت السموات والأرض إلا بالعدل ، ولا استقرت الممالك والنظم إلا بالعدل ، وقد طلب الله إلى المؤمنين أن يكونوا د قوامين بالقنسط شهداء لله . وأن يكونوا د قوامين لله شهداء بالفسط ، ولم يجعل د القوامية ، لهذا ، غير د القوامية ، لذلك ، ولا الشهادة بهذا غير الشهادة بذلك ، ليعلمنا سرَّ تسميته جل جلاله باسم د العدل .

\* \* \*

هما إذن فضيلتان جامعتان ، إليهما يرجع كثير من الفضل في صلاحية الفرد والجماعة ، وبهما - إلى حد كبير - ترتبط أسباب الطمأنينة والسعادة ، وهما لذلك من أول ما يدعو إليه الإسلام ، ثم هما لذلك من أول ما يدعو إليه التقريب .

فالسماحة السماحة أيها المؤمنون د ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون . ٢

محمد محمد الزين

# نَفْسِ الْقُرْآنِ الْعَكِيمِ

لِحَصْرَةِ صَاحِبِ الْفَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ الْجَلِيلِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ شَلُوبُتْ

## سُورَةُ الْمَاءِ

— ٤ —

خلاصة ما سبق — بم تتحقق الجنابة : هل هي من الالتقاء أو من الماء —  
ليس في الآية اشتراط الاغتسال من الحيض في صلاة المرأة أو حل قربها —  
السنة توجب الاغتسال من الحيض للعلة — التيمم وأسراره التشرعية :  
كونه طهارة رمزية تطمئن بها القلوب ويحافظ بها على الصلوات — تشریع  
البدل حين لا يمكن الأصل مبدأ تربوي يراد به تركيز خلق المحافظة على  
التكاليف — من حكمة الله ورحمته أنه لم يجعل البدل من الماء شيئاً يعز  
وجوده — وأنه اقتصر فيه على ما يحقق الرمز والوجود التشبيهي للطهارة  
الأصلية — بحث حر في الأسباب المبيحة للتيمم كما نفيدها الآية وبيان اضطراب  
الجمهور في شأنها — ما تدل عليه الآية من نواقض الطهارة — قاعدة البسر  
ونفي الحرج في هذا التشریع وغيره ووجوب مراعاتها على الناظرين  
في أحكام الدين — نعمة الله على المؤمنين وميثاقه الذي واثقهم به .

خلاصة ما سبق :

لا زلنا نتحدث إلى حضرات قراء ﴿ رسالة الإسلام ﴾ في النداء الثالث ،  
وهو النداء الذي تضمن الإرشاد إلى ما وضعه الله شرطاً في صحة الصلاة التي جعلها  
ركناً من أركان الدين ، وكتاباً موقوتاً على المؤمنين .

وقد تحدثنا في العدد السابق عن بعض النواحي التي تدل على مكانة الصلاة  
في القديم عامة ، وعلى مكانتها في الإسلام خاصة ، وعما يكتسبه المؤمنون من

من أدائها ، والإخلاص فيها ، والمحافظة عليها فيما يختص بأنفسهم وبمجماعتهم ، ثم تحدثنا عن طهارة الوضوء وما أجمع العلماء عليه فيها ، وما اختلفوا فيه .

وأشرنا في موضوعات الخلاف إلى الرأي الذي نرجحه مع موجب ذلك الترجيح . وقد أجمعا في آخر البحث الكلام على الغسل ، وهو المعروف في لسان الفقهاء بالطهارة الكبرى ، وبينا أن صيغة التطهر المذكورة في قوله تعالى : « وإن كنتم جنبا فاطهروا » تدل على أن الواجب في الغسل هو المبالغة في الطهارة ، وأن تلك المبالغة ترجع إلى الكم وهي بغسل البدن كله ، فيدخل فيه المضمضة والاستنشاق وما لإيهما مما لم يركب من العلماء اقراض غسله في الوضوء ، ويرجع كذلك إلى الكيف الذي يتحقق بذلك ، وقد اخترناه في الوضوء ملاحظين الفرق بين الغمس والصب والغسل ، ومستنديين في ذلك إلى أن العرب لا تقول : غسلت السماء الأرض إلا إذا وقع المطر عليها بشدة فأزال ما في موقعه من أقذار وأتربة ، حتى جعلها بيضاء نقية .

بم تتحقق الجنابة : هل هي من الالتقاء أو من الماء :

أما الجنابة التي تدل عليها كلمة « جنبا » في الآية ، فهي الحالة الشرعية التي يعتبر الشخص متلبساً بها عقب خروج المني ، وهو ظاهر فيما إذا خرج عن طريق الوقاع ، أو خرج عن طريق آخر من مداعبة ، أو استمناء ، أو احتلام . ولا خلاف بين العلماء في أنه إذا انفصل عن مقره بشهوة ، وجب الغسل . وإنما الخلاف بينهم في ذلك في موضعين :

أحدهما : إذا خرج عن مقره بشهوة ثم سكنت الشهوة وانفصل من المحل سائلا ، ومحل تحقيق هذا الخلاف كتب الفروع ، فليرجع إليه من شاء ، ونحن نرى أن مجرد الانفصال عن المقر بشهوة يحقق لمعنى الجنابة ، وأنه موجب للغسل .

ثانيهما : إذا غاب العضو في المحل الآخر ، وحصل انفصال دون انزال ، فهل تتحقق بهذا القدر جنابة فيجب الغسل أو لا تتحقق فلا يجب ؟ وهذا الموضوع جدير بشيء من البسط ، فنقول :

ذهب جمهور العلماء إلى أن الوصف الموجب للغسل يتحقق بمجرد غيبوبة العضو ، واستدلوا بمنقول ومعقول .

أما المنقول فما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب عليه الغسل ، متفق عليه ، ولمسلم وأحمد : وإن لم ينزل » وما روى عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قعد بين شعبها الأربع ثم مس الختان الختان . فقد وجب الغسل . رواه أحمد ومسلم والترمذي ، والحديثان صريحان في أن الغسل لا يتوقف وجوبه على الإنزال . قال شراح الحديث : وقد ذهب إلى ذلك الخلفاء الأربعة ، والعترة ، والفقهاء ، وجمهور الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم ، وروى ابن عبد البر عن بعضهم أنه قال : انعقد لإجماع الصحابة على إيجاب الغسل من التقاء الختانين ، قال : وليس ذلك عندنا كذلك ، ولكننا نقول : إن الاختلاف في هذا ضعيف ، وإن الجمهور الذين هم الحجة على من خالفهم من السلف والخلف انعقد إجماعهم على إيجاب الغسل من التقاء الختانين ، أو مجاوزة الختان الختان . وقال النووي : قد أجمع على وجوب الغسل متى غابت الحشفة في الفرج ، وإنما كان الخلاف فيه لبعض الصحابة ومن بعدهم ، ثم انعقد الإجماع على ما ذكرنا .

أما المعقول : فقد عرض له فقهاء الحنفية بقولهم : إن التقاء الختانين ، أو غيبوبة الحشفة كما يعبرون سبب الإنزال ، والإنزال يغيب عن البصر وقد يخفى لقلته ، فيقام الظاهر مقام الخفي ، وتوضح هذا أخذاً من قواعد الأصول ، أن المعنى الذي يترتب عليه حكم إذا كان خفياً وله سبب ظاهر يقام ذلك السبب الظاهر مقام ذلك المعنى الخفي ، وبه يناط الحكم ، والإنزال في هذا المقام هو المعنى الذي يترتب عليه الغسل ، وهو خفي عن بصر الشخص ، وقد يخفى عن إحساسه لقلة النازل ، وله سبب ظاهر بحسب العرف والعادة ، وهو الغيبوبة أو التقاء الختانين ، فيقام ذلك الظاهر مقام الخفي ، ويدار الحكم عليه : إن وجد وجب

الغسل ، حصل الخفى أو لم يحصل ، ونظير هذا ما قالوه فى المشقة بالنسبة للسفر ، وإقامة السفر عنوانا عليها حتى يئط به لا بها الحكم وهو الترخص ، فقصر المسافر الذى يتقلب فى النعم والراحة .

قال الجمهور : وبهذه الأحاديث الصحيحة المروية . وبهذا المعنى المعقول المقرر فى قواعد الأصول ، وقع بيان المراد بالجنابة فى قوله تعالى : « وإن كنتم جنبا ، و يصير معنى الآية على هذا ، وإن خرج المني منكم ظاهراً أو حكماً عند وجود سببه وجب الغسل ، وهو نوع من البيان والتفسير الذى أرشدت إليه مصادر البيان والتفسير .

واستدل غير الجمهور ومنهم أبو سعيد الخدرى ، وزيد بن خالد ، وابن أبى وقاص ومعاذ ، بالحديث المتفق عليه : « إنما الماء من الماء » وهو ظاهر فى أن الغسل لا يكون إلا بالإزالة ، ورد الجمهور عليهم بأن هذا الحديث لا ينهض لمعارضة حديث عائشة وأبى هريرة ، لأن عدم الغسل فى حالة عدم الإزالة مستفادة منه بطريق المفهوم ، وهما يفيدان وجوب الغسل عند عدم الإزالة بطريق المنطوق ومن المقرر أن المنطوق أرجح من المفهوم ، وأن المفهوم لا يعارضه ، وقالوا : على فرض أن القضية الحاضرة تفيد الجائنين بطريق المنطوق ، كما ذهب إليه بعض الأصوليين ، فالحديث منسوخ بما روينا ، وبما جاء صريحاً فى النسخ من رواية أحمد وأبى داود ، عن أبى بن كعب قال : إن الفتيا التى كانوا يقولون : « الماء من الماء ، رخصة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص بها فى أول الإسلام ثم أمرنا بالاغتسال بعدها ، وفى لفظ : « إنما كان الماء من الماء رخصة فى أول الإسلام ، ثم نهى عنها ، رواه الترمذى وصححه .

وبهذا ثبت نسخ الماء من الماء بطريق النص والنقل ، ومثل هذا لا سبيل إلى القول بإنكاره ، وبذلك تمت الحجة للجمهور ، وصار من الواجب الدينى الحتم على المسلمين وجوب الغسل بالغيوبة وإن لم يحصل إزاله ، وهذا بما يجب أن يعرفه كثير من المسلمين الذين جهلوا أحكام دينهم ، وساروا فى عبادتهم بمقتضى

ما يعين لهم أو يتبادر لأذهانهم ، ولأحكام الدين قواعد في الفهم والاستنباط لا يعرفها إلا من خصصوا أنفسهم لها .

### ليس في الآية اشتراط الاغتسال من الحيض في صلاة المرأة أو حل قربانها :

وكما دلت الآيتان : « ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا » . « وإن كنتم جنباً فاطهروا » ، مع ضخمة البيان المتقدم - على أن موجب الغسل - إنزال أو النقاء دل قوله تعالى في سورة البقرة : « ولا تقربوهن حتى يطهرن » ، على أن الحيض عما يفقد صفة الطهارة التي هي شرط في صحة الصلاة ، وأنه موجب للغسل كالإنزال والانتقاء ، وقد وجه ذلك بعض الفقهاء فقال : دل قوله تعالى : « ولا تقربوهن حتى يطهرن » ، على وجوب الاغتسال بالنسبة للقربان ، وبالنسبة للصلاة ، أما بالنسبة إلى القربان ، وهو الذي سبقت له الآية : « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ... الخ » ، فقد غيا الله سبحانه حرمة القربان الذي كان حلالا بالاغتسال ، فينبغي أن تنتهي الحرمة به ، ويكون مباحا ، وإلا لكانت حرمة مؤبدة ، وفي ذلك نقض لما شرعه الله بالزواج وصرح به بعد في قوله : « فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » ، وفي قوله : « فأتوا حرائكم أنى شئتم » ، وإذا كان الاغتسال شرطاً لحل القربان ، مع أن الطهارة عما سوى الحيض والنفاس ليست بشرط له في صورة من الصور ، فلأن يشترط الاغتسال لحل الصلاة التي اشترطت لها الطهارة عن جميع النجاسات الحقيقية والحكمية في كل الأوقات ، أولى .

وفي النفس شيء من هذا البيان ، فإن الآية المشار إليها لا تعلق لها بالصلاة ولا بطهارة الصلاة ، وإنما جاءت تقرر حكماً وسطاً في علاقة الرجل بزوجه وقت المحيض ، فهل عليه أن يعتزلها اعتزالاً كلياً بمعنى أنه لا يؤاكلها ، ولا يشاربها ، ولا يضاجمها ، ولا يجالسها فيه ، كما كان شأن فريق من أهل الكتاب ، أو له أن يخالطها مخالطة كلية بمعنى أنه لا يدع شيئاً يريد أن يفعله معها إلا فعله من أعمال

ظاهرة أو خفية ، كما كان شأن الفريق الآخر من أهل الكتاب ؟ تردد المسلمون في هذا الشأن الذى كان فيه أهل الكتاب بين إفراط وتفريط ، وسألو النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم الله الذى يرشدهم إليه ، فنزلت الآية ترشد إلى أن الحيض أذى ، ضار مكروه ، يؤذى البدن ، ويفسد الصحة ، فيجب البعد عنهن في هذه الحالة التى ينبعث منها ذلك الأذى حفظا للصحة ، واحتفاظا بعاطفة المودة التى يفسدها تفرز النفس من التلبس بتلك المادة .

ومن هنا يبدو أن التطهر في هذه الآية لا يعدو أن يكون هو انقطاع دم الحيض وتعقب آثاره الباقية في المحل بالإزالة والتقية . وبهما يزول سبب حرمة القربان وهو الأذى . أما التطهر بمعنى الاغتسال فليس في الآية ما يدل على اشتراطه في حل القربان بعد زوال سبب المنع وهو الأذى ، وإذا لم تكن الآية دالة على اشتراط الغسل في حل القربان ، بطل الانتقال منه إلى وجوب الغسل لحل الصلاة ، وقد تفرع في البيان السابق هذا على ذلك . واذن فلا نرى في الآيات دلالة على وجوب اغتسال الجائز لحل الصلاة .

#### السنة توجب الاغتسال من الحيض للصلاة :

نعم وجب ذلك بالأحاديث الصحيحة المكتملة لبيان القرآن ، ومن هذه الأحاديث ما رواه البخارى عن عائشة أن فاطمة بنت أبي جبيش ، كانت تستحاض فسأت النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : ذلك عرق وليس بالحيضة ، فإذا أقبلت الحيضة فدعى الصلاة ، وإذا أدبرت فاغتسلي وصلى . أمرها النبي صلى الله عليه وسلم بالاغتسال حينها تدبر الحيضة ، ثم أباح لها الصلاة ، كما هو شأن المستحاضة . وبهذا يتبين أن التطهر بمعنى الاغتسال ، مصدر وجوبه للصلاة إنما هو السنة لا القرآن الكريم ، وليس في القرآن ما يدل على خلافه .

وقد ثبت أن السنة مصدر مستقل في بيان الأحكام التى لم يعرض لها القرآن بالإنبات ولا بالنفي ، على أنه مما لا يقبل من أحد خلافه أن السنة تلاحق ما لم يعرض له القرآن بما عرض له متى وجد المعنى الذى لأجله كان الحكم القرآنى في الملحق



به . وإذا كانت الجنابة تحدث تهيجاً في الأعصاب ، وفوراً يحول بين المؤمن ونشاطه وتذكره ، فإن نزول الحيض في مدته طالت أم قصرت له مثل ذلك الأثر في تهيج الأعصاب ، وضعف النشاط ، وفقدان الذكر ، والماء الذي يعم الجسم يقضى على كل ذلك ، فيعيد للأعصاب اعتدالها ، وللنشاط توافره ، وللتذكر قوته . وهذا هو الذي نراه في الموضوع ، وإن كان ما ذكره بعض الفقهاء لا يخلو عن شيء من الطرافة في التخريج والاجتهاد .

هذا ما أردنا وصله بحديثنا في العدد السابق ، على قوله تعالى « وإن كنتم جنباً فاطهروا » ، وبذلك تم الكلام على الطهارتين الأصليتين اللتين وسيلتهما الماء : الصغرى ، المعروفة بالوضوء ، والكبرى : المعروفة بالاغتسال .

التيمم وأسراره التشريعية :

ولما كان الإنسان عرضة لأن يفقد الماء ، أو يعجز عن استعماله ، أو يشق عليه استعماله وكانت الصلاة كتاباً موقوتاً على المؤمنين ، يستشعرون بها عظمة مولاهم في أوقانها المنكررة في اليوم واليلة ، وينمون بها مراقبته التي هي حصن ، ووقاية لهم من سوء والشر في قلوبهم ، اعتبر لهم مادة أخرى يتخذون منها طهارتهم في تلك الأحوال ، وهي « الصعيد الطيب » ، والتيمم به تحصيلاً لتلك الطهارة التي اشترطها لصحة الصلاة ، وأعطى التطهر بها حكم التطهر بالأصل وهو الماء ، ما دامت حالة فقدان الماء ، أو العجز عن استعماله أو مشقته ، قائمة .

كونه طهارة رمزية تطمئن بها القلوب ويحافظ بها على الصلوات :

وفي الواقع ان مشروعية الطهارة بالبدل في هذه الأحوال ، إنما هو لقصد إقرار التطهر للصلاة في النفس ، وإن الترك في أوقات الأعذار للطهارة الأصلية - وقد تمتد تلك الاوقات أو تكثر - لسبيلٍ بحسب العرف والعادة إلى التهاون بها في غير أوقات الأعذار ، ولا يحجل أحد ما تخلقه المواظبة من ملل الاحتفاظ بأصل المطلوب . وهذا مبدأ يقرره ويعرفه رجال التربية والنظام . نرى ذلك في تدريب الجنود على أعمال الحروب ، ونراه في الإيماء للصلاة في أوقاتها عند

العجز عن الحركات ، فلو ترك الإنسان مدة تلك الأعذار بدون خلف يمثل له الواجب الأصلي ، ويجعله منه على ذكر دائم ، ويراها مثلاً بمنعاه في الخلف لكان ذلك سبيلاً بحكم العادة إلى التهاون بالأصل عند انقطاع تلك الأعذار . وقد أشار إلى ذلك الشيخ الشعرائي في الميزان ، وضرب له مثلاً : ما قاله العلماء في باب الحج « إن من لا شعر برأسه يستحب له إمرار الموسى عليه تشبهاً بالحالقين » ، وأفصح عنه المحدث الدهلوي في كتابه « حجة الله البالغة » ، فقال : لما كان من سنة الله في شرائعه أن يسهل عليهم كل ما يستطيعونه ، وكان أحق أنواع التيسير أن يسقط ما فيه حرج إلى بدل لنظمته نفوسهم ، ولا تختلف الخواطر عليهم ، بإهمال ما التزموه غاية الالتزام ، ولا يألوا ترك الطهارات - أسقط الوضوء والغسل في المرض والسفر - إلى التيمم .

ولما كان ذلك كذلك ، نزل القضاء من الملأ الأعلى بإقامة التيمم مقام الوضوء والغسل ، وحصل له وجود تشبيهي أنه طهارة من الطهارات ، وهذا القضاء أحد الأمور العظام الذي تميزت بها الملة المصطفوية من سائر الملل ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم « جعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء » .

تشريع البديل حين لا يمكن الأصل مبدأ تربوي  
يراد به تركيز خلق المحافظة على التكليف :

وإن من يقف عند هذا المبدأ التربوي ، ثم ينظر فيما شرعه الله من أصول وأبدال في أحكام العبادة وغيرها ، يجد مائلاً فيها : يجده في الصلاة كما سبقت الإشارة إليه ، ويجده في الحج كما جاء في عبارة الشعرائي ، ويجده في الصوم بالإطعام ، ويجده في العقود والتصرفات التي يكون اللفظ أداة لها - بالإشارة - كما نجده في أصل الأمر كله وهو التوحيد ، والتزبي ، بالإشارة إلى جهة الرفعة والسمو ، وكل ذلك لا يعدو فيما نرى قاعدة التركيز والتثبيت للأحكام الأصلية في نفوس المؤمنين حتى يكونوا مستمرين عليها بحفاظتها أو مثلها ، وحتى يكمل شعورهم بلزوم مراقبتها والمحافظة عليها ، وعدم التهاون فيها ما داموا يرون أن الله

يعتبر لها بدلا يخلفها ويطالبون به ، وإن لم يحقق ذلك البدل المعنى الذى يعقلونه ويدركونه من التكليف الأصلية ، ولعله يتضح بذلك لحضرات قراء الرسالة الحكيمة فى تلك البديلة التى عقدها الله بين الماء ، والتراب ، والوضوء ، والتميم .

من حكمة الله ورحمته أنه لم يجعل البدل من الماء شيئا يعز وجوده :

ومن حكمة الله أنه لم يجعل البدل شيئا يعز وجوده ، أو يصعب استعماله على أحد من خلقه ، فالصعيد الطيب ، وبخاصة عند من لا يشترط فيه ترابا ، ملازم للإنسان فى وجوده أين كان . وتلك رحمة إلى رحمة :

وأنه اقتصر فيه على ما يحقق الرمز والوجود التشبهي للطهارة الأصلية :

ورحمة ثالثة ، هى أنه اقتصر منه على ما يحقق الرمز والوجود الشبهي ، وكان مظهر ذلك فى الاقتصار على مسح بعض أعضاء الوضوء ، وهو الوجه والأيدى فقط ، ورحمة رابعة ، هى أنه ساق مسح هذين العضوين بصيغة ليس لها دلالة على إرادة تعميمهما بالمسح على نحو تعميمهما بالماء فى الوضوء ؛ فعدى المسح إلى الوجوه بالباء على نحو ما عاده بالرأس فى الوضوء ، وبذلك كانت هنا مجالا للخلاف الذى هناك . وعدها كذلك إلى اليدين دون ذكر الغاية ، وبذلك فتحت باب الاكتفاء بمسح ما تطلق عليه كلمة « أبدى » ، وبذلك صح الاقتصار فيه على مسحهما إلى الرسغين ، لإذ كان إطلاق اليد على هذا القدر شائما عند العرب ، معهودا فى القرآن .

ورحمة خامسة : هى أنه لم يطلب أكثر من المسح بعد تيمم الصعيد الذى يصدق بقصده ولو مرة واحدة ، وحسبنا فى هذا حديث عمار فى رواية الصحيحين ، فقد صرح فيه أن التيمم بضربة واحدة يمسح بها الوجه والمسكين ، وهذا كله مما يحقق المعنى الذى قلناه معنى الحلمية ، وقرره غيرنا من قبلنا .

وما يزيد ذلك وضوحا : الاكتفاء بالوجود الشبهي على صورة واحدة فى حالة الحدث الأصغر الذى طهارته الوضوء والحدث الأكبر الذى طهارته الغسل .

ذلك أن الرمز لا يقصد منه تمام مشاكلة البذل للأصل وإنما يقصد منه الاحتفاظ بتعود الأصل والمواظبة عليه . وترى هذا ماثلاً في حديث أبي ذر عند أصحاب السنن مرفوعاً وصححه الترمذى ، إن الصعيد الطيب وضوء المسلم ، وإن لم يجد الماء عشر سنين .

ونراه في حديث عمار في رواية الصحيحين ، أتى رجل عمر رضى الله عنه ، فقال : إني أجنبت ولم أجد ماء ، فقال له عمر . لا تصل فقال عمار : أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية .. فأصابتنا جناية .. فلم نجد الماء ، فأما أنت فلم تصل ، وأما أنا فتمسكت في التراب وصليت . فقال صلى الله عليه وسلم : إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك في الأرض ، ثم تنفخ ، ثم تمسح بهما وجهك وكفك إلى الرسغين ، ؟ وهنا قال الشوكاني ، وبهذا يتبين أن أحاديث الضربتين لا تخلو جميع طرقها من مقال ، ولو سحت لكان الأخذ بهما متعيناً لما فيها من الزيادة ، فالحق الوقوف على ما ثبت في الصحيحين من حديث عمار من الاقتصار على ضربة واحدة حتى تصح الزيادة على ذلك المقدار .

ولا ريب أن هذا كله مما يحقق المعنى الرمزي والتشبيهي الذي عنينا في هذا المقام بإبرازه والدلالة عليه ، ومن الواضح أنه لا شأن لمعنى النظافة ، والتنشيط فيما يتعلق بالتيمم ، وإنما هو معنى رمزي ، يثبت معنى الامتثال الرباني للأمر ، ويغرس في النفس ملكة المواظبة والحرص على تنفيذ الأوامر والاستمرار عليها ، وهذا معنى يحقق الطهر القلبي ، والتزكية الروحية التي هي أثر الإيمان الحق ، والتي هي الغاية من سائر التكاليف الإلهية ، ولعل قوله تعالى في آخر الآية : ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم ويتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون . واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واثقوا الله إن الله عليم بذات الصدور .

لعل هذا التذييل جاء مرشداً ومنبهاً على هذا المعنى الذي أوضناه في هذا المقام .

بحث حر في الاسباب المبيحة للتيمم كما تفيدها  
الآية ، وبيان اضطراب الجمهور في شأنها :

بقى بعد ذلك النظر في قوله تعالى : « وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء  
أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ، من  
جبهه ما تدل عليه من الاسباب المبيحة لتلك البدلية .

ونحن في هذا المقام نريد أن نقف بأنفسنا أمام هذه الجملة من آية الطهارة ،  
ناظرين في تلك الوقفة فقط إلى صلتها بالجمليتين السابقتين لتعرف بمجرد النظر في  
الأسلوب الأحوال التي تريد الآية أن تضع لها أحكامها من جهة الطهارة واستباحة  
الدخول في الصلاة . وبهذه النظرة نجد آية الطهارة تسوق شرطيات ثلاث :  
تخاطب المؤمنين أولاً ، وتسوق لهم شرطيتين تبين فيهما حكم الحالة التي هم عليها  
بحسب الطبيعة والعادة ، وهي حالة الإقامة ، ووجود الماء والقدرة على استعماله ،  
وترشداهم إلى أهم إذا أرادوا الصلاة - وكانوا طبعاً على حالة من الحدث المانئ  
للصلاة ، وجب عليهم أن يتطهروا : طهارة صغرى إن كان الحدث أصغر ، وهي  
الوضوء المذكور في الشرطية الأولى وهي قوله : « إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا  
وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » .  
وطهارة كبرى إن كان الحدث أكبر وهي الغسل المذكور في الشرطية الثانية ،  
وهي قوله تعالى : « وإن كنتم جنباً فاطهروا ، وظاهر أن الحكم في هاتين الحاليتين  
لم يدخل في حيثياته سوى الاعتبارات الطبيعية الجارية على الناس بحكم العرف  
والعادة ، لم ينظر فيها إلى طارئ عليهم من مرض أو سفر ، أو فقدان ماء ، أو عجز  
عن استعماله ، وبعد هذا صار من العتم استيفاء لاحكام هذه الاحوال الطارئة أن  
نعرفها ، وأن نعرف أساس الحكم فيها من هذه الطوارئ ، فجاءت الشرطية الثالثة  
تبين لنا الحكم في ظل تلك الطوارئ ، ولما كان الأصل الذي عليه الناس هو  
صحتهم ، وإقامتهم ، ووجود الماء فيما بينهم ، وعلى هذا الأصل جاء الحكم في  
الشرطيتين السابقتين ، كان من الضروري أن تعرض الآية للأحوال الطارئة على هذا

الأصل ، وهى أحوال المرض والسفر ، وعدم وجود الماء ، فذكرت الشرطية الثالثة الحكم فى الأحوال الثلاثة بعناوينها الخاصة فقالت : « وإن كنتم مرضى ، أو على سفر ، أو جاء أحد منكم من الغائط ، أو لامستم النساء ، فلم تجدوا ماء فتيمموا ، وعلى هذا يكون « المرض ، عارضاً ، مبيحاً للتيمم بنفسه دون أى اعتبار آخر معه ، سواء صحبته إقامة أم سفر ، أو وجود ماء أو فقدته ، أو حدث أصفر أو أكبر ، ويكون « السفر ، عارضاً ، مبيحاً للتيمم بنفسه دون أى اعتبار آخر معه سواء صحبه مرض أو صحة أو وجود ماء أو فقدته فى حدث أصفر أو أكبر ، ويكون « فقد الماء ، عارضاً مبيحاً للتيمم بنفسه صحبته صحة أم مرض ، لإقامة أو سفر ، فى حدث أصفر أم أكبر ، وبهذا تكون الشرطية الثالثة جاءت لبيان أحكام الحالات التى طرأت على ما هو الشأن فى الناس من الإقامة ، والصحة ، ووجود الماء .

هذا هو الذى نفهمه من الأسلوب القرآنى ؛ مجرد النظر فيه ، وتتبع الأحوال التى دلت عليها العادة الجارية ، وأشارت إلى ما يحلها العناوين الخاصة التى ذكرت فى تلك الشرطية من « المرض ، والسفر ، وعدم وجدان الماء ، وبذلك يكون « المرض ، مبيحاً للتيمم كيف كان ، وعلى أى حال كان المريض ، ويكون « السفر ، مبيحاً للتيمم كيف كان ، وعلى أى حال كان المسافر ، ويكون « عدم وجدان الماء ، مبيحاً للتيمم كيف كان العاقد له ، وعلى أى حال كان ، فالمريض يتيمم ، والمسافر يتيمم ، وفاقد الماء يتيمم ، وكلها أسباب مستقلة مبيحة للتيمم .

هذا وقد سبقنا إلى هذه النتيجة الأستاذ الإمام الشبى محمد عبده ، ووافقه فيها الأستاذ الشبى رشيد رضا فى تفسيره ، ويجدر بنا أن نسوق فى هذا المقام كلمة الأستاذ الإمام وهو بصدد تفسير آية النساء . قال : المعنى ، أن حكم المريض والمسافر إذا أراد الصلاة كحكم المحدث حدثاً أصغر ، أو ملامس النساء ، فعلى كل هؤلاء التيمم فقط ، هذا ما يفهمه القارىء من الآية نفسها إذا لم يكلف نفسه حملها على مذهب من وراء القرآن ، يجعلها بالنكف حجة له ، منطبقة عليه ، وقد طالعت

في تفسيرها خمسة وعشرين تفسيراً فلم أجد فيها غناء ، ولا رأيت قولاً فيها يسلم من التكلف ، ثم رجعت إلى المصحف وحده ، فوجدت المعنى واضحاً جلياً ، فالقرآن أفصح الكلام وأبلغه وأظهره ، وهو لا يحتاج عند من يعرف العربية : مفرداتها وأساسياتها إلى تكلفات فنون النحو وغيره من فنون اللغة عند حافظي أحكامها من الكتّاب مع عدم تحصيل ملكة البلاغة . ثم قال الشيخ رشيد إلى آخر ما أطال به في الإنكار على المفسرين الذين عدوا الآية مشكلة لأنها لم تنطبق على مذاهبهم انطباعاً ظاهراً سالماً من الركائكة وضعف التأليف . ثم قال الشيخ رشيد : وإذا كان رحمه الله راجع خمسة وعشرين تفسيراً رجاء أن يجد فيها قولاً لا تكلف فيه ، فأما لم أراجع عند كتابة تفسيرها إلا روح المعاني ، وهو آخر التفاسير المتداولة تأليفاً ، وصاحبه واسع الاطلاع ، فإذا به يقول : « الآية من معضلات القرآن ، ولها بعد تحتاج إلى نظر دقيق » . قال الشيخ رشيد : والله إن الآية ليست معضلة ولا مشكلة ، وليس في القرآن معضلات إلا عند المعتونين بالروايات والاصطلاحات وعند من اتخذوا المذاهب المحدثه بعد القرآن أصولاً للدين يعرضون القرآن عليها عرضاً ، فإذا وافقها بغير تكلف ، أو بكلف قليل فرحوا ، وإلا عدوها من المشكلات والمعضلات ، على أن القاعدة القطعية المعروفة عن أنزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم ، وعن خلفائه الراشدين رضی الله عنهم ، أن القرآن هو الأصل الأول لهذا الدين ، وأن حكم الله يلتمس فيه أولاً ، فإن وجد فيه فيه يؤخذ وعليه يعول ، ولا يحتاج معه إلى مأخذ آخر ، وإن لم يوجد التمس من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على هذا أقر النبي معاذاً حين أرسله إلى اليمن ، وبهذا كان يتواصى العلماء والأئمة من الصحابة والتابعين .

أما الجمهور فقد قالوا : إن المذاهب المعروفة عندنا لا تبيح التيمم للمسافر إلا عند فقد الماء ، ولا يمكن أن يعقل ذلك من أرباب المذاهب كلها إلا إذا كان لديهم أصل لذلك الحكم يجعلهم يقفون أمام الآية هذا الموقف الذي وقفوه ، وكانت به في نظرهم من المشكلات والمعضلات ، ولكن رأى صل هذا الذي يقف أمامهم قبل القرآن ، ويجعلونه حكماً على القرآن ؟ قالوا : إن الأحاديث والروايات التي

ذكرت السفر والتيمم فيه ، كانت كلها مجمعة على أن القوم لم يكن عندهم ماء وهم على سفر ، وأن التيمم أبيع لهم وهم على تلك الحال ، ونحن نقول : أبيع لهم التيمم وهم على تلك الحال ، وهل منعوا منه وهم على سفر مع وجود الماء ؟ لم يرد ذكر حالة مثل هذه ، وليست الإباحة في الحالة التي وقعت لهم مانعة من الإباحة في مثل تلك الحالة إذا وقعت ، ولم يوجد نص قولي يعم الأحوال كلها ، ويحدد ما يباح التيمم فيه للسافر وما لا يباح ، فكل ما ورد وقائع أحوال لا عموم لها ولا تدل على انتفاء الحكم في غيرها . قالوا : إن ذكر السفر هنا لدفع توهم أنه مرخص بذاته ، كما عرف له ذلك في الصلاة والصوم ، وكأنه يقول : إن السفر في هذا الباب ليس مرخصاً بذاته ، ولا أثر له في إباحة التيمم إلا إذا عدم الماء كالتيمم سواء بسواء ، ولعلمهم يقولون بمثل ذلك في المرض ويمنعون تيمم المريض متى كان الماء موجوداً ، وإلى هذا ذهب بعض الفقهاء ، ونحن نقول : كان يكفي الاقتصار على عدم وجود الماء ، فيعم الأحوال كلها ، ويفهم ذلك الذي تقولون من مجرد الاقتصار على عدم الماء ، ومن المعلوم أن الرخصة لا تثبت لحالة خاصة إلا إذا نص عليها ، وما لم ينص عليها ، يعمها الحكم دون استثناء ، ثم كيف يقبل أن المرض لا يبيح التيمم ، وعندئذ يقولون دفعاً لهذا : إن المراد بعدم الوجدان عدم القدرة على استعماله والانتفاع به ، ويكون بذلك عدم الوجدان مستعملاً في حقيقته ومجازه فإن قالوا : دل على هذا الاستعمال قاعدة نفي الخرج وما أباحه الله من الرخص في حالة المرض ، قلنا : وبمثل هذا يقال في السفر ، فقد أباح الله فيه ، كما أباح في المرض الإفطار في رمضان ، وقصر الصلاة والجمع بين الصلوات ، وما إلى ذلك من سائر الرخص التي رتبها الشارع عليهما معاً .

ويقول الشيخ رشيد هنا : هل يقول منصف إن صلاة الظهر أو العصر أربعاً في السفر أشق من الغسل أو الوضوء فيه ، وضرب مثلاً بالجوارى المشآت في البحر كالأعلام ، وقال : إن الماء فيها كثير دائماً ، وفي كل باخرة منها حمامات ولكنها خاصة بالآغنياء ، وإن هؤلاء الآغنياء أنفسهم منهم من يصيبه دوار شديد يتعذر عليه معه الاغتسال أو يشق ، وإذا كان هذا هو حال السفن وحال الوضوء



فيها بالنسبة للفعل والوضوء ، فما يكون الحال بالنسبة لها في قطارات السكك الحديدية أو قوافل الجمال والبيغال .

وأخيراً فالرأى أنه إذا ثبت من طريق موثوق به واقعة حال منع فيها التيمم للمسافر مع وجود الماء ، أو ثبت نقل صحيح لإجماع صحيح على منع التيمم لذلك المسافر ، كان ذلك أساساً لقبول رأى الفقهاء في الموضوع ، وكان في الوقت نفسه موجبا لتخريج الآية على النحو الذي يتفق مع ما صح ثبوته من وقائع الحال أو صريح الإجماع . أما والحال كما نعلم من أنه لا يثبت لمثل تلك الواقعة ، ولا تصريح بنقل ذلك الإجماع فإن الفقيه في حل من أن يفهم الآية ويخرجها على ما تقتضيه أساليب اللغة ، وتشهد به أصول التشريع فيما يختص بالعزائم وأسباب الترخص ، ونرجو أن يكشف الله لنا ولغيرنا الغطاء في أمثال هذه المسألة ، كشفاً تطمئن إليه القلوب ، ويقال من نوازع الخلافات الفرعية التي تقع في دائرة ما أباح الله فيه النظر والاجتهاد .

#### ما تدل عليه الآية من نواقض الطهارة :

هذا وقد دلت الآية عن طريق إيجاب التيمم عند فقد الماء في حالة المحي . الغائط الذي كنى به عن قضاء الحاجة الإنسانية ، وفي حالة المخالطة الجنسية الذي كنى عنها بملامسة النساء ، دلت على أن هذين الأمرين : قضاء الحاجة ، والملامسة ، نافضان للطهارة ، وقد تكلم الفقهاء طويلاً على نواقض الوضوء ، وتوسعوا فيها على حسب اختلاف درجاتهم في الرواية والاعتداد بها ، وفي الفياس والإلحاق والاعتداد به ، ولم يتفقوا في هذا الباب إلا على انتقاض الوضوء بالبدل والغائط والريح والمذي والودي ، إذا كان خروجها على وجه الصحة ، واختلفوا فيما عدا ذلك : اختلفوا في النجس يخرج من الجسد ، فقل : كل نجاسة تسيل من الجسد وتخرج منه يجب منها الوضوء ، وعلى ذلك يكون الدم ، والرقاف الكثير ، والفصد ، والحجامة ، والقيء ناقضة للوضوء . وقيل : الناقض هو كل ما خرج من السيلين معتاداً كان أم غير معتاد ، على وجه الصحة ، أم على وجه المرض . وقيل : إن الناقض للوضوء هو كل ما خرج من السيلين مما هو معتاد

خروجه إذا كان خروجه على وجه الصحة . واختلفوا في النقض بالنوم . فقيل : هو ناقض قل أو أكثر ، وقيل هو ليس بناقض ، وإنما الناقض هو ما يحدث فيه بيقين ، ولا فرق عند هذين بين قليل النوم وكثيره ، وفرق آخرون بين القليل الخفيف والكثير الثقيل ، كما فرق غيرهم بين الكيفيات التي يكون عليها النائم من جهة التمكن أو عدمه . واختلفوا في النقض بلبس النساء باليد أو بغيرها ، فذهب قوم الى أنه ناقض على اختلاف بينهم في التفصيل ، وذهب آخرون الى عدم نقضه ، ولاختلافهم في المراد من الملامسة في الآية دخل كبير في الاختلاف في هذا الحكم ، والذي نراه أن النقض باللبس العادى لم يصح فيه شيء من الأحاديث في حين أنه صح أن عائشة رضى الله عنها وضعت يدها على قدم النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلى في المسجد ، ولو أنه كان من النواقض لتوفرت الدواعى على نقله لكثيرته ولا اتصاله بصحة العبادة وفسادها .

واختلفوا كذلك في النقض بمس الفرج ، ومن أراد الإحاطة بآراء الفقهاء في النواقض وحججهم المختلفة فيها فليرجع الى كتب الفروع ، فجعلها في ذلك أوسع ، وبيانها وحججها أنم .

أما الآية فلم يثبت بها ناقض لإقضاء الحاجة المعتادة ، والمخالطة الجنسية ، أما ما عداها فإن صح بشيء منه رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يجب الأخذ بها والعمل بمقتضاها ، ويكون ذلك من باب البيان التكميلي للقرآن عن طريق السنة .

قاعدة اليسر ونفي الحرج في هذا التشريع وغيره ،  
وجوب مراعاتها على الناظرين في أحكام الدين :

هذا وقد ذيل الله آية الوضوء ، بالإشارة الى النصد من هذا التشريع مما يرجع الى تزكية النفس وتطهيرها ، وتنظيف الإنسان وتنقيته ، وبوضع هذه القاعدة العظيمة التي كانت محققة لسهولة الإسلام ويسره ، وعدم اتجاهاه فيما يشرع الى شيء من الإعانات والإرهاق ، وهى قاعدة نفي الحرج في أحكام الدين عامة بقوله :

« ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » ، وقد ذكرت هذه القاعدة في سورة الحج بما يدل على عمومها في الدين كله « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم نعم المولى ونعم النصير . »

وجدير بمن ينظرون في أحكام الدين ويعالجونها ويدعون الناس إلى اتباعها أن يجعلوا هذه القاعدة الإلهية التي وضعها الرحيم بخلقه نصب أعينهم ، فلا يحملهم ضيق الصدر ، أو حب الظهور بالمخالفة على الإعانات والمشاقة التي كثيراً ما تصرف عنهم وعن بيانهم وإرشادهم ، وربما تفاقم الأمر فسكرهوا الدين ، وكرهوا أحكامه ، فراراً من التتبع والمشاقة ، وإرادة قهر الناس بما لا يصحح لهم عبادة ولا يزيك لهم نفساً ، ولا يرقى لهم حياة « يسروا ولا تعسروا ، وقد كان النبي يختار أيسر الأمور إذا خير ، فهذه هي قاعدة الدين ، وهذا هو شأن الرسول في علاج الأمة وتعليمها ، فإن كنتم تحبون الله فاتبعوه ، وإلا كنتم منه على جانب ، وكان منكم عمله وشرعه على آخر . »

نعمة الله على المؤمنين وميثاقه الذي واثقهم به :

ثم انتهزت الآية فرصة رحمة الله في التشريع بعبادة المؤمنين ، وطلبت منهم أن يذكروا نعمة الله عليهم به من جهة إنقاذهم من الشرك والوثنية ، ومن جهة تأليفهم وتطهير قلوبهم من العصبية والبغضاء ، ومن جهة ما أفاض عليهم من تشريع لو أحسنوا سياسة أنفسهم به لظل مددُ العز الإلهي واصلاً إليهم ، وحافظاً لهم من التدهور والانتكاس « واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور . »

ولم يأت في العدد المقبل إن شاء الله . ولعلنا نبدأ الكلام بشيء من البيان

لهذا الميثاق الذي واثق الله به المؤمنين ، وربط به هذا التشريع الحكيم ؟

## الديمقراطية للصّحّة

لحضرة الأستاذ الجليل محمد علي علوبه

رئيس جماعة التقريب

تكاد كلمة الديمقراطية تكون غير معروفة في مصر حتى أواخر القرن الماضي وإنما لهجت بها بعض الألسن وسطرها بعض الكتاب الممتازين منذ أوائل هذا القرن . ذلك بأن الاحتلال الاجنبي كان ضاغطاً على البلاد ، وعلى العقول حتى كانت نسبة الأمية في تلك السنين السود أكثر من ٩٠ ٪ . بين الذكور ، وتكاد تكون عامة بين الإناث ، والمحتل بطبيعة الحال لا يرى سلاحاً يثبت استعمارهم واحتلاله أقوى من سلاح الإبقاء على جهل الأمم المستعبدة ، وعدم التفكير في إنقاذها أو مساعدتها على النهوض العلى والفكرى .

بدأ بعض المثقفين في مصر يلهمجون بذكر الديمقراطية تارة في خطبهم ، وطوراً على صفحات الصحف ، وكنت ألاحظ في الشباب المثقف القيسام ببعض المظاهرات التي يطالبون فيها بالدستور .

واختلط الأمر على كثير من أعيان البلاد ووجهائها ، كما يمكن أن يختلط الأمر الآن على غير المثقفين ثقافة كاملة في معنى كلمة الديمقراطية كما يفهمها رجالها في الوقت الحاضر ، وعلى الوضع الذي يجب أن تكون عليه .

فما هي الديمقراطية الحقّة ؟ هل هي الدستور ؟ هل هي البرلمان ؟ هل هي العدل الشامل ؟ هل هي الأخلاق ؟ هل هي مراقبة أعمال الحكومة ؟ هل هي إيقاظ الضمير ؟ هل هي الإنسانية ؟

كل هذه المعاني تمر بعقول الناس حين يسمعون لفظ الديمقراطية ، وقد تختلط معانيها في أذهانهم ، لهذا كان من الواجب أن نعرف كيف نشأت الديمقراطية وأين نشأت وكيف تطورت إلى معناها في زمننا الحاضر ، وما هو الوضع الذي يجب أن يفهم فيه معنى الديمقراطية الحققة .



كان الناس يعيشون في الأزمنة الغابرة في ظلمات الجهل والاستبداد المطاق ، يحكمهم الحاكمون بالعسف والقمع ، وكانت الرعية ترزح تحت أنقال المظالم والجور ، وفي تلك الأزمنة الغابرة هاجرت قبائل من آسيا الصغرى تلتبس العيش في بقاع غير موطئها ، واستقر بها النوى في شبه الجزيرة المعروفة الآن ببلاد اليونان ، وهي بلاد يلامسها البحر من ثلاث جهات ، ولا تتصل بأوروبا إلا من جهة الشمال ، وهي تشبه كف الإنسان بأصابعه المنبسطة فوق الماء . وفي وسط هذا الكف خليج يكاد يكون كالسوار في المعصم يتصل بالبحر أيضاً من جهته القريبة .

وفي تلك الاصفاع جبال ووداد ، وقد اتخذت كل قبيلة مكانا لها ، وأصبح اتصال بعضها ببعض شاقا إلا بواسطة البحر ، ولم تكن طبيعة أرض هذه البلاد من الخصوبة بحيث تكفي مواردها الزراعية حاجة سكانها .

لهذا اضطرت الحاجة هؤلاء الناس إلى التفكير وإعمال الحيلة للحصول على العيش ، فهدأ ذلك إلى الاهتمام بأمور الملاحة والتجارة وبعض الصناعات ، وكلها أمور تدعو إلى بذل الجهد الجسمي والفكري .

وكان من نتائج هذا كله أن تكونت مدن مبعثرة في بلاد الإغريق مستقل بعضها عن بعض ، ولما كان اللفظ الدال على المدينة بلغتهم هو « پوليس » فقد اعتادوا أن يسموا بعض المدن في البلاد التي أنشئوها بلفظ مركب أحد جزأيه كلمة « پوليس » والجزء الآخر لإسم إله عندهم أو حيوان أو نحو ذلك ، وهكذا سموا : مدينة الذئب ، ومدينة التمساح ، ومدينة الثعلب ... الخ .

ومن هذه المسميات في مصر مدينة اسمها هليوبوليس ، ومعناها في اليونانية مدينة الشمس ، وهي التي نطلق عليها الآن عين شمس . ومن الغريب أن ترى هذا الاسم في اللغة العربية منطبقاً على قرية عين شمس الأصلية واسمها باللغة اليونانية المعربة منطبقاً على هليوبوليس الجديدة المعروفة الآن ، وهي ليست سوى امتداد لعين شمس القديمة ، ومعنى الاسمين واحد ، لكن اختلاف اللغة جعلهما مدينتين . وقد انتشرت هذه التسمية اليونانية إلى أن وصلت إلى بلاد أمريكا ، وفيها الآن مدائن يونانية التسمية حديثة عهد الإنشاء ، ينتهى اسمها بكلمة « پوليس » أى مدينة . كما كانت في مصر أيام حكم الإغريق والبطالسة ، مدائن ينتهى اسمها بكلمة « پوليس » ثم نُسيت هذه الأسماء . وبقي في مصر الآن مدائن احتفظت بأسمائها الفرعونية القديمة أو القبطية ، ثم انتشرت الأسماء باللغة العربية بعد فتوحات العرب .

ونعود بعد هذا الاستطراد إلى ما كنا عليه فنقول :

كانت كل مدينة من هذه المدائن منفصلة كما قلنا عن غيرها من المدائن للأسباب التي ذكرناها ، وكان عدد سكان كل مدينة في ذلك الحين قليلاً ( من ٥٠٠ - ١٥٠٠ نسمة ) فاضطر سكان كل مدينة أن يفكروا في أساليب إدارتها وحكمها ، وهي أساليب تختلف باختلاف عقلية المواطنين في كل مدينة ، وكانت الطريقة المثلى التي إرتأوها - والإنسان مدني بالطبع - هي أن يجتمع أهل المدينة كل سنة في صعيد واحد ، وهو ميدان مدينتهم - يجتمع الراشدون منهم ليختاروا بطريقة البدائية من يوكل إليه الفصل في المنازعات وأمور الإدارة والأمن وغير ذلك مما يريح أولئك الناس وهم مشغولون بأمور الملاحة أو الزراعة أو التجارة أو الصناعة ، ويكون انتخاب من يقع عليه الاختيار عادة كل سنة ، فإذا انقضى العام اجتمع الراشدون مرة ثانية ليعيدوا النظر في أعمال من قاموا بهذه الواجبات ، واختيار من يرون صلاحيته في السنة التالية ، فإما إعادة الثقة بمن ولوا الحكم من قبل ، أو استبدال غيرهم بهم ، وقد يعاقبون من لم يحسن أداء مهمته .

إن هذه الطريقة البدائية هي قيام الشعب كله باختيار حاكميه ، وهي الرقابة

الفعالة ، وهى سلطة الشعب المباشرة على حكامه ومراقبتهم مراقبة تامة ، وبعبارة أخرى هى أن الأمة مصدر السلطات دون احتياج إلى وسيط اسمه نائب أو برلمان فالبرلمان هو الشعب ، واختيار الحكام المباشر يصدر عن الشعب ، وذلك هو أصل الديمقراطية .

وكلمة ديمقراطية مكونة من لفظين بمنزلة ديموس ، ومعناها أمة ، و كراتوس ، ومعناها سلطة ، وهذا هو الذى نعبر عنه الآن بكلمات :  
 « الأمة مصدر السلطات » .

\* \* \*

ثم تزايد السكان واتسعت المدائن ، واتصل بعضها ببعض ، وكثرت الأعمال وازدهرت الصناعة والزراعة والتجارة والملاحة ، فأصبح من العسير أن يجتمع الراشدون كلهم فى صعيد واحد ، وكان هذا كله سببا فى ابتكار طريقة انتخاب أخرى ، هى أن يقوم الشعب بانتخاب وكلاء عنه ، يمضون أوقاتهم فى خدمته والتحدث عنه فى مصالحه ، وهؤلاء الوكلاء هم الذين نعبر عنهم الآن بالنواب ، لهم برلمانهم ، وهم الذين يكونون تحت مراقبتهم وبرأيهم ، اختيار رجال السلطة التنفيذية الذين يقومون بحكم البلاد من إدارة وأمن وقضاء وغير ذلك ، وهؤلاء النواب هم الذين يراقبون سير الحكم ، ويراقبون طريقة انفاق أموال الأمة فيما يفيد الأمة .

\* \* \*

ان قيام هذا النوع من الحكم لم يمنع قيام أعمال أخرى فى تلك البلاد - لم يمنع انهيار الديمقراطية وقيام الاستبداد وحكم الفرد أو الملوك ، كما لم يمنع الانقلابات والاضطرابات جيلا أو أجيالا ، شأن البشر فى أطعامهم وشرهم ، وتعلمهم إلى المجد الكاذب أو الثراء أو القوة ، أو غير ذلك مما يساور عقول البشر فى كل وقت وحين .

انما الذى لا شك فيه ، هو أن مدينة أثينا ، كانت فى أوقات عدة مثال الديمقراطية ، وكان فيها رجال عظام أقوياء ، أخص منهم بالذكر المشرع الكبير

في مدينة أثينا، وهو صولون، ذلك الذي وضع نظاماً أو دستوراً لمدينة أثينا في القرن السابع والسادس قبل الميلاد. كما لا ننسى نظاماً آخر وضعه دليكورجوس، لمدينة اسبرطة في القرن التاسع قبل الميلاد، ذلك الذي جعل في اسبرطة نظاماً من نوع آخر، يهدف إلى تكوين شعب حربي قوى يتولى تدريب أبناء اسبرطة على الكر والفر والقتال، ويجعل منهم شعباً مهيب الجانب.

هذان هما النظامان الرئيسيان اللذان سادا في بلاد اليونان، ولهما غايتان مختلفتان، الأولى: غاية أثينا، أو هي غاية صولون في تكوين أمة ديمقراطية، بأوسع معاني الديمقراطية والأخرى: تهدف إلى تكوين شعب اسبرطة تكويناً قوياً اشتراكياً، يجعل من اسبرطة مدينة شعب قوى مهيب.

\* \* \*

ولقد كان هؤلاء اليونان الأقدمين تكوين خاص، وعقلية خاصة، فهم نازحون من بلاد إلى هذه البقعة المعروفة الآن ببلاد اليونان، نزحوا يجاهدون في سبيل العيش، فكان عليهم أن يعملوا ويفكروا، وأتوا إلى هذه البلاد مع ما فيها من وعورة المسالك وقلة المياه، وصعوبة الحصول على العيش من الزراعة وحدها، ولكنهم وجدوا أنفسهم في أرض متصلة بالبحار من جهاتها الكثيرة وكان عليهم أن يعملوا في التجارة والملاحة بمقولهم وجهودهم، فأصبحوا بحكم ظروف هذه البيئة مضطرين إلى العمل والتفكير، لا إلى الدعة والتواكل، حتى يعوضوا بجهودهم وتفكيرهم ما ضنت به الطبيعة عليهم من خيرات تقوم بأودهم، وترضى أطماعهم في الحياة.

هذه العوامل المختلفة، وبفضل استعدادهم الفطري تكونت في هذه البيئات عقول جبارة مفكرة، تختلف كثيراً عما كانت عليه الأمم المحيطة بها سواء في أوروبا أو في آسيا أو في أفريقيا.

نظر هؤلاء الناس إلى الكون من جميع نواحيه، وظهر من بينهم عقلاء وحكماء وفلاسفة ورجال حرب وكفاح ورجال أنظمة حكومية وإدارية،



ولا يمكننا أن نحصى عدد أولئك الذين امتازوا في التاريخ ، وكانوا أئمة الأمم المعاصرة لهم ، وبقيت آثار كثير منهم تشغل التاريخ منذ تلك الأيام الغابرة إلى أزماننا الحاضرة ، وحسبنا أن نذكر منهم أبقرات وسقراط وأفلاطون وأرسطو أولئك وغيرهم كانوا هداة عصرهم وهداة الأمم المحيطة بهم ، ونهل العلماء والفلاسفة إلى أيماننا هذه من ينبوع أفكارهم ، وما تركوا لنا من آثار : آثار في الطب ، وفي المنطق ، وفي الفلسفة ، وفي الحكمة ، وفي الفن الإغريق المعروف ، وفي غير ذلك من مآثور الفكر الإنساني .

\* \* \*

كان لهم في القوانين عقلية خاصة ، فما كانوا يرون أن التشريعات سماوية رغم تعدد الآلهة عندهم ، كانوا يعبدون هذه الآلهة منذ قرون عديدة قبل ظهور اليهودية والمسيحية ، فقد كانوا مشركين كما كان غيرهم من الشعوب الأخرى . وقد كانت آلهتهم عديدة كما كان الهنود والمصريون كذلك ، وما كانوا يستمدون قوانينهم بوحى من أولئك الآلهة ، بل كانوا يضعون القوانين ويكلون أمرها إلى من يقوم بتنفيذها من الحكام أو الولاة أو الملوك ، وكان القائم بتنفيذ هذه القوانين مكلماً بأن ينفذها بوحى من الآمة ، لأن الآمة هي التي اختارتها تحت رقابة الآلهة ، فالقوانين إذن في تلك العهود لم تكن في عرف اليونانيين وحياً أو أمراً من الآلهة ، وإنما كان تنفيذها باعتبارها صادرة من الآمة ، والآلهة رقباء على تنفيذها ، وبعبارة أخرى كانت للقوانين عدم قدسيتها باعتبارها صادرة من الآمة ، ومضى صدرت أصبح تنفيذها برقابة الآلهة .

\* \* \*

وكل هذا لم يمنع من إنقلابات عدة ، فقد كانت الدساتير والقوانين تهدر وكانت الفوضى تضطرم في تلك البلاد أحياناً ، ثم يعود النظام أحياناً أخرى ، وكل تعددت الدساتير في تلك البقاع تبعاً لانقسام هذه البلاد إلى دويلات صغيرة حتى وصل الأمر إلى أن أحصى عدد الدساتير المختلفة في تلك البلاد فكان يربى على مئة وخمسين دستوراً في زمن أرسططاليس المعروف عندنا بأرسطو .

قام الحكماء والفلاسفة بالعمل على تطهير النفوس ، فكان أظهرهم سقراط ذلك الحكيم الكبير أستاذ أفلاطون ، ذلك الفيلسوف الذى اكتفى بالنقد والحوار الذى سجله أفلاطون فى كتبه المعروفة .

كانت حياة أفلاطون فى القرن الخامس والرابع قبل الميلاد ، وقد ابتكر طرقا عديدة عملية لخدمة بلاده والإنسانية ، ووضع فيها وضع كتاب : « الجمهورية » وكتاب : « القوانين » ، وكان يهدف فى تفكيره إلى جعل إدارة البلاد فى أيدي الفلاسفة ، لأنهم فى نظره أرفع شأنا وأوسع عقلا ، وأقدر من غيرهم على حسن إدارة البلاد ، ووضع فى كتاب الجمهورية مشروعه المعروف ، وهو أن يؤخذ الأطفال جميعا من والديهم ويربوا على نسق متجانس من التربية ، ويدربوا على أن يكونوا أبناء الوطن لا أبناء آبائهم .

ثم كان أرسططاليس أو أرسطو ، وهو الملقب بالمعلم الأول ، وقد كان تلميذا لأفلاطون فى القرن الرابع قبل الميلاد ، كان هذا الفيلسوف الكبير يختلف عن أستاذه أفلاطون فى أنه كان رجلا واقعيا ، أما أفلاطون فقد كان فيلسوفا نظريا إنسانيا إلهيا .

نظر أرسطو وهو الفيلسوف الكبير الواقعى ، صاحب مذهب المشائين ، وأستاذ الاسكندر الأكبر ومعلمه ومرشده - نظر هذا الفيلسوف إلى الدساتير الإغريقية قديما وحديثا ، وكانت كلها بين يديه ، نظر إليها نظرة العالم المدقق ، والخبير العملى الذى يخضع للعقل والمنطق والواقع معا ، نظر إليها وكانت كثيرة ، فاستخلص منها الوضع الواقعى كما ارتآه ، وهو أن الدساتير مهما تختلف أوضاعها وطرائق التفكير فيها ، ترجع فى حقيقةها إلى أوضاع ثلاثة فى إدارة حكم البلاد .

رأى بحكم الواقع الذى لا جدال فيه ، أن البلاد إما أن يحكمها فرد أو فئة أو الجمهور كله أى الشعب ، فلك نظم ثلاثة تتفق والواقع ولا يمكن وجود نظام آخر غيرها ، وفى تلك الأحوال الثلاثة ، قد يكون حكم الفرد صالحا أو غير صالح كما يكون حكم الفئة كذلك ، كما يكون حكم الجمهور كذلك ، فنستخلص من هذا كما يرى أرسطو أن حكم البلاد يكون على ستة أنظمة ، نصفها صالح والآخر فاسد .

ولنشرح كل نوع من هذه الأنواع الستة ، حتى يمكننا أن نحيط بعض الإحاطة بما رآه أرسطو ، وبما يمكن أن يستخلصه أى قارئ .

### (١) حكم الفرد :

فالنوع الأول وهو حكم الفرد ، وينقسم كما قلنا إلى قسمين : إما حكم الفرد الصالح أو حكم الفرد الماسد ، فحكم الفرد الصالح يسميه أرسطو بـ"الغريزة اليونانية" . الحكم الأوتوقراطي ، ذلك الحكم الذى يكون فى يد رجل ، ويمكننا أن نقول أن الرجل الواحد قد يكون ملكاً أو امبراطوراً أو قيصراً أو شاهاً أو سلطاناً أو ما شئت من الأسماء ، إنما المهم أن تكون البلاد تحت إمرة رجل له سلطة مطلقة ، ولا يكون فاسداً . ويمكننا أن نتصور هذا الحكم بأن تخضع البلاد لرجل واحد صالح يكون له مستشارون يندبهم ليحيطوه علماً بما يجرى فى البلاد ، ويبدو به بنصائحهم وصادق آرائهم فى إدارة البلاد ، ومنع الظلم عن الرعية ، والمهوض بالشعب إلى المستوى الذى يجب أن يكون عليه من عدل وتربية وتنقيف ، أملاً فى أن ترقى البلاد إلى المستوى اللائق بها بين الأمم فى القوة والعظمة والرفعة .

ويحضرنى فى هذا المقام - إذا أردت أن أضرب مثلاً لحكم الفرد الصالح - أمثلة عدة لملوك يمكن أن يطلق على كل واحد منهم كما يقال الآن لقب المستبد الصالح ، وإنى لأختار أمثال عمر بن الخطاب أو غيره من ملوك الشرق والغرب فسيرتهم جميعاً معروفة فى التاريخ وفى الأمم كافة .

لكننى وقد طفت بلاد الهند علق بذهنى اسم امبراطور عظيم مسلم هو "أكبر خان" ، كان هذا الرجل الحاكم الأكبر والإمبراطور الأعظم لبلاد الهند فى القرن السادس عشر ، وكان نموذجاً للحاكم الفرد الصالح ، ولا يعنى من سيرته اتساع سلطانه ، إنما الذى يعنى هنا الطريقة التى أدار بها امبراطوريته الواسعة وملوكه المعظم ، فقد كان هذا الملك يحكم بلاداً شاسعة مترامية الأطراف كثيرة السكان ، وهى بلاد الهند كلها ، وفيها فلة من المسلمين وكثرة ساحقة من الهندوس

وهؤلاء كانوا براهمة أو بوذيين وفيها مسيحيون وغير ذلك من المذاهب المختلفة التي يعرفها من درس حالة تلك البلاد ، كيف أدار هذا الامبراطور ملكه ؟ لم يدره بالنار والحديد ولا بالظلم والجور والفساد ، وإنما جمع حوله فئة من المستشارين صالحه ، فكان له في قصره مكان خاص رأيه ، وهو عبارة عن حجرة لها شرفة يجلس فيها الامبراطور وقت الحكم ويدعو في الحجرة كبار رجال دولته من جميع الأديان والمذاهب ، فكان منهم الهنود والمسلمون والمسيحيون وغيرهم أولئك كانوا صفوة رجال الامبراطورية يجلسون ويعرض عليهم أمراً من الامور ليبت فيه ، ولم يكن إذا غم عليه أمر يصدر رأيه فيه قبل أن يستشير أولئك الخبراء فيعرض عليهم الامر ، ثم يتركهم ليتداولوا حتى إذا أجمعوا على حل لمشكلة من المشكلات أخذ به وتوجه بأمره ، أما إذا اختلفوا فكان عليه أن يبحث في أدلة كل فريق بحثاً خالياً عن الغرض ومؤدياً إلى نفع أمته ويختار الحل الذي يرتضيه ضميره ، وهذه الخطة السليمة التي ارتضاها هذا الامبراطور لنفسه ولشعبه كانت هي الطريقة الوحيدة التي حبيت جميع القلوب إليه ، وأخضعت جميع الشعوب المتباينة لسلطانه عن رضا واختيار ، وإن أساليب هذا الملك الكبير في إدارة الحكم ، وفي تقسيم البلاد إلى مناطق أو ممالك لها استقلالها الذاتي أو شبه الذاتي وطريقة جباية الأموال ، ووضع الأنظمة للإدارات ودور القضاء والشرطة ، وغير ذلك من أساليب الحكم الصالح كانت دستوراً قائماً حتى أخذت الحكومة البريطانية عندما امتلكت هذه البلاد وليس لها سوى عدد ضئيل من الانجليز الحاكمين ، أخذت أو اضطرت إلى الاستعانة والاخذ بتلك الوسائل الحكيمة التي وضعها هذا الامبراطور لبلاد الهند .

أما النوع الثاني من حكم الفرد ، أي حكم الفرد الفاسد ، فهو الذي يسميه أرسطو بحكم الطغيان ، أي حكم الملك الذي لا يربى في إدارة أمته إلا ولا ذمة ، يسعى في توطيد دعائم سلطانه على أساس من الفساد والظلم والجبروت ، وبرهق شعبه بتلبية نزعاته الطائشة ، ويستنزف أموال هذا الشعب بوسائل الضغط

والجبروت ، يستنزفها لمصلحته الخاصة ، ولأهله وعشيرته ، ويحتقر هذه الأمة التي يحكمها ، ويسومها سوء العذاب ، ويسعى فيما يسعى إليه كل مستبد ظالم في ابتكار وسيلتين هما الوسيطان الوحيدتان لإرهاق كل شعب ، وهما الجهل والتفرقة ، فلا يفكر إلا في استدامة جهل الأمة وعدم يقظتها ووعياها القومي ، حتى ترضى بوسائل الظلم أو تسكت عنه ، ويضيف إلى ذلك إشاعة الخرافات بين أفراد هذا الشعب الجاهل حتى يستكين إلى هذه الخرافات والأباطيل ، ومن ذلك أن يشيع في الأمة تارة أنه حاكم بأمر الله ، أو أنه ظل الله في أرضه ، أو أنه مفوض من المولى جل شأنه في إدارة البلاد ، أو أنه شريف حسيب نسيب ، له الحق أن يحكمها كما يشاء ، أو أن ما يعمل من بشاعات إنما هو الهام من الله أو أن الفرد يجب أن يخضع للفضاء والقدر ، أو أن لرعيته ثواب الآخرة فترضى بعذاب الدنيا ، وغير ذلك من الأساليب التي لا تخفى على من درس أحوال الحكام العاسدين وسيرتهم .

والطريقة الثانية التي يلجأ إليها الطاغية ، هي كما قلنا وسيلة التفرقة بين أفراد الأمة ، بمعنى أنه يخلق فيها شيعاً وأحزاباً تتناحر وهي ترمى إلى مصالح ذاتية لهذه الشيع أو الأفراد أو الأحزاب ، لكنها في الحقيقة أمام الحاكم دُمى يستعين بها على أغراضه الخاصة ، وتأييد طغيانه بما يسديه إلى هؤلاء المتنافسين والمتزاحمين من بعض اللقيات يلقبها اليهم ، وهم عن الذل راضون .

لكن الطاغية يحتاج دائماً فوق اشاعة الجهل والتفرقة إلى بطانة خاصة هي بطانة السوء الأكبر ، يحيطها بشيء من الامتياز ، وبشيء من الحصانة والصيانة وبشيء من نعيم هذه الدنيا كما يراه هو وتراه البطانة ، ويختار هذه البطانة بعد تفكير وروية ، فلا يجتذب إليه إلا نفرأ من الأدكياء ذوي الهمة والنشاط بشرط أن يثق بفساد ذمهم ، وبأنهم خاضعون لأن يبيعوا شرفهم ويتفدوا ما أمروا به من وسائل الغش والخيانة والفحش والاختلاس والسرقات ، فإذا اجتمعت لدى هؤلاء صفات يطمئن إليها الطاغية احتضنهم ووكل إلى كل فرد منهم ما ينبغ فيه

من صفات الرذيلة ووسائلها وحبائلها فيصبح الطاغية مطمئناً إلى قوات متعددة ،  
أولها بطانته الخاصة بأساليبها - وثانيها : طلاب العيش يؤمرون فيأتمرون ، وقد  
يكون من هؤلاء رجال لهم شيء من الضمير ، لكنهم وقد غلبت عليهم المصلحة  
الخاصة أو الحاجة ، وضعوا على ضمايرهم غشاوة يتناسون بها الفضيلة وحجتهم  
أمام أنفسهم أو أمام الناس أن لهم سلطاناً سواء كانوا وزراء أو حكاماً ، ويمكن  
في نظرهم هذا السلطان لأن يخفى ما يقتربون من آثام - وثالث القوى : العمل على  
إبعاد الأمة عن المثل العليا بالوسيلتين القويتين ، وهما الجهل والفرقة وإنشاء  
الشيخ والاحزاب .

ولا يمكن لأمة من الأمم ترزح تحت أنقال هذه العوامل الثلاثة إلا أن  
تكون نهباً لكل طامع ، وعرضة لأن يلتمها مفتصب أو مستعمر يرى الأمور  
عمدة أمامه بضعف شعب كان ضحية لطاغية ، فلا يقوم في إدارة هذا الشعب  
إلا بنفس الوسائل التي ابتدعها ذلك الطاغية ، وهو الذي خلق في نفوس أمته  
أن النفاق فضيلة ، والخضوع مشوبة ، والسرقعة حذق ، والتفحش تحرر من التقاليد  
البالية ، والخمر والميسر متاع وترفيه وبراعة .

ويأويل أمة استعان بالطاغية في حكمها بالقوة المسلحة حتى إذا بدرت منها بوادر  
السلخ استعان في قهرها وإذلالها بقوته المسلحة ، فيخضعها طوعاً أو كرهاً لجبروته  
وإذا آانس من شعبه أو من قوته المسلحة نزوعاً إلى الحرية والعدل والكرامة ،  
فسكر في إيجاد حرس خاص له عليه يحفظه ويحميه من هذا الشذوذ أو تكرر الجحيل  
فإذا تفشى العلم والمعرفة في عقول الشعب ، ونمت بوادر الوعي والتمسك بالحرية  
ولو نسفك الدماء ، وحصل التجاوب بين الشعب وقوته المسلحة ، وقتئذ تدق ساعة  
الخلاص ، ويهبط ذلك الطغيان من عليائه ، وتصبح الأمة وجيشها قوة واحدة  
مقدسة ، تقصى عنها الظفيان وأذنايه ، وتبعده عن أرضها فيخرج ذمياً مدحوراً  
خائفاً وجلاً تخط أنفاسه أمام عينيه في الجو .

أعطيتُ ملكاً فلم أحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك بخلمه

## (٢) حكم طبقة معينة :

أما النوع الثاني من الحكم كما ارتأه أرسطو ، وكما حدث فعلا في زمنه وقبل زمنه ، فهو حكم طبقة معينة أو فئة معينة ، وهو كحكم الفرد المذكور آنفا يشمل نوعين : أحدهما صالح ، والآخر فاسد .

فالنوع الصالح من هذا الحكم هو ما يسميه أرسطو بحكم « الأرستقراطية » ومعناها في اللغة اليونانية « حكم الممتازين » ، أو الاختيار ، وقد كان أفلاطون يرى إلى أن يعهد بالحكم إلى الفلاسفة ، فإذا عهد إليهم بذلك وكان الحكم وقفاً على الفلاسفة مثلاً وهم الرجال الاختيار أو الممتازون ، كان هذا الحكم هو حكم الأرستقراطية ، وقد اتسعت فكرة الرجال الممتازين في اليونان وفي غيرها ، فاعتبروا من الممتازين طبقات أخرى كطبقة رجال الدين أى الكهنة ، ومثلها مثلاً في بلاد الهند طبقة البراهمة وهى الطبقة العليا في تلك البلاد تمتاز عن باقى الطبقات بامتيازات خاصة دقيقة ، ويدخل في هذا النوع حكم كبار الرجال الذين امتازوا بفضلهم ونبلهم ، وكانوا بما لديهم من رفعة الجاه وسعة الثراء يدافعون عن الوطن ويحشدون الجنود وينفقون من أموالهم ما يلزم للجيش في الدفاع عن الاوطان دون أن يكون لهم أرب في مصلحة ذاتية .

يضاف إلى ذلك ما فهمه الناس في بعض الاوقات من فكرة الانتساب إلى أصل مقدس مثلاً فلطالما شاع في بلدان كثيرة فكرة إسناد الأمر إلى أولئك الأشراف الذين ينحدرون من أصل مقدس كما يقولون مثلاً في بلاد العرب في تلك الأزمنة بإسناد الحكم إلى من يسمونهم بالخلفاء لانحدارهم من سلالة أصل مقدس ، وتلك كانت الصكرة التى اتخذها بعض العرب المسلمين سنداً للخلافة أى إسناد الحكم إلى تلك الطبقة الأرستقراطية عندهم .

تلك إذن أنواع كثيرة من أرستقراطية تطوف بالثقل الإنسانى ، وتكون ما يمكن التعبير عنه بسلطة الاختيار أو الممتازين ، والغرض من هذا كله أن يسند

الحكم إلى رجال يؤتمنون على حسن إدارة البلاد بدقة وظهر وأمانة وتضحيات  
أمثلا في خدمة الأمة ورفع شأنها .

أما النوع الثاني من حكم الطبقات وهو الحكم الفاسد الذي ارتآه أرسطو ،  
فلا يسميه بالارستقراطية ، وإنما يطلق عليه اسم « الأوليجاركية » ومعناها  
حكم الأقلية ، أى حكم فريق من أولئك الذين أثروا دون أن يكون لهم نيل  
مشهود به ، إذ المعروف في تلك البلاد القديمة أنهم كانوا يعتبرون طبقة الفلاسفة  
والحكما والاشراف طبقة ممتازة لها احترامها وتبجيلها ، وما كان الناس في تلك  
العهود سواء أكانوا في بلاد اليونان أو غيرها ليحترموا طبقة الزراع والصناع  
والتجار ، فهي صناعات يدوية ، وكان الناس في مصر من عهد قريب يمثل هذا  
الرأى يرون طبقة الفلاح والصانع والتاجر طبقة ثانوية ، وكانوا يقدرون في مصر  
إن أبناء أولئك الناس ليسوا من ذوى الأصول أى النسب والحسب ، وبلاد  
اليونان القديمة كغيرها كانت على هذه الوتيرة ، لكن التجار والصناع فيها قد أثروا  
وأصبح لهم نفوذ وخطر ، نفوذ جعلهم ذوى سلطان مكتم من الوثوب إلى الحكم ،  
وليس لهم عراقة الاصل ، يصلون إلى الحكم للجاء لخدمة البلاد ولجمع الثروات  
لا للتضحيات في سبيل الوطن ، فتقلب بذلك حالة البلاد من حكم نبيل طاهر إلى  
حكم الجاهل والدنس الذى لا غاية له إلا اشباع أطماع هؤلاء الدخلاء .

وقد يمكننا أن نضرب مثلا لهذه الحالة في بلادنا المصرية - وهي حالة  
حكم الأقلية ، الذين لا يرجى منهم خير للبلاد ، والذين يملكون نواصى الأمة  
بالعسف والجبروت لمصالحهم الخاصة - هؤلاء المالك الجراكسة النازحين  
إلى مصر ، والذين كانوا من الموالى والعبيد ، أولئك الجبناء المستبدن الذين  
لا يعرف لهم أصل يوثق بفضله ونبله ، والذين هم في الغالب من العبيد  
المتقاء ، وقد أصبحوا من الجند أو القادة بفضل انتسابهم إلى سادتهم من غير  
المصريين ، هؤلاء المالك الجراكسة وثبوا إلى حكم البلاد المصرية ، والتاريخ  
يشهد بأنهم فوق جملهم وبغضهم واحتقارهم للأمة التى آوتهم قد عاثوا في الأرض



فساداً ، وقاست الأمة من جورهم وظلمهم ما قاسته من الظلم والفساد والرشوة وامتهان الكرامة .

ومن عادة هؤلاء الظالمين الذين يسعون في الأرض فساداً أن يلجأوا إلى شيء يظنون أنهم يستطيعون أن يستروا به جورهم وعسفهم فيلجأون عادة إلى تقريب رجال الدين وإقامة المعابد أو المساجد تظاهراً بالتقوى والصلاح ، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، وما ليس من أعمالهم .

كنت وأنا صبي أسمع من كبار السن من ذوينا رواية لا ينطرق إليها الشك ، هي أن أحد هؤلاء الحكام الجراكسة وقد كان مديراً لإحدى المديریات ، أمر بضرب رجل بالكرباج ، وقام الحاكم الظالم هذا ليؤدي الصلاة مصرحاً لأعوانه الذين أمروا بتنفيذ حكمه إلا يكفوا عن الضرب إلى أن ينتهي من صلاته ، وأخذ يعبد الله كما يدعى ويطلق في الصلاة وفي تسبيح الله جل شأنه ، وطلب غفرانه وزحمته ، والكرباج يهوى على المصري ويمزق جسده ، إلى أن انتهى حضرة الحاكم من تعبه وتوسلاته ، وكاد الرجل يموت من شدة الضرب وقسوته .

وأعرف أن المصري ما كان يدعى في تلك الأزمان الغابرة إلا بأنه « جنس فلاح » ، أمعانا في الاحتقار ، ذلك أن أولئك الجراكسة أو تلك القلة كما يسميها أرسطو ، كانت تحتقر الزراعة والتجارة والصناعة ، كما كان يحتقرها أولئك الأقدمون في البلاد الأخرى اكتفاء بما يعززون به من جاه الحكم وكثرة المال الذي كانت تدره عليهم وظائفهم ، ويسديه إليهم طغيانهم .

ألم يصل إلى عليك ما يعرفه الخلف عن السلف من أن الأمر في الزمن السابق كان إذا رضى عن وجيه من وجهاء المصريين أهدها جارية بيضاء معتوقة يتزوج بها ، وكان هذا شرفاً عظيماً للوجيه المصري ، وكيف لا يكون له هذا الشرف وهو قد اتصل بالسلالة الجركسية بزواجه من رقيقة معتوقة ، ربما كانت من قبل في فراش ذلك الأمير .

ذلك هو معنى حكم القلة أو الأقلية كما ارتآه اليونان ، وكما طبق في بلادنا .

## (٣) حكم الشعب :

سبق لنا القول عن حكم الفرد بنوعيه صالحه وفاسده ، وعن حكم فئة من فئات الأمة بنوعيه صالحه وفاسده .

والآن نتكلم عما يسميه أرسطو بحكم الشعب ، وربما يدهشك إذا قيل لك أن حكم الشعب قد يكون أيضاً صالحاً وفاسداً كما ارتآه أرسطو .

(١) لحكم الشعب الصالح هو ما يسمى بالديمقراطية إذ أن الأمة مصدر السلطات ، ومعنى هذا في نظر أرسطو وغيره أن تقوم الأمة بانتخاب وكلائها عنها انتخاباً سليماً صالحاً ، وأن يكون للحكومة وزراء يراقب نواب الأمة أعمالهم ويسمرون على النهج المستقيم ، ويكون لنواب الأمة حق التشريع ، وإقرار الضرائب ، ومراقبة صرفها ، ومحاسبة الوزراء على تصرفاتهم ، ومسئوليتهم أمام النواب ، ومنحهم الثقة أو سحبها منهم لبقائهم أو بقاء بعضهم أو خروجهم من الوزارة ، وبالجملّة تنسيق الأعمال على الوضع الذي ترضيه . وعلى ذلك فالديمقراطية معناها أن تحكم الدولة بواسطة الشعب ولمصلحة الشعب .

أما كيف يكون تنظيم البرلمان ، وهل يكون من درجة أو درجتين ، وكيف يكون عدد أعضائه بالنسبة لعدد المواطنين ، وكَم يكون عدد أعضاء الوزارة ، وهل تكون الدولة ملكية أو جمهورية ، فلكلها تفصيلات لا تدخل في جوهر الديمقراطية ، إنما المهم فيها والأساس أن تكون الأمة مصدر السلطات حقاً وفعلاً .

هذا هو مبدأ الديمقراطية ومعناها كما يراها الناس جميعاً .

(٢) والنوع الثاني هو ما إذا فسدت الديمقراطية ، وأصبحت شكلاً لا موضوع له وهو ما يسميه أرسطو : « بالديمقراطية الجيئة » ، ومعناها في اليونانية أن تكون الأمة مسوقة ، وحقيقتها أن يقوم رجل يؤثر في عقول الشعب تأثيراً عميقاً بنشاطه وذكائه وذلاقة لسانه ، فيجمع حوله بعض المفتونين به ، وتزداد شهرته بالوعود المعسولة ، والآمال البراقة ، والمظاهرات والدعابات والتهريج ،

وقد يسبغ على نفسه أو يسبغ عليه أنصاره ومريدون شيئا من القداسة ومخالفة المؤلف من طبائع البشر فيستولى على نفوس الكثرة الساحقة من الطبقة البهاذجة ، وبذلك يتمكن من السيطرة على العقول ودفعها إلى ما يريد ، وهو لا يضر في الواقع سوى مجد شخصه ، وعلو مكانته حتى ينكشف أمره بعد أن تدفع الأمة ثمن ضلالاته .

وهذا النوع من الديماجوجية وهو ظهور زعيم تسير وزاده الأمة كما يشاء ويهوى ، لا يحدث غالبا إلا في الأمم التي لم يتم نضجها ، فيسهل بذلك انقيادها ، أما الأمم التي وصلت إلى شيء من الرقي فإنها تكشف أمر مثل هذا الزعيم بعد قليل من الزمن ، وفي الأمم التي ارتقت ارتقاء كاملا يصعب أن تظهر فيها هذه الديماجوجية .

\* \* \*

هذا هو تقسيم نظام الحكم كما ارتآه أرسطو ، مراعيًا في ذلك حالة الواقع في الأنظمة القديمة ، وقد رأى بعض الفلاسفة والحكماء أن الأمم المنحطة ليس لها إلا حكم الفرد الصالح يهديها سبيل الرشاد ، ويسير بها في سبيل الرقي والقوة ، وأن الأمم التي ارتقت نوعا ولم تستكمل رقيها يجدر بها أن تحكمها طبقة الاستقرائية أي طبقة الرجال الممتازين ، أما الأمم الراقية فأحسن نظام لها يجب الأخذ به هو نظام الديمقراطية .

على أن الأمم التي ارتقت ارتقاء كاملا ، أو ارتقاء محدودا ، وشاع فيها الوعي القومي ، لا يمكن أن ترضى بغير الديمقراطية ، وهي إن لم تعط لها ، أخذتها أخذاً .

[ البحث موصول ]

# البِسْمَلَةُ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهَا

## وهل تقرأ في الصلاة ؟

لحضرة صاحب السماحة العلامة الأكبر السيد شرف الدين الموسوي

لبنات (\*)

اختلفت آراء أهل الرأي من المسلمين في ذلك ، فذهب مالك والأوزاعي إلى أنها ليست من القرآن ، ومنعوا من قراءتها في الفرائض بقول مطلق سواء أكانت في افتتاح سورة الحمد أم في افتتاح السورة بعدها ، وسواء أقرئت جهراً أم إخفاً ، نعم أجازا قراءتها في النافلة (١) .

أما أبو حنيفة والثوري وأتباعهما فقرروها في افتتاح أم القرآن لكن أوجبوا إخفاها حتى في الجهريات ، وهذا يشعر بتوافقهما لمالك والأوزاعي ، وربما كان دالا عليه ، إذ لا نعرف وجهاً لإخفاها في الجهريات سوى أنها ليست من أم الكتاب .

لكن الشافعي قرأها في الجهريات جهراً ، وفي الإخفائيات إخفاً ، وعدها آية من فاتحة الكتاب ، وهذا قول أحمد بن حنبل وأبي ثور وأبي عبيد ، واختلف المنقول عن الشافعي في أنها آية من كل سورة عدا براءة ، أم أنها ليست بآية من غير أم الكتاب فنقل عنه القولان جميعاً ، لكن المحققين من أصحابه قد انفقوا

(\*) من بحوثه الفقهية الجليلة التي أهداها إلى ( دار التقريب )

(١) نقل ابن رشد هذا كله عن مالك في صفحته ٩٦ من الجزء الأول من كتابه بداية المجتهد ، وقال الرازي حول البسملة في تفسيره الكبير صفحة ١٠٠ من جزئه الأول ما هذا نصه : قال مالك والأوزاعي إنها ليست من القرآن إلا في سورة النمل ولا تقرأ في الصلاة لا سراً ولا جهراً إلا في قيام شهر رمضان .

على أن البسملة قرآن من سائر السور (١) ، وتأولوا القولين المنقولين عن إمامهم الشافعي (٢) .

أما نحن - معشر الإمامية - فقد أجمعنا - تبعاً لأئمة الهدى من أهل بيت النبوة - على أنها آية تامة من السبع المثاني ، ومن كل سورة من القرآن العظيم ما خلا برادة ، وأن من تركها في الصلاة عمداً بطلت صلاته ، سواء أكانت فرضاً أم كانت نفلاً ، وأنه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة ، وأنه يستحب الجهر بها فيما يخاف فيه (٣) ، وأنها بعض آية من سورة النمل ، ونصوص أئمتنا في هذا كله متضاربة متواترة تواتراً معنوياً ، وأساليبها ظاهرة في الإنكار على مخالفهم فيها كقول الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام (٤) : ما لهم ؟ عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله عز وجل ، فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها ، وهي بسم الله الرحمن الرحيم . اهـ .

وحجتنا من طريق الجمهور صحاحهم وهي كثيرة .

أحدها ما هو ثابت عن ابن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني » قال : فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وقرأ السورة . قال ابن جريج : فقلت لأبي : لقد أخبرك سعيد عن ابن عباس أنه قال : بسم الله الرحمن الرحيم آية ؟ قال : نعم وهذا

(١) نقل اتفاقهم هذا وتأولهم لقول إمامهم جماعة من الأعلام أحدهم الرازي حول البسملة من تفسيره الكبير صفحة ١٠٤ من جزئه الأول .

(٢) وذلك أنهم قالوا لم يختلف النقل عنه في أصل المسألة ، وإنما اختلف النقل عنه في أنها آية تامة من سائر السور أو أنها بعض آية من كل سورة .

(٣) إن للامام الرازي حول البسملة من تفسيره الكبير عدة حجج على الجهر بها ، وقد نقل في الثالثة منها أن علياً رضي الله عنه كان مذهبه الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم في جميع الصلوات . وقال : إن هذه الحجة قوية في نفسى راسخة في عقل لا تزول البتة .

(٤) نقله عنه الإمام الطبرسي حول البسملة من الجزء الأول من مجمع البيان .

الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ، وأورده الذهبي في تلخيصه وصرحاً بصحة إسناده (١) .

ثانيها ما صح عن ابن عباس أيضاً . قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا جاءه جبرائيل فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم علم أنها سورة (٢) .

ثالثها ما صح عن ابن عباس أيضاً . قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم ختم السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم (٣) .

رابعها ما صح عنه أيضاً . قال : كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم ، فإذا نزلت بسم الله الرحمن الرحيم علموا أن السورة قد انقضت (٤) .

خامسها ما صح عن أم سلمة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، إلى آخرها يقطعها حرفاً حرفاً (٥)

وعن أم سلمة أيضاً من طريق آخر قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم وعدّها آية ، الحمد لله رب العالمين آيتين ،

(١) فراجع تفسير سورة الفاتحة من كتاب التفسير من المستدرك للحاكم ، ومن تلخيصه للذهبي صفحة ٢٥٧ من جزئها الثاني تجد الحديث منصوفاً على صحته من الحاكم والذهبي كليهما .

(٢) أخرجه الحاكم في كتاب الصلاة من مستدركه صفحة ٢٣١ من جزئه الأول ، فقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٣) أخرجه الحاكم في كتاب الصلاة من مستدركه ، وأورده الذهبي في التلخيص مصرحين بصحته على شرط الشيخين ، فراجع صفحة ٢٣١ من الجزء الأول من المستدرك وتلخيصه المطبوعين معاً .

(٤) أخرجه الحاكم في صفحة ٢٣٢ من الجزء الأول من المستدرك ، ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وصححه الذهبي على شرطهما أيضاً إذ أورده في التلخيص .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك وأورده الذهبي في تلخيصه مصرحين بصحته على شرط الشيخين فراجع من المستدرك وتلخيصه صفحة ٢٣٢ من جزئها الأول .

الرحمن الرحيم ثلاث آيات ، مالك يوم الدين أربع ، إياك نعبد وإياك نستعين ،  
لجمع خمس أصابعه الحديث (١)

سادسها ما صح عن نعيم المجر . قال : كنت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله  
الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتى بلغ ولا الضالين قال آمين فقال الناس آمين (٢)  
فلما سلم قال : والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله  
عليه وسلم (٣)

وعن أبي هريرة أيضاً . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجر  
في الصلاة - ببسم الله الرحمن الرحيم (٤)

سابعها ما صح عن أنس بن مالك . قال . صلى معاوية بالمدينة صلاة بجهر فيها  
بالقراءة فقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم  
للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة فلما سلم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين  
والأنصار من كل مكان : يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت ؟ فلما صلى بعد ذلك  
قرأ بسم الرحمن الرحيم للسورة التي بعد أم القرآن الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك  
وصححه على شرط مسلم (٥) وأخرجه غير واحد من أصحاب المسانيد كالإمام

(١) أخرجه الحاكم عن أم سلمة بعد حديثها السابق شاهداً له

(٢) ليس من مذهبنا قول آمين عند انتهاء الفاتحة من الصلاة لا للفرد ولا للأمام  
ولا للإمام لكونه ليس منها ولا من القرآن في شيء لإجماعاً وقولاً واحداً ، ولم يرو فيه أثر  
من طريقنا ولم ينقل عن أحد من أئمتنا بخلاف الجمهور فإنه من شعارهم وقد رووا فيه أخباراً  
صاححاً على شرطهم ، وحديث أبي هريرة هذا من جملتها فهو من السنن أثناء الصلاة عندهم .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك بعد حديثي أم سلمة بلا فصل ، وأورده الذهبي ثمة  
في تلخيصه مصرحين بصحته على شرط الشيخين .

(٤) أخرجه الحاكم بعد الحديث المتقدم شاهداً له وأخرجه البيهقي في السنن الكبير  
كما في ص ١٠٥ من الجزء الأول من تفسير الرازي .

(٥) وأورده الذهبي في تلخيص المستدرك وصححه على شرط مسلم وجعله الحاكم والذهبي  
علة وتقيضاً لحديث قتادة عن أنس . لذا قال : صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر —

الشافعي في مسنده (١) وعلق عليه تعليقه يجدر بنا إيرادها . إذ قال (٢) إن معاوية كان سلطاناً عظيم القوة شديد الشوكة فلولا أن الجهر بالتسمية كان الأمر المقرر عند كل الصحابة من المهاجرين والأنصار لما قدروا على إظهار الإنكار عليه بسبب ترك التسمية اهـ

ولنا تعليقه على هذا الحديث ألفت إليها كل بحاث فاقول : إن من أمعن في هذا الحديث وجده من الأدلة على مذهبنا في البسلة وفي عدم جواز التبويض في السورة التي تقرأ في الصلاة بعد أم القرآن إذ لا وجه لإنكارهم عليه إلا بناء على مذهبنا في المسألتين .

ثامنها : ما صحح عن أنس أيضاً من طريق آخر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر - في الصلاة - بسم الله الرحمن الرحيم (٣) .

تاسمها : ما صحح عن محمد بن السري الصقلاني . قال صليت خلف المعتمر ابن سليمان ما لا أحصى صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر بسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها - للسورة - وسمعت المعتمر يقول : ما آلو أن اقتدى بصلاة أبي وقال أبي ، ما آلو أن اقتدى بصلاة أنس بن مالك . وقال أنس : ما آلو أن اقتدى بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) قلت : آنت من هذا الحديث

== وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وهذا باطل كما سنوضحه في الأصل قريباً إن شاء الله تعالى وقد أخرج الحاكم هذا الحديث وما بعده تزيفاً له وشهدا بطلانه .

(١) راجع من مسنده صفحة ١٣ .

(٢) فيما نقله عنه الرازي في الحجة الرابعة من حججه على الجهر بالبسلة صفحة ١٠٥ من الجزء الأول من تفسيره الكبير .

(٣) أخرجه الحاكم وأورده الذهبي في باب الجهر بسم الله الرحمن الرحيم من كتابيهما وقال : رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات وجملاه علة وقيضاً لحديث قتادة عن أنس .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک وأورده الذهبي في التلخيص ونصا على أن رواه عن آخرهم ثقات وجملاه علة وقيضاً لحديث قتادة عن أنس ، الباطل



وغيره أنهم كانوا يقرءون بعد أم القرآن سورة تامة من بسملتها حتى منتهاها كما هو مذهبنا ويدل عليه كثير من الأخبار (١)

وعن قتادة قال : سئل أنس بن مالك كيف كان قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كانت مداً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بمد الرحمن ومد الرحيم وعن حميد الطويل عن أنس بن مالك . قال . صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وخلف عمر وخلف عثمان وخلف علي فكلهم كانوا يجهرون بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم .

أخرج هذه الأحاديث كلها وما قبلها أمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري في مستدركه . ثم قال بعد الأخير منها ما هذا نصه . إنما ذكرت هذا الحديث شاهداً لما تقدمه في هذه الأخبار التي ذكرناها معارضة لحديث قتادة الذي يرويه أئمتنا عنه - ولفظه عن أنس قال . صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم - (ثم قال الحاكم) : وقد بقي في الباب عن أمير المؤمنين عثمان وعلي وطلحة ابن عبيد الله وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر والحكم بن عمار الثمالي والنعمان ابن بشير وسمرة بن جندب وبريدة الأسلمي وطائفة بنت الصديق رضي الله عنهم (٢) كلها مخزجة عندي في الباب تركتها لإثارة للتخفيف واختصرت ... الخ .

قلت : وذكر الرازي في تفسيره الكبير (٣) أن البيهقي روى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في سنه عن عمر بن الخطاب وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ، ثم قال الرازي ما هذا لفظه : وأما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى .

(١) فمن ابن عمر أنه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن وللسورة التي بعدها أخرجه الإمام الشافعي في صفة ١٣ من مسنده

(٢) فراجع في صفحة ٢٣٤ الجزء الأول من المستدرک

(٣) أثناء الحجة الخامسة من حججه على الجهر بالبسمة صفحة ١٠٥ من جزئه الأول .

(قال) : والدليل عليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أدر الحق مع على حيث دار .

وحسبنا حجة - على أن البسملة آية قرآنية في مفتتح السور كلها ما خلا براءة - أن الصحابة كافة فالتابعين أجمعين فسائر تابعيهم وتابعي التابعين في كل خلف من هذه الأمة منذ دَوَّن القرآن إلى يومنا هذا يجمعون لإجماعاً عملياً على كتابة البسملة في مفتتح كل سورة خلا براءة .

كتبوها كما كتبوا غيرها من سائر الآيات بدون ميزة مع أنهم كافة متصافقون على أن لا يكتبوا شيئاً من غير القرآن إلا بيزة بينة حرصاً منهم على أن لا يختلط فيه شيء من غيره ، ألا تراهم كيف ميزوا عنه أسماء سورة ورموز أجزائه وأحزابه وأرباعه وأخماسه وأعشاره فوضعوها خارجة عن السور على وجه يعلم منه خروجها عن القرآن احتفاظاً به واحتياطاً عليه ، ولعلك تعلم أن الأمة قلَّ ما اجتمعت بقضئها وقضيضها على أمر كاجتماعها على ذلك وهذا مجرد دليل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية مستقلة في مفتتح كل سورة رسمها السلف والخلف في مفتحتها والحمد لله على الاعتدال .

وأيضاً فإن من المأثور المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قوله : كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع (١) وكل أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتراً وأجذم (٢) ومن المعلوم أن القرآن أفضل ما أوحاه الله تعالى إلى أنبيائه ورسله وأن كل سورة منه ذات بال وعظمة تحدى الله بها البشر فعجزوا عن أن يأتوا بمثلاً ، فهل يمكن أن يكون القرآن أقطع ؟ ! تعالى الله وتعالى فرقائه الحكيم وتعالى سوره عن ذلك علواً كبيراً .

والصلاة هي الفلاح وهي خير العمل كما ينادى به في أعلى المنائر والمنابر .

(١) أخرجه بهذا اللفظ الشيخ عبد القادر الرهاوي في أربعينته بسنده إلى أبي هريرة . ورواه السيوطي في حرف الكاف من جامعه الصغير صنحة ٩١ من جزئه الثاني ، وأورده المتقي الهندي في صفحة ١٩٣ من الجزء الأول من كنز العمال وهو الحديث ٢٤٩٧ .  
(٢) أرسله الإمام الرازي بهذا اللفظ حول البسملة من الجزء الأول من تفسيره .

ويعرفه البادى والحاضر لا يوازنها ولا يكايها شئ. بعد الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر فهل يجوز أن يشرعها الله تعالى بتراء جذماء إن هذا لا يجرأ على القول به برّ ولا فاجر ، لكن الأئمة البررة مالكا والأوزاعى وأبا حنيفة رضى الله عنهم ذهلوا عن هذه اللوازم ، وكل مجهد فى الاستنباط من الأدلة الشرعية معذور ومأجور إن أصاب وإن أخطأ .

### حجة مخالفينا فى المسألة :

احتجوا بأمور : أحدها أنها لو كانت آية من الفاتحة للزم التكرار فيها بالرحمن الرحيم ، ولو كانت جزءاً من كل سورة للزم تكرارها فى القرآن مائة وثلاث عشرة مرة .

والجواب أن الحال قد تقتضى ذلك اهتماماً ببعض الشؤون العظمى وتأكيداً لها وعناية بها ، وفى الذكر الحكيم من هذا شئ كثير وحسبك سورة الرحمن وسورتا المرسلات والكافرون ، وأى شأن من أهم مهمات الدنيا والآخرة يستوجب التأكيد الشديد ويستحق أعظم العناية كاسم الله الرحمن الرحيم وهل بعثت الأنبياء وهبطت الملائكة ونزلت الكتب السماوية إلا باسم الله الرحمن الرحيم والهداية إليه عز وجل ، وهل قامت السموات والأرض ومن فىهن إلا باسم الله الرحمن الرحيم (١) . يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأتى توفكون .

ثانيها ما جاء عن أبي هريرة مرفوعاً إذ قال : يقول الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، يقول الله تعالى : حمدنى عبدي . وإذا قال : الرحمن الرحيم ، يقول الله تعالى : أثنى على عبدي ،

(١) فالؤمن يفتتح أعماله كلها باسم الله الرحمن الرحيم فإذا أكل أو شرب أو قام أو قعد أو دخل أو خرج أو أخذ أو أعطى أو قرأ أو كتب أو أملى أو خطب أو ذبح أو نحر قال : بسم الله الرحمن الرحيم . والفاصلة إذا أخذت الولد حين ولادته تقول : باسم الله وإذا مات قال بسم الله وإذا أدخل القبر قيل بسم الله وإذا قام من قبره قال بسم الله وإذا حضر الموقف قال بسم الله وهل منجى يومئذ أو ملجأ إلا الله ؟ ثبتنا الله بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة

وإذا قال : مالك يوم الدين ، يقول الله تعالى : مجدى عبدي ، وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين ، يقول الله تعالى : هذا بيني وبين عبدي . الخبر ، ووجه الاستدلال به أنه لم يذكر في آيات الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم ولو كانت آية لذكرها .

والجواب أن هذا معارض بخبر ابن عباس مرفوعاً ، وفيه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ، فإذا قال العبد : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : دعاني عبدي . الحديث (١) ، وهو طويل ، وشاهدنا فيه أنه قد اشتمل على البسملة ، ففض حديث أبي هريرة ، على أن أبا هريرة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة ، وكان هو يجهر بها ويقول : إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مر عليك حديثه في ذلك (٢) .

ثالثاً ما جاء عن عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين ، ولا حجة لهم به لأنها جعلت الحمد لله رب العالمين إسماً لهذه السورة كما تقول : قرأت قل هو الله أحد ، وقرأ فلان : إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، وما أشبه ذلك ، فيكون معنى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة بالتكبير وبقراءة هذه السورة التي أولها بسم الله الرحمن الرحيم (٣) .

رابعاً خبر ابن مغفل إذا قال : سمعني أبي وأنا أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال : يا بني إياك والحدث فإني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع رجلاً منهم يقرؤها (٤) .

(١) نقله المتقي الهندي حول البسملة صفحة ٣٢٠ من الجزء الأول من الكنز ، عن شعب الإيمان لليهقي .

(٢) فراجع الحديث السادس والذي بيده من حججنا .

(٣) هذا ملخص ما قاله الإمام الشافعي في الجواب عن احتجاجهم بهذا الحديث .

(٤) حديث ابن مغفل هذا أورده الإمام الرازي في حجج مخالفيه في المسألة صفحة ١٠٦ من الجزء الأول من تفسيره . ثم قال : أن أنساً وابن مغفل خصا عدم ذكر بسم الله الرحمن الرحيم بالخلفاء الثلاثة ولم يذكرهما علياً وذلك يدل على أن علياً كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم .

والجواب أن أئمة الجرج والتعديل لا يعرفون ابن مغفل ، ولا أثر لحديثه عندهم ، وقد أورده ابن رشد حول البسمة من كتابه : بداية المجتهد (١) ، فأسقطه بما نقله عن أبي عمر بن عبد البر من النص على أن ابن مغفل رجل مجهور .

خامسها خبر شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك (٢) قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، ونحوه حديث حميد الطويل عن أنس أيضاً (٣) قال : قمت وراء أبي بكر وعمر وعثمان فكلهم كان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم .

والجواب أنك سمعت في حججنا ما صرح عن أنس بما يناقض هذين الخبرين فأمن فيما أسلفناه ، وقد أورد الإمام الرازي خبر أنس هذا في حجج مخالفه ، ثم قال : والجواب عنه من وجوه :

الأول : قال الشيخ أبو حامد الاسفرايني : روى عن أنس في هذا الباب ست روايات ، أما الحنفية فقد رووا عنه ثلاث روايات :

إحداها : صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين .

وثانيها قوله : أنهم ما كانوا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم .

وثالثها قوله : لم أسمع أحداً منهم قال بسم الله الرحمن الرحيم :

فهذه الروايات الثلاث توافق قول الحنفية .

قال : وثلاث أخرى تناقضه .

إحداها : حديثه في أن معاوية لما ترك بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة أنكر عليه المهاجرون والأنصار ، وهذا يدل أن الجهر بالبسمة كان كالامر المتواتر عندهم ، المسلم فيما بينهم .

(١) صفحة ٩٧ من جزئه الأول .

(٢) أخرجه مسلم من طريقين عن شعبة عن أنس في باب حجة من قال : لا يجهر بالبسمة من صحيحه .

(٣) فيما أخرجه مالك في العمل في القراءة من موطئه .

قال وثانيتهما : روى أبو قلابة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم (١) .

قال وثالثتها : أنه سئل عن الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم والإسرار به فقال لا أدري هذه المسألة - قال : فثبت أن الرواية عن أنس في هذه المسألة قد عظم فيها الخطب والاضطراب فبقيت متعارضة فوجب الرجوع إلى غيرهما من سائر الأدلة - قال : الإمام الرازي : وأيضاً ففيها تهمة أخرى وهي أن عالياً عليه السلام كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما وصلت الدولة إلى بني أمية بالغوا في المنع من الجهر بها سعيّاً في إبطال آثار على عليه السلام [٢] - قال : فلمل أنساً خاف منهم فلماذا السبب اضطربت أقواله ، قال : ونحن مهما شككنا في شيء فلا نشك في أنه إذا وقع التعارض بين قول أمثال أنس وابن المنفل وبين قول على ابن أبي طالب عليه السلام الذي بقي عليه طول عمره فإن الأخذ بقول على أولى ( قال ) فهذا جواب قاطع في المسألة إلى أن قال : ومن اتخذ علياً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه إلى آخر كلامه [٣] قلت : فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

- 
- (١) وقد أوردنا في حجةنا رواية حميد الطويل عن أنس قال : صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلى فكلهم كانوا يجهرون بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم .
- (٢) هذه سيرتهم مع أمير المؤمنين وبنيه في كثير من شرائع الله تعالى حتى التبرس الحق بالباطل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
- (٣) فراجع في صفحة ١٠٦ وآخره في صفحة ١٠٧ من الجزء الأول من تفسيره الكبير .

# أدب الأندلس

## أدب ميسثري

لخضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان

أستاذ الأدب العربي في كلية اللغة العربية

منذ كُلِّفْتُ دراسة الأدب وأما أروض نفسي على الاعتراف بما درج عليه مؤرخوه ، من أن الأدب الأندلسي أدب قلبي قائم برأسه ؛ له خصائصه المشخصة ، وسماته المميزة ، التي لا تشبه معها معاملة ، ولا تلتبس معها عواء ؛ ولكن نفسي تأبى - على طول الاستراضة والإقاع - إلا جماعا .

ومرد ذلك ، إلى أن الأندلس فتحت في العصر الذهبي لدولة بني أمية في الشرق : عصر الوليد بن عبد الملك ؛ وتعصبُ بني أمية للعرب والعربية في جميع مظاهرها ، أمره متعالم مشهور ، في حينما خففت رأيتها ، من الشرق أو الغرب .

ومن الخطأ الذي لا ينقضى أسفه ، أن فتحها لم يَنَسَامَ ، بل ترك فيها دُمْلُ محمد ، هو مملكتا جَلِيَّةٍ قِيَّسَةِ والبَشْكُكُنُس الجاثمتين في شمالها ، واللّتين بقيتا معها في مد وجزر طيلة حياتها ، حتى إذا انحذتا على يدى فردينند وإيزابلا ، قضتا عليها القضاء الأخير .

ولا يشفع لهذا الخطأ أن العرب إنما كان وكدهم أن يفتحوا جنوب أوربة مُشْرِقِينَ حتى يصلوا إلى دمشق عاصمة الإسلام والعرب ؛ ولم يوقظهم من هذا الحلم إلا هزيمة عبد الرحمن الغافقي حينما غزا بلاد الغال ( فرنسا ) سنة ١١٤ هـ ، وأوغل في فتحها ، ففزع الفرنسيون إلى شارل رئيس وزرائهم ، قائلين : كُنّا نحشى العرب من المشرق ، فأتونا من المغرب ؛ فقاد جنوده ، وأمدّه الجرمانيون

بجنود منهم ؛ والتقى الجيشان عند نهر لوار ، وانجلى المعركة عن هزيمة جيش الأندلس ، واستشهد عبد الرحمن ، وفرت فلول جيشه عائداً إلى الأندلس .

يقول ابن خلدون : « إن موسى بن نصير أجمع أن يأتي دمشق من ناحية القسطنطينية خائضاً ما بين الأندلس وبينها من بلاد الأعاجم مجاهداً مستلحماً إلى أن يلحق بدار الخلافة ... الخ . »

ومهما يكن من شيء ، فقد كان عدم تمام فتح الأندلس أقوى الأسباب التي جعلت اختلاط العرب بسكان البلاد ضعيفاً محدوداً ضعيف الأثر ؛ مما جعل العربية : لغتها وأدبها وتقاليدها وعاداتها ، وجميع مظاهر حياتها ، السلطان المطلق في البلاد ؛ حتى لقد بلغ من تعريبها ما رواه المقرئ ، قال : (١)

« قدم أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي من قبل حنظلة بن صفوان عامل إفريقية ... سنة ١٢٥ ، فدان له أهل الأندلس ، وكان شجاعاً كريماً ذا رأي وحزم وكثر أهل الشام عنده ، ولم تحملهم قرطبة ، ففرقهم في البلاد . وأنزل أهل دمشق إلى سبيرة ، لشبها بها ، وسماها دمشق ؛ وأنزل أهل حمص إلى شبيلية وسماها حمص ؛ وأهل قنسرين إلى جيان ، وسماها قنسرين ؛ وأهل الأردن إلى رية ، وسماها الأردن ؛ وأهل فلسطين إلى شذونة وهي شريش ، وسماها فلسطين ؛ وأهل مصر تدمير ، وسماها مصر . »

وكان أهل الأندلس يتميزون بالعائز والقبائل والبطون والانخاد ، إلى أيام المنصور بن أبي عامر في الملك الثالث من القرن الرابع .

\* \* \*

هذا المظهر العربي الأموي الغالب ، ممكن للعربية في أن تبقى محتفظة بقوتها وسلامتها زمناً أطول بكثير من سائر الاوطان الإسلامية سواها ؛ حتى ليقول أبو علي الفاي بعد وفوده على الأندلس أواخر الملك الأول من القرن الرابع : « لما وصلت إلى القيروان كنت أعتبر من أمر به من أهل الأمصار ، فأجد



حركات في العبارات وقلة الفهم ، بحسب تفاوتهم منها بالقرب والبعد ؛ كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاسبة ومقايضة ؛ فقلت : إن نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأيت في أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عن قبليهم ، فسأحتاج إلى ترجمان في هذه الأوطان ؛ فلما وصلت إلى الأندلس وجدت أعذب الناس لسانا ، وأفصحهم بيانا ، وأنفذهم أذهانا (١) .

وأعان على هذا أن سلطان الفقهاء كان سلطاناً قاهراً ، وأن معالجة الفلسفة أو التنجيم عندهم ، كانت الكفر أو دونها الكفر ، فما يشاع عن واحد أنه يشتغل بأحدهما أو كليهما حتى يرحم بالأحجار ، أو يحرق عليه بيته ؛ وبقي الأمر على ذلك لا يشتغل أحد بالفلسفة أو التنجيم إلا سرا ؛ حتى النصف الثاني من القرن السادس على يد أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن ، وابن رشد وأستاذه ابن طفيل .

ولم يسكن هذه البيئة العربية ، تلك الكثرة الغامرة في الجند الفاتحين من البربر ، لأن بلادهم الأصلية ليست الأندلس ، ولكنهم طارئون عليها ، فهم إلى أن يتأثروا أقرب .

\* \* \*

بقيت الصبغة الأموية تسود المجتمع الأندلسي في جميع مظاهر حياته ، طيلة القرن الثاني كله ؛ يمدده تلك الهجرة المتصلة في سبيل المال والعلم ، من الأندلس إلى المشرق ، ومن المشرق إلى الأندلس ؛ حتى إذا أظلت سنة ٢٠٦ ، وقام بأمر الأندلس عبد الرحمن الثاني ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ؛ وقد عليه زرياب المغني تلميذ اسحق بن إبراهيم الموصلي في جميع أسرته وأهل بيته ، فاستقبله استقبال الملوك ، وأنزله داراً من أنعم الدور ، وأجرى عليه من المؤن والأرزاق ما لا يكاد يصدق .

وكان وفود زرياب على الأندلس حدثاً تاريخياً خطيراً ، نقل مظاهر المجتمع من أموية عربية تقليدية ، إلى عباسية فارسية طريفة .

يقول المقسري : « وكان زرياب عالماً بالنجوم ، وقسمة الأقاليم السبعة ، وتصنيف بلادها وسكانها ، مع ما سنع له من فك كتاب الموسيقى ، ومع حفظه عشرة آلاف متطوعة من الأغاني بألحانها ؛ وهذا العدد من الألحان غاية ما ذكره بطليموس واضع هذه العلوم ومؤلفها ، وقد جمع زرياب إلى خصاله هذه ، الاشتراك في كثير من ضروب الطرب وفنون الأدب ولطف المعاشرة ، وحوى من آداب المجالسة ، وطيب المحادثة ، ومهارة الخدمة الملوكية ما لم يُجدّه أحد من أهل صناعته ؛ حتى اتخذه ملوك الأندلس وخواصهم قدوة فيما سئل من آدابه ، واستحسنه من أطعمته ، فصار إلى آخر أيام أهل الأندلس منسوباً إليه ، معلوماً به ، حتى طريقة ترجيل الشعر وقصه ، والحف والتطبيب والملابس والشراب الخ الخ . وهو أول من استبدل الزجاج بآنية الذهب والفضة ؛ واخترع في العود وترّاً خامساً ، وجعل مضربه من قوادم النسر للطف قشر الريشة ونقائه وخفته على الأصابع ، وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته إياه ، اه (١) .

\* \* \*

فإذا انتقلنا إلى القرن الرابع ، برز أمامنا ، وفود أبي على القالى على عبد الرحمن الناصر . الثالث ، وقد أصبحت الأندلس خلافة على يده ، لضعف الخلافة العباسية وفسط المماليك على الخلفاء ، حتى لقد قتل مؤنس الخادم مولاة المقتدر بالله الخليفة العباسي .

وفد القالى على عبد الرحمن الناصر ، فعهد إلى ولده الحكم بأمر استعباله ، فأمر هذا أحد عماله بأن يستقبله في موكب نبيل ، ويمضى به إلى قرطبة ففعل ، وهناك لقي من ضروب الكرامة ، ومن سنن الصلات ، ما جعله يلقي عصا التسيار ، ويستقر به النوى في ظلال قرطبة ؛ وهناك يملئ كتابه ، ويطرزه باسم أمير المؤمنين الحكم المستنصر ، صاحب الأيادي البيضاء على العلم والعلماء ،

والذى يضرب بمكتبته المثل فى الضخامة ، والذى وجهه إلى أبى الفرج الأصهبانى  
ألف دينار على أن يوجه إليه نسخة من الأغاني ، قبل أن يصل إلى بنى العباس .  
وفى أبى على القالى يقول الرمادى شاعر الأندلس :

من حاكم يبنى وبين عذولى الشجو شجوى ، والعويل عويل  
فى أى جارحة أصون معذبى سلمت من التعذيب والتنكيل ؟  
إن قلت فى بصرى فتمّ مدامعى أو قلت فى قلبى فتمّ غليلى  
لكن جعلت له المسامح موصفاً وحجبتها عن عدل كل عذول  
وفىها يقول :

روض تعاوده السحاب كأنه متعاود من عهد اسماعيل  
قسنه إلى الأعراب تعلم أنه أولى من الأعراب بالتفضيل  
فالشرق حال بعده وكأنما نزل الخراب بربعه المأهول

\*\*\*

قال المقرئ : ولما سمع المتنبى البيت الثانى قال : « بصوّئه فى آسته ! » .  
وكان الرمادى لما سمع قول المتنبى :

كنى بجسمى نحولاً أنتى رجل لولا مخاطبتى إياك لم تترى  
قال : « لعله ضرطه ! » والجزاء من جنس العمل . ١ . هـ . (١)

ومن هذا النقد السريع المتبادل ، تعرف شدة الاتصال بين الأندلس والمشرق .

\*\*\*

وفى أوائل القرن الرابع ، ألف أحمد بن عبد ربه الأندلسى الصميم كتابه :  
« العقد الفريد » وأنت إذا قرأت « الأمالى » الذى أملاه صاحبه فى جامع قرطبة ،  
وقرأت العقد الفريد الذى ألفه ذلك الأندلسى ، وجدت تأليفاً شرقياً بحتاً ، لا يمت  
إلى البيئة الأندلسية بمتات ؛ حتى لقد قال ابن العميد عند ما اطلع على العقد :  
بضاغتنا ردت إلينا !

وفي نفس القرن الرابع هذا ، هدرت شقشقتا المتنبيين : متنبى المشرق أبو الطيب ، ومتنبى المغرب محمد بن هاني . وجريا في نسق متشابه متقارب ، لا يختلف باختلاف البيئتين ، وإن اختلف باختلاف الشاعرين ؛ ولذلك تلاقيا في كثير من المعاني ، وكان الفسّاحُ بينهما سجالا (١) .

فإذا وصلت إلى أواخر هذا القرن نفسه ، رأيت ابن درّاج القسطلّي ، يعارض رائية الحسن بن هاني أبي نواس :

أجارة بيتنا أبوك غيور الخ .

وبشاكهُ المتنبي وأبا تمام في نسجه وفي مذهب الشعريّة .

فإذا انتقلت إلى القرن الخامس ، عصر ملوك الطوائف ، وعصر ابن زيدون وابن خفاجة وابن عبدون ، وابن عمار الخ ؛ رأيت المذاهب الشعرية والكتابية التي تسود المشرق ، هي المذاهب الشعرية والكتابية التي تسود الأندلس ؛ وأمكنك أن تميز بين الآداب المشرقية ، والآداب الأندلسية بعرض عام ، هو الرخاوة في الثاني ، والقوة في الأول ؛ لمكان الفلسفة والعلوم من الشرق ، ووقوف حظ الأندلس منها على ما نقل إليه منها نقلا سطحيا ، كالذي ينقله اليوم إلى من لم يحذقوا اللغات الأجنبية المترجمون والوراقون ، أو نقلا صحيحا ، على حسب قوة الناقل المحتمل ، والآديب المستغل .

\* \* \*

وعلى الجملة فالمدارس للأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث ، لا يرى فيه أي أثر للأقليم ، بل يرى امتداداً للأدب الأموي المشرق نثره وشعره ؛ ينتصر الحكم بن هشام ١٨٠ - ٢٠٦ ، في وقعة الرّبّض ، في ثورة الفقهاء عليه ؛ فيقول :

رأبتُ صدوع الملك بالسيف رافعا      وقدما لأمت الشعب إذ كنت يافعا  
فسائل ثغورى : هل بها اليوم ثغرة      أبادرها مستنضى السيف دارعا  
تنبئك أنى لم أكن في قراعهم      بوان ، وقدما كنت بالسيف فارعا

(٢) اقرأ نموذجاً من ذلك في مقدمة ديوان ابن هاني للدكتور زاهد علي . ط أوربة .

وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم فراحوا منايا قدرت ومصارعا  
فهذى بلادى ، إني قد تركتها مهاداً ، ولم أترك عليها منازعا

\* \* \*

وينشده العباس الشاعر الأندلسى قصيدة أنشأها لما نزل بوادى الحجارة ،  
فسمع امرأة تقول : واغوثاه بك يا حكم ، لقد أهملتنا ، حتى كلب علينا العدو ،  
فأبمنا وأبتمنا ، وسألها . ما شأنها ، فقالت : كنت مقبلة من البادية فى رفقة ،  
فخرجت علينا خيل عدو ، فأسرت وقتلت ؛ جاء فى هذه القصيدة :

تملكت فى وادى الحجارة مستدا أراعى نجوما ما يرين تغيرا  
إليك أبا العاصى فضيت مطبق تسير بهم ساريا ومهجرا  
تدارك نساء المسلمين بنصرة فأنتك أخرى أن تغيث وتنصرا

فما يكاد الحكم يسمعها ، حتى ينادى بالجهاد ، ويغزو العدو ، فيشنخ فيهم  
ويأسر ، ثم يعود بالامرى إلى وادى الحجارة ، ويستحضر المرأة ورفاقها ، فيضرب  
أعناق الأسرى بحضرتهم ؛ ثم يقول :

ألم تر يا عباس أنى أجبتها على البعد أقتاد الخنيس المظفرا  
فأدركت أوتارا وأبردت غلة ونفست مكروبا ، وأغنيت معسرا ؟

فيقول عباس . بلى ، وجزاك الله عن المسلمين خيرا .

وقد رأيت - فيما سبق - مثلا من كلام الرمادى شاعر الأندلس

ومما ينسب إلى الحكم المستنصر ( ٣٥٠ - ٣٦٦ ) .

عجبت ، وقد ودعتها كيف لم أمت وكيف اثنت بعد الوداع يدى معى  
فيا مقلنى العبرى عليها اسكبى دما ويا كبدى الحرى عليها تقطعى

# الشرعية الإسلامية والقوانين الوضعية بمصر

لمحاضرة الأستاذ على على منصور

رئيس الدائرة الأولى بمحكمة القضاء الإدارى لمجلس الدولة بمصر

— ٥ —

بعض النظريات العامة للتقاضى فى الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية

(١) مصاريف التقاضى على حساب الدولة مدنية كانت أم جنائية

أول واجبات الدولة إقامة العدل بين الناس وإيصال الحقوق إلى ذويها ، ودفع الظلم والأذى عنهم ، ولذلك لا تستسيغ الشريعة الإسلامية ما درجت عليه القوانين الوضعية من بيع العدالة على الناس بفرض رسوم تقتضى من كل متداع أما عمل القاضى ذاته فهو فى الإسلام من أفضل العبادات ، وقد دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والأصل أنه لا يجوز للقاضى أن يأخذ أجراً على عمله إلا إذا انقطع عن تحصيل رزقه ، فيجعل له فى مال الدولة ما يكفيه وعياله بالمعروف .

ورد رجل من أذربيجان يشكو لعمر ما لحقه من عامله فقال : انظروا ، هل اخلوق له من ثوب أو تقطع له من نعل ؟ فبلغ ذلك عشرين ديناراً فأمر بدفعها اليه ، وكذلك الحضرموتى الذى ورد على عمر بن عبد العزيز يشكو له الوليد ابن عبد الملك فأنه سأل : هل هلكت له راحلة أم نقد له زاد أم تمزق له من حذاء فحسبوا ذلك فبلغ ثلاثين ديناراً دفعت للرجل وهذه هى المصاريف فى القضايا الجنائية تحملها بيت المال وكذلك المصاريف فى القضايا المدنية ، فقد وفد على

عمر رجل يشكو عدى بن ارطاة في أرض غصبها منه فسأله عمر عما انفق في رحلته فقال الرجل تسألني عن نفقتي وقد رددت على أرضا هي خير من مائة ألف ، قال : إنما ردتها عليك حقك ، اخبرني كم أنفقت ، قال لا أدري قال أحزروه فإذا هو ستون درهما دفعت له ( المحاسن للبيهقي ج ٢ ص ١٤٦ ) .

(ب) حجية الأحكام : صادر عمر أموالا لعثمان بن عفان ، فلما ولي الخلافة فكر في إرجاعها لنفسه ، فشاور الصحابة فأشاروا عليه أن لا يفعل إذ في ذلك فتح باب فيه مساس بحجية الأحكام ، ودفع لكل خليفة على أن ينسخ ما قضى به غيره - وأخرج عمر قوما من نجران فلما آلت الخلافة لعلی جاءوه طالبين العودة لأرضهم ، فقال لهم ويلكم ، ان عمر كان ولي الأمر وهو رشيد ، فلا أغير شيئا من قضائه ، وكان كثيرا ما يقول انه لا يحل عقدة شدها عمر ( الأموال لأبي عبيد - ٩٨ ) .

وقد مر بنا فيما سلف ذكره كيف يتساوى الناس أمام القضاء والقانون ، وكيف أن الأمراء والخلفاء كانوا يمثلون أمام مجالس القضاء كخصومهم من أفراد الرعية سواء بسواء .

### الشريعة الإسلامية والقانون الدولي :

( ا ) حرية البحار : كتب عمر بن عبد العزيز إلى ولاته على الأمصار يقول : أما البحر فإننا نرى سبيله سبيل البر لقول الله تعالى : والله الذي تنخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ، فأذن بذلك أن يتجر فيه من يشاء وأرى أن لا تحول بين أحد من الناس وبينه .

(ب) امتيازات السفراء والمبعوثين السياسيين : روى أبو يوسف في كتاب الخراج ص ١١٦ أن من يدخل إلينا بأمان أو الرسول لا نقام عليه الحدود المتعلقة بحق الله ، ولكن يؤخذ بما يتعدى به على الناس .

(ج) تتبع المرأة جنسية زوجها : جاء في كتاب البدائع ص ١١١ ج ٧ :

« لو تزوجت الحرية المستأنة في دار الإسلام ذمياً صارت ذمية بعكس الرجل الحربى المستأنم لو تزوج من ذمية ، وذلك لأن المرأة تابعة لزوجها .

( د ) وجوب إعلان الحرب قبل البدء بها : حرم الإسلام الحرب بغير إعلان ، واعتبرها خيانة ، وفي القرآن : « ولما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » ، وقد عاب العالم على هتلر مباغتة الدول بالغزو دون سابقة إعلان ، ويميل الإسلام إلى كل سلم « فإن جنحوا للسلم فاجنح لها » .

( هـ ) عصبة الأمم - هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أو صلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تنفي إلى أمر الله » ، وبهذه الآية أوجب الإسلام أن يوجد جيش دولى عام ( بوليس دولى ) لتسكين الفتن والمحافظة على السلام بين الدول التي لا تقبل تحكيم الهيئة الدولية المتحدة .

### المعاملات في الشريعة الإسلامية وكذا الأحوال مقارنة بالقوانين المدنية الوضعية :

( ١ ) نية المتعاقدين : من القواعد القانونية التي قررها فقهاء الشريعة أن العبرة في تفسير العقود بما قصده المتعاقدان . أى العبرة بالمعاني لا بالألفاظ والمباني ، ولقد أسلفنا خبر دار الشورى بالأندلس ، وهى شبيهة بمجلس الدولة في هذه الأيام ، ولقد شورت الدار في شأن امرأة قاضت زوجها إذ تداينه بدين وانتظرتة إلى خمس سنين ، ولكنه طلقها بعد سنة فقاضته إلى القاضى ابن بقى تطلب حلول الدين وتعجيله وإسقاط الأجل ، فقضت دار الشورى لها معللة قضاءها بأن الأجل كان ملحوظاً فيه ود الزوجية واستدامة الصحة ، أما وقد انقضت فقد زال موجب التأجيل ، وبمثل هذا نص القانون المدنى الحديث في المادة ١٣٨

( ب ) التعويض عن القضايا الكيدية : جاء في تنقيح الحامدية ج ١ ص ٣١٠ شرحاً لمن - معين الأحكام - ( من تسبب في ضرر لإنسان بالشكوى يلزم بكل



ما غرمه الفارم) وذلك بخلاف عقوبة صاحب البلاغ الكاذب ، إذ جاء في المتن ص ٧٢ : أن الشاكي إذا انكشف للحاكم أنه مبطل فإنه يؤدبه وأقل ذلك الحبس ليندفع بذلك أهل الباطل والدد .

(ج) حبس المدين المماطل : تقضى بذلك الشريعة الإسلامية ، وفرع منه أن الزوج الذي يماطل في أداء النفقة يحبس ، ولقد اضطرت انجلترا إلى الأخذ بهذه القاعدة في بعض الأحوال ، كما اضطرت سويسرا إلى النص عليها في القانون المدني لما كثر عدم دفع الأجرة عن المساكن وتبين للحاكمين أن من أهم موارد الثروة القومية السياحة واستئجار المساكن المفروشة ، وحذا لو عمدنا إلى ذلك وعلى الأخص بعد قانون الإصلاح الزراعي فنقضى بحبس المستأجر القادر المماطل الذي لا يدفع الأجرة لمالك الأرض الزراعية بعد أن خفضت الحكومة الأجرة تخفيضاً طيباً .

(د) نفقة الزوج الفقير على زوجته الموسرة : ظن البعض أن القوانين المدنية الحديثة في مختلف البلاد استحدثت هذه القاعدة ، والحق أنها قديمة في الشريعة الإسلامية ، وعن رأى هذا رأى الإمام محمد بن حزم الطاهري في كتاب نظام النفقات ص ٣٨ .

(هـ) مسألة مشكلة بين القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية . قامت بأمريكا تلك المشكلة وطرحها الصحف السيارة على الرأى العام وعلى رجال القانون خاصة وبقيت بغير حل ، تلك هي أن بنتين ولدنا ملتصقتين ، فلما كبرتَا أرادت احدهما الزواج فهل لها هذا الحق مع إهدار رغبة الأخرى رضيت أم أبت ، أم أنها تحرم من هذا الحق الطبيعي وهو الزواج ، ولقد عثرت على مشكلة شبيهة بهذه قضى فيها على بن أبي طالب على البديهة وفور عرضها عليه ، وذلك أنه سئل في مولود ولد له رأسان وصدران في قفص - حقوق - واحد فقيل له . أيورث ميراث اثنين أم ميراث واحد ، فأجاب : يترك حتى ينام ، ثم

يُهتَف به أو يصاح به ، فإن أفاقا معاً كان له ميراث واحد ، وأن أفاقا ( لِنَهْيا ) الواحد بعد الآخر كان لهذا المولود ميراث اثنين .

( و ) قواعد الإثبات في المسائل المدنية ، مقارنة بمثلها في الشريعة الإسلامية

من أدق المسائل القانونية في القوانين الحديثة قواعد الإثبات ، وهي الطرق التي يثبت بها صاحب الحق حقه إذا ما لجأ للقضاء . والقرآن يوجب على الناس الإنصاف والعدل ، ولكن النفوس البشرية بما جبلت عليه من طمع إلى حب للمال إلى شره إلى أثره إلى نسيان إلى رغبة في الانتقام جعلت الحقوق متنازعا عليها ، فعمدت جميع القوانين الوضعية إلى تحديد القواعد والقرائن التي تثبت بها الحقوق أمام القضاء . ولا مرأى أن الكتابة عند الخلف على الحق هي أقوى الأدلة ، ولو لجأ إليها كل الناس لضاقت شقة الخلف بينهم . ويظن البعض أن تقدم الحضارة وكثرة المصالح والحقوق وتشابكها يحول دون ذلك ، وتحض الشريعة الإسلامية على اتخاذ الكتابة طريقاً رئيسياً للإثبات ، اللهم إلا إذا دعت الضرورة لغير ذلك .

وإليك قواعد الإثبات في المسائل المدنية بالشريعة الإسلامية نقلا عن القرآن وقد بلغت من الدقة والإحكام حداً لم تبلغه أحدث الشرائع الوضعية ، وجماع هذه القواعد وارد في آية واحدة من سورة البقرة وهي الآية ٢٨٢ : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، ثم انظر بعد ذلك إلى منتهى الحيلة والحذر في قول الآية « وليكتب بينكم كاتب بالعدل » وهذا نذير في أن لا نكون الكتابة بوساطة أحد العاقلين إذ الأفضل أن يتولاهما غيرها حتى لا يظلم أحدهما الآخر أو يدخل عليه الغش في كلمة ملنوية أو عبارة تحمل معنيين ، ولذا أوجبت الآية على كل من يطلب للكتابة أن يلبي ، فقالت : « ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب » ثم ذهبت الآية إلى أبعد من ذلك في الحيلة والحذر فقالت « وليُملِلِ الذي عليه الحق ، خشية أن يعلى الذي له الحق فيزيد فيه شيئاً فيستخزي المدين أن يعارضه أو قد ترعه حاجته إلى الدين

إلى الرضوخ والقبول على كره . ثم قيدت الآية المدين الذى سيقوم بالإملاء بقيود الحق والعدل وخشية الله فقالت : « وليتق الله ربه ولا يخس منه شيئاً ، ولكن ما الحيلة إذا كان الذى عليه الحق وهو الذى ندب للإملاء غير أهل للتعامل أو غير قادر على الإملاء . بأن كان سفيهاً أو ضعيف العقل أو مريضاً ؟ تقول الآية فى ذلك : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يُمِلَّ هو فليمل وليه بالعدل » . ولكن قد يتواطأ الكاتب فيميل إلى مصلحة أحد العاقدین مؤثراً إياها ، أو قد يحدث الخلاف على ما قصده العاقدان فى المستقبل أو قد ينكر صاحب الإمضاء امضاءه ، فوجب إذن - درأ لكل ذلك - الاستشهاد بشهود عدول « واشتهدوا شهدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » .

وأوجبت الآية بعد ذلك على من دُعِيَ للشهادة أن يشهد بتوقيعه عند الكتابة وبأداء الشهادة الحقة عما سمع ورأى إذا ما دُعِيَ إلى مجلس القضاء ، وفى ذلك تقول الآية : « ولا ياب الشهداء إذا ما دُعوا ، وقد يكون الدَّين تافهاً كأن يكون دراهم معدودات أو جنها واحداً أو بضعة جنهات فيرى البعض على نحو ماترى التشريعات الحديثة أنه لا يستحق مشقة الكتابة وإحضار الكاتب والشهود ، ولكن الآية تحذر من ذلك حيث تقول : « ولا تساموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذاكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا » . وفى الحديث الشريف : ( دع ما يريك إلى ما لا يريك ) وأؤكد أنه لو انبعت الكتابة لإثبات الديون صغيرة كانت أو كبيرة لحلف عن المحاكم الجزئية ثلاثة أرباع عملها فى القضايا المدنية ، وهى ما يقل الحق المتنازع عليه فيها عن عشرة جنهات ، ويبیح القانون المدنى لإثباته بالينة وشهادة الشهود حيث تحتاج الدعاوى إلى التحقيق وتوجل مراراً لإعلان الشهود ولسماعهم ، ولما حار القاضى بين شهود الطرفين حيث يلقن كل فريق ما يثبت حق صاحبه فيلتبس الأمر على القاضى ويُغم عليه .

### الإببات في المسائل التجارية :

فما سلف راعت الشريعة الإسلامية وضع القيود والدقة والحذر إلى حد التشدد ، فتقوم في ذهن البعض مظنة تعطيل بعض مصالح المتعاملين وإفساد عوائدهم وإهمال أعذارهم ، ولكن الآية التالية سارعت إلى دفع هذه الشبهة ، ورد هذه المظنة ، والشريعة دائماً تقدر الضرورة بقدرها وتبقى للناس اليسر والتسهيل حيث يجب ذلك : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » فاستمرت الآيات بعد ذلك تقول : « إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناحٌ ألا تكتبوها » وأشهدوا إذا تباعتم ولا بضار كاتب ولا شهيد ، وإن فعلوا فإنه فسوقٌ بكم واتقوا الله ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم . ثم يحىء بعد ذلك في الآية الثالثة حكم الضرورة عند تعذر الكتابة فتقول : « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهانٌ مقبوضة » ، والعبارة واضحة في أن العذر كالسفر مانع من الكتابة أو معفٍ منها ، وعبارة ( فرهان مقبوضة ) فيها النص على عقد الرهن بأنواعه ، ومنها الرهن الحيازي الذي من شرائطه أن يبقى الشيء المرهون في حوزة الدائن المرتهن بحيث لو خرج منها بطل الرهن - فإذا قام مثل ذلك العذر وهو السفر الذي ذكر على سبيل المثال وأتمن الناس بعضهم البعض ، فلا ينهزن المدين فرصة عدم الكتابة وينكر الدين ، وفي ذلك تقول الآية : « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه » ، ولا تكتبوا الشهادة ومن يكتنها فإنه آثمٌ قلبه والله بما تعملون عليم .

# قال شَيْخِي

لمضرة الطالب الفاضل الأستاذ أحمد محمد بربرى

أعجب قراؤنا بهذا الباب الذى انتتعه الأديب العبرى الأستاذ  
أحمد محمد بربرى واتخذ له هذا العنوان : « قال شَيْخِي » .  
وفى هذا العدد باب آخر بعنوان « لكس قال شَيْخِي » دمجته براعة  
عالم أديب من أساتذة كلية اللغة العربية وقد ابتدأه بمسألة أدبية هادئة  
على النمط نفسه . وإنا للأديبين الكبيرين لفاكرون . [ الحرر ]

قال شَيْخِي :

وأشعث قدّ السّفارقيصه	وجر الشواء بالعصا غير منضج
دعوت فلبانى إلى ما ينوبنى	كريم من العتيان غير مزج
فتى يملأ الشيزى ويروى سنانه	ويضرب فى رأس الكمى المدجج
أبلّ فلا يرضى بأذى معيشة	ولا فى بيوت الحى بالمتولج
وشعث نشاوى من كسرى عندضمّر	أنخن بجمعجاع قليل المعرج
وقعن به من أول الليل وفعنة	لدى مُلّاح من عود مرخ ومتج
قليلاً كحسو الطير ثم تقلعت	بنا كل قتلاء الذراعين عومج

« المزج » : الدعى والضعيف ، أو قل . هو الدون من كل شيء . و « الشيزى » :  
خشب كانوا - ولعلهم ما زالوا - يتخذون منه الفصاع . و « أبل » : مصمم ماض  
لطيفه لا يبالى . و « الجمعجاع » : الأرض الغليظة . و « مُلّاح » : من القحت الريح  
الشجر فهو ملّاح . و « منتج » : من أنتج : أخرج أزهاره وعساقيجه .

أفلا تنزع معي إلى هذه الحياة البدوية التي تحملك حملاً على الحل والترحال  
وتحويل الحال . فأنت تارة تدعو إلى ما ينوبك في جواداً يملأ القصاص ، شجاعاً  
يضرب رموس السكاة المدججين في السلاح ، وأخرى توقظ رفاقك الذين انتشوا  
كرى لا خيراً ، فأماخوا رواحلهم بمكان غليظ . لقد وقعت النوق أول الليل  
حيث شجر المرخ مانحاً ومتجاً ، ورفه الفتيان عن قلائصهم ، وعن أنفسهم في  
إغفاءة قصيرة لم يشأه الشماخ ، أن تطول فهو لا يسمح لهم أن يريحوا ويستريحوا  
إلا بقدر ما تشرب الطير - قليلاً كحسب الطير - ثم النجاء النجاء على كل مفتولة  
الذراعين طويلاً العنق تامة الخاق . . .

قلت : مهلاً سيدي الشيخ ، فجن في عصر الطائرات النفاثات لا عصر القلص  
الناجيات . وليس من مقتضى السفر الآن أن تكون أشعث أغبر . وأن تجر  
الشواء ملهوجاً ولما ينضج . كلا بل أنضجه ما شئت أو شاء لك الإنضاج . أو إن  
أردت واقع الحال لا تنضجه فإن غيرك يؤدي هذا عك ، وما عليك إلا أن تأكل  
هنيئاً مريئاً ، لمد ضرب الدهر بحجاب كثيف يذم وبين الشماخ وشعره ووسائل  
عيشه . بل لقد نقصت قواعد السلوك التي لعله كان يحسبها باقية مابقيت السموات  
والأرض . نعم . نعم . واستبدل بها نفاثتها . وإلا أفيرضى سيدي الشيخ ،  
وإذا رضى أفيرضى له زملاؤه في الجمع اللغوي أن يبدؤا منخرق القميص ،  
أو بمنزق النياب ، أو أن يقدم لضيغه قساع الشيزي وقد فاضت بما لذ وطاب  
في ذوق البادية البائدة . أفول البادية البائدة فما أحسب الأعراب يحبون فيها  
وبأكلون ويشربون كما كان آباؤهم الأولون يفعلون .

إن حاضرنالكفيل أن يشغلنا عن ماضينا ، وقد يسوغ أن يتجه فكرنا إلى  
ما نترقب أو ننظر بما هو آت ، أما مافات ، فهيات هيات .

إني لأستحي أن أنحدث إلى أساذة الجامعة - بلاء العامة - عن ضمير أنحن  
بجمع جاع قليل المعرج ، وده ملهع من عود مرخ ومتنع . . ليكن هذا الحديث  
إذن حديثاً وحداً وهو حسبنا . أو نحن حسبنا فما أظن غيرنا من الناس مضيعاً

وقته فى د شعث نشاوى من كرى . . وإذا كان لابد لوقته أن يضع فى غير السفر على ظهور الجبال والوقوف على الأطلال ، أملت معبراً عن الحقيقة ابل ، وليس لى شجر الكشف عنها ، بل هو لآبى نواس ، فهو الذى أخذ منذ مئات السنين على الشعراء د صفة الطول . وما إليها .

وإذا كان الحديث ذا شجون فهل رأيت ديوانه الجديد ؟

قال : ديوان من ؟

قلت : يعود الضمير على أقرب مذكور وهو فى كلامى أبو نواس .

قال : إن ديوان أبى نواس قديم قدم أبى نواس نفسه ، وأنت تحدثنى عن ديوان جديد .

قلت : أعنى طبعه الجديد .

قال : لقد ضرب الدهر بحجاب كفيف بيننا وبين أبى نواس وشعره ووسائل عيشه . بل لقد نقضت قواعد السلوك التى لعله كان يحسبها باقية ما بقيت السموات والأرض ، وإلا أفترضى ، وإذا رضيت أفترضى لك أضرايك ، أن تكون د نسخة أخرى ، لآبى نواس ؟ أتمدح بما كان يتمدح به ؟ أأتأسى وقار الشيخوخة وأشدك بعضاً من كل . . كل جمع فأوعى فلم تفته صغيرة ولا كبيرة من شذوذ د شذاذ بغداد ، إلا أحصاها ؟ لماذا لم يحل الحجاب الكفيف الذى ضرب بينك وبين أبى نواس دون شعره ؟ إنه والشياخ لم أبناء العهد القديم بالقياس إليك ، فليست مائة سنة أو مائة وخمسون أو ثلاثمائة فاصلاً كبيراً بين رجلين ما داما كلاهما قد جاوزاك بأكثر من ألف عام . . أنت لا ترفض شعر الشياخ لأنه بعيد عنك ، ولا تقبل شعر أبى نواس لأنه قريب منك ، أو لأن الأول يعالج من الأمور ما لا تعالج ، فى حين أن الثانى كان ينسج على منوال ينسجون عليه هذه الأيام . وإنما تنطق عن هوى فتعل القديم إذا جرى مجرى الطبع المريض ، وتحرمه إذا نهج نهج الطبع السوى .

أبخيفك غريب الشباخ ؟ فإن ه لتليذ والبة ، غريبا ، أم ينفرك أخو غطفان  
بما يطرق من معان لا تعنينا الآن ؟ فإن لصاحب ه جنان ، مقاصد لا يتيسر لها  
إلا ملتو عدل عن الصراط المستقيم صراط الطبع السليم .

قلت : إن للشعر بلالا فنيا بغض النظر عن معانيه ومراميه . فإذا أعجبت  
بالتاحية الفنية في مقول أبي نواس ، فليس مؤدى هذا أنى أقر القواعد السلوكية  
التي رسمها .

قال : وهل عدت ما تسميه الجمال الفني في شعر الشباخ ؟ .

قلت لم أنشده فأقول عدمته أو وجدته .. والظاهر أنه لا ملجأ لى من الشباخ  
إلا إليه . فلتترك الجمال الفني إلى البحث اللغوى : لقد خبرنا الشباخ خبر ( ملتح  
من عود مرخ ومنتج ) ومتى صح اسم المفعول من مادة فقد صح اسم الفاعل .

أفتقول إذن : أنتج انتاجا فهو منتج بكسر التاء ؟

إن أصحاب اللغة لا يعملون القاعدة العامة إذا صرفوا نتج . فهم يقولون  
مثلا : ( نتجت الناقة كفى نتاجا وانتجت وقد نتجها أهلها ، وانتجت الفرس حان  
نتاجها فهى نتوج لا منتج ، والمنتج كيجلس الوقت الذى تنتج فيه ، وغنى نتاج  
أى فى سن واحدة ، وأنتجت الناقة ذهبت على وجهها فولدت حيث لا يعرف  
موضعها ، ونتجت تزحرت ليخرج ولدها وأنتجوا أى عندهم أبل عوامل ) .

قال المحقق ، إن أصحاب المنطق صرفوا نتج تصريفا لم يروه أصحاب اللغة ، وهم  
يجرون القاعدة إلا أن يقف فى سبيلها النقل فلك أن تتساءل ، أترام أحصوا فلم  
يفهم شيء ؟

المؤكد أنه فاتهم أشياء أضف إليها النسيان والإهمال والوهم والتصنيف  
والتحريف وغيرها ، حتى لقد زعم بعضهم أن لغة ( الأضداد ) لا تمت بسبب  
إلى الحقيقة ، اللهم لإحقيقة أن أصحاب اللغة يحضرون فهل فاتهم أن ينقلوا مشتقات  
( نتج ) كاملة ، وهل أصاب أصحاب المنطق حين توسعوا فى ( النتيجة ) ونتج  
وأنتج مع ما يعنون من المعانى بهذه الألفاظ ؟ من يدري ؟ فعلم ذلك عند علام



الغيبوب ، وإذا صح أن أصحاب اللغة نقلوا كل شىء ، وأن العرب لم تستعمل كلمة انتاج كما استعملها أصحاب المنطق ورجال المال والأعمال . فإن لغتنا العربية تتقبلها قبولاً حسناً . وإذا لم تكن هكذا استعملت فى أصل الوضع فلا أقل من أنها تعربت غير دخيلة ما دمتا نعرف أباهما أو قل أمها .

قلت : إذا كانوا قد عرفوا نتج وكل مشتقاتها ومزیداتها فلغير المعانى التى تنصب فى أذهاننا حين نسمع لفظ ( انتاج ) وإذا قبلتم هذه المعانى ( لغة ) فأتى اذن تؤمنون بتطور اللغة أليس كذلك ؟ قال هو كذلك فأنا أومن بتطور اللغة العربية فى الحدود التى شرعها الله . وإنها لاوسع من الاشتقاق والنحت وما اليهما ؛ اقرأ كتاب الله عز وجل تجد فيه حروفاً لم تضعها العرب ، وأخرى وضعتها لمعان آخر غير التى يقصد اليها القرآن .

قلت : هلا ضربتم لنا مثلاً أحد تلك الألفاظ التى عرفت العرب معناها وإن لم تعرف ما أحدثه القرآن فى معناها ؟

قال : أضرب لك مثلاً ( النفاق ) والعياذ بالله .

قلت : فليحفظ الله سبحانه وتعالى مجتمعنا من النفاق والمنافقين .

قال : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لخنربكم بهم ثم لا يماورونك فيها إلا قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً » .

« إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » .

« ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » .

قلت : حسبي فأنا أعلم أن أحاديث القرآن عن النفاق والمنافقين كثيرة ، فما محل لشاهد ؟

قال : محله أن الخالق الحكيم لم يحفظ مجتمعاً كائناً ما كان من وجود النفاق

حتى مجتمعا شرف بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه صلوات الله والملائكة والناس أجمعين .

قلت : هذا معلوم فقيم لإخباري خبره ؟ .

قال : فيم إذن دعاؤك الله أن يحفظ مجتمعمكم من النفاق ما دمت تعلمه ضرورة اجتماعية . أتطلب المستحيل ؟ أو تتعلق بإرادة الله به ؟ أم تنزع إلى لغو القول ؟ .

قلت : ولم لا يكون كلامي على حذف مضاف بتقدير ؛ ليحفظ الله مجتمعا من شر النفاق ، وإذا صح اعتراضكم ولم يسلم تعبيرى فإنه يمتنع أن أقول : « حفظنا الله من الشيطان الرجيم » ، فإن إبليس من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ، أفليست هذه تساوى : وفي الله مجتمعا من المنافقين ؟ إن الوقاية منهم لا تستلزم القضاء عليهم . قال صدقت وما أنت ذا ( تشيخ ) أى تصبح شيخا لشيخك .

قلت : ما إلى هذا قصدت ، وإذا عدنا إلى موضوعنا فإنى لست أدرى ؛ ما العلاقة بين أنتج ونافق ؟ لقد كنا فى وضع كلة إنتاج ونقلها من معناها القديم إلى معانيها المستحدثة ، قال ؛ فكذلك النفاق نقله القرآن المبين ، فعبّر به عن معان لم تلحظ فى أصل الوضع فما قالت العرب فى جاهليتها الأولى ( نافق ) إلا لليربوع إذا أخذ فى ( النافقاء ) وهى جحره المكتوم يلجأ إليه إذا أحيط به أو ظن أنه قد أحيط به . والمنافق فى لغة القرآن هو الذى يكتم الكفر ويظهر الإيمان ، فهو ضريب اليربوع حذوك النعل بالنعل ، لقد نقلت الكلمة ، بل غلب طارفها على تليدها ، فما أظن ذهنك متجها إلى اليربوع وجحره ، لذا طرقت أنذك ( نافق ) بل إلى أولئك الذين يسترّون الكفر ويظهرون الإيمان .

قلت : « ما فرطنا فى الكتاب من شئ » . وثالله ما فكرت فى تفصيل إلا وجدته أوجمله أو أصله فى الآيات البينات . وإن اللغة مادامت حية لمطورة ولألا فهى ميتة .

قال : ولقد وضع لنا الخلاق العظيم الرواسم التى يجب أن تلتزمها لغة القرآن فى تطورها .

قلت : معنى هذا أن من حق الجمع اللغوى أن يضع ألفاظا جديدة لما يجد من المعانى .

قال : من حقه . لا بل من واجبه أن يفعل مهتدبا بهدى القرآن .

قلت : لقد سألنى شاب أجنبي كان يتعلم العربية . لماذا لا تقولون ( محمد )  
يا سكان الدال في جميع الأحوال بدل قولكم محمد بالرفع تارة ومحمداً بالنصب تارة  
ومحمد بالكسر ثالثة . وإنما لفكرة فيما أرى ، فلم لا يضع المجمع اللغوى هذه  
القاعدة - قاعدة تسكين أواخر الكلم متى ثبت أن الآذان قد تطورت فاستغفلت  
حركات الأعراب ؟

قال . أن هذا رؤس عثرت عليه في كتاب الله أخراك الله ، أم تريد إقامة  
قواعد اللغة على فكرة شاب أجنبي أعيته حركات الإعراب ؟

قلت : إن اللغة لمنطورة تطورا تلقائيا ، ومن يدري فقد تحقق فكرة  
ذلك الشاب الأجنبي .

قال : كذبت وصدق أحكم الحاكمين ، إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ،  
ولن تتطور لغة القرآن إلا في حدوده لا تتعداها ، بل هو معيار الأدب العربى  
في كل زمان ومكان ، فالأدب يرتفع وينخفض بقدر ما يقرب ويبعد عن لغة  
الكتاب ، فهو المثل الأعلى وأنت تدنو منه أو تآى عنه ، ولكنتك لن تبلغه  
أيا كان حظك من البلاغة .

قلت : هذه قاعدة بديعة ، الأدب العربى يسمو أو يهبط بقدر ما يدنو من  
القرآن أو يئأ عنه .

قال : ليست قاعدة بديعة بل هو أمر واقع مذ نزل به الروح الأمين . ألم يكن  
من آثاره أن يحى سخف السجع ، سجع كهانة الجاهلية وما إليه ، فسكوا يتكلمون  
تلك اللغة السليمة التى تراها نثرا وشعرا . ثم شاء الله أن يسخفوا كره أخرى بفعل  
أصحاب البيان والبديع أو قل بفعل كهانة بديعية . إن فى القرآن لبيانا وديما فطريا  
بيد أنك لا تجد فيه شيئا يحيل ( تفاح الحدود بنفسجا وكافور الترائب عنبرا )  
أو ( زورقا من فضة أنفله حولة من عنبر ) .

قلت : يبدو أنكم تستقبلون ( التجميل ) أو التحسين الهافى ..

قال : أستقيح الغلو في كل شئ. وفي كل الأحوال بقدر ما أستحسن الاعتدال  
فأنت قد تبالع في التحسين أو التزوير الكلامي حتى لينقلب هو غاية يستخفى  
وراءها مقصدك أو معنى كلامك ، إنك إذ تسمع :

طرقتُ الباب حتى كل متنى فلما كل متنى كلتنى  
فقلت لى أيا اسماعيل صبرا فقلت لها أيا اسماعيل صبرى  
لا ترى لحال هذا الطارق المتابر حتى كلال الظهر أو قصمه ولا يعينك من  
شعره كما لم يعنه هو نفسه فيما يبدو إلا ( الجناس ) وإن ه أيا اسماعيل صبرى ،  
لطيفة إذ توارى اسم الشاعر .

ألم تسمع بعض المحدثين بصور الظلام أو النور ..

قلت : لقد قرأت بعض ما كتب ( بيير لوتى ) عن الظلام .. إنها لصحف  
طويلة تعطيك صورة ماطقة لحياة رجل البحر وهو يكافح الموج في دجى الليل  
البهيم ، كما قرأت له وصفا للنور يحملك تراه رأى العين .

قال : ه الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح  
في زجاجة الزجاجه كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية  
ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار على نور يهدى الله لنوره من يشاء .

ألا ليقبل ( بيير لوتى ) أو غيره غربياً كان أو شرقياً ، ليقولوا في النور  
ماوسمهم القول فما أحسب ه الصورة النورية ، التى تنتظمها الآية الكريمة إلا مثلاً  
أعلى لن يدنو منه على قلة المأظه نور آخر مهما طالت الصحف التى تحتويه .

وأما عن الظلام والموج فحسب العالمين هذا البيان المبين ، أو كظلمات في بحر  
لجى يشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا  
أخرج يده لم يكدرها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

قلت : ما أظن من المستساغ أن نوازن بين كلام الناس وكلام رب الناس .

قال : صدقت وسقط في يد شيخك مرة ثانية في جلسة واحدة .. أترانى

مضطراً إلى أن أعفك من ثرتي ، وأرغب إليك في أن تنصرف عني وقد بلغت من لدني عذرا .

قلت : إذا سلمت أنها سقطة أو سقط في يديكم على حد تعبيركم فإني ما أعذرت ولا يحق لي أن أقول بلغت من لديكم عذراً إلا في الثالثة فكذلك كان شأن موسى عليه السلام مع صاحبه ، قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً . قال إنك لن تستطيع معي صبراً ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ، قال استجدي إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً ، قال فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً . فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها ، قال أخرقتها لتغرق أهلها ، لقد جئت شيئاً إمرأ . قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً ، قال لا تأخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمرى عسراً . فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله . قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس ، لقد جئت شيئاً نكراً . قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ، قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً . فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه ، قال لو شئت لأخذت عليه أجراً . قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ، .

قال : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعياها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا . وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا . فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً . وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً ، .

قلت : الشاهد في الآيات الأولى حيث لا يعترف كليم الله بأن صاحبه قد بلغ من لدنه عذراً إلا في الثالثة فقيم تلاوة ما بعدها ؟

قال : لقد كنت موشكاً أن تسمعن صحفاً طويلة كتبها ( بيير لوتي ) في النور

أو في الظلام أو فيها . فقد أنسيت .. ولو أنك فعلت ما ضقت به ولا بك ذرعا أقفل أنت إن أتممت عليك قصة من أحسن القصص ، نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين .

قلت : والقصص والقصة ، وكل ما اشتق من هذه المادة . فعمل بها التطور الأفاعيل . فهي في لغتنا تؤدي معاني غير التي كانت تؤديها أيام نزل القرآن .

نحن نعني بالقصة الأسطورة وما أشبهها ؛ أفراتم أساطير (لافونتين) ومهازل (موليير) ومآسى (كورينى) و (راسين) وقصص (روسو) و (هيجو) و (شاتوبريان) و (أنانول فرانس) ؟ إن كل هذا تجمعهم كلمة قصة في لغتنا العربية على اختلاف أسمائه في اللغات الفرنجية .

ولسنا بصدد وضع أسماء لهذه المسميات ، وإنما يكفيننا فيما نحن فيه المدلول العام لكلمة قصة ، فهي على اختلاف أنواعها وأشكالها لا تعدو أن تكون حديثاً مصنوعاً أو موضوعاً بالمعنى الاصطلاحى لكلمتى مصنوع وموضوع . قال : أى أنها حديث مفترى .

قلت : لتكن حديثاً مفترى ، ولو تمت بسبب قريب أو بعيد إلى حقيقة واقعة . أفتجد في لغة القرآن هذه الدلالة لكلمة ( قصة ) أو ( قصص ) ؟ .

قال : نحن نقص عليك نبأهم بالحق . . لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ . وهدى ورحمة لقوم يؤمنون . فأنت ترى أن القصة في لغة القرآن ليست حديثاً مفترى ، أفتزفنون العبرة أو الموعظة الحسنة إلا أن نأتيكم في حديث مفترى ؟ . قلت : إن القصة العربية ما زالت طفلاً مسترضعاً ترضعه أمه القصة الغربية فهلا عيتم في الجمع اللغوى بهذا الوليد فيبلغ أشده ويستوى .

قال : لكل أدب خصائصه ، وليس من خصائص الأدب العربى أن يتضمن القصة كما هي في الآداب الأوروبية تراناً يونانيا ولا نيبيا ، إن ما تسميه القصة العربية سيظل طملاً رضيعاً أبد الآبدين ودهر الداهرين ما دمت تجرورت وراء الظل

أو الخيال ، وتحاولون أن تغيروا طبائع الأشياء ، ولو شاء الله أن يهديكم سواء السبيل لرستم ( القصة العربية ) كما يحدها روسم القرآن . أفلم يأن لكم أن تفتنعوا بأن القرآن هو معيار الأدب العربى ، معياره الأبدى السرمدى ، إن القصة العربية لن تقوم لها قائمة ما أردتموها حديثا مفترى . أقيموها إن شئتم الإفلاح حقيقة تاريخية أو اجتماعية خالصة من كل شائبة افتراضية ، ولا يكن قدوتكم ( سوفوكل ) مثلا ، إنه لقدوة لآداب غير أدبكم ، وإن لكم في سورة يوسف لمهاجا ، إلا أن يعوج بكم الطبع العاسد اعوجاجا .

قلت : فلنعد عن القصة وعن الأدب في مدلوله الاصطلاحي إلى مدلول « أدبى ربى فأحسن تأديبى » ، أترون المسلمين قد نادىوا هذا التأديب .

قال : إن وسيلة هذا التأديب . هى فكرة التقريب ، وإنها الماضية مضاء ، فقاضية قصاء ، على السكيد الذى كاده للإسلام شائوه . لقد رأوها أمة واحدة ما قامت إلا على هذه الوحدة المستمدة من وحدانية الواحد الصمد . فلم لا يحل الاختلاف محل الائتلاف ؟ إنها كلمة قد اجتمعت فهلا تفرقت ؟ هكذا قال أعداء القرآن ، واستعانوا بالشيطان .

قلت : ولكنه أسلوب جاف غليظ ، لا يخفى على الغي به اللبيب . فكيف جاز على المسلمين ، وهم الإخوة في الدين ؟ .

قال : ذهبوا مذاهب شتى في الفروع ، ولا تريب عليهم أن يختلفوا في الجزئيات ما داموا مجتمعين على السكليات . بيد أن من أخرج أبويهم من الجنة أغواهم فنسوا الأصول ولم يذكروا غير الفروع .

إن منطق التقريب غير قابل للاقتض فهو لا يزيد على أن يذكرنا أننا نسيتنا الأصول وما أسماهاها إلا الشيطان . ألسنت معى فى أن إبليس يعالج مذكان (التقريب) بحنة ما عاجلها من قبل إلا أيام كارالرسول الأمين والمسلون الأولون .

قلت : المسلمون إخوان أحرار سواسية كأسنان المشط ، أفهذه الاخوية والحرية والمساواة أصل أم فرع ؟ .

قال : بل أصل نصلا استنباطا فإذا تلحظ فيه ؟

قلت : الحظ أول ما الحظ : الخطأ التاريخي . فقد نسبوا هذا الأصل إلى ثورة فرنسا عام سنة ١٧٨٩ م .

قال : إن التاريخ لقصة .. ولست أعنى أنه يقص عليك أبناء الآدميين بالحق ، بل أعنى أنه حديث مفترى أو قصة كقصص ( أناتول فرانس ) .  
قلت : العجيب أن رأى ( أناتول فرانس ) في التاريخ هو رأيكم فهذا توارد الخواطر .

قال : أو وقع الحافر على الحافر . وبناء على رأيي أو رأي ( أناتول فرانس ) يكون ملحوظك الأول أشبه بعواء أم عامر .

قلت : أما لهذا السجع من آخر ، فاني ألحظ ثانيا أن مضمضى ذلك الأصل أن تختلف نحن المسلمين ، وأن نذهب ما شاء لنا الرأي من مذاهب : إن زيدا أخو عمرو ، وهو كأخيه حر وليس نسخة مكررة منه ، ولكل رأى .  
قال : بدهيات لا مشكلات ولا ملحوظات ، وإلا فما غايتك ؟

قلت : أريد أن أقول إن تعدد المذاهب ظاهرة طبيعية ، ( فالإمامية ) غير ( الزيدية ) ، و ( المالكية ) غير ( الحنفية ) ، أفتريدون أن تمحوا هذا التباير وتجمعوا أصحاب المذاهب على مذهب جديد ؟

قال : بل أريد لكل أن يبقى على مذهبه ولا يزيد ، ولا ينسى أنه مسلم قبل كل شيء وكل مذهب ، وأن المسلمين إخوة .

إن إلغاء المذاهب عمل غير فطري . فكيف ابتغيه في دين هو دين الفطرة ؟  
إن واجب أهل المذاهب الإسلامية أن يردوا ما اختلفوا فيه إلى الله ورسوله فإن أجمعوا على أمر فذاك ، وإلا فلكل مذهبه ، وهم على كل حال اخوان في الدين ، مؤمنون بقوله تعالى : إن هذه أمتكم أمة واحدة وأما ربكم فاعبدون ، .

أمة واحدة : هذه هي الحقيقة الكبرى التي تريد جماعة التقريب أن تبصر بها المسلمين على اختلاف مذاهبهم وألوانهم ، وإنهم إن شاء الله لمتبصرون ، فملحون ؟



# لَكِنْ قَالَ شَيْخِي

لمحاضرة صامب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الطنطاوي  
الأستاذ في كلية اللغة العربية

عفاريتا علىّ وأكل مالى وحلما عن أناس آخرين  
فهلّا غير عمكو ظلمتم إذا ما كنتمو متظلمينا  
فلو كنتم لكيمه أكاست وكيس الأم أكيس للينينا  
قلت للآيات رابع أغفلته وقد ذكرها كلها الجاحظ في الجزء الأول من  
البيان والتبيين قال :

وقال الآخر في إيجاب الأمهات وهو يخاطب بنى إخوته ، وذكر الآيات  
الأربعة ، ورابعها من الأهمية بمكان ، وهو :

وكان لنا فزارة عم سوء وكنت له كشر بنى الأخينا (١)  
وذلك لأنى تواق إلى معرفة ما غمض على فيه من أمرين : الأول الصلة  
المعنوية بين الآيات الثلاثة والبيت الرابع مع أن الثلاثة تتضمن شكوى العم ،  
والرابع يتضمن شكوى ابن الأخ في عمه ، وبجازاة العم بمثل صنيعه ، فليست  
مستسجياً الموامة بينها وبينه ، النابى قلة التعبير في الاستعمالات بلامظ ( الأخينا )  
أيراد به المفرد أم الجمع ؟ وإن أفاد الجاحظ أن معناه جمع كما تصرّح به عبارته  
المأخوذة إذ قال ( بنى إخوته ) .

قال : إن توقّانك إلى معرفة الغامض لاستبعاد الصلة جدير بالملاحظة ، فالذى  
يبدولى أن الرابع وإن وافق الثلاثة وزناً وروياً غريب عنها بشهادة النعاكس

بينهما في المعنى ، وبعبء أن يجمع الشاعر بينهما متصلين كرواية الجاحظ ، على أن الجاحظ نفسه يفيد ذلك ، إذ أنه بعدئذ ذكر الأبيات الثلاثة مقتصرأ عليها مرتين : مرة في الجزء الثاني من البيان ، وأخرى في الجزء الثالث منه ، وأغفل في المرتين كليهما الرابع (١) . ولم يعرض في المرات الثلاث إلى نسبة الأبيات لقائلها ، وليس لترك الرابع في المرتين من تفسير إلا نبؤ الرابع في نظره عن الأبيات الثلاثة . وربما يقال : أما كان الأخرى بالجاحظ أن يتلافى ما فرض منه في الجزء الأول فيعمد إلى حذف الرابع من الأبيات حتى لا يحدث ما عرض من نقد عليه ، لأنه يجاب عنه أنه كان مجدوداً في مصنفاته ، إذ بمجرد تدوينها تناولها الأيدي وتسير بها الركبان ، فلا يستطيع تدارك ما نذعته وقت تأليفه ، ومن ذلك على سبيل التمثيل أنه في الجزء الأول أيضاً من البيان والتبيين عند الحديث على استطراف اللحن في الأعراب من النساء في الكلام استشهد بأبيات مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري في بعض نساؤه .

أمعطى منى على بصرى للحبـب أم أنت أكمل الناس حسنا  
وحديث ألدّه ، هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا  
منطق رائع وتلحن أحيا نا وخير الحديث ما كان لحنا (٢)

فقال له علي بن يحيى المنجم مثلك في علمك ومقدارك من الأدب تقول يستحسن من المرأة أن تكون غير فصيحة ، وأن يعترى منطقها اللحن في الإعراب ، ليس الأمر كذلك ، وإنما وصفها مالك بالظرف والفضة ، وأنها تورى في لعظها عن أشياء ، قال الجاحظ قد فطنت لذلك بعد ، فقال له فغيره وأصلحه ، قال كيف لي بما سارت به الركبان ، وفي رواية آلان ، وقد صار الكتاب في الآفاق .

ومن تبع الجاحظ في هذا الوهم ابن قتيبة ، فذكر في مقدمة كتابه ( عيون الأخبار ) عدم استغراب اللحن في الدواجر حتى لا تذهب طلاونها لمنل ما قال مالك بن أسماء .

(١) ج ٢ ص ١٩٧ ، ج ٣ ص ٢٥٥

(٢) ١ - ص ١٣٥ ( الطبعة الثانية في السكل ) .

لكن ابن دريد فى كتابه ( الملاحن ) حمل اللحن على الفطنة والتعريض ، وتبعه القالى فى أماليه أوائل الجزء الاول ، وقد نبه على وهم الجاحظ الأصهبانى فى الأغاني ، والعسكرى فى كتابه ( التصحيف والتحريف ) ، والشرىف المرتضى فى أماليه - المجلس التالى - مع تغليط ابن قتيبة وتبعيته للجاحظ ، وكذا نقل السبلى فى الروض الأنف ( غزوة الخندق ) . وفى مجمع الأمثال ( ألحن من قينتى يزيد ) بيان واف عن اللحن وطرافته من النساء مع ذكر شعر الفزارى ، واحتجاج الجاحظ به ثم قال ( فهذه عثرة منه لا يقال ) .

عساك بعدئذ اقتنعت بأن هذا البيت الرابع فى رواية الجاحظ ليس رابع الأبيات ، إنما رابعُ الأبيات المتسق معها معنى ، والمقتضية له كما يقتضياها ، هو :  
ولكن أمكم حَمُوت فجتُم غثانا ما نرى فيكم سميئا

وبدعم لك هذا الجمع أن هذه الأبيات الأربعة فقط رواها ابن منظور فى اللسان ( مادة كيس ) وزاد على الثقة فى الرواية نسبتها لأمالمها وهو رافع بن مُرَيْم ، غير أن ابن منظور فى روايته جعل البيت الأول منها ثانيا ولا ضمير فى ذلك ، والمعنى بين الأربعة كما ترى منسجم وثيق الارتباط كل بيت منها يتطلب ما قبله ، فالأول التوبيخ على الاعتداء على العم والحلم عن غيره ، والثانى الحض على وجوب صرف الظالم إلى غير العم إن لم يكن من الظالم بد فى غرائزهم ، والثالث عدم كياسة أمهم وحماقها والعرق دساس ، والرابع غنائهم لحاقة الوالدة .

قلت : وضع لى معنى الأبيات الأربعة وجودة الالتئام بينها ، كما استبان لى عرفان قائلها : رافع بن مُرَيْم ، وقررت فى نفسى أن البيت الذى نقلته عن الجاحظ لا يمت إليها بصلة ، لكنه تفرع على هذا تشوفى إلى معرفة قائله ، والإرشاد إلى قصيدته إن كان من قصيدة ، وإن لم يك ذلك مقصوداً لى أولاً .

قال : ستقف فى طى النصوص الآتية على أن قائله عقيل بن علفة وأن البيت فذ مفرد .

قلت : أترك الاختيار لك فى تقدير ما ترى عند المناسبة وأعود إلى أصل الموضوع طالبا شرح الأمر الثانى الذى رغبت فى بيانه سابقاً وهو ( الأخينا ) .

قال : سأنبئك بتأويله ، بعد إذ عرفت ما يتعلق بالامر الاول :

إن ( الأخينا ) في البيت جمع مذكر سالم لآخ ، إلا أنه جمع شاذ قياساً - وما أكثر الشذوذ في لغة الضاد السامية - وقد جرى الآخ مع الأب في مضار واحد استعمالاً في الإفراد والإضافة والتصغير والنسب ، والثنية والجمع مصححاً ومكسراً - تلبية للقرابة بينهما في النسب فهما موطننا عز المرء في الحياة وقوته في الجماعة ، وإني لسائق لك شواهد مُجمعا فيها جمع مذكر سالماً ، بيد أنه يحسن تقديم الأب على الآخ تبعاً لاسبقية زمننا وإن اندمج في النقل عن العلماء ذكر الآخ معه ، لأنهما مشتركان كما سمعت ، والاحتجاج لاحدهما احتجاج الآخر ، ودونك ما يحتاج به في جمع أب جمع مذكر سالماً على حد جمع أخ على أخين .

قال سيويه : « وسأله - الخليل - عن أب فقال إن ألحقت به النون والزيادة التي قبلها ، قلت : أبون وكذلك أخ تقول أخون لا تغير البناء ... وقال الشاعر :

فلما تبينَّ أصواتنا بكين وفدَّيْنَنَّا بالآيينا

أنشدناه من تنقيه وزعم أنه جاهلي ، وإن شئت كسَّرتَ فقلت آباء وآخاء (١) وكذا افتقاه في الاستشهاد بالبيت : الزخشرى في المفصل (باب الإضافة) وابن الشجري في الامالي - المجلس التاسع والأربعين - ، والرضى في شرح الكافية (باب الإضافة) وشرح البغدادي في خزنة الادب الشاهد الثامن والعشرين بعد الثلثة البيت قال : تبينَّ : تعرفن ، وبه روى أيضاً ، وفدَّيْنَنَّا بالآيينا ، أى قلن : جعل الله آباءنا فداء لكم ، ونقل عن ابن السيرافي عزو البيت لزياد بن واصل ، وعن أبي محمد الأعرابي الفندجاني في ( فرحة الأديب ) أن الغرض من البيت افتخار زياد بن واصل السلي بآباء قومه وأمهاتهم ، وأنهم قد ابلوا في حروبهم ، فلما عادوا إلى نسايتهم وعرفن أصواتهم فدينهم لإبلايتهم في الحروب ، وذكر الفصيحة كلها ، ثم نقل عن ابن جني في ( المحتسب ) بعد هذا البيت ... قول أبي طالب نظيراً له :

ألم تر أني بعد هم ممتة لفرقة حرمن أبين كرام

ولا فارق بين الجمعين في البيتين إلا أن الجمع الأول لحقته ألف الإطلاق مدًّا للروى ، لأن القافية مطلقة ، والثانى لم تقتزن به هذه الألف لوقوعه في خلال الشعر .

فإذا أضيف جمع أب حذفت نونه للإضافة ، وعليه حمل العلماء قراءة من قرأ « وإله ابيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق » .

ولا إخالك بعد هذه الشواهد إلا مطمئن القلب لجمع أب على أين ، وبالتالي لجمع أخ على أخين ، فإن الأب والأخ قد لُزَّا في قرآن جمعت بينهما القربى والاستعمال العربى ، لكننى موف بالدليل لجمع أخ على غرار أب كعهدى لك ، وسأبدأ بالبيت الذى سألت عنه معتمداً فى الحكم بالجمعية على قول العلماء الأعلام . وهاك ما يستشهد به على جمع أخ على أخين بعد النص من الجاحظ على الجمعية كما قرأت فى صدر عبارته ..

قال أبو زيد فى نوادره ( وقال عقيل بن علفه المرى من مرة عطفان : وكان لنا فزارة عم سؤ وكنت له كشر بنى الاخينا يقال أخ وأخان وأخون وأب وأبان وأبون ) - وقال فى موطن آخر : ( وقال عقيل بن علفه المرى البيت ... أراد الإخوة ) (١) . وعلى مهاج أبى زيد قال ابن منظور فى اللسان ( أخ ) وقد جمع بالواو والون قال عقيل بن علفه المرى :

وكان بنو فزارة شر عم وكنت لهم كشر بنى الاخينا وقد استشهد الرضى فى شرح الكافية ( باب الإضافة ) بالبيت على جمع أخ على أخين ، وأوفى البغدادى فى خزنة الأدب هذا البيت حقه من بيان وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الثلاثمائة ، ومن كلامه ( والظاهر أن هذا البيت وحده لعقيل ابن علفه وهو غير مرتبط بالآيات التى أوردها الجاحظ قبله ) .

ومثيل هذا البيت قول الشاعر :

فقلنا أسلبوا إنا أخوكم فقد برئت من الأحن الصدور

وهو فى شواهد ابن الشجرى فى الأمالى : المجلس التاسع والأربعين ، والأعلم

الشمترى على سيويه عند الكلام على شاهد جمع الأب السابق .  
ولا فاصل بين الجمعين في البيتين إلا أن الأول ردفته ألف الإطلاق دون الثاني ،  
وأن الأول لم يضاف دون الثاني ، فلذا حذفت من الثاني نون الجمع للإضافة .

قلت : مشار هذا كله بيت عقيل ، وأرغب أن أعرف العلاقة الزمنية  
بين رافع وعقيل ، وأن أقف على أول من جمع بين شعريهما حتى أشبه الأمر  
والتبس فاحتاج إلى هذا البيان التفصيلي .

قال : أما الشاعر الأول فأدرك الإسلام ، وأما الثاني فأموى ، وأول من  
جمع بين شعريهما فيما أظن الجاحظ كما قلت آنفاً ، غير أنه لم يعن بعزوها إلى قائل  
ولم أر من اتبع الجاحظ في هذا الجمع .

قلت : فإذا ترى في اختلاف الروایتين في بيت عقيل : رواية ابن منظور :  
وكان بنو فزارة شر عم وكنت لهم كشر بنى إالاخينا  
ورواية أبى زيد والجاحظ :

وكان لنا فزارة شر عم وكنت له كشر بنى إالاخينا  
أى الروایتين أقرب مطابقة للواقع .

قال : إذا كنت على علم بنسب عقيل آثرت رواية اللسان على رواية النوادر  
والبيان ، فإن جد عقيل الأعلى ( مرة ) ومرة يتلاقى جده الأدنى ( سعد ) مع أخيه  
فزارة في ذبيان أبيهما .

فعمومة فزارة لعقيل ناشئة من انسحابها على أبناء سعد وأحفادهم حتى عقيل ،  
وتستتبع عمومة فزارة عمومة أبنائه إلى عصر عقيل لعقيل ، وعمومة أبناء فزارة  
في عصره كانت مبعث شكواه وتبرمه ، فرعايتها أجدر في الرواية من عمومة فزارة  
ولله در العرب في الاعتزاز برعاية الأنساب وإن طالت سلسلتها ، وامتدت بها  
عصورها وأيامها ، فقد كانت موئل فخارهم ونفارهم على أنه لا طائل تحت اختلاف  
الروایتين يعود بالنقض على شيء مما أسلمناه ، والعلم لله ؟

## استقبال بعض علمائنا طريق الحضارة الأوربية

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد المنعم الصمعي  
الاستاذ بكلية اللغة العربية

في أوائل القرن الثالث عشر الهجري كانت أوروبا قد استكملت نهضتها ، وبلغت في الحضارة مبلغاً رائعاً ظهرت آثاره في مخترعاتها العجيبة ، وقد أخذت طلائع هذه الحضارة تصل إلينا في أوائل هذا القرن ، لتنبه غافلنا ، وتوقظ نائمنا ، ليعرف ما يكون لها من الأثر في مستقبلنا ، ويعمل على تبنيها إلى ما يكون لهذا الأثر فينا ، وفي هذا اختلف شعورنا اختلافاً عجيباً ، ما بين مستخف بهذه الطلائع لاعتزازه بماضيه وأنه لا ينقص فيه ، وما بين مهوت إلى حد الشعور بالعجز ، وما بين معتدل في شعوره ، لم يعمه التعصب لماضيه عن النظر لمستقبله ، ولم ييخس نفسه فينزل بها عن غيره .

وهذه ثلاث شخصيات من شخصياتنا في أوائل ذلك القرن ، يتمثل فيها اختلاف الشعور بإزاء تلك الطلائع ذلك الاختلاف العجيب ، وهي لثلاثة من علماء ذلك القرن ، نشأ أحدهم بالعراق ، ونشأ الآخران بمصر ، وكان لنشأ كل منهم أثرها في شعوره بإزاء تلك الطلائع .

فأما الأول فهو شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الألوسي ، ولد ببغداد سنة ١٢١٧ هـ - ١٨٠٢ م ، وتوفي بها سنة ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٤ م ، وكان أشهر علماء العراق في عصره ، وله مؤلفات كثيرة ، أشهرها تفسيره المعروف بروح المعاني ، وهو من أمهات كتب التفسير ، وله الآن منزلة كبيرة لدى علماء التفسير وطلابه .

ويتمثل شعور شهاب الدين الألوسي بإزاء طلائع الحضارة الأوروبية في تفسيره للآية - ٨١ - من سورة الأنبياء : « ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين » فقد روى عن مقاتل أنه قال : نسجت سليمان عليه السلام الشياطين بساطا من ذهب وإبريسم فرسحا في فرسخ ، ووضعت له منبرا من ذهب يقعد عليه ، وحوله كراسي من ذهب يقعد عليها الأنبياء عليهم السلام ، وكراسي من فضة يقعد عليها العلماء ، وجوهم سائر الناس ، وحول الناس الجن والشياطين والطير تظله من الشمس ، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ، ومن الرواح إلى الصباح .

وكانت أوروبا في عصر شهاب الدين الألوسي قد بدأت في اختراع الطائرات ، فوصل إليه خبر هذا الاختراع فها وصل إليه من طلائع الحضارة الأوروبية ، فاستطرد إلى ذكره في تفسير هذه الآية فقال : ومن العجب أراهم لادن قد أتبعوا أنفسهم منذ زمان بعمل سفينة تجرى مرتفعة في الهواء إلى حيث شاءوا بواسطة أبخرة يحسونها فيها اغترارا بما ظهر منذ سنوات من عمل سفينة تجرى في الماء بواسطة آلات تحركها أبخرة فيها ، فلم يتم لهم ذلك ، ولا أظنه يتم حسب إرادتهم على الوجه الأكمل ، وأخبرني بعض المظلمين أنهم صنعوا سفينة تجرى في الهواء ، لكن لا إلى حيث شاءوا . بل إلى حيث ألفت رحلها .

وكان غير هذا الاستخفاف بهذه الطلائع العجيبة للحضارة الآرية أولى بشهاب الدين الألوسي ، وهو العالم المتبحر في العلوم ، وله فيها من المؤلفات ما يدل على طول باعه ، وحسن اجتهاده ، ولكنه لكل جواد كبوة ، ولكل عالم نبوة ، ولو أنه أعطى هذه الطلائع قدرها لعرف ما آلت إليه الآن ، وعرف ما يكون لها من حسن الأثر في أهلها ، وما يكون لها من سوء الأثر فيها ، إذا لم تنتبه من غفلتنا ، ولم نجار هذه الأمم في ميدان هذه الحضارة ، ولكنه كان في المراق الذي لم يمس بشيء في ذلك الوقت من أمم أوروبا ، وكان في أحضان دولة لا يزال ملكها عريضا على ضعفها ، فحمله هذا على ذلك الاستخفاف الذي لا يليق به ، ولا



يستساغ الآن وقوعه فيه ، بعد أن وصلت تلك الطلائع إلى ما وصلت إليه ، ونجحت الطائرات ذلك النجاح الذى لا يقف عند حد ، وليس فى هذا ما يؤثر فى معجزة سليمان عليه السلام إذا أخذت على ظاهرها ، لأن بساطه كان يسير بتسخير الله تعالى للريح ، فلا يستعان فيه بوسائل مما يستعان بها فى تلك الطائرات

وأما الثانى فهو الشيخ عبد الرحمن بن حسن الجبْرِتى من علماء الأزهر ، ولد بالقاهرة سنة ١١٦٧ هـ - ١٧٥٤ م ، وتوفى بها سنة ١٢٤٠ هـ - ١٨٢٥ م ، فأدرك الحملة الفرنسية بمصر ، وأدرك عهداً طويلاً من ولاية محمد على باشا عليها ، وشاهد بنفسه آثار طلائع الحضارة الأوروبية فيها ، ورأى ما كان لها من الأثر فى مزينة المصريين أمام الحملة الفرنسية ، فلم يستخف بها فى تاريخه المشهور كما استخف بها شهاب الدين الألوسى ، بل كان على القيقض منه فى شعوره بها ، لأنه بُهِتَ بها إلى حد الاعتراف بالعجز عنها .

فقد ذكر فى تاريخه ما شاهده فى المعهد العلمى الفرنسى من طلائع الحضارة الأوروبية ، فقال : ومن أغرب ما رأيته فى ذلك المكان أن بعض المتقيدى لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة ، فصب منها شيئاً فى كأس ، ثم صب عليها شيئاً من زجاجة أخرى ، فعلا الماء ، وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وجف ما فى الكأس وصار حجراً أصفر ، فقلبه على البرجات حجراً يابساً أخذناه بأيدينا ونظرناه ، ثم فعل كذلك بمياه أخرى فجعد حجراً أزرق وبأخرى فجعد حجراً أحمر ياقوتياً ، وأخذ مرة شيئاً قليلاً جداً من غبار أبيض ووضعه على ( السندال ) وضربه بالمطرقة بلطف ، فخرج له صوت هائل كصوت - القربانة - انزعجنا منه ، فضحكوا منا ، وأخذ مرة زجاجة فارغة مستطيلة فى مقدار الشبر ضيقة الفم ، فغمسها فى ماء قراح موضوع فى صندوق من الخشب مصفح الداخل بالرصاص ، وأدخل معها أخرى على هيئتها ، وأنزلهما فى الماء وأصعدهما بحركة انحبس بها الهواء فى إحداها ، وأتى آخر بفتلة مشتعلة ، وأبرز ذلك فم الزجاجة من الماء وقرب الآخر الشعلة إليها ، فخرج ما فيها من الهواء المحبوس ، ورفق بصوت هائل أيضاً ، وغير ذلك أمور كثيرة وبراهين حكيمية تتولد من

اجتماع العناصر وملاقة الطبائع ، ومثل الفلك المستديرة التي يدبرون بها الزجاجة ، فيتولد من حركتها شرر يطير بملاقة أدنى شيء كثيف ويظهر له صوت وطققة ، وإذا أمسك علاقتها شخص ولو خيطاً لطيفاً متصلاً بها ولمس آخر الزجاجة الدائرة أو ما قرب منها بيده الأخرى ارتج بدنه وارتعد جسمه وطققت عظام أكتافه وسواعده برجة سريعة ، ومن لمس هذا اللامس أو شيئاً متصلاً به حصل له ذلك ، ولو كانوا ألفاً أو أكثر ، ولهم فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة تنتج منها نتائج لا تسعها عقول أمثالنا ، وهذا يأس من نهوضنا كنهوضهم أدرك الجبرتي المؤرخ حين شاهد طلائع الحضارة الأوربية ، وهو لا يقل ضرراً فينا عن ذلك الاستخفاف الذي قابلها به شهاب الدين الألوسي ، وما كان لمؤرخ مثل الجبرتي أن ينسيه هذا ما كان لنا من ماض مجيد ، كانت أوربة فيه غارقة في ظلام دامس ، وكانت تصل إليها طلائع حضارتنا فتدهش لها ، كما دهش الملك شارلمان وعلماؤه من الساعة الدقاقة التي أهداها إليه هارون الرشيد ، فاعتقدوا أن الشياطين تديرها بالسحر ، فإذا تغير حالنا وحالمهم بعد هذا فالأيام دول ، ولا يصح أن نياس من حالنا ، ولا يليق أن نتهم عقولنا كما اتهمها مؤرخنا الجبرتي ، لنفتح باب الأمل في نهوضنا ، ولا نياس من استعادة مجدنا وحضارتنا .

وأما الثالث فهو الشيخ حسن بن محمد العطار ، ولد بالقاهرة سنة ١١٨٠ هـ - ١٧٦٦ م ، وطلب العلم بالأزهر ، ثم ساه في الاقطار الإسلامية ، ولقى كثيراً من علمائها ، ونقّب عن كثير من كتب المتقدمين التي أهملها المتأخرون ، فاستفاد كثيراً من سياحته ، واتسعت بها ثقافته ، وقد أدرك الحملة الفرنسية بمصر ، وشاهد من طلائع الحضارة الأوربية ما شاهده المؤرخ الجبرتي ، فساعدته ثقافته على أن يقف منها موقفاً معتدلاً ، ليس فيه شيء من استخفاف شهاب الدين الألوسي بها ، ولا شيء من الشعور بالعجز الذي أدرك المؤرخ الجبرتي عند مشاهدتها ، وكانت وفاته سنة ١٢٥٠ هـ - ١٨٣٤ م ، بعد أن أدرك عهداً طويلاً من ولاية محمد علي باشا على مصر ، وعين في عهده شيخاً للأزهر .

فقد استطرد في حاشيته على شرح جمع الجوامع في أصول الفقه عند الكلام على مسألة الخلاء إلى ذكر ما شاهده من طلائع الحضارة الأوربية فقال : إن مسألة الخلاء ومسألة إنبات الميل في الأجسام من مسائل العلم الطبيعي ، وبتحقيقهما يظهر للفطن أسرار غريبة ، وعليها يبنى كثير من مسائل جسر الانتقال ، وعلم الحيل واختراع الآلات العجيبة ، وقد عُرِّبَت كتب في زماننا من كتب الفرنجة ، وفيها أعمال كثيرة ، وأفعال دقيقة ، اطلعنا على بعضها ، وقد استخرجت تلك الأعمال بواسطة الأصول الهندسية والعلوم الطبيعية ، وفي تلك الكتب تكلم القوم في الصناعات الحربية ، والآلات النارية ، ومهدوا فيها قواعد وأصولا ، حتى صار ذلك علما مستقلا ذا فروع كثيرة ، ومن سمّت به همته إلى الاطلاع على غرائب المؤلفات ، ظهرت له حقائق كثيرة من دقائق العلوم ، وتزهت فكرته إن كانت سليمة في رياض الفهوم ، فلا تجعل سعيك لغير الحصول على الكمالات العرفانية مصروفا ، ولا تتخذ غير نفائس الكتب أليماً ألوافا :

ولا تك من قوم يديعون سعيهم      لتحصيل أنواع المآكل والشرب  
فهذى إذا عدت طباع بهائم      وشتاناً ما بين البهم وذى اللب  
وهذه نفثة مصدور ، والله عاقبة الأمور ، لعمري لقد تساوى الفطن ، والآبله  
الآفين ، واستنسر البُعْثَات ، وُسِدَّ طريق النظر على الناظر البحث ، ولا حول  
ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

والله ما أروع ذلك الموقف الكريم من شيخنا العطار ، ولكنه نبه فلم يجد مستقيظا ، بل وجد الأمور تجري على ما كانت تجري عليه ، فيتساوى الفطن والآبله الآفين ، ويستنسر البُعْثَات ، وُسِدَّ الطريق على الناظر البحث ، فينفثها نفثة مصدور ، ويرسلها شكوى أليمة ، ويصف حاله في موضع آخر بما قاله ابن الجوزى في مجلس وعظه ببغداد .

ما في الديار أخو وجد نظارحه      حديث نجد ولا خل نجاريه  
ولا يزال من يقف بيننا موقف شيخنا العطار يلاقى ما لاقاه ، ولا حول  
ولا قوة إلا بالله ٢

من أعلام المسلمين :

## أبو عبد الرحمن السلمي

م : ٤١٢ هـ

لحضره الاستاذ الفاضل نور الدين شرييه

من علماء الأزهر الشريف

— ١ —

- ١- خصائص القرن الرابع : تعدد أمراء المسلمين ، استقلال الولاة بما تحت أيديهم تتمتع المسلم بحقوق المواطن - في غير قطره - برغم تفكك المملكة . خراسان ودورها في الحضارة الإسلامية ، مدنها الهامة ، نيسابور وصف جغرافيا لها .
- ٢ - أبو عبد الرحمن السلمي : بيته ، صباه وشبابه ، شيوخه وتلاميذه ، تأليفه في التفسير والحديث والتصوف ، وفاته ودفنه .
- ٣ - مؤلفاته : أسماؤها وأماكن وجودها ، العناية بنشر كتب أبي عبد الرحمن .
- ٤ - موقف العلماء من أبي عبد الرحمن : محمد بن يوسف الفطان واتهامه له بالوضع والكذب ، تناقل هذه التهمة - حتى اليوم - وتحقيقها ، رأى العلماء في كتابه « حقائق التفسير » رأى الحاكم أبي عبد الله النيسابوري في أبي عبد الرحمن .
- ٥ - خصائص مدرسة السلمي في نيسابور ، الصلة بينها وبين مدرسة الجنيد في بغداد .

أبو عبد الرحمن السلمي أحد أبناء نيسابور ، ونيسابور أهم مدن إقليم خراسان في القرن الرابع الهجري .

١ - خصائص القرن الرابع :

يعتبر أنبات المؤرخين القرن الرابع الهجري نقطة تحول خطير في تاريخ الإمبراطورية الإسلامية ، من شتى نواحيه : السياسية ، والفكرية .

فقد ظلت الخلافة الإسلامية في عاصمة المملكة - المدينة ، أو دمشق ، أو بغداد - طوال القرون الثلاثة الأولى - هي المركز الرئيسي الذي يستمد منه الولاة ، في شتى بقاع مملكة الإسلام (١) ، سلطانهم ؛ لا يحالون عن إرادتها أو اتجاهها .

وبرغم تغلب الأمويين على الأندلس بعد انقضاء دولتهم في المشرق ، عقيب معركة الزاب سنة ٥١٣٢ هـ - ٧٤٩ م ، فإنهم لم يحاولوا تنصيب أنفسهم خلفاء على المسلمين مع أن الخلافة كانت فيهم من قبل ، واكتفوا بتسمية أنفسهم « بني الخلافة » .

ولكن لم يلبث العالم الإسلامي في العقد الأخير من القرن الثالث ، أن قامت فيه خلافة جديدة ، تناوى خلافة بغداد تلك هي خلافة الفاطميين في المغرب ؛ إذ أنهم بعد فتح القيروان سنة ٥٢٩٧ هـ - ٩٠٩ م ، اتخذوا لأنفسهم لقب الخلافة (٢) .

وبذلك ضمت مملكة الإسلام ، خلفاء ثلاثة : خليفة أموياً في الأندلس ، وخليفة علويّاً فاطمياً في المغرب ثم في مصر ، وخليفة عباسياً في بغداد ، وكانوا بذلك - يمثلون في العالم الإسلامي الأحزاب السياسية التي كانت تنقسمه .

ولأنه لبحث طريف ، يستطيع أن يستفيد منه أولئك الذين يهتمون بدراسة النظريات الدستورية ، وأنظمة الحكم في العالم الإسلامي ، إذا ما تتبعوا أثر هذا الانقسام في السلطة العليا ، عند الفقهاء وعلباء الكلام .

(١) يعتبر المقدسي أن مملكة الإسلام تمتد من كاشغر - في أقصى المشرق - إلى السوس الأقصى في المغرب ، وأنها تقطع في نحو عشرة أشهر « المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبعة لندن سنة ١٨٧٧ : ص ٦٤ » أما عند ابن حوقل ، فحدود مملكة الإسلام هي : شرقها أرض الهند وبحر فارس ، وغربها مملكة السودان ، الذين يسكنون على المحيط الأطلسي . وشمالها بلاد الروم وما يتصل بها من الأرمن واللان والران والخزر والبلغار والصفالية والترك والعين ، وجنوبها بحر فارس « المسالك والممالك ، طبعة لندن سنة ١٨٧٢ : ص ١٠ ، ١١ » الحضارة الإسلامية لمر ، ترجمة الأستاذ أبو ريده : ج ١ ص ٣ .

(٢) شذرات الذهب : ج ٣ ص ٣

ولم يقتصر أمر الانقسام على الخلافة وحدها ؛ بل إن قبضة بغداد ، حين ضعفت عن أطراف هذه المملكة المترامية ، بدأ أمراؤها يستقلون بأمرها ، ويستبدون بحكمها (١)

وسواء أكانت العوامل الأساسية لهذا التفكك ، راجعة إلى ضعف السلطة المركزية في بغداد ؛ أو إلى ظهور الحركات القومية ، في هذه الأقطار ؛ أو إلى صعوبة الاتصال بين بغداد وأطراف المملكة ، سواء أكان أحد هذه الأسباب وحده ، أو هي كلها مجتمعة ، أدت إلى ذلك التفكك ، فما لا ريب فيه أن تيار التفكير الإسلامي لم يجمد ، بل سار مسرعا نحو السكال ؛ حتى ليستطيع الباحث أن يقول - دون مغالاة - إن هذا التفكك السياسي كان بشير ازدهار فكري وتسابق حضاري ، قلما يشهد المرء له نظيراً في تاريخ الحضارات .

على أنه قد بقي الخليفة بغداد - ورقة خلافته أوسع الرقع - سلطاناً روحياً ، يعترف به الولاة في أقصى أطراف المملكة ، وإن أضخوا أكثر قوة من الخليفة ، وأوسع ملكاً منه . فهم يتلقون منه عهود ولايتهم ، وخلعه عليهم ، ويدعى له في المساجد (٢)

وتعدد الخلفاء ، واستقلال الأمراء بما تحت أيديهم من الملك ، لم يكن معناه وضع حواجز أقليمية بين أجزاء هذه المملكة ، بحيث تحول هذه الأجزاء بين المسلمين في المشرق وبين إخوانهم في المغرب ؛ ولكن كان للسلم حق المواطن في كل جزء من العالم الإسلامي (٣) تكرم وفادته ، ويتلقى العلم عن الشيوخ في بلاد ما راء النهر ، وخراسان ، وفارس ، والعراق ؛ كما يتلقاه في مصر ، والشام ، والمغرب ، والأندلس ، وكذلك الشأن في التجارة . بل إن الأمراء كانوا يتسابقون إلى إنزال العلماء في رحابهم ، وإكرام منزلهم . ويستطيع قارئ كتاب مثل : « معجم البلدان » ، لياقوت ، أو كتاب « الأنساب » ، للسمعاني ، أو أى كتاب آخر من كتب الرحلات ، أن يجد أدلة ذلك واضحة .

(١) الحضارة الإسلامية : ج ١ ص ١

(٢) المصدر السابق : ج ١ ص ٢

(٣) » » : ج ١ ص ٣

في هذا القرن ولد أبو عبد الرحمن بخراسان ، وخراسان حديث.

\* \* \*

### خراسان :

كلمة خراسان - في الفارسية القديمة - معناها « أرض المشرق » (١) . ويقول  
ياقوت : « أول حدودها ، مما يلي العراق ، أراذوار - قصبة جوين - وبيق ؛  
وأخر حدودها ، مما يلي الهند ، طخارستان وغزنة وبيجستان وكرمان . وإيس ذلك  
منها ، إنما هو أطراف حدودها » (٢)

وكانت خراسان ذات مركز هام في الخلافة الإسلامية ، فقد كان يُضم إلى  
والها ما يتصل بها من الإمارات التي تقل عنها أهمية . ولذلك عد البلادى هذه  
البلاد ضمن حدود خراسان . وإنما ذكر البلادى هذا لأن جميع ما ذكره من  
البلاد كان مضموما إلى والى خراسان ، وكان اسم خراسان يجمعها . (٣)

ودخلت خراسان ضمن « مملكة الإسلام » في عهد الخليفة الثالث ، عثمان  
ابن عفان رضى الله عنه ، حين فتحها عبد الله بن عامر بن كريب (٤) على ابن قتيبة  
يرى أن بلاد خراسان قد ابتدأ دخولها الإسلام في عهد الخليفة الثاني ، عمر رضى  
الله عنه ، على يد الأحنف بن قيس ، سنة ثمان عشرة ، وإنما أعيد فتحها في عهد  
عثمان ، بعد أن انتقضت (٥) . ويبدو أنها لم تكن هادئة طوال حكم الأمويين ،  
كما يصور ذلك ابن قتيبة ، بل لأنها كانت دائما تغلى بثورات تضطر الأمراء إلى  
التنقل بين كورها المختلفة ، والرحلة من نيسابور إلى مرو ، أو إلى هراة ، أو إلى  
ترك خراسان كلها (٦)

(١) Lands of eastern Caliphate., P. 382

(٢) معجم البلدان ، نشرة فستيفيلد ، ليزج سنة ١٨٦٦ : ج ٢ ص ٤٠٩

(٣) المصدر السابق : ج ٢ ص ٤١٠

(٤) تاريخ الأمم والملوك : ج ١ ص ٢٣٥ ؛ وكذلك معجم البلدان : ج ٢ ص ٤٠٩

(٥) معجم البلدان : ج ٢ ص ٤١١

(٦) دائرة المعارف الإسلامية مادة : نيسابور .





ضمن أجزاء مملكة الإسلام ؟ وماذا كان شأن الثورات التي قامت بها ؟ وما بواعثها ؟ ولكن الذى يعنينا فى الحديث هنا ، هو أن نشير إلى أن معاوية بن أبى سفيان لما استتب له الأمر بعد عام الجماعة ، ولى عبد الله بن عامر بن كريز على البصرة ، وجعل إليه فتح خراسان وسجستان . فلما فتحها ، سنة اثنتين وأربعين ، أقام فى نيسابور قيس بن الهيثم السلى ، وأمره على خراسان ، فظل واليا عليها حتى سنة خمس وأربعين (١) مما يقطع بأن السليين كان لهم شأن ملحوظ فى أمر نيسابور . وقد قلب حظ هذه المدينة بين الانتعاش والانتكاس ، حتى اتخذها أبو العباس عبد الله بن طاهر ، فى القرن الثالث ، قصبة له ، فبدأت تنتمش . ووصلت إلى ذروة عمرائها حين انتقل أمرها إلى السامانيين ، فى القرن الرابع ، وصارت حاضرة والى خراسان ، ومنزل جنده .

وحسب الإنسان أن يقرأ وصف المؤرخين والجغرافيين من العرب ، ليعجب لهذه الحركة الدائبة ، التى تعج بها المدينة ، فى شتى نواحي النشاط الإنسانى يقول الاصطخرى : « إنها كانت مقسمة إلى اثنين وأربعين قسما ، كل قسم طوله فرسخ وعرضه فرسخ » ، (٢) . ويقول ياقوت : « لم أر - فيما طوفت من البلاد - مدينة كانت مثلها » ، (٣) وفى نهاية القرن الرابع كانت هذه المدينة مستقر حركة الكرامية (٤) كما كانت مركزاً هاماً من مراكز التصوف فى العالم الإسلامى .

\* \* \*

فى هذا القرن عاش أبو عبد الرحمن السلي ، ومن هذه المنطقة خرج ، وفى هذه المدينة ولد . فن أبو عبد الرحمن السلي ٩ .

١ - دائرة المعارف الإسلامية مادة : نيسابور

٢ - الاصطخرى : ج ١ ص ٢٥٤

٣ - معجم البلدان : ج ٤ ص ٨٥٧

٤ - دائرة المعارف الإسلامية مادة : نيسابور

# أُنبَاءٌ وَأَرَاءُ

وقعت بين المسلمين في تاريخهم الطويل خلافات كثيرة ، كانت هادئة تارة ، وعنيفة تارة أخرى ، وقد تركت في المجتمع الإسلامي آثاراً لا تزال نراها .

وليس لنا ولا لغيرنا أن نمنع الحديث عن هذه الخلافات ، أو نحول دون تناولها ، فقد دخلت في ذمة التاريخ ، والتاريخ ملك للناس عامة ، ولكل باحث حق النظر فيه كما يشاء .

وإذا كنا نشفق حين نسمع أن مؤلفاً وضع كتاباً تعرض فيه لشتون الخلاف التاريخي بين المسلمين ، أو عالج فيه مشكلة من مشاكلهم الطائفية ، فإنما ذلك خوفاً من عرض تلك الموضوعات الدقيقة بصورة تثير النفوس ، وتجدد الاحن ، وتحرك الاضغان والفتن ، ارضاء لتعصب كاتب ، أو تحيزه لرأى خاص .

وكثيراً ما رجونا الباحثين أن يثبتوا ، وأن يأخذوا أنفسهم وأقلامهم بلون من الرقابة ، فلا يكتبوا إلا ما يعلون أن في كتابته خيراً لآمتهم ، ولا يعتمدوا فيما يكتبون إلا على الروايات الصحيحة الثابتة ، وأن يمحسوا ما يروون للناس تمحيص العالم الثبت الحذر الذي يكره أن يلقى القول الجزاف ، أو يدلى بالرأى الفطير ، ولا شك أن من أهم ما يقرب بين المسلمين سرد تاريخهم عليهم بغير تعصب يثير الحواطر .

والعالم المحقق يستطيع إذا تناول أدق المشاكل أن يكشف عن دواعي الدس وأسباب الوقعة ، واثقاً من أن الكثير من الخلافات تبدو بساطته ، إذا عرفت حقيقته .

وهذان عالمان جليلان ، وباحثان شهيران ، هما : الدكتور طه حسين ،

والاستاذ عباس العقاد ، يقدم أولها كتابه : « على وبنوه » ، ويقدم الثاني كتابه : « فاطمة الزهراء والفاطميون » ، وقد تعمقا فيهما ماشاء لهما التعمق ، وأنصفا ماشاء لهما الإنصاف ، وعالجا في هاتين الدائرتين كثيراً من المسائل الصعبة علاجاً حراً قوياً عادلاً يساعد بغير شك على معرفة الحقائق وتقارب المسلمين .

ونحن ننشر فصلين من هذين الكتابين لما رأينا فيهما من البحث الهادئ المنصف .

### ( ١ ) من كتاب « على وبنوه » :

« الغريب أن المؤرخين الذين أكثروا من ذكر ابن السوداء عبد الله بن سبأ وأصحابه حين رووا أمر الفتنة أيام عثمان ، وأكثروا من ذكرهم بعد مقتل عثمان قبل أن يشخص على من المدينة للقاء طلحة والزبير وأم المؤمنين ، ثم أكثروا من ذكرهم حين كان عليّ يُسْفَر إلى طلحة والزبير وأم المسلمين في الصلح . ثم زعموا أنهم اتنعموا على حين غفلة من علي وأصحابه بإنشأ القتال . ثم زعموا أنهم أنشأوا القتال فجأة حين التقى الجمعان عند البصرة وورطوا المسلمين في شر عظيم . الغريب أن هؤلاء المؤرخين قد نسوا السبئية نسياناً تاماً ، أو أهملوها إهمالاً كاملاً حين رووا حرب صفين .

فابن السوداء لم يخرج مع علي إلى الشام ، وأصحاب ابن السوداء خرجوا معه ، ولكنهم كانوا أنصح الناس له ، وأوفى الناس بعهده ، وأطوع الناس لأمره . لم يأتروا ولم يسعوا بالفساد بين الخصمين ، وإنما سمعوا وأطاعوا وأخلصوا الإخلاص كله ، حتى إذا رفعت المصاحف خرج بعضهم مع المحكمة الذين أنكروا الصحيفة وما فيها ، كحُرْقُوص بن زهير ، وأقام بعضهم على طاعة علي وإن أنكر الصحيفة وكره الحكومة كالأشتر .

وأقل ما يدل عليه إعراض المؤرخين عن السبئية وعن ابن السوداء في حرب صفين أن أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلفاً منجولاً ، قد اخترع بأخرة حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الإسلامية . أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً إمعاناً في السكيد لهم

والنيل منهم ولو قد كان أمر ابن السوداء مستنداً إلى أساس من الحق والتاريخ الصحيح لكان من الطبيعي أن يظهر أثره وكيدته في هذه الحرب المعقدة المعضلة التي كانت بصفتين ، ولكان من الطبيعي أن يظهر أثره حين اختلف أصحاب عليّ في أمر الحكومة ، ولكان من الطبيعي بنوع خاص أن يظهر أثره في تكوين هذا الحزب الجديد الذي كان يكره الصلح ويفر منه ويكفر من مال إليه أو شارك فيه .

ولكننا لا نرى لابن السوداء ذكراً في أمر الخوارج . فكيف يمكن تعليل هذا الإهمال ، أو كيف يمكن أن نعال غياب ابن سبأ عن وقعة صفين وعن نشأة حزب المحيكة .

أما أنا فلا أعلل الأمرين إلا بعلّة واحدة ، وهي أن ابن السوداء لم يكن إلا وهماً ، وإن وُجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذي صورته المؤرخون وصوروا نشاطه أيام عثمان وفي العام الأول من خلافة عليّ ، وإنما هو شخص آخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم ولم يدخروه للخوارج لأن الخوارج لم يكونوا من الجماعة ولم يكن لهم مطمع في الخلافة ولا في الملك ، وإنما كانوا قوماً يتورون بكل خلافة وينتفضون على كل ملك ، ويحاربون الخلفاء والملوك ما وجدوا إلى حربهم سبيلاً ، ثم هم لم يكونوا حزباً باقياً متصلاً عظيم الخطر ولا سيما بعد أن انقضى عصر بني أمية ، وإنما ضعف أمرهم وفُلّ حدهم بعد أن تقدم الزمان بدولة بني العباس ، وبقي مذهبهم معروفاً بين المتكلمين ، ولكنه اتخذ في الحياة العملية أطواراً مختلفة قد نعرض لها في غير هذا الجزء من هذا الكتاب .

فلم يكونوا إذاً حزباً تحتاج خصومته إلى الجدال الشديد المتكلف الذي يُغَضّضهم إلى الناس ويذهب فيهم أصحاب التقى والورع ، كما كان أمر الشيعة الذين ظلوا ينازعون الملوك والخلفاء سياسة المسلمين إلى الآن .

أما البلاذري فقد رأينا فيما سبق من هذا الكتاب أنه لم يذكر ابن السوداء ولا أصحابه السبئية في أمر عثمان ، وهو كذلك لم يذكره في أمر عليّ إلا مرة واحدة في أمر غير ذي خطر ، إذ جاء علياً مع آخرين يسألونه عن أبي بكر

فردم رداً عنيفاً لأنما لهم على تفرغهم لمثل هذا ، على حين كانت مصر قد فتحت وقتلت فيها شيعة على .

وكتب على كتابا يذكر فيه ما صارت إليه الامور بعد تخاذل أهل العراق وأمر أن يقرأ هذا الكتاب على الناس لينتفعوا به .

قال البلاذرى : وكانت عند ابن سبأ منه نسخة صرفها ، وابن سبأ عند البلاذرى ليس ابن السوداء ، وإنما هو عبد الله بن وهب الهمداني .

والبلاذرى يروى هذا الخبر كله متحفظاً متوخياً للصدق ما استطاع ، وهو كثيراً ما يروى بعض الأحاديث ثم يُعقب عليها بما يُظهر الشك فيها ، لأنها من اختراع أهل العراق .

والواقع أن الخصومة بين الشيعة وأهل الجماعة قد اتخذت ألواناً من الجدل والإذاعة ونشر الدعوة بعد أن استقام الأمر لبني العباس ، كثر فيها المكر والكيده والاختراع ، بحيث يجب على المؤرخ المنصف أن يحتاط أشد الاحتياط حين يصور هذه الفتن في عهدهما الأول . وأى شيء أيسر من أن يكذب أهل الشام على أهل العراق ، ومن أن يكذب أهل العراق على أهل الشام ، ولا سيما بعد أن يمضي الزمن ويبعد العهد ، ويُصبح التحقق من الوقائع الصحيحة عسيراً .

والذين استباحوا لأنفسهم أن يضعوا الأحاديث على النبي وأصحابه لا يتحرجون من أن يستبيحوا لأنفسهم وضع الأخبار على أهل الشام والعراق ومؤرخ هذا العصر الذى نحاول تصويره بمتحن أعسر الامتحان وأشق من ناحيتين :

إحداهما ناحية القُصَّاص الذين كانوا يتحدثون بأمر الفتن في البصرة والكوفة فيرسلون خيالهم على سجيته ويتعصبون للقبائل المختلفة من العرب ، ولعلمهم كانوا يأخذون المال من أولئك وجولاء ليحسنوا ذكركم ويعظموا أمرهم ويذكروا لهم من المآثر ما كان وما لم يكن ، ويرووا في هذه المآثر من الشعر ما قيل وما لم يقل . ولذلك كان كل الناس شعراء يوم الجمل ويوم صفين ، ولذلك رُويت الأخبار التى لا تستقيم في العقل .

فذلك الفتى الذى أمره على برفع المصحف لأهل البصرة يوم الجمل ، يأخذ المصحف يمينه ، فإذا قطعت أخذه بشماله ، فإذا قطعت أخذه بأسنانه أو بمنكبيه حتى يُقتل .

ورجل آخر يُصرع وتصيبه ضربة قاتلة فينشد الشعر وهو محتضر يذم به هذا ويمدح به ذلك ؛ إلى غير ذلك من الأخبار والأشعار التى يظهر فيها التكلف والاختراع .

والناحية الثانية هى ما كان من أصحاب الجدل ، ومن أولئك الذين أمدوم بالأخبار والاحاديث يؤيدون بها مذاهبهم وآرائهم . ويزداد الامر فى هذه الناحية تعقيداً وعسراً لأنه يتصل بالدين ، فالجدال بين الفرق لم يكن عند القدماء جدالاً فى أمور الدنيا ، وإنما كان جدالاً فى أصول الدين وفيما يبنى عليها من الفروع . فكان من اليسير ان يتم المجادلون خصومهم بالكفر والفسق والزندقة والإلحاد ، وان يشنعوا عليهم ما شاء الله مما يصح لهم من الحديث والسير ، وما يُبتكر لهم ابتكاراً .

ومهما يكن من شئ فالبلاذرى لا يذكر ابن السوداء وأصحابه فى شئ من الفتنة أيام عثمان وأيام على . والطبرى ورواته الذين أخذ عنهم والمؤرخون الذين أخذوا عنه فيما بعد ، يذكرون ابن السوداء وأصحابه فى أمر الفتنة أيام عثمان وفى العام الاول من أيام على ، ثم ينسونه بعد ذلك ، والمحدثون وأصحاب الجدل متفقون مع الطبرى وأصحابه فيما ذهبوا إليه . إلا أن المحدثين وأصحاب الجدل ينفردون من دون الطبرى وأصحابه بشئ آخر ، فيزعمون ان ابن السوداء وأتباعه ألثموا علياً وأن علياً حرقهم بالنار ، ولكنك تبحث عن هذا فى كتب التاريخ فلا تجد له ذكراً ، فلما نعرف فى أى عام من اعوام الخلافة القصيرة التى ولها على كانت فتنة هؤلاء الغلاة ، وليس تحريق جماعة من الناس بالنار فى الصدر الاول للإسلام ، وبين جماعة من أصحاب النبى ومن صلحاه المسلمين ، بالشئ الذى يغفل عنه المؤرخون فلا يذكرونه ولا يوقتونه ، وإنما يهملونه إهمالاً تاماً .

وكل ما رواه المؤرخون هو ما ذكره البلاذري في حديث قصير وقع إليه  
عن أن قوما ارتدوا بالكوفة فقتلهم على ، وحكم الإسلام فيمن ارتدوا معروف  
وهو أن يستتاب فإن تاب حقن دمه ، وإن لم يقب قتل . فلا غرابة إذا في أن  
يقتل على نفرأ ارتدوا ولم يتوبوا إن صح هذا الخبر . وإن كان البلاذري  
لم يُسم أحدًا ولم يوقت لهذه الحادثة وقتًا ، وإنما رواها مطلقة إطلاق من  
لا يطمئن إليها .

فلندع إذا ابن السوداء هذا وأصحابه ، سواء أكان أمرهم وهما خالصا أم أمراً  
غير ذي خطر يُؤلخ فيه كيداً للشيعة ، ولنعُد إلى على وقد استقر بالكوفة ، وإلى  
المحكمة وقد استقرت بحروراء .

## (٢) من كتاب « فاطمة الزهراء والفاطميون » :

« مسألة الخلافة في يوم وفاة النبي إحدى المسائل التي طال فيها الجدل ولا يعسر  
على المنصفين أن يخرجوا من ذلك الجدل الطويل على رأى متفق عليه ، وذلك أن  
الخطر الأكبر في ذلك اليوم إنما كان من فتنة السقيفة : سقيفة بني ساعدة ، حيث  
اجتمعت قبائل الخزرج بزعامة شيخها سعد بن عباد ، تطلب الإمارة ، ثم أصبح  
لهم عويم بن ساعدة باختيار أبي بكر للخلافة فأعرضوا عنه ونسذوه ، ثم خطر  
لدى رأى منهم أن يقسمها شطرين : أمير من الانصار وأمير من المهاجرين ، وما  
برح سعد بن عباد على جلالة شأنه في قومه نفرأ من البيعة لأبي بكر بعد انعقادها  
وهو يأبى إلا أن « يستبد الانصار بهذا الأمر دون الناس فإنه لهم دون الناس » ...  
ثم أصر على ابائه حين انفض جمع السقيفة وجاءه الرسل يدعونه للبيعة فعاوده  
الغضب وقال لهم : « أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل ، وأخضب سنان  
رعي ، وناشدوه أن لا يشق عصا الجماعة فعاد يقول « إني ضاربكم بسيف ما ملكته  
يدي ، مقابلكم بولدي وأهل بيتي ومن أطاعني من قومي .. وإيم الله لو أن الجن  
اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي » .

ثم كان ثمة خطر لا يقل عن هذا الخطر في حاضره ولا في مقبته لو لم يعجل

له العاملون بما يقطع دابره ، وهو خطر الفتنة التي راح أبو سفيان يحضاً نارها بين عليّ والعباس ، وبين بني هاشم وسائري طون قريش ، يعد قوماً بنصرة بني أمية ونصرة قريش من ورانها ، ويوسوس لقوم آخرين بمثل هذا الوعد أو بمثل هذا الوعيد ، وما كان من همه أن ينصف بني هاشم ولا أن يؤيد الأنصار ، وإنما أراد الوقعة التي يخذلهم بها جميعاً ويخرج منها بالسيادة الأولى التي كانت له على قريش في الجاهلية .

وما من شك في خطر هذه الفتنة من أبي سفيان ولا في خطر تلك الفتنة من سقيفة بني ساعدة ، فالتحسنت الفتنة بانعقاد البيعة لأبي بكر ، ولم يطلبها ، بل كان مشتغلاً بدفن الرسول ، ودعى إلى السقيفة مرتين وهو لا يعلم فيم يدعى ويعتذر باشتغاله ويغضب لدعوته ، حتى هم عمر بمبايعة أبي عبيدة بن الجراح قبل أن ينشعب الجميع في السقيفة بين الخزرج والأوس والأنصار والمهاجرين ، وقبل أن تنجح المسعاة من أبي سفيان في خفائها ، وقد كاد أن يعلمها .

\* \* \*

وكان علي في تلك الساعة العصبية إلى جوار الجثمان الطاهر المسجى في حجرته فدخل عليه أبو سفيان قائلاً : « يا أبا الحسن ! هذا محمد قد مضى إلى ربه ، وهذا تراثه لم يخرج عنكم ، فابسط يدك أبايعك ! »

ويقول عمه العباس : « يا بن أخي . هذا شيخ قريش قد أقبل ، فامدد يدك أبايعك وياياعك معي . فأننا إن بايعناك لم يختلف عليك أحد من بني عبد مناف وإذا بايعك عبد مناف لم يختلف عليك قرشي ، وإذا بايعتك قريش لم يختلف عليك بعدها أحد من العرب . »

فيجيبه علي : « لا والله يا عم ! إنني لا أكره أن أبايع من وراء رتاج . »

ولقد كان أحكم في جوابه هذا من شيخ الدهاة من بني هاشم ، وشيخ الدهاة من بني أمية ، فاللخلاقة معدى عنه إن كانت ولاية عهد يعلمها جميع المسلمين ، وما للبيعة هناك جدوى إن تمت وراء رتاج ، وانشقت بعدما عصا المبايعين والمعارضين .



ولقد تمت البيعة على الوجه الذى عرفه التاريخ ، فان يكن هناك جدال فلا جدال بين المنصفين فى فضل الأئمة الذين أدركوا الفتنة قبل مسعاها من السقيفة ومسعاها من دارأبى سفيان ، ولا جدال بين المنصفين فيما ابتغوه من خير وحكمة ، فما ابتغى أبو بكر ولا عمر ولا أبو عبيدة نفعا لأنفسهم ، وما قصرُوا بعد يوم البيعة فى نصرة دينهم ، وما كان فى وسع أحد أن يبلى أجمل من بلائهم فى دفع الغائلة عن الإسلام من فتنة الردة ومن غارة الفرس والروم ، ولا أن يفتح للإسلام فى العراق والشام وفارس ومصر فتحا أعظم وأقرب مما فتحوه .

وآمن على بحقه فى الخلافة ، ولكنه أراد حقا يطلبه الناس ولا يسبقهم إلى طلبه ، ولم تمنعه البيعة لغيره أن يعينه بالرأى والسيف ويصدق العون لآبى بكر وعمر كأنه يعمل فى عون رسول الله وهو بقيد الحياة .

وقد اختلف الصديق والفاروق والإمام يوما أو أياما بعد وفاة النبي عليه السلام ، فمن شاء فليأخذ بحجة هذا ، ومن شاء فليأخذ بحجة ذاك ، ولكن الحجة الناهضة لهم جميعاً أنهم لم يسكدوا لأنفسهم ولا لذويهم ، ولم يقفوا دون الغاية فى خدمة دينهم ، ولم يحى أحد منهم حياة تريب فى صدقه وصدق طويته وحسن بلائه ، وما مات أحد منهم وله من الدنيا نصيب يأسى عليه .

وكانت السيدة فاطمة ترى حق على فى الخلافة ، أو ترى أن قرابة النبي أحق المسلمين بخلافته ، وأن بلاء على فى الجهاد وعلمه المشهود به يؤهلانه لمقام الخلافة ، وكان هذا رأى طائفة من الصحابة الصالحين ، أدهشهم أن يجرى الأمر على غير هذا المجرى ، فاجتمعوا عندها ، واجتمعوا فى غير بيتها ، يتشاورون فيما بينهم ، أيابعون أم يتخلفون ؟ ولم نطلع على رواية واحدة ذات سند يعول عليه ، ترى أحدهم يشق عصا الجماعة ، أو بالسعى فى تأليب الناس على نقض البيعة ...

من بحوث مجمع فتاوى الاول للغة العربية<sup>(١)</sup>

## مبعم ألفاظ القرآن الكريم

— ٩ —

ل س ن

لسان — السنة

السان

اللسان: يذكر ويؤنث ، ويجمع على السنة ، وألسن ، ولسن ، وجاء في القرآن  
مذكراً فقط : « وجع على السنة » .  
ويدل على المعاني الآتية :

١ — فاللسان هو العضو المعروف ، وأكثر ما جاء منه في الكتاب بهذا  
المعنى ، قال تعالى : « ألم نجعل له عينين ولساناً وشفقتين » ، ٩ / البلد . « يوم تشهد  
عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » ، ٢٤ / النور .

ويقال جرى هذا الكلام على لسان فلان أى نطق به ، ومنه قوله تعالى :  
« لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم » ، ٧٨ / المائدة .  
٢ — واللسان : الكلام أو القول ، لأنه يصدر عن اللسان .

وجاء من هذا قوله تعالى : « ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق  
عليها » ، ٥٠ / مريم ، أى ثناء جميلاً وذكرأ حسناً ، ومثله ٨٤ / الشعراء . « وهذا

(١) بإذن خاص من حضرة الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد رئيس المجمع .

كتاب مصدق لساناً عربياً ، أى قرآن مصدق لما سبقه من الكتب حالة كونه قولاً عربياً .

٣ — واللسان اللغة ، تقول : يحسن فلان اللسان الفارسي .

وقد جاء منه قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » ، ٤ / إبراهيم ومثله ١٠٣ / النحل ، ٩٧ / مريم ، ١٩٥ / الشعراء ، ٥٨ / الدخان .

وقال تعالى : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » ، ٢٢ / الروم ، أى اختلاف لغاتكم وأجناسكم ، وفسرت الألسنة هنا أيضاً بطرائق الكلام ومختلف الأصوات والنغمات التي يتميز بها الأشخاص ويعرفون .

## ل ط ف

تلطف - لطيف

تلطف في الأمر ترفق فيه .

ومنه قوله تعالى : « فليأتكم برزق منه وليتلطف » ، ١٩ / الكهف . أمروا بالتلطف حتى لا يعرفوا .

١ — ويقال لطف بفلان يلطف لطفاً ، رفق به وأحسن معاملته ، ويقال لطيف الله بعبده : أحسن إليه وأنعم عليه ، والاطيف صيغة مبالغة من هذا ، وهو من أسماء الله الحسنى ، أى كثير الإحسان لعباده والبر بهم ، ومنه قوله تعالى : « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » ، ١٩ / الشورى .

٢ — ويقال لطف للأمر : أحسن في التأني له وتدبير الوصول إليه في رفق وإحكام ، ويقال : الله لطيف لما يشاء ، أى يبلغ ما يريد في يسر وقدرة ، قال تعالى : « إن ربى لطيف لما يشاء » ، ١٠٠ / يوسف .

٣ — وأتى اللطيف ملازماً للخبير فيما عدا الموضعين السابقيين ، ومعناه البر بعباده المحسن إلى خلقه بإيصال المنافع إليهم في رفق ولطف .

قال تعالى : « فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير » ، ٦٣ / الحج . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ، ١٤ / الملك .

## ل ظ ي

لظى . تلظى

الظى لهب النار . ولظى : من أسماء جهنم سميت بذلك لشدة لهبها ، وقد جاء لظى لجهنم في قوله تعالى « كلا أنها لظى نزاعة للشوى » ، ١٥ / المعارج .

تلظت النار تلظى تلظيا : تلهبت واشتعلت .

وقد جاء هذا في قوله تعالى « فأندرتكم نارا تلظى » ، ١٤ / الليل . تلظى أصلها تلظى .

## ل ع ب

لعب . لعب . لالع

لعب يلعب لعب كسمع لعباً ولعباً ولعباً : ضد جد ، ولم يأت منه في الكتاب سوى الفعل المضارع ؛ ويدل على المعانى الآتية :

١ — فيقال لعب الطفل إذا أتى من الحركات والأعمال ما يسر به .  
ومنه قوله تعالى على لسان إخوة يوسف لأبيهم « أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون » ، ١٢ / يوسف .

٢ — ويقال لعب الرجل ، أتى بعمل للتسلية والاسترواح وقطع الوقت ،  
ومنه قوله تعالى « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب » ، ٦٥ / التوبة .  
أى كنا نقهر وقت السفر بأحاديث مسلية .

٣ — ويقال لعب الرجل ، هزل في أمره ولم يتحر الجد والحق ، وما جاء في القرآن من الفعل المضارع عدا الموضعين السابقين فهو بهذا المعنى .

قال تعالى « فذرهم في خوضهم يلعبون » ، ٤٢ / الماعارج . « أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحي وهم يلعبون » ، ٩٨ / الأعراف .

١ — وأتى اللعب مع اللهو في مواضع من الكتاب ومعناه الاشتغال بما لا يعقب منفعة ولا غناء فيه .

لظى

تلظى

لعب

لعب

ومنه قوله تعالى « وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو » ٣٢ / الأنعام .

٢ — وأتى كذلك مع الهزو في مواضع أخرى ، ومعناه الهزل في الأمر ، والسخرية منه ، وعدم الجد فيه ، قال تعالى « لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » ٥٧ / المائدة . ومثله ٥٨ / المائدة .

وأتى اسم الفاعل : اللاعب ، بمعنى الهازل غير المتحرى للجد والحق في قوله تعالى : **لاعب** « قالوا أجتنا بالحق أم أنت من اللاعبين » ٥٥ / الأنبياء . وجاء كذلك بمعنى عدم القصد إلى غرض وحكمة معينين في قوله تعالى : « وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين » ٣٨ / الدخان ومثله ١٦ / الأنبياء .

## ل ع ل

### لعل

**لعل** حرف يدخل على الجملة فيفيد المعاني الآتية :

١ — فيكون لترجي المتكلم للأمر المرغوب فيه وتوقعه أن يكون .

تقول : **لعل** الله ييسر أمري ويؤتيني سؤلى .

وقد جاء من هذا قوله تعالى « إني آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس » ١٠٠ / طه .

« وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب » ٣٦ / غافر .

« لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون » ٤٦ / يوسف

٢ — وتكون لتوقع الشيء المخوف والإشفاق منه أن يكون ، تقول **لعل** أمراً يسوءنى .

وقد جاء في هذا قوله تعالى « وإن أدري لعله فتنة لكم ومضاع إلى حين »

١١١ / الأنبياء .

٣ — وتكون لبيان أن الأمر محتمل الوقوع ، وهو مما يرغب فيه ، وتشرئب النفوس إليه بقطع النظر عما يكون عند المتكلم من علم بوقوعه أو عدم

وقوعه ، وإنما يعرضه في معرض المتردد فيه المؤمل لإطاعا للسامع وإلهابا لشوقه إليه ليحقق معنى الرجاء عند السامع .

وقد جاء من ذلك قوله تعالى : « اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » ، ٢١ / البقرة . ولقد نصركم الله بيدرو وأنتم أذلة فائقوا الله لعلكم تشكرون ، ١٢٣ / آل عمران . « وما يدريك لعله يزكى ، ٣ / عبس وكل آية مما أسند فيه الرجاء إلى الله تعالى فهى على هذا المعنى .

٤ — وتأتى فى الشيء يبلغ أن يكون مخوفا يشفق منه المشفقون ويفزع منه الفرقون وإن كان المتكلم بريئا من ذلك لا يعرفه إشفاق ولا خوف وإنما هو عرض للأمر فى صورة ما يفرق منه ويخاف ، تنفيراً من موجه .

وقد جاء من هذا قوله تعالى : « فلعنك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك ١٢ / هود . فلعنك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ، ١٦ / السكف .

## ل ع ن

لعن . لعنا . لعنة . لا عن . ملعون

لعن كنع . يلعن لعنا ، طرد وأبعد أو شتم وسب والامس اللعنة واللعان واللعانية واسم الفاعل لاعن واسم المفعول ملعون .

١ — وأتى الفعل فى القرآن مسنداً إلى الله تعالى عدا موضعين ومعنى لعنه الله : طرده من رحمته وسخط عليه أو حرمة التوفيق اطاعته فى الدنيا وعاقبه فى الآخرة .

قال تعالى « وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم » ، ٨٨ / البقرة .

وقال « أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً » ، ٥٢ / النساء .

وقال « وبنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كئيراً » ، ٦٨ / الأحزاب .

وقال « أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت » ، ٤٧ / النساء . وفسر بعضهم اللعن

فى هذه الآية بالمسح . والمعنى الأعم أقرب .

٢ — وأتى مبنيًا للمجهول كذلك ومنه قوله تعالى « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا » ٦٤ / المائدة .

٣ — وأسند الفعل إلى غير الله ومعناه سب وشتم ، أو استنزال اللعنة من الله قال تعالى « كلما دخلت أمة لعنت أختها » ٣٨ / الأعراف .

وقال « ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا » .

٢٥ / العنكبوت .

وأنى المصدر في قوله تعالى « ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعبا كبيرا » لعن

٦٨ / الأحزاب .

وأنى الاسم : لعنة ، منكرا ومعرفا بال ومضافا إلى الله أو ضميره ، ومعناه غضب لعنة الله والطرده من رحمته .

قال تعالى « وانبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة » ٦٠ / هود .

وقال « وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين » ٣٥ / الحجر .

وقال « فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين » ٤٤ / الأعراف

وقال « أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »

٨٧ / آل عمران .

وقال « وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين » ٨٧ / ص .

وأنى اسم الفاعل مجوعا في قوله تعالى « أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » لاعن

١٥٩ / البقرة .

وأنى اسم المفعول مؤنثا في قوله تعالى « والشجرة الملعونة في القرآن » ملعون

٦٠ / الإسراء . أى المذمومة وهى شجرة الزقوم التى وصفت فى الكتاب بأنها طعام الآثيم .

ومجوعا في قوله تعالى « ثم لا يحاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا

أخذوا وقتلوا تفتيلا » ٦١ / الأحزاب أى مبعدين من رحمة الله .

## ل غ ب

لغِب يَلْغِب لَغْبًا وَلَغُوبًا . كَتَعَ وَسَمِعَ وَكَرَّمَ : أَعْيَا أَشَدَّ الْإِعْيَاءِ  
وَأَدْرَكَه كَلَالٌ وَتَعَبٌ وَفَقْرَةٌ .

لغوب ٣٥ / فاطر . « وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا  
مِنْ لُغُوبٍ » ٣٨ / ق . « أَيْ لَا يَمَسُّنَا تَعَبٌ وَلَا مَا يَنْجُمُ عَنْهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالْكَلَالِ .

## ل غ و

لغَا يَلْغُو وَيَلْغِي لَغْوًا : تَكَلَّمَ ، أَوْ أَتَى بِالسَّقَطِ وَمَا لَا يَنْبَغِي مِنْ قَوْلٍ وَغَيْرِهِ ،  
وَلَغَا فِي الْقَوْلِ كَسَمَى وَدَعَا وَرَضَى ، لَغَا وَلَاغِيَةً وَمَلَاغَةً . أَخْطَأَ أَوْ خَلَطَ عَلَى الْقَارِي .  
ومنه قوله تعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ »  
٢٦ / فصلت ، أَيْ ارْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْخُرَافَاتِ وَالْهَذْيَانِ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ حَتَّى تَخْلُطُوا  
وَتَهْوِشُوا عَلَى الْقَارِي .

لاغية ١١ / الغاشية ، أَيْ لَغَوْا .  
فهو مصدر ، أَوْ كَلِمَةٌ أَوْ نَفْسًا لَاغِيَةً فَيَكُونُ اسْمُ الْفَاعِلِ وَصَفًا لِلْكَلِمَةِ أَوْ الْمُتَكَلِّمِ  
وَيَجِيءُ اللَّغْوُ لِمَا يَأْتِي :

١ — مَا لَا جَدْوَى فِيهِ وَلَا طَائِلَ تَحْتَهُ ، وَمَا تَوَجَّبَ الْمُرُوءَةَ لِطَرَاخِهِ ،  
أَوْ هُوَ كُلُّ كَلَامٍ قَبِيحٍ ، قَالَ تَعَالَى : « وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ » ٣ / الْمُؤْمِنُونَ  
وَقَالَ : « وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا » ٧٢ / الْفُرْقَانِ ، أَيْ كَفُّوا عَنِ الْمَزَلِ  
أَوْ الْقَبِيحِ وَلَمْ يَصْرَحُوا ، أَيْ إِذَا صَادَفُوا أَهْلَ اللَّغْوِ لَمْ يَخُوضُوا مَعَهُمْ فِي لُغْوِهِمْ  
وَقَالَ : « يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْنِيهِ » ٢٣ / الطُّورِ ، أَيْ لَا يَتَكَلَّمُونَ  
أَتْنَاءَ الشَّرْبِ بِسَقَطِ الْحَدِيثِ وَلَا يَسْفِهُونَ وَلَا يَعْرِبِدُونَ .

٢ — وَاللَّغْوُ فِي الْإِيمَانِ مَا لَا عَقْدَ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ مَا يَجْرَى عَلَى اللِّسَانِ مِنْ  
غَيْرِ قَصْدِ الْإِيمَانِ ، كَقَوْلِ الْعَرَبِ : لَا وَاللَّهِ ، وَبَلَى وَاللَّهِ .

ومنه قوله تعالى : « لَا يُوَازِئُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ » ٢٢٥ / الْبَقَرَةِ ، ٨٩ / الْمَائِدَةِ .



## ل ف ت

**لفت** لفته عن الشيء يلفته لفتنا صرفه عنه ، يقال : ما لفتك عن رأيك ؟  
وقد جاء من هذا قوله تعالى : قالوا أجنثنا لنلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا .  
٧٨ / بونس .

**التفت** التفت يأتى لمعنيين .

( أ ) يقال التفت الرجل تثبط وتثاقل في السير مأخوذ من قولهم : سار فلان فما التفت أى مضى قدما ولم يتخاف عن السير إذ أن من يلفت لا يخلو عن أدنى وقفة .

ومنه قوله تعالى : فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلفت منكم أحد ،  
٨١ / هود ، واتبع أدبارهم ولا يلفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون ، ٦٥ / الحجر

( ب ) ويقال : التفت الرجل : أمال وجهه ونظره يمنة أو يسرة أو إلى وراء ..  
وفسر التفت في الآيتين السابقتين بهذا المعنى . قيل نهوا عن الالتفات بأبصارهم لئلا يروا ما حل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وهم ليسوا أهلا للركة عليهم وليوطئوا نفوسهم على المهاجرة ولا يتحسروا على ما خلفوا

## ل ف ح

لفحه يلفحه لفتحاً ولفحاً ضربه ، ولفحته النار أحرقتها ؛ وقد جاء من هذا  
قوله تعالى : : تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ، ١٠٤ / المؤمنون

## ل ف ظ

**لفظ** لفظ الشيء يلفظه لفظاً : رعى به ، ويقال لفظ القول ولفظ بالقول : نطق به .  
وقد جاء من المعنى الثانى قوله تعالى : ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ،  
١٨ / ق

## رجاء من التقريب

إلى الكتاب والباحثين

١ - نرجو من الكاتب الإسلامى أن يحاسب نفسه قبل أن يخط أى كلمة ، وأن يتصور أمامه حالة المسلمين وما هم عليه من تفرق أذى بهم إلى حضيض البؤس والشقاء ، وما تتج عن تسمم الأفكار من آثار تساعد على انتشار اللادينية والإلحاد .

٢ - ونرجو من الباحث المحقق - إن شاء الكتابة عن أية طائفة من الطوائف الإسلامية - أن يتحرى الحقيقة فى الكلام عن عقائدها ، وألا يعتمد إلا على المراجع المعتبرة عندها ، وأن يتجنب الأخذ بالشائعات وتحميل وزرها لمن تبرأ منها ، وألا يأخذ معتقداتها من مخالفيها .

٣ - ونرجو من الذين يحبون أن يجادلوا عن آرائهم أو مذاهبهم أن يكون جدالهم بالتي هي أحسن ، وألا يجرحوا شعور غيرهم ، حتى يمهّدوا لهم سبيل الاطلاع على ما يكتبون ، فإن ذلك أولى بهم ، وأجدى عليهم ، وأحفظ للوادة بينهم وبين إخوانهم .

٤ - من المعروف أن سياسة الحكم والحكام ، كثيراً ما تدخلت قديماً فى الشؤون الدينية ، فافسدت الدين وأثارت الخلافات لا لشيء إلا لصالح الحاكمين وتثبيتاً لأقدامهم ، وأنهم سخّروا - مع الأسف - بعض الأقلام فى هذه الأغراض ، وقد ذهب الحكام وانقرضوا ، بيد أن آثار الأقلام لا تزال باقية ، تؤثر فى العقول أثرها ، وتعمل عملها ، فعلينا أن نقدر ذلك ، وأن نأخذ الأمر فيه بمنتهى الحذر والحيلة .

\* \* \*

وعلى الجملة ، نرجو ألا يأخذ أحد القلم ، إلا وهو يحسب حساب العقول المستتيرة ، ويقدم مصلحة الإسلام والمسلمين على كل اعتبار .

## من القانون الأساسى لجماعة التقريب

### المادة الثانية

أغراض الجماعة هى : -

أ - العمل على جمع كلمة أرباب المذاهب الإسلامية ، الطوائف الإسلامية ، الذين باعدت بينهم آراء لا تمس العقائد التى يجب الإيمان بها .

ب - نشر المبادئ الإسلامية باللغات المختلفة وبيان حاجة المجتمع إلى الأخذ بها .

ج - السعى إلى إزالة ما يكون من نزاع بين شعبين أو طائفتين من المسلمين ، والتوفيق بينهما .

## فهرس

كلمة التحرير . . . . .	٢٢٧
تفسير القرآن الكريم . . . . .	٢٣١
الديمقراطية الصحيحة . . . . .	٢٤٨
البسمة في فاتحة الكتاب وغيرها . . . . .	٢٦٤
أدب الأندلس ، أدب مشرق . . . . .	٢٧٥
الحريية الإسلامية [ والقوانين الوضعية بمصر ] . . . . .	٢٨٢
قال شيخى . . . . .	٢٨٩
لكن قال شيخى . . . . .	٣٠١
استقبال بعض علمائنا [ لطلائع الحضارة الأوربية ] . . . . .	٣٠٧
من أعلام الإسلام: أبو عبد الرحمن السلمى . . . . .	٣١٢
أنباء وآراء . . . . .	٣١٨
مجم ألقاظ القرآن الكريم . . . . .	٣٢٦
رجاء من التفرير . . . . .	٣٣٤
من القانون الأساسى لجامعة التفرير . . . . .	٣٣٥

## رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ

مجلة إسلامية عالمية  
تصدر عن دار التفرير بين المذاهب الإسلامية بالعراق

رئيس التحرير: محمد محمد المدينى مدير الإدارة: عبد العزيز محمد عيسى  
الإدارة: ١٩ شارع حشمت باشا بالزمالك. القاهرة - تليفون ٥٨٩٨٤  
قمة الاشتراك عن سنة في البلاد العربية خمسون قرشاً ومصرياً  
وفي أمريكا أربعة دولارات وفي البلاد الأخرى ليرة إنجليزية

# رسالة الإسلام

مجلة إسلامية عالمية

تصدر عن دار البقريّة بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة

المسكنة الخامسة  
العدد الرابع

صفر ١٣٧٣ هـ  
أكتوبر ١٩٥٣ م

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً  
وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ  
”قرآن کریم“

## كَلَامُ النُّحُورِ

ألفاظ كثيرة حُرِّفَتْ عن مواضعها ، وفُهِمَتْ على غير وجهها ، وما زال أهل العلم ، وأرباب الحصافة والفهم ، في جهاد مع الناس فيها ، يجادلونهم عنها ، ويردّونهم إلى الله ورسوله في شأنها ، ولكنها مع ذلك تجاوزت إلينا القرون بعد القرون ، حتى كأن أحداً من المسلمين لم يَعْلَمْ علّتها ، ولم يكشف عن مواطن الزيف فيها ، ذلك بأن الحلفَ المعادى للإسلام من الجهل والكيد والفتنة وإعجاب كل ذي رأى برأيه ؛ قد وقف للمسلمين بالمرصاد ، وأرجف عليهم بخيله ورجله ، وما بثه من روايات مدخولة ، وآراء مأفونة ، وما حرص عليه من بلبلة الأفكار وزلزلة العقول ، وإفساد الحقائق بالأوهام ، فطالت المعركة بين الحق والباطل ، وتعددت ميادينها ، وكانت الحرب فيها سجالاً بين المصلحين والمفسدين في كل شعب وفي كل زمان .

\*\*\*

فن ذلك لفظ : « الإيمان » .

إن بعض الناس يظنه ذلك الإذعان السلبي الصامت الذي لا يسكلف صاحبه عملاً ، ولا يبعث في قلبه خشية ، ولا يؤثر في خلقه تهديداً ، ولا يدعو إلى مشاركة في برٍّ ، أو معاونة على إصلاح أو خير ، إنما قصاره في نظره أن يؤدي صُورَ العبادات المفروضة ، ويحرص على المظاهر الجوفاء ، ويتشدد بكلام أهل التقى والصلاح ، ويراقى بالخشية أحيانا ، وبالعبثية أحيانا ، ولا يبدو إلا في زِيَّ المصلحين ، وأسْمَتِ المتقين .

يظن بعض الناس أن مثل هذا الإيمان مقبول عند الله ، مُوَصَّل إلى النجاة ، وهم يتلون الكتاب ، ويعرفون ما وصف الله به عباده المؤمنين في كثير من آياته .

فالقرآن يعرف المؤمنين مستيقنين غير مرتابين ، ويعرفهم مجاهدين صابرين ، ويعرفهم أصحاب رأى ، وأهل غيرة على المجتمع ، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويعرفهم متحابين لم يفسد قلوبهم الغل ، ولم تفرقهم الأهواء ، ويعرفهم أقوياء في الحق ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ويعرفهم خاشعي القلوب ، غير مستكبرين على أمر الله ، إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، ويعرفهم حراساً بإقامة الصلاة على توطيد صلتهم بربهم ، وبإيتاء الزكاة على تحصين كرائم أموالهم ، ويعرفهم بغير ذلك من أوصاف الخير والبر التي لا صلاح إلا بها ، ولا استقامة إلا عليها ، أولئك هم المؤمنون حقا ، في نظر القرآن ، وأولئك هم المفلحون .



ومن الناس من يخطئ في فهم بركات الإيمان ، حين يقرأ مثل قوله تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السموات والارض » فيظن أن الله يجازي قوما من خلقه لمجرد انتسابهم للإيمان ، ويخذل فريقاً من خلقه لمجرد أنهم منسوبون إلى الكفر ، وقد أصيب المسلمون من جراء هذا الوهم الذي سيطر على كثير من العامة في مختلف الشعوب بمصائب جمة ، حيث سهل عليهم أن يفرطوا فيما أمروا به من أخذ الآهبة ، وإعداد العدة ، والتمسك بأسباب القوة ، اعتماداً على ما يسمونه « الأمل في وجه الله » والثقة في نصره للمؤمنين ، حتى لقد حدثنا التاريخ أن شعباً من المسلمين كان يستغيث من شدة الأعداء ، ببركات الأولياء ، وأن قوما آخرين قابلوا صولة عدوهم الضاري ، بالاجتماع لفراة « البخارى » .

هذا مع أنهم أيضاً يتلون كتاب الله ، ويعلمون منه أن للنصر أسباباً ، وللخذلان أسباباً ، وأن سنة الله في خلقه جارية على أن يربط بين الأسباب ومسبباتها ، ولذلك



أمرنا بأن نكون أقوىاء لنُرهَب عدوَّ الله وعدونا ، وألا تتنازع فنفسل وتذهب ربحنا ، وأن نذكر الله ليدكرنا ، وننصره لينصرنا ، اذكروني أذكركم .  
، وأوفوا بعهدي أوفٍ بعهدكم ، . . . ولينصرن الله من ينصره . .

هذه وأمثالها تعاليم القرآن ، ووصاياہ التي يزجها لأهل الإيمان ، ولكن الناس مع هذا متأثرون بما ذُيِّف عليهم من أقوال ، وخيَلٍ لآلِهِم من أوْهام ، ولو كان من مقتضيات الإيمان كما يزعمون ، أن نهزل وأعداؤنا جادون ، وأن نكتفي بالآمال الختماء وأعداؤنا جاملون ، وأن ننظر خوارق السماء ، ونحن عما يحزره الله لنا في الأرض معرضون ؛ لما كان الإيمان - وحاشاه أن يكون - إلا فكيهة يختص بها المؤمنون .

\*\*\*

ومن الكلمات التي حرّفتْ عن مواضعها كلمة « الصبر » : لقد ذكر الصبر في كتاب الله عز وجل أكثر من تسعين مرة ، عرّف الله فيها عباده بشمراته الطيبة ، وما له من عاقبة حسنة في الدنيا والآخرة ، وأنه أساس من أسس الدين وينبوع لكثير مما سواه من الأخلاق الفاضلة ، والصفات الشريفة .

فما هو الصبر ؟ أهو الاستسلام والخضوع وقبول النكبات والمصائب قبول الترحيب والرضا ؟ أهو الركود والبلادة والإقامة على الضيم ، والإذعان للخصف ؟ كذلك تصوّره الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، وكذلك صوروه للناس ، فرضى الفقير بفقره باسم الصبر ، ورضى المريض بمرضه باسم الصبر ، ورضى الدليل بذله باسم الصبر ، ورضى المظلوم بظلمه باسم الصبر .

والشعوب وما أدراك ما الشعوب ! لقد أضلّوها السيل ، فعدّوها أن السلطان الجائر قضاء وقدر ، فيجب أن يُصَبَّر عليه ، وأن الحكومة الظالمة مظهر من مظاهر التأديب الإلهي ، فعلمهم أن يتقبلوها بالرضا ، وأن الفقر والغنى قسمة ونصيب لا فسكك منهما ، ولا إرادة لأحد فيهما ، وهكذا أضعفوا الهمم ، وثبّطوا العزائم ، وأدخلوا في روع الناس ان الصبر واليأس لفظان مترادفان ! .

فهل هذا هو الصبر الذى يعرفه القرآن ؟ وهل يمكن أن يكون الله تعالى قد أراد هذا المعنى حين أمر عباده بالصبر وأثنى عليه ، ورغب فيه ، وضمن حسن عاقبته ، وأعلن أنه يحب أهله ، وأنه سيوفيه أجورهم بغير حساب ... الخ .  
لا ورب البيت ! فما كان الصبر الذى يعرفه القرآن ، ويأمر به منزل القرآن ، إلا خلاقاً عملياً يهدى إلى الأعمال الصالحة ، وتقوى به النفوس المؤمنة .

إن الصبر حقاً هو مجاهدة النفس وحبسها عن الضجر والتبرم ، ولكن مع اطراد العمل والسعى وعدم الانكماش والانكسار ، ولذلك كان الصبر هو المعنى الباطن فى كثير من الأخلاق العملية ، والصفات الإيجابية ، وإن عبر عنها بأسماء أخرى : فالشجاعة هى الصبر على مكاره الجهاد ، والجود هو الصبر على بذل المال والمعروف ، والكتان هو الصبر على المثيرات والمحفظات . وهكذا .

إن الإنسان بالصبر يكون شبيهاً بالآلة القوية المثينة الصنع ، الاضلية فى مادتها وتركيبها ، إذا اعتراها خلل لم تسارع بالوقوف والتعطل ، ولكنها تقاوم بقوتها ، وتستمر فى عملها ، وتحتمل ، أما تلك الآلة الضعيفة الخفيفة الضئيلة الرخيصة التى تتعطل لأوهم الأسباب ، وتقف عند أول احتكاك ، فما أشد تفاهتها ، وما أشبهها بذلك الإنسان المترفع الناعم الذى لا يعمل ولا يشمر إلا إذا كانت الحياة على ما يحب من الاستقامة والاطراد ، وهيئات أن تستقيم الحياة أو تطرد على ما يحب الناس ، ولو كانوا من الأنبياء المرسلين ، أو من الأتقياء الصالحين .

وقد قص الله علينا قصة داود وجالوت حين احتربا ، وكان جالوت على الباطل ، وداود على الحق ، فلما رأى أصحاب داود ما عليه جالوت وأصحابه من القوة والكثرة ، وقال قائل منهم : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، قال الذين يظنون أنهم ملائكة الله - وهم الصابرون على أمر الله ، الماضون لما ندهم إليه - : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين .

لم تهلكهم الكثرة الساحقة ، ولم تذهلهم القوة التى تبدو ما حقة ، ولم يتعللوا بعدم التكافؤ فيعودوا من حيث أتوا ، ناكسين على أعقابهم ، ملتوين عن قصدهم ،

ولكنهم مضوا في طريقهم عالمين أن القوة إنما هي قوة الأرواح ، لا قوة الأشباح ، وأن القلة المتعاسكة خير من الكثرة المتفككة ، وأن الله مع الصابرين ، وبذلك انبعثوا ، فلم يكن صبرهم رضوخاً ولا استسلاماً ، وإنما كان شجاعة وإقداماً . ولما برزوا لجالوت وجنوده ، لم يغتروا ، ولم ينسوا ربهم ، ولم يغفلوا عن تقوية أنفسهم بدهاته ، والاعتماد على قوته ومعونته ، والتوثق بنصره وتأيدته ، ولكن قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ، فهزموم بإذن الله ، وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك والحكمة . وكذلك يحزى الله الصابرين .

\*\*\*

هذا هو حظ الإيمان ، وه الصبر ، من تحريف المحرفين ، ولا نكاد نعرف لفظاً من الألفاظ الإسلامية التي أرادها الله للناس خيراً ورشاداً وإصلاحاً ، إلا وقد أصابه مثل هذا التحريف : التقوى ، التوكل ، الزهد ، الصلاح ، القضاء ، القدر ، بركات الطاعة ، شؤم المعصية ، التعبد بتلاوة القرآن ، الاستشفاء بآيات القرآن ، الرقي ، التعاويذ ، الاستخارة ، التوسل ، التبرك بالأولياء ... الخ .

كل هذه ألفاظ ذات حقائق في الشريعة تتفق وما جاءت به من عقائد صحيحة ، وأحكام راشدة ، ولكن الناس حَرَّفوها عن مواضعها ، ولعلّ أوفق إن شاء الله إلى جمعها وتحريرها وبيان الحق فيها بياناً يشفي صدور العامة والخاصة من المؤمنين ، والله المستعان ، وبه التوفيق .

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين ، »

محمد محمد علي

# نَفْسِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ

لِحَصْرَةِ رَاجِبِ الْفَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ الْجَلِيلِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَلُوثٍ

## سُورَةُ الْمَائِدَةِ

— ٥ —

خلاصة ما سبق فيما تضمنه النداء الثالث من نداءات سورة المائدة : نعمة الله على عباده - ( مواثيق الله مع الناس ) ميثاق الاعتراف بالربوبية - ميثاق الطاعة والامثال بمقتضى الإيمان - ميثاق الأنبياء على البلاغ وتصديق بعضهم لبعض - ميثاق بنى آدم باتباع الهداية ، وترسم الرسالات الإلهية - ( المواثيق الخاصة ببعض الأمم ) ميثاق بنى اسرائيل - ميثاق أمة الإجابة لمحمد - ميثاق الله على نفسه - عهد الله للأولين هو عهده للآخرين - خطة إلهية واحدة لانسانية في قديعها وحديثها واحدة - النداء الرابع ( ما يشتمل عليه هذا النداء ) القوامية لله ، وأثرها في السموبالإنسان - القيام بالقسط وحمايته ولو بالقوة - العدل مع الصديق والعدو - اجمال مواطن الأمر بالعدل في القرآن - النداء الخامس : روايات المفسرين عن سبب نزول آيته - الآية تذكر بوقائع الاعتداء على المؤمنين عامة - وعمومها يشمل الأولين والآخرين إلى يوم الدين - عناية القرآن بتذكير المؤمنين بحوادث النصر - سر هذه العناية - موازنته بين نصر الله للمؤمنين وخذلانه للمكذبين والمخالفين - النداء السادس : لهذا النداء مكانة خاصة على ما قبله وما بعده من نداءات السورة - ما يأمر به هذا النداء هو ملاك الأمر كله - تنذيل الأوامر القرآنية بالأمر بالقوى - ما يدل عليه ذلك من المعنى المقصود للقوى - الوسيلة والمراد منها في هذه الآية .

خلاصة ما سبق فيما تضمنه النداء الثالث من نداءات سورة المائدة :

تكلمنا في العددين السابقين على ما تضمنه النداء الثالث مما يجب على المؤمن

أن يقوم به إذا أراد الصلاة ، وكان من ذلك أولاً - بيان أعضاء الوضوء وأعماله .  
 وثانياً : التطهر عند حصول الجنابة . وعرضنا في هذا الموضوع إلى تحقيق الموجب  
 للغسل في تلك الحالة ، وخرجنا منه بترجيح مذهب الجمهور وهو : أن مجرد الالتقاء  
 الوارد في الحديث المشهور موجب للغسل حصل انزال أم لم يحصل انزال ، كما  
 عرضنا إلى أن مصدر وجوب الإغتسال على المرأة من الحيض ، إنما هو السنة  
 الصحيحة ، وأن القرآن لم يشر في قليل ولا كثير إلى وجوب التطهر منه ، وقلنا  
 في هذا المقام إن « السنة » مصدر مستقل في بيان الأحكام التي لم يعرض لها القرآن  
 اثباتاً أو نفيّاً ، على أنه مما لا يقبل من أحد خلافه أن السنة تلحق ما لم يعرض  
 القرآن لحكمه بما عرض له القرآن متى وجد المعنى الذي لأجله كان الحكم  
 القرآني في الملاحق به .

عرضنا لهذا ، وعرضنا لبديلة التراب أو الصعيد الطاهر عن الماء ، وبيننا  
 سر هذه البدلية ، وما تدل عليه من المعاني التي تتصل بالطهر النفسي ، واستبقاء  
 دوافع الامتثال فيما كلف به المؤمن من عملية الطهارة المطلوبة للصلاة . وتكلمنا  
 بوجه خاص على الأسباب المبيحة للتييم وما تدل عليه الآية مع وقفة في المقارنة  
 بين ما اشتهر في المذاهب الإسلامية في هذا الموضوع وما يستفاد من الآية بمقتضى  
 أسلوبها ، وبمقتضى ما عرف في الشريعة من الأسباب المبيحة للترخص ، وأشرنا  
 إلى كلام الفقهاء في نواقض الوضوء وما تشير إليه منها آية التيمم ، وبيننا مواضع  
 اتفاقهم ، ومواضع اختلافهم مع الإشارة إلى ترجيح ما رأينا ترجيحه من مواضع  
 الاختلاف في تلك النواقض ، وقد ختم هذا النداء بإرشادين ، لكل منهما أثر كبير  
 في توجيه المؤمنين إلى التزام ما شرع الله من أحكام يطهر بها النفوس ، ويتم  
 بها النعمة دون إرهاق ولا إعنات .

تضمن أول الإرشادين قوله تعالى « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ،  
 ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

وتضمن ثاني الإرشادين قوله تعالى بعد « واذكروا نعمة الله عليكم

وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور .

### نعمة الله على عباده :

يذكركم بأمرين : نعمة الله عليهم ، وميثاقه وعهده الذى عاهدكم به ، والله على المؤمنين نعم عامة تشملهم وتشمل غيرهم ، وهى نعم الخالقية ، ونعم الربوبية ، وتنظم نعمة الخلق والتكوين ، ونعم التربية البدنية والعقلية ، ونعم تسخير ما خلق فى السموات والأرض وما بينهما لمصلحة الإنسان ، وقد أشار القرآن فى جميع سورة إلى تفصيل كثير من هذه النعم . هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سنوات وهو بكل شئ عليم . ولقد يمكنكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ، وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ، وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ ، فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه ، انظروا إلى ثمرة إذا أثمر ويتبع إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ، خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، اقرأ هذه الآية وما بعدها من سورة النحل إلى قوله تعالى : وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ثم ارجع واقرأ من قوله تعالى : والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآية لقوم يسمعون ، إلى قوله : يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ، واقرأ فى سورة الروم من قوله تعالى : ومن آياته أن خلقكم من تراب ، ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، إلى قوله : وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

اقرأ هذا وأمثاله وهو كثير فى القرآن ، وتدبر ما تدل عليه الآيات ،

وما يحيط بك من عناصر هذا الكون وأفاعيلها في نفسك لتعرف مقداره ، أو لينفتح لك باب من أبواب المعرفة بنعمة الله عليك وعلى الناس وعلى الخلق أجمعين ، وعلى المؤمن بعد ذلك الذى أجاب دعوة محمد ، ونزع نفسه من الشرك والوثنية أن ينظر فيما أنعم الله به عليه من نعمة الإيمان والهداية ، ونعمة النصرة على الأعداء ، ونعمة الاتحاد والاعتصام ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأوأكم وأيدكم بنصره وورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون .

#### ( مواثيق الله مع الناس ) ميثاق الاعتراف بالربوبية :

وكما لله على عباده المؤمنين نعم عامة وخاصة ، له مع عباده أنواع من المواثيق أخذ بعضها على نفسه ، وأخذ بعضها عليهم . أخذ عليهم ميثاق الإيمان بوجوده ، والاعتراف بحالقيته ، وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفهللكننا بما فعل المبطلون ؟ وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون ، (١) وبمقتضى هذا العهد قالوا في جواب : من خلق السموات والأرض ؟ خلقهن الله .

#### ميثاق الطاعة والامتنال بمقتضى الإيمان :

أخذ عليهم ميثاق الإيمان على القيام بالاحكام ، والطاعة والامتنال ، ويتجلى هذا في جميع التكاليف التى مهد لها بالنداء بوصف الإيمان ، « يأياها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، « يأياها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ، « يأياها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ، (٢) وهكذا إلى آخر ما تراه في القرآن من نحو هذه الآيات الدالة على أن الإيمان يقتضى العمل بالاحكام .

### ميثاق الأنبياء على البلاغ وتصديق بعضهم لبعض :

أخذ على الأنبياء ميثاق البلاغ ، وميثاق تصديق بعضهم لبعض ، وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، (١) وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ، (٢) وأخذ على العلماء الميثاق على بيان الأحكام وما أنزل الله ، وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون ، (٣)

### ميثاق بني آدم بانباع الهداية ، وترسم الرسالات الإلهية :

وأخذ الميثاق على بني آدم جميعاً بانباع هدايته وترسم رسالاته ، يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، (٤) قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فأما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، (٥)

### ( الموائيق الخاصة ببعض الأمم ) ميثاق بني اسرائيل :

وكما أخذه عاماً على بني آدم ، أخذه خاصاً على بعض الأمم ، فعلى بني اسرائيل ، وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا ، (٦) ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزتموه وأقرضتم الله قرضاً حسناً لا كفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ، (٧)

(١) آل عمران ٨١ (٢) الأحزاب ٧ (٣) آل عمران . آية ٨٧ (٤) الآية ٢٥٠ من سورة الأعراف (٥) الآية ١٢٤ سورة طه (٦) الآية ٩٣ من سورة البقرة . (٧) الآية ١٢ من سورة المائدة .



### ميثاق أمة الإجابة لمحمد :

وعلى أمة الإجابة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى وانقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور، (١) . وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك العهد على الرجال والنساء بالسمع والطاعة ، وذكر الله تعالى في كتابه عهد النساء في سورة الممتحنة ، يأبىها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفتريته بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ، (٢) وقد جاءت الأحاديث بعهد الرجال على السمع والطاعة في المنشط والمكروه والعسر واليسر ، وحمايته ونصرته بما يحمونه من أنفسهم وأولادهم .

### ميثاق الله على نفسه :

أما ميثاق الله على نفسه فهو ميثاق النصرة ، والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة وقد جعل الوفاء به مشروطاً بوفاء العبد بميثاقه ، ومرتباً على قيامه بما طلب منه ، وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم ، والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة أنا لا فضيع أجر المصلحين ، (٣) . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون فى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحون ، (٤) . يأبىها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، (٥) .

### عهد الله للأولين هو عهده للآخرين :

وهكذا إذا قرأنا القرآن وتدبرنا هذه الآيات وأمناها ، وجدنا أن عهد الله

(١) الآية ٧ من المائدة (٢) الآية ١٢ من الممتحنة (٣) ١٧٠ من سورة الأعراف

(٤) ٥٥ ، ٥٦ من سورة النور (٥) الآية ١١ من سورة الصف .

لأولين من خلقه ، هو عهده للآخرين منهم ، وأن ما أخذه على الأولين ، هو ما أخذه على الآخرين : إيمان بربوبيته ، وتنزيه لآلوهيته ، وامتنال وطاعة لأحكامه وشرائعه ، ومن هنا نرى في القرآن الكريم تذكير الآخرين بنعمه على الأولين إذا أطاعوا ، ونقمه عليهم إذا خالفوا ، فالمصدر واحد ، والهداية واحدة ، والخلق واحد .

### خطة إلهية واحد لإنسانية في قديمها وحديثها واحدة :

ومن هنا جاءت الآيات المصرحة باتحاد خطة الأنبياء ، وبأنهم جميعاً يوحى إليهم من عند الله ، وبأن ما شرع للتأخر من دين وعقيدة هو ما شرع للتقدم ، فالإنسانية في نظر الألوهية واحدة ، ووضعها واحد ، لم تحكم فيها طبقات ، ولا أجناس ولا أقاليم ، ولا لغات ، فالكل أمام المسؤولية الإلهية سواء ، وكلهم مأخوذون بعهد الله وميثاقه ، ولكن الناس بأهوائهم وفتن هذه الحياة ، جعلوا الرسائل الإلهية الواحدة ، والعدل الإلهي الواحد ، والفضل الإلهي الواحد ، أنواعاً متعددة ، وصوراً مختلفة متباينة ، وانحاز كل فريق بدواعيه الخاصة إلى ما حدد له ورسم لنفسه من شرعة ودين ، وبذلك فرقوا دين الله ، وهداية الله ، وكانوا لأنفسهم هم الظالمين ، لأن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ، إنما أمرهم إلى الله ، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون .

هذا ما أردنا أن نفتح أبوابه أمام القارئ لرسالة الإسلام في ظل من ختام النداء الثالث من النداءات الإلهية في سورة المائدة : « واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واتقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور » .

### النداء الرابع :

ولا يفوت القارئ الكريم أن التذكير بمواثيق القادر القاهر ، الرحيم المتفضل ، مما يوجب الوفاء ، وأن التذكير بالنعم مما يوجب الشكر ، والشكر والوفاء طريقهما القيام بأحكام الله وما يرضيه من أعمال الخير للفرد والجماعة ،

ولا ريب أن أعظم ما يغار الله عليه من الأحكام ما يكون محققاً للعدالة والرحمة بين عباده ، ومن هنا جاء النداء الرابع من نداءات هذه السورة « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى . وانقوا الله إن الله خبير بما تعملون » .

مايشتمل عليه هذا النداء : القوامية لله ، وأثرها في السمو بالإنسان :

وقد اشتمل هذا النداء على أمور ثلاثة :

أولها : أن يكونوا قوامين لله ، وهذا يمثل القوة والإخلاص في الأقوال والأفعال ، والثبات في خدمته سبحانه وتعالى ، والارتفاع بالنفس عن منازل الانحطاط ، ومزالق الهوى « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (١) » ، « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً » (٢) « ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين » (٣) .

لا يرضى الله لعباده إلا أن يكونوا في منازل السمو والرفعة ، والنأي عن مراتع الهوى والشهوات . لا يرضى لهم إلا السمو بأنفسهم إلى مدارج القوة والسلطان والهيمنة على كل ما يتجر لهم في هذه الحياة . « ولإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتوعدون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين (٤) » ، « ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين (٥) » .

القيام بالقسط وحمايته ولو بالقوة :

وثانيها : الشهادة بالقسط ، وهي الغاية من إرسال الرسل ، وإزالة الكتب . لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط

(١) من سورة الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣ (٢) من سورة النساء ١٢٥ (٣) من سورة

نصأت ٣٣ (٤) من سورة الأنفال ٧ (٥) من سورة آل عمران ١٢٩

وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز ، (١) .

فليس أمام المؤمن في تقرير الحق ، أو الحكم به قرابة ، ولا ولاء ، ولا مال ، ولا جاه ، ولا فقر ولا غنى ، ولا قوة ولا ضعف ، فصاحب الحق هو القريب وإن كان بعيداً ، والغنى وإن كان فقيراً ، والقوى وإن كان ضعيفاً ، يأبىها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وأن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ، [٢] .

ولعلنا ندرك من هذه الآيات أن العدل قد سمحت به التعاليم الإلهية عن مواطن التأثير بمواظف الأبوة والبنوة ، ووضع يازاته الحديد ، للإشارة إلى أنه مطلوب من العباد ، ويجب أن يسلكوا سبيله مهما كلفهم من جهود وتضحيات ولو باستعمال الحديد والنار .

#### العدل مع الصديق والعدو :

ونالها : لم تقف الآية في العدل عند طلب الشهادة به ، بل أكدت هذا بالنهي عن الظلم ولو للأعداء ، وحذرت أن تحمل العداوة والبغض على الظلم ، والتساهل في العدل ، ولم تكثف بهذا ، بل عادت فأمرت به ، أعدلوا هو أقرب للتقوى ،

#### إجمال مواطن الأمر بالعدل في القرآن :

وقد كثرت أوامر الله في القيام بالعدل . فأمر به عاماً وخاصاً ، أمر به مع المخالفين في الدين ، وأمر به في الحكم والقضاء ، وأمر به بين الأولاد والزوجات وأمر به في النفس ، وآيات ذلك كثيرة شهيرة ، فليرجع إليها وليتبعها في القرآن من شاء .

(١) سورة الحديد ٢٥

(٢) سورة النساء ١٣٥

### النداء الخامس : روايات المفسرين عن سبب نزول آيته :

ثم يحىء النداء الخامس « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم ، فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ويحاول المفسرون كعادتهم أن يجعلوا الآية إشارة إلى حادثة معينة ، فيقول بعضهم أنها نزلت في رجل هم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان بيده السيف ، وليس مع النبي سلاح ، قام على رأس رسول الله ، وقال : من يمنعك ؟ قال : الله ، فوقع السيف من يده ، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : من يمنعك ؟ قال الرجل : كن خير آخذ ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : تشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ قال الرجل : أعهذك ألا أقانلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، غلى سبيله ، لجأ الرجل إلى قومه ، وقال : جئكم من عند خير الناس .

ويقول آخرون : أنها نزلت في قصة النبي مع بنى النضير حينما ذهب إليهم ومعه أبو بكر وعمر وعلى يطلبون منهم الإعانة على قتل رجلين كان معهما أمان من النبي ولم يعلم به من قتلها ، وكان بين النبي وبنى النضير عهد التعاون في الديات فلما حضر عندهم لذلك وهو بين أظهرهم ، أظهروا له القبول ، وقالوا : نعم يا أبا القاسم . قد آن لك أن تأتيننا وتسألنا حاجة ، اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذى تسألنا ، فلما جلس بجانب جدار لهم وجدوا أن الفرصة قد منحت للغدر به ، وهموا أن يطرحوا عليه صخرة ، فأعلم النبي بذلك من ربه ، فانطلق وتركهم .

### الآية تذكر بوقائع الاعتداء على المؤمنين عامة :

والذى نفهمه أن الآية تذكير عام بوقائع الاعتداء على المؤمنين ، وما كان من الإعداد من محاولة قتلهم ، والتدبير لهم منذ بدء الدعوة والاستجابة لها إلى نهايتها ، ولا ريب أن التذكير بها يتضمن التذكير بنعمة الخلاص منها ؛ وتوافر قواهم على رد العدوان ، كما يتضمن لفت الأنظار إلى أسبابها من صدقهم وإخلاص نيتهم وتضامنهم في رد كيد الكائدين ، وكبح جماح الظالمين .

### وعموماً يشمل الأولين والآخرين إلى يوم الدين :

وليس التذكير بهذه النعمة قاصراً على من وقعت لهم تلك الوقائع ، بل هي منة عامة يجب أن يشكرها الله عز وجل كل مؤمن إلى يوم القيامة ، فالنبي هو الذي قد بلغ الرسالة ، وأصحابه هم الذين تلقوها بالقبول وعملوا على نشرها في الأمصار والجهات حتى وصلت سليمة من التحريف والتبديل إلى الذين جاءوا من بعدهم ، فهي نعمة عامة شاملة ، موصولة الفع بالاجيال كلها إلى يوم الدين إن شاء الله ، وعلى المتأخرين الذين يعرفون فضل الله عليهم بهذه النعمة أن يذكروها وأن يقفوا من دينهم ، وتعاليم نبيهم موقف السابقين الأولين حتى يكون فيهم لمن بعدهم القدوة الحسنة التي كانت لهم في آباؤهم الأولين ، وبذلك ينتفع آخر الأمة بما انتفع به أولها ، وتكون الأمة الإسلامية كالحلقة المفرغة بقوة أولها وآخرها ، ويسلك آخرها سبيل أولها ، هكذا يجب أن يكون ، ولكن الله في خلقه شئون وشئون .

### عناية القرآن بتذكير المؤمنين بحوادث النصر :

هذا وقد عنى القرآن كثيراً بتذكير المؤمنين بحوادث النصر الذي سجله تاريخ الجهاد الإسلامي في عهد التبليغ ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً ، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً ... » إلى أن يقول : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً ، (١) » .

واقراً في مثل هذا من سورة الانفال قوله تعالى في شأن غزوة بدر : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، (١) .  
سر هذه العناية :

ولا ريب أن من أقوى وسائل التربية في الأمم عرض صفحات الماضين ،  
وأنها بما توحى من أسباب القوة ، نور يضيء السبيل للسير في طريق النصر ،  
والاحتفاظ بالمجد الذى كان للأباء .

موازنته بين نصر الله للمؤمنين وخذلانه للكافرين والمخالفين :

وقد أراد الله في هذا المقام أن يأخذ المؤمنين إلى المثلث الماسية الأولى ،  
ليؤكد لهم أن المخالفة والعصيان ، ونقض العهود في سنن الاجتماع من أسباب  
العواقب السيئة التى تنزل بالآمة جزاء طبعيا لمسلكتها إزاء الحق والهاون فيه .  
ومن هنا قفى ذلك النداء بما كان عن موقف بنى إسرائيل من عهد الله وميثاقه  
الذى أخذه عليهم ، وسبحت الآيات في ذلك مسجاً طويلاً . فلتقرأه من قوله تعالى  
« ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني  
معكم . . . إلى قوله « قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا  
تأس على القوم الفاسقين » .

النداء السادس :

ثم يحىء بعد ذلك النداء السادس « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه  
الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون » ، إن الذين كفروا لو أن لهم ما في  
الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم  
عذاب أليم ، يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ،  
هذا هو النداء السادس من النداءات الإلهية التى اشتملت عليها سورة المائدة ،  
وقد طلب فيه من المؤمنين كما هو ظاهر تقوى الله ، وابتغاء الوسيلة إليه ، والجهاد  
في سبيله . وذيل برجاء الفلاح للمؤمنين إذا هم حققوا ذلك المطلوب ، ثم ألحق به

ما يرشد إلى عاقبة الكافرين الذين لم يعتمدوا في تهذيب نفوسهم ، واصلاح حالهم على ما رسمه الله للمؤمنين في هذا النداء ، بل أطلقوا لأنفسهم العنان تسبح وراء الشهوات والأهواء إلى أن يعابنوا ما أعد لهم من عاقبة سيئة ، يحاولون التخلص منها بأعظم ما يمكن أن يقدمه المخرج سيلا للخروج من المأزق الذي وقع فيه .

لهذا النداء مكانة خاصة على ما قبله وما بعده من نداءات السورة :

وإذا قورن هذا النداء بغيره من النداءات التي وردت في هذه السورة ، فإنه يظهر له مكانة خاصة تأخذه عن مستوى النداءات كلها ، وتجعل له شأنًا جديرًا بالعباية والتقدير ، ذلك أن النداءات السابقة عليه واللاحقة له يتعلق كل واحد منها بناحية معينة من نواحي التشريع ، فالنداء الأول يطلب الوفاء بالعقود ، والنداء الثاني يطلب المحافظة على شعائر الله وعدم إحلالها ، والنداء الثالث يطلب الطهارة حين إرادة الصلاة ، والنداء الرابع يطلب القوامه لله ، والشهادة بالعدل ، ويحذر الظلم ، والنداء الخامس يطلب تذكر نعمة الله على المؤمنين بكف أيدي الأعداء عنهم . والنداء السابع يحذر من اتخاذ الأعداء أولياء من دون المؤمنين ، وفي معناه النداء الثامن ، يأمُرُ نظر المؤمنين إلى أن المسارعة في موالاته الأعداء ردة عن الدين ، ثم يحیی التاسع بلون آخر يدعو إلى شدة الحذر من موالاتهم . لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، والنداء العاشر ينكر تحريم الطيبات التي أحلها الله ، ويحرم الحادى عشر الخمر والميسر ، ويتعلق الثاني عشر والثالث عشر بتحريم قتل الصيد الذى ابتلى الله المؤمنين بالتمسك منه فى حالة الاحرام . ويتعلق الرابع عشر بالنهى عن سؤال ماترك الله بيان حكمه توسعة على عباده ، كما يتعلق الخامس عشر بتحديد مدى المسئولية التى يحملها المؤمنون فى الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ويتعلق السادس عشر بكيفية الشهادة على الوصية فى حالة السفر .

من هذا العرض الوجيز يتبين أن جميع النداءات الواردة فى السورة ، خلا النداء السادس يتعلق بشأن خاص .



ما يأمر به هذا النداء هو ملاك الأمر كله :

أما هذا النداء فإنه يتعلق بملاك الأمر كله ، وأساس الامتثال في جميع النداءات ، بل في جميع الأوامر والنواهي ، وهو تقوى الله وابتغاء الوسيلة إليه ، والجهاد في سبيله .

تذليل الأوامر القرآنية بالأمر بالتقوى :

هذا إلى أننا إذا نظرنا نظرة عامة في سائر الأوامر والنواهي الواردة في كتاب الله لوجدناها جميعها أو جملها يوضع الأمر فيها « بالتقوى » ، تمهيداً أو تذيلًا لها . وما عليك في هذا سوى أن تستعرض آيات النداء للذين ، وكذا آيات الأوامر والنواهي المجردة عن النداء ، فترى ما قلناه من التمهيد أو التذيل بطلب التقوى قدرًا مشتركًا في أكثرها ، فآية البر تحتّم بقوله « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المنفون » ، وآية الوصية تحتّم بقوله « حقاً على المتقين » . وآية الصوم تحتّم بقوله « لعلكم تتقون » ، وآية الأهلّة تحتّم بقوله « واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، وآية القتال في الشهر الحرام تحتّم بقوله « واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » . وآية الحج تحتّم بقوله « واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب » ، وبقوله « فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب » . وآيات الطلاق تحتّم بقوله « واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم » . وآيات الرضاع تحتّم بقوله « واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير » . وآية المتعة للمطلقات تحتّم بقوله « حقاً على المتقين » . وآية الربا تمهد بقوله « بأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا » .

وبعد : فهذه جولة في سورة البقرة فقط ، تريك كيف اتخذ الأمر بالتقوى تذيلًا لهذه التشريعات ، وعليك باستقراء ما تستطيع أن تستقرئه من هذه الناحية لتصل إلى الشق الآخر ، وهو شق التذليل في الأوامر بطلب التقوى ، فيستقر في نفسك ما قلناه في شأن التقوى من جهة التمهيد والتذليل للأوامر والتشريعات .

ما يدل عليه ذلك من المعنى المقصود للتقوى :

وإذا دل هذا على شيء ، فأول ما يدل عليه أن التقوى ليست كما اشتهر عبارة

عن خصوص امتثال الأوامر واجتناب النواهي حتى تكون عملاً جارحياً ، وإنما هي معنى في القلب يرجع في جملة إلى تقدير العظمة الإلهية ، وامتلاء النفس بها امتلاء يدفع المؤمن إلى المسارعة ، وشدة الحرص والإحسان في تحقيق أوامر الله وتشريعاته ، ويدفع به في الوقت نفسه إلى إنعام النظر وقوة التفكير في ملكوت السموات والأرض لمعرفة أسرار الله في كونه ، وسننه في خلقه ، ثم الانجاء إلى هذه الأسرار ، والعمل على إظهار رحمة الله فيها بعباده ، والوقوف على السنن التي ربط بها بين الأسباب والمسببات ، بين السعادة وأسبابها ، والشقاء وأسبابه بين العلم وأسبابه ، والغنى وأسبابه ، والعزة وأسبابها .. وهكذا إلى آخر ما تلميه على العاقل المفكر هذه السنن الثابتة التي لا تتغير ولا تبدل ، والتي لا سعادة للإنسان إلا بتقديرها والعمل بمقتضاها . إذن ليست التقوى امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، إنما هي ذلك المعنى القلبى الذى تفنى به الإرادات الإنسانية في ملكوت العظمة الإلهية ، وهي الباعث على امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وهي المحققة للإحسان في طاعة الله ورسوله ، فهي المبدأ وهي المنتهى ، وهي الأولى وهي الآخرة .

ولعلنا - لو تتبعنا مواقع التقوى في القرآن الكريم - نفق في معناها على أسرار لا تقي الأقلام بتدوينها ، فلندع هذا الباب ، وقد ثقبنا منه نافذة صغيرة ينفذ منها شعاع على القلب المستعد للتقوى فيدرك معناها ، ويستشعر لذتها ، ويقف ثملاً بعظمة الله كلما سمع قوله تعالى : **إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا** ، ولنرجع إلى النداء : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** . وحسب القارىء منا في الكلام على التقوى ما أسلفناه وما أشرنا إليه .

### الوسيلة والمراد منها في هذه الآية :

أما الوسيلة ، فقد قال الراغب : **الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة** ، وهي أخصر من الوسيلة لنضمها معنى الرغبة . قال تعالى : **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** ، وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى ، مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحرى مكارم الشريعة ، وهي كالأقربة .. انتهى .

وقد روى تفسير الوسيلة بالقربة عن كثير من السلف ، وعبارتهم : تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه ، وجاءت الكلمة في الحديث اسماً لمنزلة معينة في الجنة ، فقد روى أن عبد الله بن عمر سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه عشراً ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون هو ، فن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة » .

هذا ومن البين أنه لا يمكن حملها في القرآن على إرادة هذه المنزلة لاختصاصها كما جاء في الحديث به صلى الله عليه وسلم ، والوسيلة التي وردت في القرآن قد اقترن بها ما يجعلها صريحة في إرادة القربة إلى الله ، فأيتنا تقول : « اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ، وجاهدوا في سبيله » والضائر لا مرجع لها سوى لفظ الجلالة ، وآية الإسراء تقول : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه » وهي ظاهرة في معنى القربة أيضاً من جهة ما تضمنته الآية من إنكار دعوة غير الله مما لا يملك كشف الضر عن الداعين ولا تحويله .

ومن هنا قال الألوسي : « كون الطلب هنا للنبي صلى الله عليه وسلم بما لا يكاد يذهب إليه ذهن سليم ، ولما كانت تقوى الله بالمثابة التي شرحنا ، وكانت الوسيلة ترجع كما أسلفنا عن « الراغب » إلى مراعاة سبيل الله بالعلم والعبادة ، وتحري أحكام الشريعة ، ومكارم الأخلاق ، وهما مما يثقل على النفس الإنسانية التي تحيط بها الشهوات ، وتحكم فيها الرغبات ، أن تحصل عليه في يسر وسهولة شد الله أزر الإنسان المؤمن بطلب الجهاد في قطع هذا الطريق الشاق ، وقواه على تحمل أعبائه بضمان الفلاح له في الدنيا والآخرة ، فقال « لعلمكم تفعلون » .

والآية بعد هذا واضحة في معناها ، واضحة في هدفها ، ليس لها مدلول ولا دلالة على غير ما يتبادر منها وتقضى به بيئتها ، وهو الاعتماد في الوصول إلى الله على

المعنى القلبي المؤثر في امتثال الأوامر واجتناب النواهي بقصد مرضاة الله ، وعن طريق الجهاد في سبيله ، ولم تشر الآية في قليل ولا كثير إلى مشروعية الاعتماد في الوصول إلى الفلاح على شيء من خارج النفس ، وقد أيد هذا بتأييد العذاب على هؤلاء المجاهدين الذين ظلوا طول حياتهم يعتمدون في تقربهم إلى الله على دعاء غير الله ، ويؤكد لهم أن مدار النجاة والفلاح ليس على ما يتوهمه هؤلاء في أمر الفدية ، ولو أن لهم جميع ما في الأرض ومثله معه ، وقدموا ذلك كله ليكون فداء لهم من العذاب يوم القيامة لم يتقبله الله منهم ، ولا يكون له أثر في تخفيف العذاب عنهم ، لأن الله قد رسم لعباده سبيل الفلاح والنجاة ، وأنه لا يكون إلا تابعا من قلب الإنسان ونفسه ، لا تكتبه من أحد سواء . قد أفلاح من زكاها وقد خاب من دساها ، فن زكى نفسه بالإيمان ، وامتلا قلبه بمظمة الله ، واندفع بذلك إلى امتثال أوامر الله ، كان أهلا لرضوان الله ونعيمه ، ومن دنس نفسه بالشرك ، أو ظلها بالخلافة والعصيان ، وكان مظلم القلب ، كان من المغضوب عليهم ، المخجلين في النار ، ولا تنفعهم شفاعة ، ولا تقبل منهم فدية ؛ اقرأ وتأمل قوله تعالى بعد النداء بطلب التقوى وابتغاء الوسيلة . « إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم » .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من توجهت قلوبهم إليه ، ولم يعتمدوا في قبولهم ونجاتهم إلا عليه ، وأن يجعل إيماننا زكاة نفوسنا ، وثبات قلوبنا ، وصلاح أعمالنا ، وفكاك أسرارنا . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وإلى اللقاء في العدد المقبل ، نتحدث عن النداء السابع ، من نداءات هذه السورة ، فنفتح به العام الجديد لمجلة ( رسالة الإسلام ) إن شاء الله .  
والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات .

## الديمقراطية الصحيحة

لحضرة الأستاذ الجليل محمد علي علوبه

رئيس جماعة التقريب

— ٢ —

### ملاحظات على الديمقراطية اليونانية :

الآن وقد انتهينا من البحث في الديمقراطية اليونانية يمكننا أن نقول أنها كانت ديمقراطية صحيحة وقت أن كان اليونان يطبقونها ، وقد وصلت في بعض عصورهم إلى أرقى ما يمكن أن يرجوه الإنسان من الديمقراطية .

ورغم هذا فقد لوحظ على الديمقراطية اليونانية مأخذ ناتى على أهمها بشىء من التفصيل : —

أولا : أن اليونان قد جردوا المرأة من حقوقها واعتبروها غير صالحة للأعمال العامة ، وأنها لا تصلح إلا لخدمة الرجل والبيت أو الحقل ، وعليها أن ترعى أبناءها أيضا .

وقد أصبحت حياتها بسبب هذا الحرمان من الحياة العامة والسلبية حياة آلية ، فلا تفكر في المساواة بالرجل ، ولا في الاشتراك في إدارة الحكم معه .

وإن شئت فالمرأة في نظر الديمقراطية اليونانية شخصية تابعة لا استقلال لها ، ولا تخرج عن كونها متاعا للرجل .

ثانياً : إن فلاسفة اليونان وفي مقدمتهم المعلم الأول أرسطو ، يؤيدون الاسترقاق ، فالديمقراطية اليونانية بوجه عام تقسم البشرية قسمين : أحراراً وعبداً ويدل تاريخ اليونان على أن النخاسين كانوا يرافقون الجيوش في غزواتها ويختطفون الرجال والنساء والأطفال يتخذونهم عبيداً ، ويعرضونهم في الأسواق للزيادة ، وكانت أثينا بنوع خاص - وهي أشهر مدن الديمقراطية في اليونان - معرضاً لهؤلاء الأرقاء ، وسوقاً علنية للمساومة بين المشتريين .

ومن الغريب أن أرسطو وهو أكبر الفلاسفة وأغزرهم مادة ، وأقوام حجة وأوسعهم اطلاعاً قد خضع لهذا المبدأ الخاطيء ، فذهب في مؤلفاته إلى تأييد الاسترقاق قائلاً إنه سنة الطبيعة وفطرة الإنسان ، وإن الناس خلقوا صنفين ، أحراراً وعبداً ، وهؤلاء العبيد خلقوا بالطبيعة أداة للاستغلال في الحقل وغيره ، تحت إمرة الأحرار يستخدمون كما تستخدم الأنعام ، وأن الخروج بهم عن دائرة الاسترقاق إنما هو خروج بهم عن طبيعتهم ، وما فطروا عليه فخربتهم أذى لهم كما تخرج الحيوان من بيئته الطبيعية وما فطر عليه كيانه .

ثالثاً : أن النظام الإغريقي أي اليوناني يبيع الفتح والحرب وإذلال الشعوب الأخرى ، والتوسع في الاستعمار ، ولا يخفى أن المدنية الصحيحة تنكر هذا اللون من الديمقراطية ، وتقرر أن لكل أمة حقها في الحرية والكرامة ، فلا تخص بذلك أمة دون أمة .

ومن ذلك يتبين أن اليونان يخرجون على هذا المبدأ السلم حين يؤيدون الديمقراطية لأنهم ويأبونها على غيرهم .

رابعاً : كان في اليونان في بعض أزماتها تفرقة بين المواطنين أنفسهم ، كما كانت عليه البلاد الأخرى المحيطة بها في الشرق وفي أفريقيا مثلاً ، فكان الناس في نظرهم - أحياناً - طبقات ، وما كان للتجار أو المزارعين أو الصناع تلك المنزلة التي كانت للتبلاء وذوى النفوذ .

نخلص من هذا إلى أن الديمقراطية اليونانية عندما وصلت إلى أسمى درجاتها كانت ديمقراطية محلية قاصرة على المواطنين اليونانيين ، واستمرت في حرمان المرأة من حقوقها العامة ، وفي إجازة الاسترقاق ، وفي إبادة الفتح والغزو .

\* \* \*

### ديمقراطية الرومان :

مرت الأيام والسنون وسقطت دولة اليونان تحت حكم الاسكندر المقدوني ثم دخلت بعد ذلك في حوزة الامبراطورية الرومانية ، وبذا انطمت فيها معالم المدنية ، ونضبت يتابع الحكمة والفلسفة والعلم والفن ، وانطفأ نورها الذي كان يشع في العالم كله وما زالت بعض آثار فلسفتهم وعلومهم ومنطقهم وحكمتهم يتداولها الناس إلى أيامنا هذه يسترشدون ببعض ما فيها من كنوز خالدة الأثر .

قامت دولة الرومان من روما ، واكتسحت أكثر بقاع الأرض في ذلك الحين سواء في أوروبا أو آسيا أو إفريقيا ، وأصبح البحر المتوسط كله بحيرة رومانية ، تحيط به الاملاك الرومانية من جهاته الأربع .

كان على الرومان أن يختاروا نظاماً لامبراطوريتهم الشاسعة ، فتقبلوا في أنظمة الحكم التي يراها أرسطو ، فمرة يكون الحكم للفرد المطلق التصرف ، ومرة يكون الحكم تحت سلطان طاغية ، وحيناً يكون الحكم للارستقراطية أو للأوليغاركية ثم يكون للديمقراطية ، وقد يكون للديماجوجية .

تعاقبت هذه الأنواع من الحكم على الدولة الرومانية ، ولم تخل في أي وقت من أوقاتها من تلك المآخذ التي لاحظناها ولاحظها المؤلفون على الديمقراطية اليونانية ، فلم يكن فيها حقوق كاملة للمرأة ، كما أن الاسترقاق فيها كان قوياً عنيفاً واسع النطاق ، وكان الأسرى يباعون في الأسواق كما كانوا يباعون في بلاد اليونان وكان للسادة الأحرار حق معاملة الأسرى والأرقاء بغلظة وخشونة ، حتى انه كان للسيد الحق في بعض الأحيان في جلد الأرقاء أو سجنهم أو قتلهم إذا ارتكبوا بعض المفوات ، وأباححت الدولة الرومانية في جميع أطوارها حق الغزو والفتح ،

وأملأها الشاسعة التي يعرفها التاريخ خير شاهد على ذلك ، وكانت هناك طبقات طبقة الشرفاء وطبقة الشعب وغيرهما ، وكانت الأمم المفتوحة تعامل في حقوقها وحريتها على غير ما يعامل به الرومان أنفسهم .

كل هذا حدث في بلاد الرومان على أطوار مختلفة ، وفي تواريخ مختلفة ، إلى أن غزاها أعداؤها بعد أن انقسمت شطرين : شطر عاصمته روما ، وآخر عاصمته بيزنطة أو القسطنطينية فأصبحنا امبراطوريتين مختلفتين ، الامبراطورية الغربية ، والامبراطورية الشرقية .

ثم استمر انحلالها وأغار عليها المغيرون حتى تدهورت وتلاشت .

وكان الزمن الذي ازدهر فيه نظام الحكم في الامبراطورية الرومانية يعمل نظام جمهوريتها قائما على سلطات ثلاث : سلطة القناصل ، وسلطة مجلس الشيوخ المكون من الاشراف ثم نواب الشعب ، ويلوح لنا أن الرومان جمعوا بهذا بين سلطة الفرد ( الاوتوقراطية ) وسلطة الاخيار الذين هم الاشراف أو النبلاء ( الارستقراطية ) وسلطة نواب الشعب ( الديمقراطية ) واعتبروا أن في ضم هذه القوى الثلاث توازناً بين السلطات حتى لا تفرد إحداها بالحكم فتطغى .

وهذه الفكرة وهي جمع سلطة الفرد والاخيار والشعب جذها أرسطو من قبل واتفق رأيه فيها مع رأى أفلاطون .

\* \* \*

انقلاب النظم في الغرب :

بعد هذه السنين الطوال من حكم اليونان وحكم الرومان ، أتى على الأمم الأوروبية حين من الدهر اشتدت فيه المظالم ، وعمت الفوضى والمفاسد ، وتتابع الغاصبون والفاطمون ، وقاست الشعوب ما قاست من أهوال الاستبداد ، وكان كل من قدر على بلد اجتاحه وسخر أهليه لمطامعه وشهواته .

فكانت الاقطاعات ، وكان الملوك وأشباه الملوك ، وكان الأمراء ، فكانت



المظالم المتتابة ، ولم تر الشعوب في تلك العصور المظلمة سوى الجهل والفقر والاعتداءات والموت ، فاندثرت الحضارات من علوم وفنون وفلسفة وضاع التراث الضخم الذى جاء به المصلحون في الاجيال الغابرة .

ثم أتت على العالم عصور تدعى بالعصور الوسطى كانت بعد قيام الامبراطورية الرومانية الشرقية ، وفيها اشتدت سلطة رجال الدين ، كما اشتدت سلطة الامراء والحكام والملوك ، ولم يكن لهؤلاء وأولئك وازع من دين أو من ضمير أو خلق .

كان الظلم في إيطاليا كما كان في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وغيرها من بلاد الغرب كما كان في الشرق ، لكن بقاء هذه الحالة الشاذة لم يكن ليحتمل ، فضجت الإنسانية وبدأ شعاع من نور الحرية ينبثق في أنحاء متفرقة من أوروبا ، وأصبح ما يتنامس به بعض ذوى النفوس الآبية حقيقة ظاهرة في إنجلترا ، فلقد اشتد ظلم طاغية من ملوكها ، فقامت هيئة قوامها نبلاء إنجلترا أى الاستقراطيون بحركة تحريرية ضد الظلم والاستبداد ، كان من آثارها أن اضطر الملك إلى اصدار ما يسمونه « بالميثاق الأكبر » في سنة ١٢١٥ م وهو أول ميثاق وأعظمه في تاريخ تحرير إنجلترا من بطش الملوك الظالمين . ثم صدر بعده قانون اكسفورد عام ١٢٥٨ م وقد كان الميثاق الأكبر هذا أساسا لظلم الحرية السياسية في إنجلترا .

كان لهذا الميثاق وما تبعه من قوانين وأوامر أثره في البلاد الأخرى ، وقام المصلحون الأحرار في أجيال متعاقبة يرشدون شعوبهم إلى سبل الحرية وإلى تشريعاتها الصحيحة ، وكان من هؤلاء الأحرار المشرع الفرنسى « مونتسكيو » ومن مؤلفاته كتاب « روح القوانين » وجون لوك الانجليزى ، ورجل من أبطال الحرية ودعاتها هو « جان چاك روس » الفرنسى أصدر كتابه « العقد الاجتماعى » وغيره من المؤلفات ، كما ظهر غيرهم من رجال السياسة والاقتصاد والاجتماع ، إلى أن قامت الثورة الفرنسية الكبرى سنة ١٧٨٩ م ، خطمت الأغلال ، ونشرت مبادئ الحرية والاخاء والمساواة ، ثم تبعها ثورات أخرى في أوروبا تسعى إلى الحرية ، وإلى نشر لواء العدل بين الناس .

على أن ذلك لم يمنع من وجود أفكار رجعية ، كان يعلنها الرجعيون في أوروبا قبل الثورة الفرنسية وبعدها ، وهم رجال طمس الجبل عقولهم ، أو كانوا يتعلقون بالملوك والحكام لغاية في أنفسهم .

ومن أمثال هؤلاء « مكيا فيلي » الإيطالي ظهر في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ونشر مؤلفات ، منها كتابه المعروف « الأمير » ، يفسد فيه ما درج عليه الإنسان من مكارم الأخلاق ، ويحذ طغيان الحاكم وختله وأثره ، ومنهم « هوبز » الانجليزي ، كما ظهر نوع آخر من أمثال « نيتشه » الفيلسوف الألماني في القرن التاسع عشر ينادى بتفاوت العناصر ، وأن بعضها يجب أن يسود البعض الآخر ويحكمها .

ورغم هذا النوع الأخير من الرجعية فقد كانت الحركات في جملتها تسعى إلى تحقيق الديمقراطية ، حتى نالها أكثرية الأمم ، سواء في أوروبا أو أمريكا أو غيرها .

\* \* \*

### الحروب العالمية :

أنت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ، وكانت أم حرة وأخرى تحت نير الاستعمار أو الاحتلال ، وقبل أن تضع تلك الحرب أوزارها ، أحس رجال السياسة بوطأتها ، وبما سببته من آثار مروعة ، فنادى الدكتور « ولسن » رئيس جمهورية الولايات المتحدة بما نشره على الملأ من وجوب تقرير السلام العالمي ، والعدل الشامل لكافة الأمم ، وأعلن مبادئه الأربعة عشر ، وهي تنص فيما تنص على حق الأمم صغيرها وكبيرها في تقرير مصيرها .

وقد كان لهذا البيان أثره الساحر في الأمم المغلوبة على أمرها ، كما كان له أثره في تقرير مصير الحرب ، بعد أن انضمت الأمم المظلومة إلى مناصرة فريق الدكتور « ولسن » ، ومنه انجلترا .

وما أن وضعت الحرب أوزارها ، وفاز المنتصرون بنصرهم حتى قامت الثورة

المصرية تطالب بحق مصر في حريتها واستقلالها ، وبإلغاء الحماية البريطانية التي فرضت على مصر أبان الحرب ، وتكون الوفد المصرى سنة ١٩١٨ م ، وغادر الاسكندرية إلى أوروبا وكنت من أعضائه ، وكنا نطالب بحق مصر في مؤتمر فرساي ، وأمام غيره من الجهات المختصة .

غادرنا الاسكندرية يوم ١١ ابريل سنة ١٩١٩ ، وما أن وصلنا إلى «مرسيليا» بعد خمسة أيام حتى قرأنا برقية تنشر على العالم ، أن الدكتور ولسن زعيم حق الامم في تقرير مصيرها ، قد اعترف بحماية انجلترا على مصر ، وأصبحت مبادته كلها في خبر كان .

فوجئنا بهذا النبأ الخطير ولم نكن قد وصلنا إلى باريس لعرض مظللتنا على مؤتمر فرساي ، فأيقنا أن اعلان تلك المبادئ لم يكن إلا لغرض واحد هو كسب الحرب ، وتوقعنا ما سلاقه من رجال السياسة في باريس ، وهم ساسة الامم المنتصرة ، من عنت وصد وإهمال ، وهذا هو الذى حصل بالفعل .

\* \* \*

لترك هذه المرحلة بخيرها وشرها ولنسر مع الزمن ، فنجد منذ انتهاء الحرب الاولى ، وبعد ظهور بوادر قوة المانيا والمحور ، أناساً من ساسة الغرب يدعون إلى السلام العالمى ، منهم مسيو بريان رئيس الوزارة الفرنسية في ذلك العهد ، اشكر مشروعا عرف بمشروع كيلوج بريان لتحقيق سلام عالمى ، يدعو إلى اتفاق دول أوروبا اتفاقاً يشبه أن يجعلها دولا متحدة إلى درجة ما ، ولكن ما لبث هذا المشروع أن انهار كما انهار قبله مشروع الدكتور ولسن .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية ، ورجع الساسة إلى فكرة الديمقراطية على النحو الذى ارتآه بريان ، وعلى النحو الذى ارتآه الدكتور ولسن من قبل ، وأخذوا يتغنون بفضل الديمقراطية على العالم ، لا الديمقراطية المحلية الخاصة ، ويتغنون بالدين وبإرادة الله في الحق والعدل الإنسانى الشامل ، لكنهم مع ذلك لا يتحدثون عن هذه الديمقراطية الشاملة ، ولا يذكرون الله وأوامره ونواهي

ولا ينادون بحقوق الإنسان كإنسان إلا أيام المحن والشدائد ، فإ أن وضعت هذه الحرب الثانية أوزارها حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من جشع واستعمار ، وحب السيطرة والاستغلال ، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، ونكران لأوامر الله ونواهيه .

\* \* \*

والآن وقد ظهرت قوة مساوئة في الشرق هي قوة السوفييت ومن يدور في فلكنهم ، وأصبح الغربيون في وجل وفزع من هذه القوة الهائلة التي تقف لهم بالمرصاد ، وتربص بهم الدوائر ، فما الذي نرجوه من ساسة الغرب ؟ حصل أثناء الحرب الثانية ، مثل ما حصل في الحرب الأولى ، ففي الأولى نشر الدكتور ولسن مبادئه الأربعة عشر ، وفي الثانية كان اتفاق الأطلنطي على ظهر باخرة بين المتحاربين الغربيين سنة ١٩٤١ م ، وبشر الرئيس روزفلت العالم كله بمثل ما بشر به الدكتور ولسن من قبل من حق الأمم في تقرير مصيرها ، ومن منع الظلم والجور والخوف ، وأن تكون الشعوب صغيرة وكبيرها سواسية أمام العدل العالمي ، لا فرق بين قوى وضعيف . والله أعلم بمصير هذه البشرية ، والحوادث تشعرننا بأن سيؤول أمرها إلى ما آل إليه أمر بشرى الدكتور ولسن من قبل .

\* \* \*

#### كيف ظهرت الديمقراطيات الحديثة :

قلنا إن العصور الوسطى وما قبلها قد عصفت بالديموقراطية اليونانية كما عصفت بالديموقراطية الرومانية ، واستمر الاستبداد في تلك العصور الوسطى يفتك بالحريات فتكا ذريعا ، فلطالما رزحت البشرية في تلك العصور المظلمة تحت أنقال الملوك والولاة الظالمين ، وتحت أنقال الاقطاعات ورجال الدين ، وأصبح الناس بذلك غير آمنين على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم ، فكانت الفوضى بأقبح معانيها إلى أن قام الاشراف في انجلترا وهم النبلاء من طبقة الارستقراطية يحدون من سلطة الملك في سنة ١٢١٥ م بالميثاق الأكبر السالف الذكر .

ثم أعقبته قوانين ونظم أخرى ، وأخذت دول الغرب تبني نظماً لرعاياها على غرار النظام الانجليزي ، ثم ارتقت وتنوعت النظم وأخذت تتقارب شيئاً فشيئاً من الديمقراطية أى سلطة الأمة ، وأنها تكون مصدر السلطات إلى أن وصلت إلى الحالة التي نراها الآن .

\* \* \*

ولما نجد في نظام إنجلترا أمراً يلفت النظر ، ذلك أنها اقتبست نظام الجمهورية الرومانية ، ذلك النظام الذي ادّمج حكم الفرد مع حكم الاستقرائية وحكم الشعب . وبذلك تدرجت في النظام الديمقراطي تدرجاً هادئاً تبعاً لتطور الزمن وحاجاته ، فهي لم تتخذ الجمهورية نظاماً لها ، وإنما جعلت على رأس حكومتها ملكاً ، وهذا هو نظام الحاكم الفرد الذي ذكره أرسطو في تقسيم أنظمة الحكم كنظام أول ، ثم أخذت حكم الاستقرائية ، فأقامت مجلس اللوردات وأخذت سلطة الشعب ، وأقامت مجلس العموم ، وكونت من هذه النظم الثلاثة القديمة نظاماً واحداً متمزجاً هو — أساس ديمقراطيتها الحالية — ، كان يحبزه أرسطو وأفلاطون من قبل ، وكان الفناصل في جمهورية الرومان بدل الملوك ، وحتى تحقق هدف الديمقراطية رغم وجود حاكم فرد فيها ، ورغم وجود نظام الاستقرائية بالإبقاء على النظام الاستقرائي بمجلس اللوردات ، ورغم هذا كله ورغم الاحترام والتقدير لتاج الملك وشخصه وأنه مبعث كرامة الدولة البريطانية ، وولائها له ، ورغم هذا كله فإن الأمة الإنجليزية قد منعت الملك من أن يكون مصدر أية سلطة ، حتى أصبح بحكم مركزه الحالي كرئيس جمهورية برلمانية في أنه لا يملك ولا يحكم ، بأوسع معاني هذه الكلمات .

ثم أعطت بعض السلطة لمجلس اللوردات الذي يختاره الملك بشروط خاصة لمن حمل لقب اللوردية مقابل خدماته التي أداها لأتمته ، وأخذت بتوالي الأزمنة تنقص من حقوق مجلس اللوردات شيئاً فشيئاً حتى لا يقف حجر عثرة في سبيل ما يقرره نواب الأمة .

ثم جعلت لمجلس العموم ، وهو يدعى في غير بلادهم بمجلس النواب ، الذى تنتخبه الأمة مباشرة للتحدث عنها ، ودعم سلطانها - جعلت هذا المجلس صاحب السلطة الحقيقية الفعالة فى إدارة البلاد ومراقبة أعمال الوزراء ، وإعطائهم الثقة أو سحبها منهم .

ذلك هو النظام الانجليزى الشامل لنظام الحاكم الفرد ، ونظام الارستقراطية ، ونظام الديمقراطية القديمة ، وقد حقق الانجليز بهذا المزيج ديمقراطيتهم .

\*\*\*

وقد اتخذت الأمم الأخرى أنظمة للحياة النيابية تغاير نظام الانجليز ، فأقامت الحياة النيابية على مجلسين ينتخبان إما من الشعب مباشرة ، أو يختار أحدهما بطريق الانتخاب المباشر ، والثانيهما بواسطة مجالس الأقاليم أو المديريات أو البلديات

كما اختلفت النظم بين الأمم الديمقراطية فى طريقة انتخاب رئيس الدولة ، فبعضهم يراه ملكاً يرأس مملكته ، والبعض يفضل رئيساً لجمهورية ، وقد يكون لرئيس الجمهورية فى بعض البلدان سلطة أقوى من سلطة الملك فى بلد آخر ، فإذا قارنا مثلاً بين سلطة رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، وسلطة ملك الانجليز نرى الأول رئيس دولة ورئيس وزارة معاً ، وهو الذى يختار وزراءه الذين يدعون بلقب سكرتير فى وزارته ، أما ملك الانجليز فليس برئيس وزارة ، فإن الرئيس هناك هو الذى يختار وزراءه بعد انفاقه مع مجلس العموم ، والملك هو الذى يتوج القوانين والأوامر باسمه وفق ما يراه البرلمان .

ومن الغريب أن ترى الحكومات الملكية فى شمال أوروبا ، وهى انجلترا وبلجيكا وهولندا والدانيمرك والنرويج والسويد أكثر البلاد ديمقراطية فى العالم وأن أهمها مصدر جميع السلطات حقاً وفعلاً .

\*\*\*

ليست الديمقراطية إذن وقفاً على ملكية أو جمهورية ، بل الديمقراطية تابعة

في جوهرها وكيانها إلى يقظة الشعب ، وقوة وعيه ، وتمسكه بحريته وحقوقه كاملة .

إن النظم والقوانين لا تفيد شيئاً إذا لم تكن الأمة حريصة على كرامتها وحياتها الديمقراطية ، ولطالما رأينا دساتير كاملة الوضع لا تؤدي وظيفتها في تحقيق سلطة الأمة إذا كانت الأمة غافلة عن تحقيق وسائل حريتها ، والسهر على الاحتفاظ بسلطانها كاملاً .

فالأمة يجب أن تكون مصدر جميع السلطات ، والحاكم لا يصبح أن يكون حاكماً بأمره يعز من يشاء ويذل من يشاء بغير حساب ، وإنما هو في الواقع مهما سما ذكره ملكاً كان أو امبراطوراً أو رئيس جمهورية ليس إلا وكيلاً عن الأمة ، خادماً لها منفذاً لإرادتها ، يتقاضى ما يتقاضاه من مرتب لرعاية مصالح هذه الأمة ، فعليه الخضوع لإرادتها ، وله واجب التكريم لأنه يمثل الأمة كلها ، تركزت فيه كرامتها ومجدها ، وأصبح بهذا الوضع موضع اعتزازها ، بشرط ألا يعيث بحقوقها في مراقبة إدارة حكم البلاد ، وإنفاق أموال الأمة في المرافق العامة بما يعود عليها بالخير العميم ، وحتى يتحقق حسن اختيار نواب الأمة يجب أن يكون ناخبوهم على درجة من النفاة والإدراك بحيث يسدون أصواتهم لأخبارهم ، ثم يراقبونهم في أعمالهم ، وهؤلاء النواب بدورهم يراقبون وزراء الحكومة حتى إذا انحرف أحدهم عن جادة الحق سلبوه نفقته وأسقطوه .

بهذه الأوضاع السليمة : يقظة الشعب ، ويقظة الناخبين ، ويقظة النواب ، ويقظة الوزراء تستقيم أداة الحكم وتوثق ثمارها الطيبة وتتحقق الديمقراطية السليمة فإذا اختل عنصر من هذه العناصر انهار البناء كله ، وأصبح الحاكم الفرد يرنو إلى السلطة المطلقة ، وقد ينقلب رئيس الجمهورية إلى ملك ، كما قد ينقلب الملك إلى طاغية متى رأى الأمة التي يحكمها في جهل وفي سبات عميق .

فالجهل وفساد الأخلاق وتنازع الأحزاب أو الأفراد في سبيل المصالح

الذاتية والنضحية بمصالح الوطن والرغبة في انتصار حزب على حزب أو فئة على فئة ، كل أولئك من شأنه أن يصرف المواطنين عن خدمة بلادهم ، ويغري الحاكين بالاستئثار بالسلطة استئثاراً قد يؤدي إلى الطغيان في أبشع صوره .

وعلى هذا فالحكم الفاسد في أى بلد كان إنما هو نتيجة لفساد عقول الشعب وضمايره ، وحتى استقامت العقول وانتشر العلم الصحيح والخلق القويم قوى الوعي ، واستيقظ الضمير ، وعرف كل واجباته وحقوقه ، واستقامت بذلك الأمور على ما يرضى كل شعب كريم .

• • •

#### نظرة في الديمقراطية الحديثة :

الآن وقد بسطنا كيف قامت الديمقراطيات ، وكيف تطورت يمكننا أن نقول أن نظرة عابرة على الديمقراطيات القائمة الآن ترينا أنها تختلف بعض الاختلاف في مظاهرها ، ففي الغرب ديمقراطية أمريكية لها طابعها الخاص ، وديمقراطية بريطانية تختلف عن الأولى بعض الاختلاف ، وديمقراطية فرنسية ، وأخرى شرقية روسية تختلف عنهما جميعاً ، نجد ديمقراطية جمهورية ، وثانية ملكية ، وثالثة يصفها الروس بأنها شعبية ، وهناك ديمقراطيات في باقي البلاد الدستورية النيابية ، فأى هذه الديمقراطيات أصح وأقرب إلى نظام الحكم القويم .

لا تجهد فكرك ، وارجع إلى أساس الحكم الديمقراطي ، وما يرتضيه ، تجد أن الحكم الديمقراطي بمعنى الصحيح هو ذاك النظام القائم على وعى من الشعب سليم ينتخب نوابه انتخاباً حراً طليفاً من كل ضغط أو إغراء ، ويقوم النواب بأداء مأموريتهم ، ورقابتهم على الحاكين بنزاهة وشرف .

ويستند الوزراء بدورهم على قوة هؤلاء النواب وشجاعتهم وإخلاصهم ، فتمت هذه المراحل ، وكانت لإدارة الحكم مستندة إلى رأى عام يقظ واع ، وإلى برلمان كذلك ، فاعلم أن الديمقراطية موجودة ، سواء كان يرأس الأمة ملك أو رئيس جمهورية ، وبغير ذلك تصبح الديمقراطية اسماً على غير معنى .



### أين الديمقراطية الصحيحة ؟

نبت فيما أسلفنا أن كان للديموقراطية اليونانية عيوبها ، فقد كانت لا تعترف للمرأة بحقوق ، وكانت تتيح الاسترقاق والغزو والفتح ، وكان الناس فيها طبقات في كثير من الأزمات ، وقد مر النظام الروماني بهذه الأوضاع ، ثم بعثت الديمقراطية من جديد وتطورت إلى أن وصلت إلى حالتها الحاضرة .

وقد قام المفكرون ببيان عيوب الديمقراطيةين : اليونانية والرومانية ، وأخذوهما بالقد لما استبان فيهما من مأخذ .

نعم قامت الديمقراطية الحديثة بإعلان حقوق الإنسان ، ومنها حقوق المرأة وإلغاء الاسترقاق ، لكنني أرجو القارئ أن يبحث فيما إذا كانت تلك العيوب القديمة قد تلاشت كلها أو أن بعضها ما زال قائماً .

ينتقد الناقدون أعمال الديمقراطية القديمة ، ويقولون أن من عيوبها إباحة الاسترقاق ، والحض على الغزو والفتح ، ويقولون أن الناس سواسية ، وأقول معهم أن لكل امرئ حقاً في الحرية والاستقلال ، وإذا كان رجال الديمقراطية قد أعطوا للمواطنين حق الحرية والكرامة ، أفلم يكن من الواجب أن تبسط هذه الحرية ظلها على الناس أجمعين ، أو أن الحرية قاصرة على أمة دون النظر إلى حقوق الأمم الأخرى .

لقد أجمع الكتاب والحكماء والفلاسفة على احترام الحقوق واحترام الواجبات معا ، وأن ما تتطلبه نفسك من حق ، يجب أن ترجوه وتعرفه لغيرك ، فانظر إلى الديمقراطية الحاضرة ، هل أباحت لغيرها ما تبيحه لنفسها ، أو أنها رغم المادة بحرية الناس أباحت الاسترقاق والغزو والفتح على طرق أخرى منظمة ، أو وسائل ملتوية لتنفيذ ما كانت تراه الأمم الغابرة من ظلم واستبداد .

انظر ما فعله الديمقراطيون الحديثة من استبداد وفتح وغزو ، ترظلاً صارخاً نرزع تحت أنقاله أم بريشة في مراكش والجزائر وتونس وباقي البلاد الأفريقية

المستعمرة ، وفي آسيا : فيتنام وكوريا وغيرهما من البلاد المستعبدة ، كما ترى نوعا اسمه الاحتلال ، في مصر والسودان والعراق وشرق الأردن وغيرهما ، فهل سادت الديمقراطية التي يتطلبها الناس أجمعون مع وجود هذه المآسى التي أعلن المتحاربون في أبان الحربين السابقتين وبعدهما وجوب محو آثارها . ومثل هذا يقال في القرم وبلاد الجركس وتركستان وغيرها .

\* \* \*

هذا عن الفتح والاستعمار ، أما عن الاسترقاق فهل زنوج الولايات المتحدة ، وهم مواطنون أمريكيون يعاملون معاملة البيض ؟ وهل ترى ما تفعله حكومة جنوب أفريقيا بالملونين في بلادها عملا ديمقراطيا يتفق مع ما ينادون به من حقوق الإنسان ؟ وهل من الديمقراطية في شيء أن يطرد شعب فلسطين من بلاده بالسيف والنار ، ويجرد من أمواله وأرزاقه ويبقى مشردا في العراء لا يجد قوتا ولا مأوى ليحل محله فريق غير متجانس من شذاذ الأرض لالشيء إلا لأنهم يدينون بدين واحد ، تدلهم الديمقراطيات الحديثة ، وتضعهم بقوة النار والحديد والمال والأطعمة ، ويغتصبون موطن قوم لا ذنب لهم ، وهم أصحاب الأرض ، إلا أنهم عزل من كل سلاح ، محرومون من كل غوث وعون ، ويبقون هكذا حتى يقضى الله في أمرهم بما يشاء ، فهل هذه هي الديمقراطيات الصحيحة التي نادى بها الدكتور ولسن في الحرب الماضية ، والتي اعتنقها الأقوياء أخيرا في الحرب الثانية بميثاق الأطلسي ؟ إنني أترك البحث في هذا إلى كل مفكر نزيه يحترم ما للإنسانية من حقوق ، ويرى كيف يجب أن تطبق الديمقراطيات الصحيحة .

\* \* \*

أمام هذه الحالة التمهية التي ترزح تحتها البشرية لا أرى حلا لصيانة الإنسانية وتكريمها أفضل من أن يثوب الأقوياء إلى رشدكم وكرامتهم ، بل إلى مصلحتهم فيطبقوا الديمقراطية كما نشاء الديمقراطية ، وهناك حل سهل هو أن يطالب بتنفيذ

ميثاق الأمم المتحدة تنفيذاً شريفاً ، فلقد أعلن الميثاق أو أعاد إعلان مبادئ الدكتور ولسن ومبادئ عصبة الأمم بإيضاح وتفصيل ، أعلن حق الشعوب في تقرير مصيرها ، وعدم الفتح والاستعمار ، وأعلن أن الناس سواء ، فلا قوى ولا ضعيف ، ومن الغريب أن نظام الأمم المتحدة هو الآخر يبدد الأمم المتأخرة والمتخلفة ، فأى نظام أبهى وأعظم من تنفيذ هذه المبادئ تنفيذاً نزيهاً ، أى حقائق أم هى حبر على ورق لذر الرماد في أعين الضعفاء الذين يتلففون على كرامتهم وحريرتهم .

إننا لا نطلب سوى تنفيذ ميثاق الأمم المتحدة حتى يتم للديمقراطية معناها ، ويتحقق مدلولها الكامل ، وفي هذا مصلحة للضعفاء ومصلحة للأقوياء ، ذلك أن الناس لو عاشوا إخواناً متصافين متساوين في الحقوق والواجبات ، أمكن إزالة أسباب الحروب ، وإزالة أسباب القتل والتخريب ، وأصبحت الأرض كافية لتغذية أبنائها ، ورفع شأنهم ، والترفيه عنهم ، فإن موارد هذه الأرض كافية لإعزاز أهلها ، وتبادل المنافع والمصالح فيما بينهم ، فإذا ازدهرت الأرض وعاونها العلم كانت جنة للعالمين بعد أن أصبحت جميعاً للناس أجمعين يتولاهم الذعر والخوف ، فلا يخرجون من حرب إلا إلى حرب تالية ، والفترة بين الحربين فترة شقاء وخوف وعذاب ، ينصرف الناس فيها إلى إنتاج أدوات الفتك والتخريب بدل إنتاج ما يسعد الإنسان في هذه الدنيا . إن الأيدي العاملة والعقول المفكرة قد انصرفت إلى إنتاج أدوات الحرب والفتك ، وضاع وقت الشباب وعمله في الجندية وما إليها من بناء الاستحكامات وآلات الحرب والتدمير وقد كان لهذا الشباب أن يحول جهده إلى الإنتاج السلى الصحيح ، وتعمير هذه الأرض وإشاعة الأخاء والمودة بين الناس ، وإشاعة تبادل المنافع ومنتجات الأرض ظامرة كانت أو مستترة ، ورفع ثقل تلك الضرائب التي لا يسلم من وطأتها أحد ، سواء في ذلك الأمم القوية أو الضعيفة ، ولا يمنع من الوصول إلى هذه الدرجة

في الإنسانية ، تلك الدرجة التي فطر الله الناس عليها إلا جشع الأقوياء وحب الحكم والسيطرة والاستتار .

وما دام الناس في هذا الزمن سادة وعبيدا ، أغنياء وفقراء ، فلا أمل في السلام ولا أمل في راحة الإنسان ، ونعيم الإنسان ، وسيبقى العالم شقيا حاراً مادام هذا الظلم سائداً في الكون ، وسيقوم العبيد أى المستعبدون بالانتقام ، ويؤذون أنفسهم لإيقاع الأذى بظالمهم ، يترقبون الفرص ولو بإيعاز الأقوياء ضد الأقوياء ، ولو أوذوا فيما يعتزون به ويحرصون عليه من مال ومتاع ، رغبة في الانتقام من أولئك الظلمة المستبدين .

نريد ما يريده كل عاقل شريف ، وهو أن يكون الناس في هذه الأرض جماعة إنسانية ، يأخذ القوى فيهم بيد الضعيف ، ويساعد الغنى فيهم الفقير ، وتتضامن الإنسانية لرفع شأن الإنسانية ، واستغلال ما وهبه الله إياها في هذه الدنيا ، وبغير هذا لا سعادة ولا سلام ، بل الويل لنا جميعاً مما ظلمنا به أنفسنا ، والله لا يهدي القوم الظالمين .

[ للبحث بقية ]

# نقط على الحروف

أو

## مزيّد من لا يضّاح

لحضرة صاحب السمامة العبد المذنب الأستاذ الشيخ محمد تقى القمى

السكرتير العام لجماعة التقريب

— ٢ —

لما حج المنصور قال لمالك : قد عزمّت أن آمر بكتبك هذه التى صنعتها فتفسخ ، ثم أبعث فى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة ، وأمرهم بأن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره ، فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا ، فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل ، وسمّوا أحاديث ، ورَوّوا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ، وأنشأوا به من اختلاف الناس ، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم .

هذا ما رواه التاريخ فى ذلك الشأن الإسلامى الخطير ، وليست العبارة لى ، وإنما هى فى كثير من الكتب المطبوعة المتداولة ، وقد نقلنا بنصها عن أحد هذه الكتب (١)

ترى هل كانت فكرة التقريب تشغل الأولين من العلماء المسلمين كما تشغلنا الآن ؟ وماذا كان موقف المنصور منها ؟ أكان لها أم عليها ؟ وماذا كان رأى مالك ،

(١) ص ١٤٥ ج ١ من كتاب « حجة الله البالغة للدهلوى » طبع مصر سنة ١٣٥٢ هـ

هذا الإمام العظيم الذى يتبع مذهبه ملايين المسلمين فى كثير من شعوب العالم الإسلامى ؟ وما رأينا نحن فى هذا ؟  
أسئلة لا صعوبة فى الجواب عنها :

فالمصور شهد اختلاف العلماء فى عصره ، وهو حاكم نظامى يهجم كما يهجم سائر الحكام النظاميين أن يتوحد الناس فى مملكته تحت قانون واحد ، يؤخذ به قاصيهم ودانيهم ، ويعمل به فى كل ناحية من نواحي هذه المملكة المترامية الأطراف .

وهو من جهة أخرى لم يكن يحب هذا الضجيج الذى أثاره العلماء بمجدهم وقشاشهم ، وذهاب كل فريق منهم مذهبا يخالف صاحبه ، وتمسكه بهذا المذهب حتى يراه وحده هو الجدير بأن يتبع ، ويرى غيره فاسداً أو باطلاً .

وهو من جهة ثالثة ، يريد أن يرضى أهل الحجاز ويصطنعهم ، ويتقرب إلى هذا الإمام العظيم امام دار الهجرة ، وقد بهره ما فى كتابه من العلم المستمد من الرواية عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن ثقات أصحابه ، لينخالف بذلك عن سنة الأمويين الذين كانوا لا ينظرون إلى أهل الحجاز نظرة المطمئن إلى ولائهم لسلطانهم ودوائهم .

هذه فيما أرجح وجهة المنصور فيما عَرَضَ على مالك ، ولعلها تتفق فى بعض نواحيها مع وجهة القائلين بإدماج المذاهب الفقهية فى مذهب واحد ، وليست ( جماعة التقريب ) منهم ، وإن فهم بعض الناس خطأً عكس ذلك .

وإنى أكرر فى هذا المقام ما قلته من قبل ، وما قاله غيرى من أعضاء جماعة التقريب فى مناسبات مختلفة ، من أنه ليس من أهدافنا أن ندمج المذاهب الفقهية بعضها فى بعض ، ومن أننا - على العكس من ذلك - نرى فى هذه الفكرة خطأ يدعونا إلى رفضها وإبعادها ، بل نراها فى حكم المستحيل مادامنا نلتزم كتاب ربنا ، وسنة رسولنا ، وأصول شريعتنا .

وهذا هو الإمام مالك ، ينهى المنصور عن تنفيذ فكرته ، فيعدل عنها عدول

من تبين له وجه الخطأ فيها ، فقد جاء في بعض ماروى من هذا الشأن ، أن المنصور حين سمع مقالة مالك أكبره وشكره ودعا له بالتوفيق .

إن مالكا لم تستهوه هذه الفكرة ، وإن كان فيها كل التأييد لمذهبه ، ولم ينتهز الفرصة لقبول هذا الاقتراح بمن يملك تنفيذه وحمل الناس عليه بما له من قوة السلطان والحكم ، فلقد كان أجل من أن يخدعه هذا الإغراء عن الحق ، وأجل من أن يتعصب لنفسه أو لمذهبه في هذه القضية الأساسية ، وأجل من أن يكتم السلطان ما يجب عليه من النصح له وللمسلمين ، وإن فوت عليه هذا النصح ما قد يحرص عليه كثير من الناس .

إن مالكا قد أرجع المسألة إلى أصلها ، ولم ينظر إلى أواخر الأمر في هذا الخلاف بين علماء الشريعة ، وإنما نظر إلى أوائله ، فهذا الخلاف في أصله ليس صادراً عن الهوى والتعصب ، ولكنه صادر عن أصول الشريعة وأدلتها التي يجب على المسلمين أن يعملوا عليها في معرفة دينهم ، والتعبد بما شرعه الله لهم ، فالقرآن الكريم الذي هو المصدر الأول والأعظم للمسلمين ، قد نزل بأسلوب كان من رحمة الله وفضله على خلقه أنه جاء قاطماً في أصول العقائد وما لا يتغير بتغير الأزمان والأحوال ، محتملاً في كثير مما وراء ذلك من الأمور والأحكام ، فكان ذلك من أول أسباب الخلاف تبعاً لاختلاف الأفهام ، وقواعد النظر ، وتقدير العلل والمصالح ، والسنة المطهرة لم تكن قد دوت ، وإنما اعتمد الناس على روايات تلقوها عن حفظها ورواها ، وكثير من هذه الروايات عن فعل فعله الرسول ، أو قول قاله ، وربما حفي بهذا الفعل أو بهذا القول قرائن وظروف تساعد على فهمه ، وربما خلا من ذلك ، وقد تأتى الرواية من طريق بلفظ غير ما جاءت به من طريق آخر ، وقد تبلغ الرواية هذا العالم ، أو هذا البلد ، ولا تبلغ غيرهما ، إلى غير ذلك مما كان ذا أثر ظاهر في الخلاف ، وقد اختلفت كذلك القواعد التي استنبطها العلماء لفهم الكتاب والسنة ، والأدلة التي رأى بعضهم أنها تهيد حكم الله ، ورأى غيره أن كتاب الله وسنة رسوله مغنيان عنها .

هذا ، على وجه الإجمال ، هو مادعا إلى اختلاف العلماء ، وهذا هو ما قضت به الحكمة الإلهية ، ولو شاء الله لجاءت أحكام الشريعة ومسائلها جميعاً على نبط واحد ، ولكن الله جل جلاله علم أن أمر الناس لا يصلح على ذلك ، فلا يصلح في أمور العقائد وأصول الدين التي يدخل بها المرء في رتبة الإيمان ، ويخرج من هذه الرتبة حين يخرج عنها - لا يصلح في هذه أن يُترك الناس لعقولهم وأفهامهم وظنونهم ، فلذلك بيننا بياناً واضحاً ، وجعلها من بين أمور الدين وأحكامه ، حرماً مقدساً ، لا يجوز أن تختلف فيها الأنظار ، ولا أن تكون مجالا لتعدد الآراء ، وهذا لجدال المتجادلين ، ذلك بأنها حقائق أخبرنا الله تعالى بها ، وأوجب علينا أن نعتقد بها ، ليس من شأنها أن تتغير بتغير الزمان ، أو تختلف باختلاف الممالح ، أو تتأثر باجتهاد المجتهدين ، وقد ألحق بهذه الأصول ما شابهها في عدم التأثير بالازمان أو الأفهام من حقائق العبادات وصورها - في الجملة - وأصول المعاملات وأنصبة الوارثين ، ونحو ذلك ، فكان هذا كله رحمة من الله وحكمة ، لأنه وفق الناس شر التفريق في الأسس والأصول ، ورسم لهم دائرة محدودة واضحة المعالم ، يُعرف من دخلها ومن خرج عنها ، وسما بالحقائق الواقعة عن أن تكون محل خلاف أو تنازع ، وألحق بها ما هو في حكمها من رسوم العبادة التي لا يُرجع فيها إلا إلى ما يريده المعبود ، ومن دعائم المعاملة التي يجب في كل زمان ومكان أن تكون مرتكزة على أساس سليم من العدل والخلق الكريم .

أما الفروع التي لا يضطر الاختلاف فيها ، سواء أكانت في الشؤون العملية أم في المسائل النظرية ، فلم يكن يصلح أمر الناس على توحيدها ، والإلزام بصورة معينة منها ، ذلك بأن الله خلق العقول وجعل لها مجالا هو النظر والتفكير والموازنة والترجيح والاستقراء والتتبع ، فإذا كانت الفروع كالأصول يقينية لم يبق للعقول مجال ، ولذلك جاءت أكثر أحكام الفقه ظنية ، وكثر فيها الاختلاف والترجيح ، وأصبحت نرى في كثير من المسائل الخلافية آراء الفقهاء التي تمثل جميع الصور المحتملة عقلاً .



وأمر آخر هو أن صور التصرفات التي تقع بين الناس ، والقضايا التي تحدث فيهم ، لا تنتمى ولا تقف عند حد ، فكلما جاء جيل من الناس جاءت معه أحداثه وتصرفاته وألوان نشاطه ، فإذا كان من قصد الشريعة أن تنص على كل حكم من لدن جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن تقوم الساعة ، لما وسع الناس أن يحفظوها ، ولا سيما وقد أنزلت على قوم أميين في جزيرة صغيرة محدودة القدرة ، وفي زمان أقرب إلى البدائية الأولى ، لم يكن العلم فيه قد تقدم كعهدنا به اليوم ، فلم يبق إلا أن نضمّن الأدلة والمصادر المحدودة للشريعة ما يُمْكِنُ العقول من الاستنباط منها كلها دعا إلى ذلك داع ، ولذلك وجدت المبادئ العامة ، والأصول التي يُرجع إليها ، وكان منها ما هو قطعي دائم ، ككون الشريعة يسراً لا عسراً ، وكون المعاملات مبنية على المصالح ، وكون العرف محكماً فيما لا نص فيه ، ووجوب حفظ المال والنفس والعرض والعقل والدين ، وغير ذلك من الكليات التي ترجع إليها الفروع والأحكام .

هذا هو الوضع الحكيم الرحيم الذي جاءت عليه الشريعة الإسلامية ، ولم يكن من الحكمة ولا من الرحمة أن تجيء على وضع سواه ، بل إن ذلك غير ممكن في نفسه ، فلا تتصور أن يكون ، ولذلك أبي مالك أن يقبل ما عرضه عليه صاحب السلطان ، لأنه يعلم أن كتابه الذي ألفه وجمعه ليس هو كل شيء في هذه الشريعة ، وليس هو الكلمة الفاصلة في كل أمر من أمورها ، أو مسألة من مسائلها ، فلغيره نظر كظره ، وبحث كبجته ، وجمع كجمعه ، وقد يكون عند غيره من العلم ما ليس عنده ، ولعله لو اطلع عليه لأخذ به ، ورجع عما كان قد اختاره ، وقد يُحمّل عليه إلى قوم في بلد من بلاد المسلمين سبق إليهم من قبله علمٌ عن غيره أخذوا به ، وعرفوا أنه الحق ، فكيف يُحمّلون على غير ما يعلمون ، كل هذا دعا مالكا رضي الله عنه إلى أن يقول للنصور ، وهو يعلل إياه قبول ما عرضه عليه : « إن الناس قد سبقت لهم أفاويل ، وسمعوا أحاديث ، وروّوا روايات ، وأخذ كل

قوم بما سبق إليهم وأنوا به من اختلاف الناس ، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم .

في هذا التعليل الواضح تكمن نظرية التقريب القائمة على عدم الدعوة إلى الاندماج المذهبي ، وفي الفقرة الأخيرة من عبارة هذا الإمام الجليل - وهي قوله : « فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم » - في هذه الفقرة تعبير عن الأسلوب الصحيح الذي يجب أن نسلكه للتقريب بين المسلمين ، فللمأس أن يحتفظوا بما عندهم من العلم ، ولهم أن يرجحوا ما شرع الله له صدورهم من الأنعام والروايات ما داموا مؤمنين بأصول دينهم ومصادر تشريعهم ، غير خارجين على كتاب ربهم وسنة نبيهم ، ولا مشاقين للهدى من بعد ما تبين لهم ، ولا متبعين غير سبيل المؤمنين ، وبعد هذا يجب أن يمدركل فريق أصحابه ، كما كان سلفنا الصالح يفعلون ، يجب أن يذكروا أن الخلاف الحر الشريف لا يفسد قضية الود والتعاون بين الأخ وإخوانه .

إن مالكا حين أشار على صاحبه أن يدع الناس وما اختاروا لأنفسهم ، لم يشر عليه بذلك ، لأنه لا يعتمد بأمر المسلمين ، ولا يعابأ بهم ، ولم يشر عليه بذلك ، لأنه ضن عليهم بأمر يعلم فيه صلاحهم ، ولكنه أشار عليه بذلك لأنه هو الخير كل الخير ، وهو الموافق لما أراده الله عز شأنه حين وضع شريعته هذا الوضع الحكيم الرحيم ، ولا يعقل أن يكون مالك قد أراد من ترك الناس وما اختاروا أن يتعصبوا لما عندهم ، وأن يجتروا عليه فيما بينهم ، وأن يقطعوا في سبيل التعصب له ما أمر الله به أن يوصل من أخوة الإيمان ، وتعاون الإسلام .

\* \* \*

ولم ينفرد مالك رضى الله عنه بالنهى عن اتباعه في كل ما قال به ، وإنما ما سواه ، فقد حدثنا التاريخ عن سائر الأئمة بمثل ما حدثنا به عن مالك : فأبو حنيفة رضى الله عنه ، كان يقول : « لا ينبغي لمن لم يعرف دليلى أن يفتى

بكلامي ، ، وكان رضى الله عنه إذا أفتى يقول : هذا رأى النعمان بن ثابت - يعنى نفسه - وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب .

والشافعى رضى الله عنه كان يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، وقال يوما للزنى : يا إبراهيم لا تقلدنى فى كل ما أقول ، وانظر فى ذلك لنفسك ، فإنه دين .

وكان الإمام أحمد رضى الله عنه يقول : ليس لأحد مع الله ورسوله كلام ، وقال يوما لرجل : لا تقلدنى ولا تقلد مالكاً ، ولا الأوزاعى ولا النخعى ولا غيرهم ، وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة .

وامد كانت سيرة سلفنا هؤلاء فى ثقة بعضهم ببعض ، وعذر بعضهم لبعض ، آية من آيات الله فى الإخلاص وحسن النية ، والاحتفاظ بما ينبغى أن يكون بين أهل العلم والدين من أخوة ، فكان بعضهم يصلى خلف بعض ، مثلاً كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعى وغيرهم رضى الله عنهم يصلون خلف أئمة المدينة ، وإن كانوا لا يقرأون البسملة لا سراً ولا جهرأ ، وصلى الرشيد إماماً وقد احتجم فصرى الإمام أبو يوسف خلفه ولم يعد ، وكان أئمة الإمام مالك بأنه لا وضوء عليه ، وكان الإمام أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الرءاف والحجامة ، فقليل له : فإن كان الإمام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ ، هل تصلى خلفه ؟ فقال : كيف لا أصلى خلف الإمام مالك وسعيد بن المسيب ؟ ... وصلى الشافعى رحمه الله الصبح قريباً من مقبرة أبى حنيفة رحمه الله ، فلم يقنت تأدباً معه ، (١)

\*\*\*

أما الشيعة - إمامية وزيدية - فيرون بقاء باب الاجتهاد مفتوحاً إلى يوم الدين ، ولا يتبعون فى عباداتهم ومعاملاتهم وسائر أحكام دينهم إلا ما فهموه من الكتاب والسنة . وما يأخذونه من أئمتهم عليهم السلام لا يأخذونه بحكم

الاتباع والتقليد ، ولكن على أنه رواية صحيحة صادقة لا شك فيها عن النبي ، وإذ كان ذلك هو مذهبهم ، الذي عليه سلفهم وخلفهم ، فإنه مما لا يتفق ومنطقه أن يعملوا على ادماج المذاهب بعضها في بعض ، أو على نصر مذهب منها على مذهب وتعطيل ما سواه ، فالمذاهب كلها لديهم سواء ، وكل ما جاء فيها فهو في نظرهم أقوال لقائلها ، وصلوا إليها باجتهادهم ، فما وجدوه صحيحاً قبلوه ، وما لم يكن كذلك في نظرهم عذروا قائله ، واتبعوا ما أدام إليه اجتهادهم .

• • •

من هذا يتبين أن دعوة التقريب ليست مدعاة في الدين ، ولا حدثاً في العلم ، وإنما هي تجديد وتنظيم لأمرٍ وفاقٍ مع شريعة الحكمة والرحمة : أن نألف حول أصول ديننا ، ولا نفرق كما تفرق الذين من قبلنا ، وأن يكون خلافتنا فيما وراء ذلك خلاف المنصفين المهذبن ، الذين يستمعون القول فيقيمون أحسنه ، أولئك الذين هدام الله وأولئك هم أولوا الألباب . ٢

# شعر المناسبات

محاضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان

أستاذ الأدب العربي في كلية اللغة العربية

« شعر مناسبات » ؛ كلمة تجرى على السنة النقاد والمعاصرين وأقلامهم ، عندما يعرضون لكثير من الشعر الحديث ؛ في سياق يدل على أنهم يريدون بها : أنه لا تنصح به عاطفة صادقة ، ولا يمدح طبع أصيل .

ولعل منشأ هذه التسمية أن أكثر هذا النوع من الشعر له مواسم تحتاج فيها لحوله ، فتهدر شفاشقه ، ويعلوصخها ؛ ويطغى سيله فيغمر أنهار الصحف والمجلات والنوادي والحفلات ؛ حتى يصاب عشاق الشعر من القراء بتخمة شعرية ، توله عقداً نفسية ، تلقى بينها وبين الشعر عداً أبدياً مستحيل العلاج .

والتسمية على هذا الوجه معقولة مقبولة ، قل أن يخالف فيها أديب ؛ فإن في الأشعار التي تنظم في الهجرة ، أو المولد الشريف ، أو أعياد الملوك الذاهبين ؛ ما يفيض في الشعر والشعراء ، ويهوى بهذا الفن الرفيع إلى الحضيض .

ولكن الرأي الذي فيه نظر ؛ على حد التعبير الأزهرى ؛ أن بعض النقاد المعاصرين ذوى الأخطار ، يتوسعون في محيط « شعر مناسبات » ، فيطلقونها على جميع المدح ، في الشعر العربي ، قديمه وحديثه ؛ حتى ليتطرف بعضهم فيسحب هذا الحكم على المدايح النبوية ؛ فإذا قلت له : أشعر مناسبات قول شوقي :

تجلى مولد الهادي وعمت	بشاره البوادي والقصابا (١)
وأسدت للبرية بنت وهب	يداً بيضاء طوقت الرقابا ؟

(١) القصابا : جمع قصبة : عاصمة .

وقوله :

الاشتراكيون أنت إمامهم . لولا دعاوى القوم والغلواء  
داويت مثدأ ، وداووا طفرة ، وأخف من بعض الدواء الداء  
قال لك : إنه للسليدين ، ولا يكون الشعر شعراً إلا إذا كان تأثيره عاماً .

\* \* \*

ينادى بذلك أكثر المقفين ثقافة مدنية ، ويسير في ركابهم فينادى به من  
يتلقون آدابهم عن مصاطب ، المفاهي ، وكتاب الصحف ، تقليداً وإزراء بالآداب  
العربي ، أدب الضعفاء والمتأخرين .

وإذا أممنا هؤلاء المقامين لأن خطأهم وصوابهم غير مقصودين ؛ فإنه لا يحصى  
لنا من أن ننادى بأن وصف المذائخ العربية جملة بأها من شعر المناسبات خطأ  
صراح ، منشؤه تطبيق أصول النقد الغربي على الآداب العربي ؛ مع أن الآداب  
دائماً - يتبع الذوق الخاص ، ولكل ذوق معايير واتجاهاته ، وغاية ما يعاب  
به شعر المذائخ العربية أنه : شعر تكسب ؛ والتكسب بالشعر لا يعيب الشاعر  
فنياً ؛ وإنما يعيبه من ناحية الأخلاق والكرامة الشخصية ، وموضوع حكومة  
النقاد ، أدب الآداب لا أخلاقه ، وإلا لصرنا بأكثر الأشعار عرض الحائط ،  
لأن أصحابها من فاسدى الأخلاق .

قد يرى نقاد الغرب أن أدب التكسب عديم لا يسمى أدباً ، أو أنه أدب  
ضعيف ، أو أدب مناسبات ؛ فهذا شأنهم لا ننازعهم إياه ، ولكن ليس لهم أن  
يحكموا على أدبنا بما يحكمون به على آدابهم ، لأن الشرق شرق ، والغرب غرب ،  
وهما لا يجتمعان على الآداب بحال ؛ ولست أعرف ما العاطمة التي يجب أن يصدروا  
عنها الشعر عند أدباء الغرب ، ولكنى أعرف أن الناقد العربي يقول :

« قواعد الشعر أربع : الرغبة ، والرغبة ، والطرب ، والغضب .

فع الرغبة يكون المدح والشكر . ومع الرغبة يكون الاعتذار والاستعطاف .  
ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسب . ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد  
والعتاب الموجع .

وقال عبد الملك بن مروان لأرطاة بن سُهيبة : أقول الشعر ؟ فقال : والله  
ما أطرب ، ولا أغضب ، ولا أشرب ، ولا أرغب ، وإنما يكون الشعر عند  
إحدا من ؛ وقال أبو علي البصير :

مدحت الأمير الفضل أطلب عرفه      وهل يستزاد قائل وهو راغب ؟  
فأفنى فنون الشعر وهي كثيرة      وما فئت آثاره والمناقب  
لجعل الرغبة غاية لا مزيد عليها . اهـ (١) .

وسأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابنة زهير بن أبي سلمى :  
ما فعلت حمل هرم بن سنان التي كساها إياك ؟ قالت : أبلاها الدهر ؛ قال :  
لكن ما كسا أبوك هرما لم يبله الدهر .

وقال لبعض ولد هرم بن سنان : أشدنى ما قال فيكم زهير ؛ فأشده ؛ فقال :  
لقد كان يقول فيكم فيحسن ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، إنا كنا نعطيه فنجول ؛ قال :  
ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم . (٢)

والإمام عمر بن الخطاب أديب غم ذواقة ، فهل يقضى بالخلود في أسلوبين  
مختلفين ، وما كسا أبوك هرما لم يبله الدهر - ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم .  
غاية في البلاغة لشعر تنقصه العاطفة ، أو يعوزه الطبع الأصيل ؟ ثم أليس هذا  
الشعر مدحا ١٤ .

وهل بلغ الفن الشعري غاية سموه إلا بالافتنان في المدائح جرياً وراء إشباع  
الرغبة في الظفر بأسنى الجوائز ، والفوز بأغنى الهبات ؛ ولأنه لجد صادق من يقول :

إن اللها تفتح اللها (١)

• • •

(١) المدة ج ١ ص ١٠٠

(٢) غاية الأرب ج ٣ ص ٩٠

(٣) اللهم بالضم : أنضل المطايا وأجزلها ، وبالفتح جمع لهاء : لجة حمراء في الخنك  
معلقة على عكدة اللسان ؛ ومفرد المضدومة لهوة .

إن مصيبتنا العظمى أننا فقدنا الثقة في أنفسنا ، فاحتقرنا كل مقوماتنا كأمة لها تقاليدها ولها فنونها وآدابها ؛ واتسمنا عند غيرنا من الأمم القوية في أنفسها وفي نظرنا ، فلم ننسجم في لبسنا ، ولم نبق على ما بأيدينا ، فصدق علينا مَثَلُ : « إن الغراب وكان يمشى مشية الخ ، من مُثُل الكتائب ! »

إننا لسنا أعداء للعلم أبداً ، بل إننا منهومون إليه نعمة لا تشيع ؛ ولكننا نريد أن ندرس علومنا وآدابنا قبل أن ندرس علوم غيرنا وآدابهم ، حتى يكون لإرادتنا وإصدارنا بحكمة ودقة نظر ، وصدق موازنة .

ومن عدم احترام النفس أن أدرس المعيار الأدبي لفرنسة مثلاً ، على حين أنني لم أدرس المعيار الأدبي للعربية ، ويلطف هذا العيب أن أقصر استعماله على الأدب الفرنسي لا أتجاوزه إلى غيره من آداب الأمم الأخرى .

ولقد سعدت بقراءة كتاب في النقد الحديث غاب عنى اسمه ، وهو للدكتور النويهي الأستاذ في كلية الخرطوم ، والحق أنه كتاب كريم يندر مثله في كتب النقد الحديث .

ومن أبداع ما يقول هذا الدكتور المجدد جداً : « إن أكثر النقاد المجددين في الشرق ، يأخذون طرق النقد الغربي من كتب النقد ، لا من اتخسروا بأساليب اللغة ، والمرأة على مواضع استعمالها ، ومحاسن أوضاعها الخ ، في كلام في هذا الموضوع مستوفى تمتع ، مع إيراد المثل وشرح ما فيها من عيوب التطبيق .

هذا رجل من أهل العلم المجددين الذين يحملون إجازاتهم العلمية والأدبية من أوربة يقرر في صراحة أن أكثر نقاد الأدب المجددين عندنا مخضون ؛ فهل يلام مثلي ممن تقف معلوماته المحدودة في الأدب عند المؤلفات العربية ؛ على أن يشكر على مجددى الأدب أساليبهم في نقد الأدب العربي ؟

\* \* \*

وعندنا رجل آخر يعتبر إمام القاد في الشرق العربي ، وهو الدكتور طه حسين ، الذى خدم الأدب في هذا العهد خدمة تصغر عندما كل خدمة ، تقرأ كل كتاباته



في النقد ، فلا تراه يعول على غير طرق النقد العربي وأصولها ، وإنما كان مجاله توسيع منطقة النقد ، بطرق اتجاهات لم تكن مألوقة ، وتنظيم النقد وتعمقه وتحليله تحليل الدارس الواصل ، والخبير الذواقة .

وعلة ذلك واضحة ، فإن الدكتور طه لم يدرس الأدب الغربي ، إلا بعد أن قتل الأدب العربي بحثاً ونفذ إلى أسرارهِ من جميع شعابها ومداخلها ، ولو أنه رأى في تطبيق طرق النقد الأجنبي خيراً لفعل ؛ ولذلك طرحه من حسابه وأهمله ، كما فعل العباسيون من قبل حينما ترجموا علوم الأوائل ، ومالوا عن ترجمة الأدب ، لأنه خلق لأذواق غير أذواقهم .

ويحلولي هنا - والشئ بالشئ يذكر - أن أقول : إن من آيات إيماني بالدكتور طه حسين ، أنني حينما نقلت إلى كلية اللغة ، عهد إلى أحد زملائي من الاستاذة في الكلية الآن ، والىّ معه ، تدريس الأدب الجاهلي ، فاتفقنا على أن نتعاون في التحضير ؛ فكننا نقطع الليلتين وثلاث الليالي أحياناً في تحضير موضوع ، نرجع فيه إلى أكثر ما نعرفه من كتب الأقدمين ، حتى إذا انتهينا فيه إلى شئ يحسن السكوت عليه ، قرأنا ما كتبه فيه الدكتور طه حسين ؛ فكننا نرى - والعجب يملك علينا أنفسنا - أنه قد ألم بكل مراجعنا ، ونفذ إلى مُصاصها ، وكثيراً ما كان يزيد شيئاً لا نعرف مصدره ، فنفيده منه ، أو نعاود بحث الموضوع من جديد ، ونحن نردد : في كل واد أثر من ثعلبة !

\* \* \*

نحن نعترف - آسفين - أن شعر المناسبات بالمعنى المتعارف عند نقاد العصر ؛ أكثره مما يفتي النفس ، ويغض في الشعر والشعراء ؛ ولكن ليس السبب أنه تنقصه العاطفة ، فإن الرغبة في الظهور ، وفي شيوع الذكر ، وذويع الشهرة ، من أقوى العواطف ؛ وليس أفعال في النفس من الكلمة المطبوعة ؛ ويضاعف أثرها أن تكون منظومة ؛ ولقد مررنا بهذا الطور ، وجربنا مبلغ انفعالاته ، وتهدنا آثاره عند غيرنا ، كما شعرنا به في أنفسنا ؛ فأنكاره مكابرة كاذبة .

ولقد كانت الشهرة عاملاً فعالاً في الشعر ، حتى هند فحول شعرائنا من شوقي  
وَمَنْ قاربه ؛ فان من المتعالم المشهور ، أن الشاعر منهم كان يتوقع الحادث من  
الحوادث ، فيستعد له قبل كونه ، بنظم قصيدة فيه ، حتى إذا وقع ، كانت معدة  
للنشر ، أو لا يعوزها إلا بعض الرنوش .

ومن أشهر المثل على ذلك ، مرثاة شوقي للغفور له سعد زغلول باشا ؛ فإن  
الآداب في إبان ظهور هذه المرثاة ، أنكروا على الأمير أن يقول في سعد :  
شَبَعُوا الشمس ، ومالوا بضحاها وانحنى الشرق عليها فبكها  
لِيتى في الركب لما أفكت يوشع ؛ همت ؛ فنادى ، فتأما  
لأن هذا المطلع ، برثاء النساء أشبه .

وظهر - بعد البحث - أن أمير الشعراء كان يتوقع موت أم الحسين والدته  
الخدوي عباس ، فأعد لها هذه المرثاة ، أو أكثرها ؛ فلما توفى سعد قبلها ، قلبها  
رثاء فيه ؛ ويؤيد هذا أن في القصيدة ألياناً غير المطلع ، واضحة في نعت هذه السيدة ،  
مثل قوله :

كفنوها حرة علوية	كست الموت جلالاتها ، وكساها
مصر في أكفانها إلا الهدى	لحمة الأكفان حق وسداها
خطرَ النعش على الأرض بها	يحصر الابصار في النعش سناها
جاءها الحق ، ومن عاداتها	تؤثر الحق سيلا واتجاها
مادرت مصر بدفن صبحت	أم على البعث أفاقت من كراها
وقوله في ختامها :	

في نعم الله نفس أوتيت	أنعم الدنيا فلم تنس تقاها
ذهبت أوابة مؤمنة	خالصا من حيرة الشك هداها
آنت خلفاً ضعيفاً ورأت	من وراء العالم الغاني إلها

والأدباء - مع هذا - مُصَفَّقون على أن هذه القصيدة من جياذ شوقي ،  
ومن عيون شعره .

\*\*\*

وعندى ، أن شعر المناسبات ، إنما أتى من ناحية ضعف الثقافة الادبية ؛  
ومن فقدان الموهبة الشعرية ، أو ضعفها ، ضعفاً لا يستقيم عليه شعر ؛ فكل من  
استطاع أن يركب كلمات توازن تفاعيل بحر من بحور الشعر ، فهو شاعر ، من  
حقه أن ينظم قصيدة فى الهجرة ، أو فى المولد ، أو فى أى موسم من مواسم  
الشعر ؛ وأن ينشرها فى صحيفة أو فى مجلة ؛ وقد تنشرها له صحيفة أو مجلة ؛ فتغريه  
بالمعادة ، ويصبح شاعراً مشهوراً ، يعرف ذلك لنفسه ، ويعتقد أن عالم القراء  
يعرفه له .

وكان لى شرف الاتصال برجلين عظيمين ، أحدهما كان على رأس كبرى  
الصحف المصرية ، وهو المرحوم داود بركات ؛ وتانيهما على رأس مجلة الأزهر ،  
وهو الأستاذ العلامة محمد فريد وجدى ؛ وكنت أراهما كليهما ينشران شعرأناهما ؛  
فإذا سئل أيهما : لم نشره ، قال : د إتنى لا أعرف فى الشعر ! ،

وقد يكون هذا من تواضع العظماء ، وقد يكون صحيحاً ؛ والاول أرجح ؛  
ولكن النتيجة واحدة على الحالين ، وهى أن للصحف والمجلات مشاركة فى كثرة  
الشعر التافه وشيوعه ، بما تسديه إلى من لا يحسنون الشعر ، من الأغراء والتشجيع ؟

# الخلاف لا يمنع من الانصاف

لمحاضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد جواد مغنیه

رئيس المحكمة الشرعية الجعفرية العليا ببيروت

- 
- ١ — من أحكام الإسلام أن يقر أهل الأديان على ما يستحلونه .
  - ٢ — حتى الحوارج مسلمون لأنهم متأولون .
  - ٣ — اختصاص البنت بميراث أبيها عند الإمامية .
- 

لقد أثبتت التجارب أن الأنظمة والقوانين لا يمكن أن تعيش ، إذا لم تستمد قوتها من إيمان ديني أو فلسفي ، وأن أي نظام لا يستقبله الشعب بالرضا والقبول لا يلبث أن يزول ، وإن دعمته قوة النار والحديد . وهذه حقيقة اعترفت بها الفاشية والشيوعية ، لأنها بدية لا تقبل الشك والريب .

وقد راعاها الإسلام ، وأولاهها عايته ، حيث لم يفرض أحكامه على غير المسلمين ، وإنما ترك أهل الأديان وما يدينون ، فما هو صحيح عندهم فهو نافذ في حقهم ، في نظر الإسلام ، فالخمر والخنزير لا يملكهما المسلم ، ويصح تملكهما ، وتمليكهما لغير المسلمين ، ومن أحكام الإسلام جواز أنكحة غير المسلمين ، وإن لم تتوافر فيها الشرائط المعتبرة في أنكحة المسلمين .

وقد اتفقت المذاهب الإسلامية على هذا الأصل ، ونظقت به كتبهم ، فن كتب الستة كتاب البدائع والصنائع ، ج ٢ ص ٣١٠ و ٣١١ الطبعة الأولى ، وكتاب المغني ، ج ٦ ص ٦١٣ و ٦٢٧ الطبعة الثالثة : أن أنكحة غير المسلمين لها أحكام الصحة ، لانا قد أمرنا بتركهم وما يدينون ، وفي المغني ج ٦ ص ٣٠٦ . مجوسى تزوج ابنته ، فأولدها بنتا ، ثم مات عنهما فلهما الثلثان .

ومن كتب الشيعة الإمامية كتاب الجواهر ، باب الزواج والطلاق ، وكتاب

• مقابس الأنوار ، أول باب الزواج : إن ما في أيدي غير المسلمين من النكاح وغيره صحيح ، وإن كان فاسداً عندنا ، وإن كل قوم يفرقون بين النكاح والسفاح فنكاحهم جائز ، لحديث « ألزومهم بما ألزموا به أنفسهم » .

وهذا مبدا عام من مبادئ التشريع الإسلامي لا يختص بمذهب دون مذهب . بل إن فقهاء المسلمين قد تسامحوا أكثر من ذلك ، قال صاحب المغني ج ٨ ص ١٣٢ « من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة ، ومن بعدهم ، واستحلال دمائهم وأموالهم واعتقادهم التقرب بقتلهم إلى الله ، ومع ذلك لم يحكم العقهاء بكفرهم لأولهم . »

وإذا كان الفقهاء يقررون ما في أيدي غير المسلمين من أنظمة وقوانين تخالف الشريعة الإسلامية ، ولا يحكمون بتكفير الخوارج الذين كفروا الصحابة ، واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم ، لأن عقيدتهم تبيح ذلك لهم ، فكيف يسوغ لمسلم أن يكفر طائفة تؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، وتستمد أصولها وفروعها من كتاب الله وسنة نبيه ، وتقول : من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله حقن ماله ودمه ، كيف يكفرها مسلم ، لأنها تخالف المذهب الذي ارتضاه لنفسه ، أو ورثه عن آبائه ، تخالف مذهبه في بعض شرائط الزواج والطلاق ، أو بعض مسائل الإرث والرضاع !

إن مذهب الخوارج يخالف جميع المذاهب الإسلامية السنية والشيعة ، ومع ذلك فقد عذروهم فيما اجتهدوا فيه فأخطأوا ، إذن ، بالآخرى أن تعذر طائفة إسلامية إذا خالفت المذاهب الأربعة في مسألة من مسائل الرضاع أو الإرث ، مستندة إلى آية أو رواية .

إن الشيعة الإمامية لم يتقيدوا بمذهب من المذاهب الأربعة ، وإنما اتبعوا طريقة الأصحاب والتابعين في استخراج الأحكام من الكتاب والسنة ، فكل ما أدى إليه الكتاب والسنة فهو حجة عندهم ، ولو خالف جميع المذاهب ، لأن قول الله ورسوله فوق الأقوال كافة ، أي أن الفقيه الإمامي يعمل بما أدى إليه نظره وفهمه لأصول الشريعة ، لا بما فهمه فقهاء السنة أو الشيعة ، وكان من نتيجة هذا الاجتهاد المطلق غير المقيد بمذهب أو قول ، أن خالف الشيعة الإمامية المذاهب الأربعة في بعض المسائل ، منها :

إن المذاهب الأربعة يشركون أبا الميت مع ابنته في الميراث ، ويشركون عمه مع أخته ، ويقول الشيعة الإمامية : إن التركة بكاملها للبنت وحدها ، وللأخت دون سواها ، ولا شيء للعصبة ، لأن من كان بينه وبين الميت درجة واحدة فهو أولى بالميراث من كان بينه وبين الميت درجتان أو أكثر ، وهذه الحقيقة يعترف بها أئمة المذاهب في مسألة العصبة ، لا هم قالوا : إن عصبة الأقرب كالإخ يتبع الأبعد كالعم ، وآية : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » ، كما دلت على أن القريب أولى من الغريب في الميراث ، فقد دلت أيضاً على أن الأقرب أولى من هو دونه في القرابة ، وليس من شك أن البنت أقرب إلى الميت من أخيه ، وأخته أقرب إليه من عمه .

آية : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً » ، دلت على التساوى بين الذكور والإناث ، فكما أن بين الأب والابن درجة واحدة ، فإن بين الأب والبنت درجة واحدة أيضاً ، وكل منهما يصدق عليه لفظ الولد أيضاً من دون تفاوت ، قال الله تعالى : « فاستفتهم الربك البنات ، ولم البنون ، ما كان لله أن يتخذ من ولد ، فإذا كان الابن يحجب عمه لأنه ولد الميت ، فالبنت يجب أن تحجبه أيضاً لأنها ولده ، ومن هنا يتبين أن قوله تعالى : « إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ، وهو يرثها إن لم يكن لها ولد » ، يتبين من هذه الآية أن الأخ والأخت لا يتوارثان إلا مع عدم وجود الولد ، والبنت ولد بلا ريب فتحجب الأخ . أما قوله تعالى : « فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك » ، وإن كانت واحدة فلها النصف ، فلا دلالة في هذه الآية الكريمة ، ولا في غيرها من الآيات على أن ما زاد عن الثلث لا يرد على البنتين ، وما زاد عن النصف لا يرد عن البنت ، ولو كان هناك دليل على منع الردم لما وقع الخلاف والنزاع ، على أن أهل السنة يردون على أهل الفرائض ما زاد عن فرضهم في بعض الحالات قال في المفتي ج ٦ ص ٢٠١ « يرد على كل أهل الفرائض على قدر ميراثهم إلا الزوج والزوجة » ، والبنت من ذوى الفرائض فيرد عليها ما زاد عن فرضها ،

وكذا الأخت ، وقال الله تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ، نصت الآية على أن الدين يثبت بشاهدين ، وشهادة رجل وامرأتين ، مع أن من مذاهب السنة من أثبت الدين بشاهد ويمين ، بل أثبت مالك بشهادة امرأتين ويمين (١) ، فكما أن هذه الآية لا تدل على أن الدين لا يثبت بشاهد ويمين ، ولا بشهادة امرأتين ويمين ، كذلك آية الميراث لا تدل على أن البنت لا يرد عليها أبداً ما زاد عن النصف .

فالشيعية يوجبون رد ما زاد عن فرض البنت والأخت ، ويخصون كل واحدة بتمام الميراث دون غيرها ، لأن البنت أقرب إلى الميت من أخيه ، والأخت أقرب إليه من عمه ، والأقربون أولى ، والشيعية لا ينقون بحديث : « ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقى فلاولى عصبه ذكر ، ولو وثقوا به لقالوا بمقالة أهل السنة ، كما أن أهل السنة لو لا تفهم بهذا الحديث لقالوا بمقالة الشيعة .

وقد أطال الإمامية الكلام فى هذا الباب ، ووضعوا له رسائل خاصة ألزموا فيها أهل التعصيب القائلين بحرمان البنت مما زاد عن فرضها ، ألزموهم بالزومات كثيرة لا يتسع لها المجال ، ونكتفى منها بما يلى :

قالوا : يلزم من القول بالتعصيب أن يكون الابن للصلب أضعف سبباً من العم ، وذلك لو افترضنا أن الميت ترك ابناً ، وثمانى وعشرين بنتاً كان للابن سهمان من ثلاثين بلا خلاف ، ولو كان مكان الابن عم لكان له عشرة أسهم من ثلاثين ، وعليه يكون الابن أسوأ حالا من العم ، وكذا لو ترك الميت عشر بنات وأخا كان لبناته العشر ثلثان ، ولأخيه الثلث ، أى أن أخا الميت يأخذ خمسة أسهم ، وبنت الميت تأخذ سهماً واحداً .

وليس الغرض مما قدمت أن أثبت أن الشيعة الإمامية مصيبون ، وغيرهم مخطئ ، وإنما الغرض أن أسهل للقراء الاطلاع على ما عند الإمامية مما اتفقوا عليه ، واختلفوا فيه ، ليعدلوا أن مرجع ذلك إلى الفهم فى كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة ليس إلا . وبالله التوفيق .

# الشرعية الإسلامية والقوانين الوضعية بمصر

لمحاضرة الأستاذ على على منصور

رئيس الدائرة الأولى بمحكمة القضاء الإداري لمجلس الدولة بمصر (\*)

- ٦ -

الشرعية الإسلامية وقوانين العقوبات الوضعية :

(١) عقوبة الشريك في الجرم كعقوبة من ارتكب الجرم بنفسه :

تنص القوانين الوضعية على أنه من اشترك في جريمة فعليه عقوبتها وحددت المشاركة إما بالتحريض أو المساعدة ، وتقضى الشريعة الإسلامية بأصل عام : من قتل يقتل ، ونصوص القرآن في ذلك جاءت عامة لما أسلفنا من حكمة ، فبدأت عقوبة الشريك في صدر الإسلام محل اجتهد لانعدام النص ، ثم استقرت على ذلك قبل التشريعات الحديثة بزمان طويل ، وذلك أن عاباً قضى في رجل فر من رجل يريد قتله فأمسكه له آخر حتى قتله وبقره رجل ينظر إليهما وهو يقدر على تخليصه ، ولكنه لم يفعل - قضى على في ذلك بأن يقتل القاتل ، ويعبس الممسك حتى يموت ( الحبس المؤبد ) ويعاقب الناظر ، إذ من المصلحة حض أفراد الأمة جميعاً على أن يكونوا قوامين بالقسط ، ولما كانت المسألة محلاً للاجتهاد لانعدام النص ، فقد رأى الإمام مالك القصاص من الممسك لا حبسه فحسب ، وعلل ذلك بأنه عمالي على القتل فكأنه قد باشره . ص ٦٩ الفكر السامي .

(\*) (رسالة الإسلام) : السيد الجليل كاتب هذا البحث مندوب الآن لمهمة قانونية كبرى لدى الحكومة الليبية ، هو وصفوة من زملائه رجال القانون ، نأل الله لهم التوفيق والساد .



وعندى أن الاشتراك في الجرائم وتحريمه منصوص عليه في سورة المائدة  
« ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

### (ب) الاعذار المسقطة للجرم أو المعفية من العقاب أو المخففة له :

جعلت الشريعة الإسلامية بلوغ سن الرشد شرطاً لاحتثال التكاليف والمسئولية الجنائية ، فلا يعتبر الصغير في نظرها مجرماً لأنه غير مكلف ، فالصغر من الاعذار المعفية من العقاب ، وكذلك الجنون ، وفي الحديث الشريف : « رفع القلم عن ثلاثة : الصبي حتى يكبر ، والمجنون حتى يفيق ، والنائم حتى يستيقظ » . وروى أبو طيبان أنه شهد قضية امرأة زنت فأمر عمر بربحها ، فردما على فسأله عمر : مالك قد رددت هذه ، قال : أما سمعت رسول الله يقول : رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر ، وعن المبتلى حتى يعقل ، وهذه مبتلاة بنى فلان . ولعلنا قد شهدنا الكثير من الأخبار في أمريكا عن حوادث تقع من أشخاص نيام ، حيث يقوم النائم ويمشي ويرتكب الحادث وهو في غير وعيه ، ومثل هذا ينطبق عليه الحديث « ولا جرم عليه » ولما تنسج التشريعات الحديثة لمثل هذا كما اتسعت له الشريعة الإسلامية .

وروى ابن القيم في قضاء الجماعه ص ٢٥٢ ، عن ابن حاطب أن غلاماً لا ييه سرقوا ناقة لرجل من قريته ، فأتى بهم عمر فأقروا ، وبعد أن أمر بقطع أيديهم راجع نفسه فنظر فوجدهم جياعاً فأسقط عنهم إقامة الحد ، وقضى على سيدم بغرامة هي ضعف ثمن الناقة ، وفي هذا ما يؤكد نظرية مسئولية السيد عن أعمال خادمه ، ثم النظرة الواجبة لسارق الجوع ، وعبرة عمر التي أنب بها سيد الغلمان حاطب بن بلعة « إنكم تستعملونهم وتجميعونهم حتى أن أحدهم لو أكل مما حرم عليه حل له ، وإيم الله إذ لم أقطع أيديهم لأغرمنك غرامة توجعكم » .

### (ج) الإثبات في الجرائم :

كما تشددت الشريعة الإسلامية في العقوبات ، وحدث لبعض الجرائم الحدود بغية الزجر والردع والتخويف ، تشددت أيضاً في طرائق الإثبات ، وتكاد الحدود لا تثبت إلا بالاعتراف والإقرار ، وفي حديث عائشة ادرموا الحدود

بالشبهات ما استطعتم ، فإن وجدتم للسلم مخرجا فخلوا سبيله ، فإن الإمام لأن يخطئ في العفو خير له من يخطئ في العقوبة ، وقال عمر : لأن أعطل الحدود في الشبهات خير من أن أقيمها ( ص ٩١ الخراج ) .

( د ) لا يهدر دم في الإسلام - القسامة :-

كثيراً ما يحدث في زماننا بمصر ، وفي جميع البلاد ألا يعرف القاتل ، فيهدر دم القتيل ، أما الشريعة الإسلامية فقد جعلت دية قله في بيت المال ، أى من خزانة الدولة ، ويمكن تأصيل سبب هذه القسامة إلى أن الدولة مسئولة عن صيانة الأمن والمحافظة على الأنفس والأموال ، وهذا مثل رائع لما لم تبلغه الشرائع الحديثة من أحكام الشريعة الإسلامية ، فالدية على القاتل أو على القرية أو على الدولة لوجوب تقسيم المغارم على الجماعة عند عدم معرفة العاقل .

وقصة فرتونة السوداء معروفة حيث كتبت إلى عمر بن عبد العزيز تذكر أن حائطا لها قصير ، وأنه يقتحم عليها منه فيسرق دجاجها ، وتساله تحصين الحائط ، فكتبت إلى واليه بمصرفاً على الجدار وحصنه ، وكتب إلى فرتونة بما كتبت إلى واليه .

( هـ ) جريمة الرشوة والسب والفضف :

مهما بلغت الدقة في اختيار الموظفين ، فلا بد أن يوجد بينهم من يتجر بزمته وبما لا تتمعن عليه من المصالح العامة ، وقد يكون كبير الجعل الذي يتقدم به الرائي مشجعاً على فساد ذم بعض صغار النفوس . ولم يكن أبان الجاهلية حكم ولا أحكام بالشكل المعروف اليوم ، ولم يكن هنالك من موظف عام بالمعنى المؤلف الآن ، ولكن اسمع ما ورد في القرآن عن جريمة الرشوة بنصها وأركانها د ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتؤدلوها إلى الحكم لتأكلوا فريقتا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ، تنص الآية على جميع أركان جريمة الرشوة بحسب ما أفاض فيه فقهاء القوانين الوضعية . فأكل أموال الناس بالباطل إثم وجرم ، ومن بين الطرق الذي يتوصل بها إلى ذلك الباطل ، أن ترشو حاكماً أى موظفاً بمالك ليحاييك فيما لديه مما للغير من حقوق - أما ركن العمد - القصد الجاني - فتعبر عنه الآية بقولها : وأنتم تعلمون .

ولأخذ مثلاً آخر عن جرائم العلانية ، وهى السب والقذف وجرائم النشر ،  
فالقوانين الوضعية تمنع أى إنسان من أن يجاهر بفاحش القول ، أو سيئه بوجهه  
إلى آخر ، وذلك حماية لاسماع الناس من أن تأذى بمثل هذا المهجر ، وحماية  
لأخلاقهم من أن تفسد إليهم تلك القبايح ، ولأن فى ذلك أذى لمن وجه إليه  
هذا السوء ، فاسمع ما ورد فى القرآن عن هذه الجرائم جميعها فى كلمات قليلة :  
« لا يحب الله الجهر بالسوء من القول » ولو أن الآية انتهت عند لفظ السوء بأن  
كانت « لا يحب الله الجهر بالسوء » لشمكت أيضاً جريمة الفعل العاضع العلنى ،  
وهى منصوص عليها فى آية أخرى من سورة النور « إن الذين يحبون أن تشيع  
الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة » وكذلك جريمة التحريض  
على الفسق والفجور ، فقد تكلمت بها آية أخرى « لا تتركوهما فتيانكم على  
البناء إن أردن تحصننا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » .

ولم تهمل الآية الأولى الاستفزاز كعذر لمن يرتكب جريمة القذف والسب  
إذا ما ابتدره غيره بالسب فاهتاج ، فرد عليه سباً بسب ، حيث تقول « لا يحب  
الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » وهذا الاستثناء يبيح لمن ظلم أن يجهر  
بالسوء ، غير باغ ولا عاد . ولفظ الظلم هنا مطلق لم يقيد بأنه من القول فيشمل  
عذراً للاستفزاز ، الاعتداء عليه بالقول كالسب ، أو بالفعل كالضرب ، أو على المال  
بالسرقة ، وكل ذلك إذا ما وقع على الإنسان ، فردّه بالسب أو القذف فهو معذور .

ويجمل بنا أن نشير إلى أن الآية التالية استدركت ما قد ينشأ من تطرف  
فى فهم عذر الاستفزاز ، فنصّت على أن العفو عن السوء خير من رده بسوء  
مثله ، حيث قالت : « إن تبدوا خيراً أو تحفوه أو تعفوا عن سوء » فإن الله كان  
عفواً قديراً ، كما يجمل بنا أن نشير إلى أن المعنى فى هذه الآيات على نحو ما أوردته  
واضح بين سهل المال لكل من تهاه لدراسة القوانين المقارنة ، أما غيرهم  
فقد يغيب عنهم هذا المعنى ، ولذا نجد بعض مفسرى القرآن يذهبون فى تفسير  
عبارة الجهر بالسوء من القول إلى أنها الدعاء على الأعداء بالانتقام ، وانزال  
غضب الله عليهم .

وفي هذه المناسبة أرى أنه إذا أريد ترجمة معاني القرآن ، أن تشمل هيئة الترجمة أفراداً من المشتغلين بنواحي الفكر الإنساني ، كعلماء القانون والاجتماع والطب والمال والاقتصاد والفلسفة والتاريخ والفلك ، وغير ذلك ممن أعدوا في حياتهم العملية والعملية لدراسات خاصة ، عسى أن تهتدى جماعتهم إلى أقرب المعاني من الحقيقة .

### الشريعة الإسلامية وقانون تحقيق الجنايات :

(١) الاكراه أو التهديد أو التأثير مبطل للاعتراف : سبق أن أسلفنا أن الإقرار أقوى الأدلة القانونية ، وأن التشدد في طرائق اثبات الحدود ، والجرائم جعل معظمها لا يثبت إلا بالإقرار ، ولهذا سبقت الشريعة الإسلامية القوانين الوضعية في إحاطته بالصناعات ، بحيث يصدر حراً عن طواعية المقر ومحض رغبته ، وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ( لا حد على معترف بعد بلاء ) وقال على ( من قُيد أو حُبس أو تهدد فلا إقرار له ) .

وروى عن عمر أنه أتى بامرأة حامل ، فاعترفت بالفجور ، فأمر برجمها ، فتلغاها على ، فسأل عن خبرها فذكره له ، فردها إلى عمر وقال له : هذا حلفك عليها ، فما سلطانك على ما في بطنها ، ولعلك انتهرتها أو أخفيتها ، قال : قد كان ذلك متى قال ، أو ما سمعت أن رسول الله قال : لا حد على معترف بعد بلاء ، انه من قُيد أو حُبس أو تهدد فلا إقرار له . ( كتاب كفاية الطالب لمناقب على ابن أبي طالب ) .

وذكر بن السمان في كتاب الموافقة ، أن عمر أتى بامرأة أجهدها العطش ، فرت على راعي غنم في فلاة فاستسقت ، فأبى أن يسقيها حتى تمسكه من نفسها ، ففعلت خشية الهلاك ، واقرت بذلك كله ، فشاوَر عمر الناس في رجمها ، فقال له على : انها مضطرة ، نخل سبيلها ، ففعل .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله ينههم عن إكراه الناس على الاعتراف وختم كتابه بقوله : « لعمري لأن يلقوا الله بجناياتهم أحب إلى من أن ألقى الله بدمائهم » .

### (ب) فن التحقيق واكتشاف الجرائم ومرتكبيها :

الجريمة ومجرد التفكير فيها ، والاتفاق عليها ، والشروع في ارتكابها ،

ثم تنفيذها بحيث تصبح جريمة تامة ، ثم التحقيق بالبحث والتدقيق ، واستلزام الواقع حقيقة الحال ، كل ذلك منصوص عليه في القرآن في كثير من السور والآيات ، ولعل في سورة يوسف جماع هذه الامور . فعند ما حنق عليه إخوته وفكروا في التخلص منه بقتله ليخلو لهم وجه أبيهم ، وأجمعوا أمرهم على ذلك ، أليس هذا هو الاتفاق الجنائي ، وهو جرمٌ استحدث أخيراً في قانون العقوبات المصري ، بعد الاعتداء على بطرس غالي باشا ، والذي دعا المشرع إلى ذلك أنه وجد أن نصوص قانون العقوبات قاصرة عن أن تنال من يتفقون على ارتكاب جريمة ما وكشف أمرهم قبل أن يبدوا بالتنفيذ ، ثم تكفلت سورة يوسف بعد ذلك بسرد باقي الوقائع ، وكيف شرع إخوته في ارتكاب جريمتهم فاستأذنوا أباهم في أن يسمح ليوسف بمرافقتهم في رحلتهم إلى البادية ليرتع ويلعب ، فلما خلوا به نفذوا الجريمة فآلقوه في غيابة الجب ، ثم عادوا إلى أبيهم يتباكون ويدّعون أن الذئب أكل يوسف ، فلما يأخذ الوالد المتناع قولهم قضية مسلمة ، بل يقبل على قيص ولده بفحص ما به من دم ، وسرعان ما تبين كذب هذا الادعاء حيث وجد القميص سليماً ليس به أثر للتمزق ولا موضع به لاختراق أنياب الذئب إلى جسد يوسف حيث يمكن أن يتعجر الدم فيصيب القميص بلوثاته ، فأيقن أن الأمر مكذوب ، وأنهم قد سولت لهم أنفسهم أمراً ، فاستسلم لنضاه الله ، واستعان به على الصبر ، وتجري آيات السورة بهذا الخبر تقول : « وجاءوا أباهم عشاءً يبكون قائلوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ، وجاءوا على قيصه بدم كذب ، قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون . »

ومن أبرز الأدلة الجنائية أيضاً قيص يوسف مع امرأة العزيز : راودته عن نفسه واعتصم وأتسابقا إلى الباب هو يريد الخروج ، وهي تريد أن توصله ، دونه لتبلغ مشتاتها منه ، فوجدوا العزيز بالباب يريد الدخول ، ففوجئت الزوجة برؤيته ، وهما شيطانها إلى اتهام يوسف بأنه أراد بها سوءاً ، وأنها أبت عليه

ذلك وانتهرته ، فهرول أمامها إلى الباب طلباً للنجاة والهرب ، ودفع يوسف التهمة بأنها هي التي راودته عن نفسه ، وحار العزير في تبين وجه الحق لولا أن لحظ بعض المقرئين من العزير أن قبيص يوسف قد مزق من الخلف ، ولو أنه هم بامرأة العزير كما تدعى لكان المزق من قُبُلٍ لامن دُبُرٍ ، وهكذا دلت المعاينة والتحقيق على صدق رواية يوسف وكذب رواية امرأة العزير ، وتشير الآيات إلى ذلك بقولها : « واستبقا الباب وقدت قبيصه من دُبُرٍ والفياسيئدا لدى الباب قالت : ما جزاء من اراد بأهلك سوءاً إلا ان يسجن او عذاب اليم ، قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قبيصه قد من قُبُلٍ فصدت و هو من المكاذبين وإن كان قبيصه قد من دُبُرٍ فكذبت وهو من الصادقين ، فلما رأى قبيصه قد من دُبُرٍ قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم . »

### التشريعات الاجتماعية في الشريعة الإسلامية :

(١) الضمان الاجتماعي : تكفل نظام الزكاة والصدقات والبر بالنزول بضمان حياة كريمة لكل فرد من أفراد الجماعة الإسلامية ، ولا حاجة للإمالة في ذلك ، ولكن الشريعة الإسلامية ذهبت إلى أبعد من ذلك ، حيث كملت للمفقر نفقته الضرورية في بيت المال ، ولمعمرى أن أحدث الأمم حضارة لم تبلغ الشأور الذي بلغه الإسلام في ذلك ، فقد جعل للدين في غير فساد حق فيما فاض بميزانية الدولة بعد المصارف العامة ، فقد كتب عمر إلى واليه على الكوفة ، وقد علم منه أنه اجتمعت لديه في بيت المال بقية مال بعد إعطية الجند والمصارف العامة ، فقال له : اعط منه من كان عليه دين في غير فساد .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله لما فاض المال ببيوت المال ، وقال وجود من يستحق الصدقة ، كتب إليهم أن اقضوا عن الغارمين ، فكتب إليه بعض الولاة ، انا نجد الرجل وله المسكن والخدام والفرس والأثاث ، فهل هو غارم ، فرد عليهم ابن عبد العزيز يقول : لا بد للرجل من المسلمين من مسكن يأوى إليه ، وخدام يكفيه مهنته ، وفرس يجاهد عليه أعداءه ، وأثاث

في بيته ، وهو غارم فاقضوا عنه دينه - سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحكم - وهذا يقابل ما سلف من أن الشريعة قضت بحبس المدين القادر على السداد الماثل .  
وكان عمر بن عبد العزيز أيضاً يوزع الأرقاء - أسرى الحرب - على المقعدين والمرضى بالأمراض المزمنة لكل اثنين أسير رقيق يخدمهما ، ولكل أعمر غلام بقوده ، معونة للعجزه وذوى العاهات .

(ب) منع التسول : بعد أن كفّل للإسلام لكل فرد ما يكفيه ، نهى عن البطالة والتسول ، فقد رأى النبي رجلاً يتسول ، فسأله عما يملك فقال جلس يجلس عليه ، فأمر ببيعه ودفع الثمن للرجل ، وأمره بشراء حبل وفأس ليحطّط فكسب منها ما كفاه .

(ج) الرفق بالحيوان : في الحديث ( سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن لنا في البهائم لأجراً ؟ قال : في كل كبد رطبة أجر ) وكان عمر بن عبد العزيز ينهى عن ركض الفرس في غير حاجة أو حق . وأمر ألا يلجم حيوان بأجام ثقيل ، ولا ينخص بحيث يؤذى ، ولا تحمل دابة فوق طاقتها ، وحجب إلى المسكين الرفق بالحيوان بما روى في الحديث ، من أن امرأة دخلت الجنة في كلب انقذته من هلاك العطش بأن ربطت خمارها إلى حذائها وأدله في البئر بالعلاة وسقته ، وأن أخرى دخلت النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض .

(د) البر عامة : الأحاديث والآثار في ذلك كثيرة ، ومنها قول الرسول — وهو يخوف من إتيان بعض الأفعال — : ألا أنبئكم بشر من ذلك ؛ من نزل وحده ، ومنع رقه ، وجلد عبده . ألا أنبئكم بشر من ذلك من لا يُقبل عشرة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنباً . ألا أنبئكم بشر من ذلك من يغيص الناس ويغيصونه . ألا أنبئكم بشر من ذلك ، من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره . إنما الأمور ثلاثة : فأمر بين رشده فاتبعوه ، وأمر بين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله ) .

وقد أكثر الرسول من الحض على التواد والتراحم والتعاطف والتعاون على البر والتقوى ، ومعاونة الجار ، حتى ظن أنه سيورثه .

# قال شيخنا

لحضرة الطائفة الفاضلة الأستاذ أحمد محمد بربري

قال شيخنا :

تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحَرِّ أَجَلَ	وليس على ريب الزمان معول
فَلَوْ كَانَ يُغْنِي أَنْ يُرَى الْمَرْءُ جَارِعًا	لنازلة أو كان يغنى التذلل
لَكَانَ : التَّعَزَّى عِنْدَ كُلِّ مَصِيبَةٍ	ونازلة بالحر أولى . وأجل
فَإِنْ تَكُنِ الْإِيَّامُ فِينَا تَبْدَلُ	بنعمى وبؤس والحوادث تفعل
فَمَا لَيْتَ مَنَاقَاةَ صَلِيْبَةٍ	ولا ذلتنا التي ليس تجمل
وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نَفْوَماً كَرِيْمَةٍ	تُحْمَلُ مَا لَا تَسْتَطِيعُ فَتُحْمَلُ

لو كان يغنيك أن تحمل نفسك على مركب الضيم فتجنب المكروه ، وكنت رجلاً كريماً ، فإنك ترفض الذل لا محالة ، ومعه خفض العيش وترضى الأخرى فهي سبيل الرجال .

قلت : لو كان الجزع نافعاً فإن النفس الكريمة تعف عن المنفعة ما دامت وسيلتها هذه الخلة التي تلازم الرعيدي ، بقدر ما تباعد الحر الصنديد . إذا كان الأمر كذلك :

فكيف وكلّ ليس يعدو حمامه وما لامرئ عما قضى الله مزره

قال : إنه وأبيك التلبيت الذي لم أشدك من المقطوعة التي أنشدت . ومعه تنبئ أن الجبان لا يعذر ، ولا يمكن أن يعذر أبد الدهر ، إن لكل أجل كتاباً فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، ولا تحسب الساعة هنا



ستين دقيقة وإنما هي اللحظة ، أو الجزء الذى لا يتجزأ من الزمن ، إنها ما يعدل الذرة فى حساب الماديات ، أفلا ترى أن المؤمنين شجعان بوصف كونهم مؤمنين بأنهم إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ؟ .

قلت : والكافرون و الحتميون ، هم كالمؤمنين سواء بسواء فى هذه السبيل ، أقليل مؤدى الحتمية المادية الملحدة أن كل ما وقع كان لابد أن يقع ، وأن كل ما لم يقع كان لابد ألا يقع ، وكذلك الشأن فى حوادث الحال والاستقبال .

قال : إذا كنا فى نطاق النبعة الإنسانية فما الفرق بين الجبرية ، وما تسميه الحتمية ، ؟ .

قلت : الإيمان بالله ، فإن الجبريين يؤمنون به سبحانه وتعالى . إني لاذكر شيخى و المتكلم . حين كان يحدثني عن عقائد الجبريين المبشرة غير المنذرة . إنه حتى حق أن أقترف ما شئت من الآثام فلست بداخل جهنم ما دمت قد أنهيت حياتي و مت على الإسلام .

قال :

لو شاء أن يصليكَ نار جهنم ما كان ألهم قلبك التوحيداً  
قلت : ذلك هو منطق الجبر . فأما منطق و الحتم ، فلا بعث ولا حساب ، ولا عقاب ولا ثواب :

قال : بل منطق و أبى جهل ، قبل أن يكون منطق أصحابك هؤلاء الذين شغفون ، أفلم يكن هو وأضرابه يقولون : إن هي إلا أرحام تدفع ، وقبور تبلى . وإن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين .

قلت : لعل أبا جهل لم يكن خلق حين كان فلاسفة أثينا يتكلمون فى الحتمية وما إليها .

قال : فخذ (سماً شائعاً فى جنسه لا يختص به أحد دون آخر ، فكل من قال وإن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ، فهو أبو جهل .

قلت : المهم فيما نحن فيه أن الحتميين بوصف كونهم كذلك لا يمكن أن يكونوا

جنباء : إن كل ما سيقع لا بد واقع ، فلن يغنيهم شيئاً أن يجبنوا إذا كان مقدورهم أن يروا دنان الموت يبرق أضلعاً ، على حد تعبير تأبط شرا .

قال : تقول مقدورهم أن يروا دنان الموت يبرق أضلعاً ، فن الذى قدر هذا المقدور ؟

قلت : الناموس أو الطبيعة ، فليس وراءها شيء فيما يعتقدون .

قال : ولم لا يقولون الله بدل هذا الناموس الذى لا يسمع ولا يعقل ولا يقدر ، وهو مع هذا فى عمله وقدره أعقل العاقلين وأحكم الحاكمين .. ألا واقعه إنما لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

قلت : ما فى ذلك شك ، ولكن هؤلاء الذين عميت قلوبهم فى صدورهم يستوون والمؤمنين من حيث شجاعة هذه القلوب العمى هم يعتقدون أن الجبن لا يحجبهم شرؤى فقير ، فلماذا لا يكونون الآباء المغاوير ؟

قال : لا يكونون الآباء المغاوير ، لأن ما تقوله الألسنة غير ما تنطوى عليه الصدور ، وإليك الدليل :

إن لى زميلاً فى الجمع اللغوى ، لا أريد أن أسميه ، كان معى هنا فى مكتبى منذ أيام ، وكان يناقشنى فى الطبيعة وما وراءها ، وأشهد أنه بسط رأى د أوجست كنت ، فيما هنالك بسطاً وافياً ، ثم رأيه هو من حيث المادة ، وأنه لا يعقل شيئاً يناقضها ، فالعالم الروحى فيما يرى زميلى ، ليس إلا أسطورة قدم عليها العهد . وإذا كانت الإنسانية مازالت تجرى وراء الأوهام ، فإنها مع كرايلى والأيام حرية أن تقف عند الحق ، والحق أحق أن يتبع ، وإن هو إلا الإيمان بالمادة وحدها المادة التى أعطتنا كل شيء ، والكفر بالروح التى سلبتنا كل شيء .. أفلم تتخلف ونقف حيث كنا منذ القرون الأولى ، فى حين أن أصحاب المادة ساروا قدما ، فبلغوا مبلغهم الذى نراه ونحسه ، بيد أن منا من لا يرى ولا يحس ، ولا بكفيه أنا وقفنا ، بل يرغب إلينا فى أن نتقهقر ... وترسل زوجى عنك أم الحليس تبغينى لتحدث لى فيما تعده عشاء شهيا لزميلى العالم العلامة الحبر البحر الفهامة .

وأغيب عنه لحظات يشاء فيها العلى القدير أن ينطفئ النور ، فيشمل المكتبة الديجور ، فأعود إلى صاحبي ومعى المصباح ، فإذا هو قد أخذته الرجفة ، ولو مبقية على حياته ، إلا أنه يرعد وقد شحب وجهه ، وزاغ بصره ، ولجلج لسانه ، قلت : ماذا دهاك ؟

قال : الظلام والأشباح التى تطيف فى غرفتك هذه ، وكان ذهب عنه الروع فأخذ يشرح : نعم الأشباح التى خيل إلى أنها ترقص فى الظلام . فلا سلطة لى على الغريزة ، وما حفظت من أوهاام كانت تقلق حياة أبنائنا الأولين .  
قلت : العجب كل العجب أن يكذب المرء نفسه .

قال : جئنى بمن شئت من الحتميين وأنا زعيم لك أن أشباح غرفتى هذه مستغلهم على منطقهم .. إن العقيدة لا تكذب صاحبها ، وإلا فما بال سقراط حين آمن بالآخرة لم تغلبه الغريزة فيخاف ؟ ونالقه لقد كان حريًا أن يخاف ، فما أحسب أشباح السماء والأرض قادرة على أكثر من أن تقدم لك كأس الموت التى شربها سقراط مطمئنًا حتى لكانه يقول : يأتىها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى .

قلت : لنعد إلى ما كنا فيه . الصبر بالحرأولى وأجل ، ولو كان الجزع يرد القضاء .. أو كما قالوا : المثية ولا الدنية . لماذا كل هذا ؟

إن الإنسان ليحمل نفسه على المكروه . وإذا تركنا خبر الفكر والأسباب الأولى والمسببات ، وإذا كان الافكاك أو ثم فكاك ومُتَزَحِّح عما تكره النفس ، أو تركنا هذا ، وجدنا فى حياة الآدميين مثلاً علياً حقيقية . تاريخية ، لا خيالية أسطورية .. فأنتم تموت اختياراً لا اضطراراً فى بعض الظروف من أجل فكرة أو عقيدة ، فهل المبادئ والعقائد جدرة بما نضحى به أحياناً .. ؟

لقد تسأل العلامة د فرويد ، هذا التساهل ، وأحسبه أجاب لإجابة لا ترضى أصحاب القيم الخلقية ، فثم كثير من أبناء آدم ضحوا وماتوا من أجل أفكار أو عقائد إن هى فى واقع الأمر إلا أوهاام أو أحلام .

هل في هذا الوجود ما يستحق أن تموت من أجله ؟ تلك هي المسألة أو المشكلة أو العقدة .

قال : لا مشكلة ولا عقدة ، ولكنكم تشكون وتعقدون ، لأنكم لم تهتدوا إلى الصراط المستقيم ، وما هو علم الله إلا نهج الطبع السوي .  
إن المسألة تبدو عقدة إذا فلسفتها وأخذتها بالمعيار الفاسد ، ولو أنك وضعتها رضعاً فطرياً لاستقامت ، فكانت الإجابة أو الاستجابة الحقة .

سل الرجل الفطري ، لماذا تموت اختياراً ولك عن الموت مندوحة ؟ إن الحياة ليست مكروهة بالطبع ، ولكنه لا يبكي عليها إذا آن له أن يخلص منها أو تخلص منه .  
ولست - وإن كانت إلى حبيبة - بياك على الدنيا إذا ما تولت

قلت : ها نحن أولاء نترك الرجل الفطري دون أن نسمع الإجابة ، فلماذا لا يبكي عليها إذا كانت إليه حبيبة ؟ بل لماذا لم يستمك بها ما دام مستطيعاً ؟

هذه الحبيبة ، تولى - وفي وسعه أن يدعوها فتقبل بعد أن ولّت مدبرة -  
قال : على رسلك فالمسألة لا تستدعي كل هذه الأسئلة ، إن الحياة حبيبة إلى الرجل الفطري ، عزيزة كريمة أثيرة عنده ، وهو أقدر من الآخرين غير الفطريين على الاستمتاع بها ، فإحساسه إياها أجل وأدق ، وأكثف وأرق .. بيد أن تركها لسبب واحد لا يتعدد من حيث الجوهر على اختلاف الشكل والمظهر ، هذا السبب الأكبر هو حماية الحقيقة - لا أقل ولا أكثر .

أنت إنسان ، هذه حقيقتك ، فأنت مكلف حمايتها ، وليس ثم عذر يحول بينك وبين هذه الحماية ...

إنسانيتك أو حقيقتك لا يجوز أن يفارقها أو يقاربها ما ينافيها ، فأنت نازل عنها بقدر ما تسمح أن يلبسها أو يدانها ما لا يلائمها ، أتراني أعرفت أو فلسفت ؟  
لا - إن البدوي الأمي يعرف حماية الحقيقة :

ألم تريا أني حبيت حقيقتي وباشرت حد الموت والموت دونها  
قلت : أليس حقيقة الإنسان هي ما نسميه الكرامة ؟ فإن زبداً أو عمراً

لا يتحدث فى لغة العصر عن حقيقة ، بل عن كرامته ، فيقول مثلاً : إن هذا العمل أو ذاك يجرح كرامتى . وأنا لا أقبل أن تمس كرامتى . أنا أحافظ على كرامتى الخ . إن حماية الحقيقة معنى ولفظ أتى عليهما الدهر ، فليس من شأنك الآن أن نحى حقيقتك أو تحفظ كرامتك .. إنه شأن الدولة والقانون .

فما عليك إلا أن ترفع الأمر إلى القضاء ، وهو الكفيل أن يحق الحق ويبطل الباطل .. أنت تقاضى فيقضى لك بالتعويض ، ويقضى على المعتدى عليك أن يدفع لك بالتى هى أحسن ، أو بالتى هى أسوأ ، ما تدينه به جزاء العدوان عليك ثم هو قبل هذا أو بعده معاقب بالحبس أو السجن أو الإعدام .

إن الإنسان فى عالمنا الحديث معنى من كثير مما كان يتحملة فى العالم القديم ، وليس له مهما تكن الظروف والملايسات أن يقتضى حقه يمينه أو ببساره .

ألم تقرأوا د العقد الاجتماعى ، لمؤلفه الشهير د جان جاك رسو ، إن فى هذا الكتاب لعرضاً بليغاً لحياة بنى آدم على هذه الأرض أيام كان كلٌ يحمل تبعاته بيقضى حقه ، ويدفع العدوان عن نفسه ، فكانت الفردية ، فى أتم صورها ، وكان المجتمع البشرى غير قائم أو قائماً كغير قائم ، لا يمثل ولا يعبر عنه ، فلا غرو يحل الناس من طول ما ما رسوا هذه الحرية المطلقة التى زادت على الحد ، فانقلبت إلى الضد ، وصارت إلى ما يشبه العبودية ، وكذلك تحتم عليهم الحياة أن يحتموا ويتفقوا على أن ينزل كل إنسان عن حريته للمجتمع فيتولى هو شئون أفرادهم فنشأ الدولة بسلطانها القضائية والتنفيذية والتشريعية ، فهى هى صاحبة الأمر والنهى وحماية الحقيقة إن شئتم ألا نخرج عما نحن فيه .

قال : رويدك بعض غلوائك البيغائية ، فأنت تكرر ما قرأت أو شئت منه ، وما عرف مجتمع التمل أو النحل - بله مجتمع بنى الإنسان - هذه الفردية الخرافية « الجانجائية الروسية » ، ولا بلغت الدولة فى أتم سلطانها هذا المبلغ الذى يلغى نشاط الفرد هذا الإلغاء الشامل ، وإلا فقيم الأحكام التشريعية الخاصة بالأعداء والمساحات القانونية ؟ أو إذا وقع اعتداء على نفسك أو مالك أو على نفوس من نراهم أو على أموالهم تنظر حتى تجىء القضاء أو يجيئك معوضاً ومتقهما ؟ .

إن ثم لمواطن تلزمك أن تحمي حقيقتك ما دامت الأرض وما دام عليها نشاط حيواني .

قلت : إن الكرامة الإنسانية نفسها تقتضي أن أغضى عن أشياء ما كان لي أن أغضى عنها لو كنت أحياء في وسط بدائي . أتراني - لو سمعت كلمة نابية من سوق - مكلفاً أن أحي الحقيقة ؟ إنكم ياسيدي الشيخ لتعيشون نظراً وقولا في غير النصف الثاني من القرن العشرين ، وتودون أن تبعثوا مثلاً ونظماً وقواعد سلوك أخى عليها الذى أخنى على أيد .

قال : بل بصدد مثل ونظم وقواعد سلوك حية ما دامت الحياة ، وإلا فمن كلفك أن تتفارض نأبي القول أو تتبادل الصفحات مع كل من هب ودب ، أو أنت إذن تحمى حقيقة أم تهينها هوجاً وحمقاً ، ألا إنك لمكلف أن تعرض عن الجاهلين وأن تلبس لكل حالة لبوسها ، إنك مستطيع أبداً حفظ إنسانيتك إلا أن تفارق الروح الجسد ، وحينئذ لا تبقى هناك حقيقة أو كرامة إنسانية تحمى .

قلت : صدقت ، خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، .

قال : ذلك هو أدب الكتاب المبين ، أفلا ترى إلى الإيجاز وكيف يسمو إلى مرتبة الإيجاز .

قلت : ، خذ العفو ، واحدة ، وأمر بالمعروف ، ثانية ، وأعرض عن الجاهلين ، ثالثة . ثلاث كل منها تصلح مادة مؤلف ضخمة .

قال : أو قل ثلاث قصص على الطريقة الفرنجية .

قلت : لعل الله يوفقني فأعجلها .

قال : لو قلت لعل الله يوفقني فأفقه هذه المعاني .

قلت : أترون أنى لا أفقهها .

قلت : بل أرى كثيراً ألفوا فيها مؤلفات ضخمة ولا والله ما فقهوها ولو أنهم فعلوا لما رأيت الواحد آحاداً بل عشرات بل مئات .

قلت : الآن أجدنى لا أفهم .

قال : أرأيت الوحدة واضحة في نظام إنسانى وضوحها في النظام الإسلامى ، هذه الامة الواحدة بنص كتابها الذى لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ أرأيت مثلها أمة أخرى تبددت وتفرقت وتجزأت ، أترى في كتابها آية نصها : إن هذه أمتكم - أما مختلفة متنافرة - فتناحروا إلى يوم يبعثون .

قلت : بل أرى آية كريمة نصها : « إن هذه أمتكم أمة واحدة » وأنا ربكم فاعبدون ، أمة واحدة ، ومعبود واحد .

قال : فلعلك توافقنى إذا زعمت أن كثيراً من زاعمى الفقه لم يفقهوا ، ومن زاعمى العلم لم يعلموا ، وإلا ما رأيت الوحدة الإسلامية تطبق تطبيقاً معكوساً تحكيه هذه الكلمة المفتراه البالغة ما شئت من سخف وركاكة . « إن هذه أمتكم - أما مختلفة متنافرة - فتناحروا إلى يوم يبعثون ، .

قلت : « سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، ولقد أرى الله سبحانه وتعالى المسلمين آياته في الآفاق وفي أنفسهم . وإن جماعة التقريب لموجهة أبصار المسلمين إلى آفاق شاء الله لحكمة يعلمها أن يصرفها عنها إلى أجل ومن يدري لعله جل وعلا أرادنا على أن نتبين أشياء ما كنا لتبينها لو لم نمتحن بهذا البلاء العظيم .

قال : إن رسالة الإسلام ليميزها أنها آخر الرسالات ، فهي باقية ما بقيت الارض والسموات ، وإذا غفلنا حقبة طالت أو قصرت فنحن آخر الامر غير غافلين ، فلا قنوط ولا يأس من روح الله . « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، »

# لَكِنْ قَالَ شَيْخِي

لفضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الطنطاوي  
الأستاذ في كلية اللغة العربية

لملك بعد شرحي لك ما يقتضيه المنهج العلمي في هذا البيت :  
وكان بنو فزارة شر عمي وكنت لهم كشر بني الأخينا  
إذ عرفتك أن قائله عقيل بن علقمة المري ، وأن ( الأخينا ) فيه مراد به  
الأخوة - قضيت لبانتك فيه ، واستبان لك منه ما تبغيه .

قلت : إن الشعر مرآة تنطبع عليها صورة الشاعر ، فتسم عن دخائل نفسه ،  
وما خطب عقيل في ضيقه بني عمه ؟ وهلا اعتز بهم ، وتغنى بالفخار بكرم النجار .  
وطيب الأردمة ، ديدن العرب ونحيزتهم في الإشادة بالقبيلة والعشيرة .

قال : شعر عقيل يصور ما انطوت عليه حناياه من إحسن وضغن ، فهو  
نفثة مصدور ، وحنق ملا القلب قفاض هلى اللسان ، لأنه كان مملوءاً بالغرور ،  
وفيه عنجبية تسلطت عليه حتى خال أن ليس له كفي مع شظف عيشه ، وضيق  
ذات يده ، قال الأصماني في الأغاني :

( كان عقيل هذا جافياً أهوج شديد الغيرة والمجرفية وهو في بيت شرف  
في قومه من كلا طرفيه ، وكان لا يرى أن له كُفناً الخ ) ( ١ ) .

لهذا كانت توسوس إليه نفسه ، أن الناس حوله دونه ، له حق عليهم ، وليس  
لهم عليه حقوق ، وما عنده مال ولا نشب يوجب تسخير الناس - ولا سيما أقاربه



لإرادته وسلطانه الحياى ، فلا غرو أن يتجاوز حد الاعتدال ، ويقذفهم بحمام غضبه ، فيقول فى بنى عمه ما لا يقال فى ذوى القربى ، تلك كانت شئشئته ، فقد بلغ من أمره أنه ورد المدينة المنورة قاصداً الوالى عليها - عثمان بن حيان المرى - فى عهد الوليد بن عبد الملك يحدوه الأمل فى حسن الوفادة ، ثم لم ينشب أن جرت بينهما مقالة فى خطبة ابنته له ، واستحالت الملاحظة بينهما مشاكسة ، وبعد إصراره على الإباء أمر الوالى بوجع عنقه وقال له : أنت عربى أحمق جاهل ، فخرج عقيل مكبوتاً مهموماً ، وقال :

كنا بنى غيظ رجالا فأصبحت بنو مالك غيظا وضربنا كالك  
لما الله دهرأ دَعْدَع المال كله وسودّ أبناء الاماء الفوارك (١) .

إن عقيلاً من غيظ بن مرة ، وعثمان من مالك بن مرة ، ربطت بينهما وشيجة القرابة ، وباعدت بينهما الأقدار ، فعثمان والى المدينة المنورة ، وناهيك بها ولاية ومجداً ، لكن النعرة فى عقيل أنسته قدره ، وأخرجه غضبه عن حد الاعتدال ، فتلس المثالب المعفاة ، ونبش المدفون وأقذع فى الهجاء ، ووصم بنى مالك فصيلة عثمان ، ثم عثمان نفسه ، بما ترى فى البيتين :

فى أول البيتين نفي الرجولية عن بنى مالك أول الزمن ، فقد كانت لغيظ ، والدهر قلب ما أقسام وما أظله ، إذ سادت آخر الزمن بنو مالك ، وانحطت بنو غيظ ، وفى ثانيهما أن الدهر معوان للهجناء - قالوا قد مس عثمان أو أباه أمر - لقد نال عقيل من عثمان فى أعز ما يحرص عليه من سؤدد وكرامة فى نفسه وفصيلته ، وما ذاك إلا لأنه أخرق مائق لا يبالى القول فى كل ما يعنى له غير مكترث بما يستلزمه من تبعات ، عرض له ما أشخصه إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وأدار معه القول فيما جاء له فبدرت بوارده وانفلت لسانه ، ولما تجانف عن جادة القول معه تلطف له ليخفف من غلوائه ، ويقم من صلفه ، فقال له :

(١) الأغاني ج ١١ ص ٨٢ (ساس) والآلى ص ٤٥ والمقد الفريد ج ٣ ص ١٥٠ .  
ودعزع المال : بدده وفرقه .

والله ما أراك تقرأ شيئاً من كتاب الله تعالى ، فقال له بلى ، إني لأقرأ ثم قرأ :  
إنا بعثنا نوحاً إلى قومه ، فقال له عمر : ألم أقل إنك لا تقرأ ؟ فقال ألم أقرأ ؟  
فقال له إن الله قال : إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه - فقال عقيل :

خذنا بطن هرثى أو قفاها فإنه كلا جانبي هرثى لمن طريق  
فطلق الحاضرون يضحكون من عجزته ، ويعجبون من نوكة وتماديهِ في  
نصوب خطئه ، إذ يظن أن القملين المترادفين يقوم أحدهما مقام الآخر في القرآن  
الكريم ، وهي غفلة عن خصائص القرآن لا تغفر له ، وربما كما منشؤها طول  
إقامته في البادية وقصر مجالسته العلماء في الحضر .

وهرثى ثنية في طريق مكة ولها طريقان : بطنها وقفاها ( أمامها أو خلفها )  
فكلا جانبيها طريق للأبل .

قلت : قد رأيت هرثى مع رفيقي « بعثة الأزهر للحج عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م ،  
حين دنونا منها ورأعنا منظرها سأل سائل منا الحجازي الذي كان يصحبنا ، وهو  
خريث خبير بالمعاوز وأعلامها ، ويحس بشوقنا إلى الوقوف على آثار العرب ،  
ولا سيما الواردة في شعرهم ونثرهم عما ستقدم عليه ونلججه حسب اتجاه السيارة ،  
فقال الحجازي : تلك هرثى ، فذكرنا هذا البيت وتدارسناه .

ثم اجتازت بنا السيارة بطن هرثى بعد نزول كثير من الصحاب اتقاء للخطر  
في صعودها ونزولها ، وأبدينا للحجازي رغبتنا في التليث قليلا بالسيارة لنملا  
العيون من هذا الاثر المضروب به المثل في البيت ، ولزى أن البطن والقفا طريقان  
للإبل يسلك الراكب ما شاء منهما كما حكم الشاعر - ولأنه لحكم العارف طابق فيه  
الخبر الخبر - غادرنا هرثى ، وسارت السيارة صوب المدينة المنورة ، وحظينا بزيارة  
المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وعند قفولنا رأينا هرثى ثانية ، ويطول في الحديث  
إذا ما عرضت لكثير من المواطن الإسلامية التي وقفنا عليها في مكة والمدينة  
وما بينهما ، مع اعترافي بأنني في كلتي هذه التي اقتضتها هرثى قد نزعنت في غير  
القوس ، ونأيت عن الهدف ، وأضعت وقتاً فيه الاستماع لما تقوله أحب  
إلى من كلامي .

قال : كلا لقد صادف حديثك هوى فى نفسى ، بيد أن أساس المبحث ما كان يتطلب إلا الإمامة تدرك منها الصلة القوية بين عقيل وبينه ، فإن هذا مثار ذكر بعض تنف من أخباره ، والمخالصة أن نسبة البيت الذى تحدثنا عنه إلى عقيل نسبة يتلقفها الذوق الأدبى بالقبول والاطمئنان - نعم إن الرجل بعد إمعانه فى الإسفاف بدا له الزوع إلى الإبقاء على ذوى القربى ، والرجل ذو بدوات ، فقال من آيات فى الحماسة .

وأبغض من وضعتُ إلى فيه لسانَ معشر عنهم أذود

وفى البيت تعقيد لفظى كما يرى البلاغيون ، إذ تقدير البيت ليضح معناه ، ما قال التبريزى : ( وتتدبره وأبغض من وضعت لسانى فيه إلى ، معشر عنهم أذود ، فقدم ( إلى ) قبل أن يتم الكلام الذى هو لها مقتضى ) .

ويعجبنى قوله بعد هذا البيت :

ولست بسائل جاراتِ يبتى أغتَاب رجالك أم شهود

فهذا مثل أعلى فى العفة والطهارة .

ونعود إلى ما كتبنا بصده ، فتمد انساق الحديث استطراداً إلى ما قلته لك آنفاً ، وأحبك تهوى ترسم أسلافنا فى مدارسهم ، فقد كان مجلسهم يبدأ بالاستفهام من آية من الكتاب أو بيت من الشعر أو طريقة من خبر ، ثم لا يلبث الحديث أن يتصل بعضه ببعض غير منوط بالاتجاه المعين الذى كان مثار السؤال ، فقد تذكر فائدة جديدة بحية للسائل لم تدر بخلده عند السؤال ، وكتب الأمالى والمجاس بين يديك ، ورحم الله الشريف المرتضى وابن السجرى من بعده :

قلت : حسبي ما ذكرت ، وما كل هذا انتظر فى قائل البيت ، ولعل الباعث هندك على الإطباب والاستطراد لإساختى التامة لاستماع الحديث عن البيت ، وإقبالى عليه ، فلا أخفى عنك أن الحافز على اهتمامى به ، وإلحاقى فى السؤال عنه مرجعه إلى المراد بـ ( الأخينا ) ، فعدرة إليك فيما تلاحظه على ، فإن بيانك الوافى مما ينبغى معه طرح الشك فى جمعية ( الأخينا ) بيد أن بعض الفضلاء علق على البيت بما يفيد

أن (الأخينا) هو (الأخ) بعد طرد الياء والنون عليه ، فهما مترادفان معنى والمراد بهما الواحد ، واعتبر حضرته أن هذه الزيادة على هذا النظم طريقة من طرائق القول عندهم ، وعهدى بحضرته طُلعة بجائته ، ذا رواية ودراية ، فربما وقف في مطالعته على ما يقتضى عد هذه الزيادة على آخر الاسم جائزة ومستمرة غير مجددة زيادة في المعنى ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ، وما يفنا المر يسمع ويصرف ما لم يصرف إلى أن يأتيه اليقين ، ولقد عابوا قديماً عدى ابن الرقاع العامل في قوله :

وعلت حتى ما أسائل عالماً عن علم واحدة لكى أزدادها  
وما من شك أنه خرق في الرأي ، وجماع عن الرشاد ، وما زلت أهفو إلى القول  
الفصل في هذا البحث ، ولعلك لا توجه تريباً على بعد إعداري في اللجاجة والمقال  
ولعلك ترجع إلى عبارته لتعرف نصها : (١)

قال : الآن أدركت سر ارتيابك وشكك ، فقد بلغت من لدنى عذراً ، وإرو  
سأحدث إليك في هذا النص المقول ، بعد أن أسرد لك نكتة أدبية ترتبط ببيت  
عدى واستنكاره ، والحديث ذو شجون ، وما أجل ما يأتي صفواً من الملح إن  
سأقت إليها المناسبات .

قال المرزبانى في الموشح : أخبرنى الصولى ، قال حدثنى يحيى بن على ، قال  
قال أبو جعفر محمد بن موسى المنجم : كنت أجب أن أرى شاعرين ، فأؤدب  
أحدهما وهو عدى بن الرقاع لقوله :

وعلت حتى ما أسائل عالماً عن علم واحدة لكى أزدادها  
ثم أسأله عن جميع العلوم ، فإذا لم يجب أدبته على قوله ، وأقبل رأس الآخر  
وهو زيادة بن زيد لقوله :

(١) ص ١٦٧ - ١٦٨ من المجلد الخامس لرسالة الإسلام ، من قوله « لنقف عنه  
عم الصوء وشر بنى الأخينا » إلى قوله ( فيكون عندنا الشيخ « حم » كالشيخ « يس » مثلاً )

إذا ما انتهى على تهايت عنده أطال فأملى أو تاهى فأقصرا  
قلت : يا سيدى فى ظنى أن هذا أول نقد من نوعه ، فقرأت ولا سمحت  
نقداً مصحوباً عند المفاضلة بتأديب قائل ، وتقبيل رأس آخر ، كنقد المنجم ،  
فهل لى أن ألومه على هذا العنف فى الحكم والإغلاظ فيه ؟

قال : لا تله وأعط القوس باريها ترتج نفسك ، ويبلغ قلبك ، ولا تسترسل  
معى يمتد الحديث ، وإنى أعود إلى صميم البحث ، مع اقتناعى بالبيان فى المقال  
الأول على معنى الجمعية فى (الآخينا) فى بيت عقيل ، ولم يبق لك عندى إلا التعليق  
على النص المنقول سلفاً ، ومع هذا فإنى أرى إرجاء التفصيل فيه إلى جلسة أخرى ،  
فقد طال الوقت وأخشى أن يتسرب إليك الملل ، فله مقال ثالث خاص ، فإلى غد  
بمشاءة الله تعالى .

قلت : الأمر إليك ، أمد الله فى عمرك ، وفى كلامة الله ، والسلام عليكم  
ورحمة الله و  
[ للكلام صلة ]

# تجارة قريش في القرآن والشعر

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد المتعال الصعيدي  
الاستاذ بكلية اللغة العربية

للقرآن الكريم في تجارة قريش في رحلتى الشتاء والصيف ، آية باهرة من آياته  
التي لا تنفذ على توالى الايام ، وانظرة خالف فيها نظرة الشعر الذي كان لسان  
العرب ، وله من المنزلة ما كان له بينهم .

وكان لقريش قبل الإسلام رحلتان تجاريتان ، رحلة بالشتاء إلى اليمن . لأن  
اليمن أدناً ، ورحلة بالصيف إلى الشام ، وقد ذكر عطاء بن عباس أن السبب  
في الرحلتين أن قريشاً كانت إذا أصابها مخمصة خرج الواحد منها هو وعياله إذا  
اشتدت عليهم إلى موضع خارج مكة ، فصرخوا خباء على أنفسهم حتى يموتوا ،  
إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان سيد  
قومه ، وكان له ابن يقال له أسد ، وكان له ترب من بنى مخزوم يحبه ويلعب معه ،  
فشكا إليه الضر والجماعة ، فدخل أسد على أمه يبكي ، وأخبرها بأمر تربه من مخزوم  
وأمرته ، فأرسلت إليهم بدقيق وشحم ، ثم أتى ترب أسد إليه مرة أخرى وشكا  
إليه من الجوع ، فأرسلت إليهم مثل ما أرسلت أولاً .

فلما علم أبوه هاشم بذلك ، قام في قريش خطيباً ، فقال :

« إنكم أجدبتم جدبا تفلون فيه وتذلون ، وأنتم أهل حرم الله ، وأشرف ولد آدم ، والناس لكم تبع ، .

فقالوا له : نحن تبع لك ، فليس عليك منا خلاف .

فجمع كل بني أب على الرحلتين ، في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام ، فيذهبون إليهما للتجارات ، فما ربح الغنى قسمه بينه وبين الفقير ، حتى صار فقيرهم كغنيهم ، فجاء الإسلام وهم على ذلك ، حتى إنه لم يكن في العرب أكثر مالا ، ولا أعز من قريش ، ولهذا قال الشاعر فيهم :

الخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي

وقد كانت مكة خالية من الزرع والضرع ، لأنها كانت بواد غير ذي زرع ، فكان أشرفها يرتحلون للتجارة هاتين الرحلتين ، ويأتون لأنفسهم ولأهل بلادهم ما يحتاجون إليه من الأطعمة والثياب ، وهم إنما كانوا يربحون في أسفارهم ، لأن ملوك النواحي ورؤساء القبائل كانوا يعظمونهم ، ويقولون هم جيران بيت الله ، وسكان حرمه ، وولاء الكعبة ، حتى أنهم كانوا يسمون أهل مكة أهل الله ، فامتازوا بهذا على غيرهم من العرب ، لأنهم كانوا يتخطفون من كل جانب ، ويتعرض لهم في نفوسهم وأموالهم ، فلما نزل القرآن الكريم نوه بشأن هذه التجارة ، وأمن على قريش بهاتين الرحلتين ، ولم يفض من شأنها حين انصرفت إليهما قبل الإسلام ، ولم تعتمد على الكسب الحرام الذي كانت العرب تعتمد عليه حين يغير بعضها على بعض للسلب والنهب ، فياكل القوى الضعيف ، ويستجل ماله ونفسه .

وكان تنويه القرآن بشأن هذه التجارة في سورة خاصة بها ، سماها سورة قريش ، وهي من قصار السور ، وفيها يقول جل شأنه :

« لإيلاف قريش ، لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، .

فأمن عليهم في هذه السورة بإيلافهم هذه التجارة ، وقد كرر الإيلاف مرتين

اهتماماً به ، فأطلقه أولاً ، ثم جعل المقيد بدلاً من ذلك المطلق ، تفخياً لآسر ذلك الإيلاف ، وتذكيراً لعظيم المنة فيه ، والأقرب أن يكون قوله « لإيلاف قريش » عاماً يجمع كل مؤانسة وموافقة كان بينهم ، فيدخل فيه مقامهم وسيرهم ، وجميع أحوالهم ، ثم خص إيلاف الرحلتين بالذكر ، لأنه قوام معاشهم ، وقد نبه بالإيلاف إلى أن من شرط السفر المؤانسة والالفة ، لأنه أحوج إلى مكارم الاخلاق من الإقامة .

وما كان للقرآن الكريم أن ينظر إلى اشتغال قريش بهذه التجارة غير هذه النظرة ، لأنه جاء بدين ينهض بها وبالعرب جميعاً ، وينقلم من البداوة إلى الحضارة ، ومن الأمية إلى العلم والحكمة ، ومن الفوضى إلى النظام والدولة والتجارة من أهم أركان الحضارة ، ولا غنى عنها في قيام الدولة .

وأي من هذه النظرة الكريمة ، نظرة الشعر إلى هذه التجارة ، حين ضاق شاعر قريش من اشتغال قومه بها ، وانصرفهم عن الاشتغال بالحروب التي كانت العرب تشتغل بها ، فترفع من ذكر أبطال الحروب ، وتبني لهم ما تبني من المجد ، وليس للتجارة مثل هذا الشأن .

وهذا الشاعر هو عبد الله بن الزبيري من شعراء مكة ، فقد هجا قومه قريشاً لاشتغالهم بهذه التجارة ، فأصبح الناس يوماً بكه ، وعلى باب الدوة مكتوب :  
 ألهى قُصْباً عن المجد الأساطير ورشوة مثلها ترشى السفاسير  
 وأكلها اللحم بحتاً لا خليط له وقولها رحلت عيرٌ ، أنتِ عم  
 فأنكر الناس ذلك ، وقالوا : ما قالها إلا ابن الزبيري ، وأجمع على ذلك رأيهم ، فمشوا إلى قومه بنى سهم ، وهم بطن من قريش ، وكان مما تنكر قريش وتعاقب عليه أن يهجو بعضها بعضاً ، فقالوا لبنى سهم : ادفعوه إلينا نحكم فيه بحكمنا  
 قالوا : وما الحكم فيه ؟

قالوا : قطع لسانه .

قالوا : فشانكم ، واعلموا والله لا يهجوننا رجل منكم إلا فعلنا فيه مثل ذلك



فأجمعوا على تخليته نخلوه ، فقال له الناس وحلوه على قومه : أسلمك قومك  
ولم يمنعوك ، ولو شاءوا منعوك .

فقال :

لعمرك ما جاءت بِنُكر عشيرتي وإن صالحت إخوانها لا ألومها  
يودُّ جناة الغنى أن سيوفنا بأيماننا مملولة لا نشيمها

ومذهب عبد الله بن الزبير في نظره إلى اشتغال قومه بالتجارة هذه النظرة ،  
وإن تمجيد تلك البطولة الزائفة التي يكتسبها العرب في إغارة بعضهم على بعض  
من أجل السلب والنهب ، كان مذهب غيره من شعراء العرب ، ولقد شلوا في ذلك  
إلى أن مجدوا أعمال صعاليكهم ، ولم يكونوا إلا لصوصاً لا عمل لهم إلا قطع  
الطريق ، ونشر الخوف والذعر بين الناس ، ونهب أموالهم بالظلم والعدوان ،  
ومما جاء من الشعر في تمجيد بطولتهم قول حاتم الطائي :

ولله صعلوك يساور همه ويمضي على الأحداث والدهر مقدما  
فتى طلبات لا يرى الخصر ترحة ولا شعبة إن نالها عدو مغتما  
إذا ما رأى يوماً مكارم أعرضت تيمم كبراهن ثم تسم بما  
يرى رحمه ونيله وبجته وذا شطب غضب الضريبة مخدما  
وأحناء سرج فاتر ولجامه عتاد أخى هيجا وطرفا مسوفا  
فذلك إن يهلك غسنى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذمما

وكان من أمثل أولئك الصعاليك عروة بن الورد العبسي ، وكان يقال له :  
عروة الصعاليك ، لجمعه إيام ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ، ولم يكن  
لهم معاش ولا مغزى ، وكان عروة شاعراً من شعراء الجاهلية ، وفارساً من فرسانها  
وصعلوكاً من صعاليكها المعدودين المتقدمين الأجواد ، وهو القائل :

لحي الله صعلوكاً إذا جن ليله مضى في المشاش آلفاً كل مجزر  
يعبد الغنى من دهره كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر (١)

(١) في رواية يعد الغنى من نفسه .

ولله صعلوك صفيحة وجهه كضوء شهاب القابض المنثور  
وقد روى الاخفش عن ثعلب عن ابن الاعرابي قال : حدثني أبو فقعر قال :  
كان عروة بن الورد إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض  
والكبير والضعيف ، وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من  
عشيرته في الشدة ، ثم يحفر لهم الاسراب ، ويكنف عليهم الكنف ، ويكسيهم ،  
ومن قوى منهم - إما مريض يبرأ من مرضه أو ضعيف تثوب قوته - خرج به  
سه فأغار ، وجعل لأصحابه الباقيين في ذلك نصيبا ، حتى إذا أخصب الناس وألبنوا  
وذهبت السنة ألحق كل إنسان بأهله ، وقسم له نصيبه من غنيمة إن كانوا غنموها ،  
فربما أتى الإنسان منهم أهله وقد استغنى ، وضائق حال عروة في بعض  
السنين فقال :

لعل ارتيادی فی البلاد وبغیتی      وشدی حیازیم المطیة بالرحل  
سیدفعنی یوماً إلی رب هجمة (١)      يدافع عنها بالعقوق وبالبلخ

فرعوا أن الله قیض له في شتاء شديد ناقتين دهماوين ، فحجر لعشيرته  
إحداهما ، وحمل متاعهم وضعتاهم على الأخرى ، وجعل يتنقل بهم من مكان إلى  
مكان ، إلى أن نزل بهم بموضع يقال له ماوان ، فقيض الله له رجلا صاحب مائة  
من الإبل ، قد فر بها من حقوق قومه ، وذلك أول ما ألين الناس ، فقتله وأخذ  
إبله وامراته ، وكانت من أحسن النساء ، فأنى بالإبل أصحاب الكنيف خلفها لهم ،  
وحامهم عليها ، حتى إذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم ، وأخذ مثل  
نصيب أحدهم .

ولأنه لجيل من عروة أن يعنى بالمريض والكبير والضعيف . وأن يسعى لهم  
قيما يقوم بحاجاتهم ، ولكنه لا يحمد له أن يكون سعيه لهم بالنص والسطاو على  
أموال الناس ، فمثل هذا هو الذي أضغف أمر العرب قبل الإسلام ، ونشر الجوع

والخوف بينهم، فقل ما لهم، وانتشر الفقر بينهم، لأنهم لم يمتدوا إلى طرق الكسب الحلال، وهى الطرق التى تزيد فى ثروتهم، وتنتشر الغنى بين أفرادهم.

وإذا كان لعروة وأمثاله بطولة فى ذلك الغزو والنهب، فهى بطولة زائفة لا قيمة لها، ولا يصح أن تعد بطولة ترفع من قيمة صاحبها، ولكن جهل العرب بمقاييس البطولة الصحيحة قبل الإسلام، هو الذى أوقعهم فى الاعتداد بذلك البطولة الزائفة، وجعلهم يشيدون فى شعرهم بذلك المجد الزائف، حتى كان من عبد الله بن الزبير أن عاب على قومه قريش اشتغالهم بالتجارة، وهى طريق من طرق الكسب الحلال، وركن من أركان الحضارة بين الأمم المتقدمة، ولم يحمله على هذا إلا أن التجارة جعلتهم يؤثرون حياة السلم، ويعملون حرمهم مكان أمن، فلم يكن بينهم أبطال راقون مثل أبطال القبائل التى اعتمدت على الغزو فى كسب العيش، لتخرب ولا تعمر، وتهم ولا تبنى، وتنتشر الفساد فى البر والبحر، وليس وراء ذلك إلا الهلاك المستأصل، والخراب الذى لا يبق ولا يذر.

وإذا كانت تلك البطولة الزائفة قد وجدت كثيرا من الناس يعجبون بها بعد الإسلام، حتى روى أن ابن معاوية قال: لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج لإيهم، فإنه ليعد من آيات القرآن أن يسلك - فيما امتازت به قريش على غيرها - الطريق الصحيح، فينوه بتجارتهما ذلك التنويه، بينما كان العرب من أقصى الجزيرة إلى أدناها يناون عنها، ويعتمدون فى الكسب على وسائل غيرها تلامم طبيعتهم الخيفة، وتناسب صحراءهم الموحشة، ولكنه كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

من أعلام المسلمين :

## أبو عبد الرحمن السلمي

م : ٤١٢ هـ

حضرة الاستاذ الفاضل نور الدين شريبه

— ٢ —

ما نعر بالمدد الثالث :

خصائص القرن الرابع : تعدد أمراء المسلمين ، استقلال الولاة بما تحت أيديهم  
تمتع المسلم بحقوق المواطن في غير قطره برغم تفكك المملكة . خراسان  
ودورها في الحضارة الإسلامية ، مدنها الهامة ، نيسابور وصف جغرافيا لها .

في هذا المدد :

أبو عبد الرحمن السلمي : بيته ، صباه وشبابه ، شيوخه .

أبو عبد الرحمن السلمي :

محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم بن راوية بن سعيد بن قبيصة  
ابن سراقه (١) أبو عبد الرحمن الأزدي أبا ، من أزد شنومة ، وهو أزد بن الغوث  
بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ (٢)

واشتهر أبو عبد الرحمن بنسبته إلى سلميم ، فهو حفيد الشيخ أبي عمرو ،  
اسماعيل بن نجيد بن أحد بن يوسف بن سالم بن خالد (٣) السلمي ، نسبة إلى سليم  
ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، وهي قبيلة مشهورة (٤) .

وإذا فأبو عبد الرحمن صوفي غربي الأرومة ، ووالده ، وجده أبو عمرو بن نجيد كذلك ، وهو دليل مادي يدفع رأى الذين يرون أن العقلية العربية لا يمكن أن ينمو فيها التصوف ، ولا أن تفكر فيه ، وإنما هو : « ثورة العقل الآرى على الدين السامى الفاتح (١) » .

كان والد أبي عبد الرحمن شيخاً ورعاً زاهداً ، دائم المجاهدة ، له القدم فى علوم المعاملات (٢) ، وقد صحب ابن منازل ، وأبا على الثقفى ، وهما من شيوخ الملامتية فى خراسان ، ومن تلاميذ أبي عثمان الحيرى .

ولكنه لم يكن موسعاً عليه فى رزقه ، يذكر الجامى أنه « لما ولد له أبو عبد الرحمن باع ما عنده وتصدق به (٣) » . وكان على ضيق ذات يده عالماً جليل القدر ، يقول عنه الحاكم أبو عبد الله فى « تاريخ نيسابور » : « قلدا رأيت فى أصحاب المعاملات مثله (٤) » .

توفى والد أبي عبد الرحمن أبو محمد الحسين بن محمد بن موسى الأزدي سنة نيف وأربعين وثلاثمائة (٥) ، وقد اشتهر أبو عبد الرحمن بنسبته إلى قبيلة والدته أكثر من اشتغاره بنسبته إلى قبيلة والده ، ومرد ذلك فى الأغلب الأقرب أن السليين - وهم قبيلة والدته - كان لهم شأن فى نيسابور : فتحاً وحكماً وثروة وجاهاً وعدداً ، وقد مر أن واحداً منهم ولى أمر نيسابور ، من سنة إحدى وأربعين إلى سنة خمس وأربعين فى عهد معاوية بن أبي سفيان .

ونعمة شىء آخر ، وهو أن والد أبي عبد الرحمن لم يكن فى سعة من العيش ، على فضله وكرم خافه وعله ، بل كان مقدرًا عليه رزقه ، وكان أهل والدته

١ - الصوفية فى الإسلام : ص ١٧

٢ - نقحات الأندلس ، مخطوط فارسى ، مكتبة جامعة القاهرة : ورقة ٧٧

٣ - المصدر السابق ورقة ٧٧

٤ - تاريخ الإسلام ، مخطوط دار الكتب المصرية : ج ٢١ ص ٢١٩

٥ - سير أعلام النبلاء : ج ١١ ق ١ / ورقة ٥٥

موفورين ، حتى ليعدون - كما يحدث أبو عبد الرحمن - من كبار أثرياء نيسابور (١) على فضل وعلم ، وزهادة وكرم خلق .

وقد احتضن أبو عمرو اسماعيل بن نجيد حفيده أبا عبد الرحمن ، بعد أن انتقل والد أبي عبد الرحمن إلى جوار الله ، ونشأ الفتى في رعاية جده ، ورآه الناس معه ، في غدوانته إلى حلقات العلم والدرس ، إذ لم يكن لأبي عمرو بن نجيد ولد ، فكان طبيعياً أن يشتهر أبو عبد الرحمن بهذه النسبة ، نسبة السُّلبي .

ولد أبو عبد الرحمن يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وثلثمائة (٢) ( السادس عشر من إبريل سنة ست وثلاثين وتسعمائة (٣) ) . هذا ما يقوله تليذه أبو سعيد محمد بن علي الحشاش ، ومن حسن الحظ أن هذا التليذ المحب لأستاذه قد ألف كتاباً عن حياة شيخه ، احتفظ الذهبي - أثابه الله - في كتابه القيم : « سير أعلام النبلاء » ، بتلخيص مقبول لهذا الكتاب .

على أن عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي في كتابه : « سياق التاريخ » (٤) ، يذكر أنه ولد في سنة ثلاثين وثلثمائة ، وفي ظني أن ما ذكره الحشاش هو الصحيح .

ذلك أن أبا عبد الرحمن كتب بخطه : « في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة عن أبي بكر الصفي ، وليس من المعلوم أن يكتب طفل في الثالثة من عمره عن أستاذه ، ولكنه أقرب إلى التصديق أن يكتب وسنه ثمانى سنوات .

ثم إنهم يروون أن أبا عبد الرحمن قد ولد بعد وفاة مكي بن عبد الله بستة أيام ، وقد توفي مكي يوم الأربعاء الرابع من جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وثلثمائة (٥) . وكانت والدته سيدة فاضلة ، تغلب عليها نزعة صوفية واضحة ، ولا غرابة في ذلك ، فهي سليمة بيت علم وزهد ؛ وحسبها أنها ابنة الصبيح أبي عمرو بن نجيد ، وزوج أبي محمد الحسين بن محمد بن موسى الأزدي ، والد أبي عبد الرحمن .

١ - نفحات الأندلس : ورقة ٧٧ ٢ - سير أعلام النبلاء : ج ١١ ق ١ ورقة ٥ هـ  
٣ - التوقيعات الإلهامية : ص ١٣٦ ٤ - سير أعلام النبلاء : ج ١١ ق ١ ورقة ٦ هـ  
٥ - تاريخ بغداد : ج ١٣ ص ١٢٠

يذكر أبو عبد الرحمن أنه عند ما أتى الشيخ أبو القاسم النصراباذي للحج ، استأذن أمه في الخروج معه ، فقالت له : « توجهت إلى بيت الله ! فلا يكتبن عليك حافظاك شيئاً نستحي منه غدا (١) » .

ولا تحدثنا المصادر بشيء عن طفولة أبي عبد الرحمن ، ولكن يبدو أنه كان بكر والديه ، وأن والده رزقه على كسبرة ، فقد فرح بولادته أيما فرح ، وجمع ما عنده من المال فتصدق به (٢) ، ولا ندرى أرزق والداه غيره ، أم ظل أبو عبد الرحمن وحيدهما .

وعلى أى حال فقد نشأ أبو عبد الرحمن في رعاية والده الشيخ الصوفي ، ووالدته التقية الورعة ، وجده لأمه أبي عمرو بن نجيد ، وبدأ يتعلم كما يتعلم أقرانه في نيسابور ، يفدون إلى من يحفظهم القرآن ، ويرثيهم الأشعار ، ويصبرهم بالعربية . وقد بدأ أبو عبد الرحمن الكتابة عن شيوخ وقته مبكراً ، فهم يتحدثوننا أن أبا عبد الرحمن « كتب بخطه عن أبي بكر الصبغى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة (٣) » وقد كان أبو بكر يومئذ عالم نيسابور ومحدثها ، ولم يكن أبو عبد الرحمن قد جاوز الثامنة بعد .

سرف أبو عبد الرحمن همه إلى دراسة الحديث والتصوف ، ولقى شيوخ عصره فيهما ، فرحل في الطلب إلى : العراق ، والري ، وهمدان ، ومرو ، والحجاز وغيرها ، لكتسب الحديث ولقاء الشيوخ ، كما جرت بذلك عادة عصره ، فوق تلمذه لشيوخ نيسابور (٤) ، ونيسابور يومئذ من أمهات المدن الإسلامية التي بلغت قمة الازدهار في العمران والفكر .

وهناك شيوخ لهم أثر واضح في أبي عبد الرحمن ، أما أحدهم فالحدث الحجة

١ - سير أعلام النبلاء : ج ١١ ق ١١ ورقة ٥ - ٢ - نقح الأوس : ورقة ٧٧

٣ - سير أعلام النبلاء : ج ١١ ق ١١ ورقة ٥٥

٤ - سير أعلام النبلاء : ج ١١ ق ١١ ورقة ٥٥ ، وكذلك تاريخ بغداد : ج ٢ ص ٢٤٨

العالم أبو الحسن الدارقطني (١)؛ وأما الآخرون فأثرهم صوفي، مثل: أبي نصر السراج، صاحب «اللمع»، وأبي القاسم النصراবাদي، وأبي عمرو بن نجيد.

\* \* \*

### شيوخ أبي عبد الرحمن:

إذا أردنا أن نعدد كل من لقيم أبو عبد الرحمن، وتعرف أثرهم فيه، فإن ذلك سيخرجنا عما قصدنا إليه من هذه العجالة، ولكننا نقصر على بعضهم:

١ — إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء الأبرار - من أربار - قرية بينها وبين نيسابور فرسخان - الوراق، وهو من محدثي نيسابور المشهورين. سمع بنيسابور ونفا، ورحل إلى العراق فسمع بها، وكتب بالجزيرة والشام، وسمع بخراسان وبغداد من أئمة الحديث فيها (٢)، سمع منه أبو عبد الرحمن وروى عنه.

٢ — إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمديه، أبو القاسم النصراবাদي، وهو من شيوخ أبي عبد الرحمن (٣). وزامل أبا عبد الرحمن في الاستماع إليه، والاتفاق به، محدث نيسابور، ومؤرخها وعالمها، الحاكم أبو عبد الله، صاحب «تاريخ نيسابور» (٤).

٣ — أحمد بن إسحاق بن أيوب بن يزيد بن عبد الرحمن بن نوح، أبو بكر الصبغى، من شيوخ نيسابور، رحل إلى العراق، والحجاز وغيرهما. ولد في رجب سنة ثمان وخمسين ومائتين، وتوفي في شعبان سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة (٥)، ولعله أقدم من أخذ عنهم أبو عبد الرحمن بعد والده وجده لأمه.

٤ — أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، أبو نعيم الأصبهاني، حافظ أصبهان، وصاحب كتاب: «حلية الأولياء»، وكتاب: «تاريخ

١ — انظر [كتاب السؤالات] في كتب أبي عبد الرحمن.

٢ — معجم البلدان [٧٧] ج ١ ص ٩٠ — الباب: ج ٣ ص ٢٢٥

٣ — من هذا الكتاب مخطوطة في مكتبة السلطان محمد الفاتح باستانبول، كما في فهرسها

انظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج ٣ ص ٢٩٣ — الباب: ج ٢ ص ٤٩



أخبار اصهبان ، (١) فقد روى أبو عبد الرحمن (٢) - مع تقدمه - عن عبد الواحد ابن أحمد الهاشمي عن أبي نعيم (٣) .

٥ - أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان ، المقرئ النيسابوري ، المعروف بابن حسويه (٤) ، وكان كذلك شيخ أبي عبد الله الحاكم (٥) .

٦ - أحمد بن محمد بن رُمَيْح بن عصمة بن وكيع بن رجاء ، أبو سعيد النخعي ، من أهل نسا (٦) ، وكتاب : « طبقات الصوفية » لأبي عبد الرحمن علوه بالرواية عنه (٧) .

٧ - أحمد بن محمد بن عبدوس العنزي [٨] ، أبو الحسن الطرائفي - نسبة إلى بيع الطرائف ، وهي الأشياء المتخذة من الخشب - توفي بنيسابور في رمضان سنة ست وأربعين وثلثمائة [٩] .

٨ - اسماعيل بن نجيد ، أبو عمر السلي ، جد أبي عبد الرحمن لأمه . وقد أكثر السماع عنه [١٠]

٩ - جعفر بن محمد ، أبو القاسم الرازي ، قال أبو عبد الرحمن في كتابه : « تاريخ الصوفية » ، في ترجمة أحمد بن محمد ، أبي بكر بن أبي سعدان : « لم يكن في زمانه أعلم بعلوم هذه الطائفة منه . وكان أستاذ شيخنا أبي القاسم الرازي » [١١]

١ - نشر هذا الكتاب الأستاذ المستفرك س . ديدرنج ، الأستاذ بجامعة أبلالة في ليدن سنة ١٩٣١ ، ومنه مخطوطة نفيسة بدار الكتب المصرية .

٢ - طبقات الشافعية : ج ٣ ص ٨ - طبقات الصوفية : ص ٢٦٥

٤ - تاريخ الإسلام : ج ٢١ ص ٢١٧

٥ - تاريخ دمشق ، مخطوط دار الكتب المصرية : ج ٣ ص ٣٦ - ٢٠ ، وكذلك ميزان الاعتدال : ج ١ ص ٥٧

٦ - تاريخ بغداد : ج ٥ ص ٨٤٧ - تاريخ الإسلام : ج ٢١ ص ٢١٨

٨ - المصدر السابق : ج ٢١ ص ٢١٧ - ٩ - شذرات الذهب : ج ٢ ص ٣٧٢

١٠ - سير أعلام النبلاء : ج ١١ ق ١ ورقة ٥٥ وطبقات الصوفية : ٤٥٤

١١ - تاريخ بغداد : ج ٤ ص ٣٦١

١٠ — جعفر بن محمد الحراث ، أبو محمد المراغى - نسبة إلى المراغة ، أعظم وأشهر بلاد أذربيجان - أحد الرحالين في طلب الحديث وجمعه ، سكن نيسابور ، وسمع بدمشق وغيرها (١)

١١ — حسان بن محمد القرشى ، الأموى النيسابورى الفقيه (٢) شيخ الشافعية بخراسان . صنف التصانيف ، وكان بصيراً بالحديث وعلمه ، ثقة ، أثنى عليه غير واحد ، وروى عنه كذلك الحاكم أبو عبد الله ، وقال عنه : « هو إمام أهل الحديث بخراسان ، وأزهد من رأيت من العلماء ، وأعبدهم ، توفى في ربيع الأول ، سنة تسع وأربعين وثلاثمائة (٣) »

١٢ — الحسين بن على بن زيد بن داود بن يزيد ، النيسابورى الصانع ، الإمام الحافظ أبو على ، رحل في طلب العلم والحديث وطاف ، وجمع فيه وصنف ، من روى عنه أبو عبد الرحمن السلبى ، ولد سنة سبع وسبعين ومائتين ، وعقد له مجلس الأملاء بنيسابور ، سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وهو ابن ستين سنة ، توفى عشية يوم الأربعاء ، الخامس عشر من جمادى الأولى ، سنة تسع وأربعين وثلاثمائة (٤)

١٣ — الحسين بن محمد ، أبو على النيسابورى (٥)

١٤ — الحسين بن محمد بن موسى الأزدى ، والد أبى عبد الرحمن (٦)

١٥ — سعيد بن القاسم بن العلاء بن خالد ، أبو عمرو البرذعى (٧)

١٦ — عبد الله بن فارس ، أبو ظهير العمري البلخى (٨)

١ — معجم البلدان [٧٧] : ج ٤ ص ٤٧٦

٢ — سير أعلام النبلاء : ج ١٦ ق ١ ورقة ٥٦

٣ — شذرات الذهب : ج ٢ ص ٣٨٠

٤ — معجم البلدان : ج ٤ ص ٨٩٠

٥ — تاريخ الإسلام : ج ٢١ ص ٢١٨

٦ — تاريخ الإسلام : ج ٢١ ص ٢١٩

٧ — تاريخ بغداد : ج ٩ ص ١١٠ ؛ وكذلك : تاريخ الإسلام : ج ٢١ ص ٢١٨

٨ — تاريخ الإسلام : ج ٢١ ص ٢١٨

١٧ — علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ، أبو الحسن الدارقطني الحافظ (١)

١٨ — محمد بن أحمد بن سعيد الرازي ، صاحب ابن وارة (٢)

١٩ — محمد بن داود بن سليمان ، أبو بكر الزاهد النيسابوري ؛ شيخ عالم ورع زاهد ، سافر كثيراً ، وجمال البلاد في طلب العلم ، وأكثر من الحديث ، جمع بنيسابور والري والعراق والحجاز ومصر والشام والموصل ، وروى عن جعفر القرياني وأبي عبد الرحمن النسائي ، وأبي يعلى الموصلي . وروى عنه كذلك الحاكم أبو عبد الله ، وصنف « أخبار الصوفية والزهاد » وأملى الحديث بنيسابور ، وتوفي عاشر ربيع الأول ، سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة (٣)

٢٠ — محمد بن محمد بن أحمد ، أبو عبد الله الصفار الزاهد الأصهباني (٤)  
كان زاهداً ورعاً ؛ ألف كتباً في الزهد (٥)

٢١ — محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان ، أبو بكر الرازي المذكر .  
كان أبو عبد الرحمن كثير الحكايات عنه (٦) ملياً بالسمع منه .

٢٢ — محمد بن علي بن اسماعيل ، أبو بكر النفال الشاشي - من الشاش ،  
عاش وراه النهر - تنبذ له أبو عبد الرحمن ، وروى عنه . وكان النفال أوحده أهل  
الدينيا في التفسير والفقه واللغة ، رحل إلى الدنيا وطلب العلم ، واتي كبار شيوخ  
عصره . وكان شيخ الشافعية في وقته ، ولد سنة إحدى وتسعين ومائتين ، ومات  
سنة ست وستين وثلاثمائة (٧)

١ — تاريخ بغداد : ج ١٢ ص ٣٤ — ٤٠

٢ — تاريخ الإسلام : ج ٢١ ص ٢١٧

٣ — الباب . ج ١ ص ١٩٠

٤ — سير أعلام النبلاء . ج ١١ ق ١ ورقة ٥٦

٥ — الأنساب . ٣٥٣

٦ — تاريخ بغداد . ج ٥ ص ٤٦٤

٧ — معجم البلدان . ج ٣ ص ٢٣٣

٢٣ — محمد بن محمد بن الحسن ، أبو الحسن الكارزى - نسبة إلى كازر ، من قرى نيسابور - النيسابورى . روى عنه أبو عبد الرحمن (١) ، كما روى عنه الحاكم أبو عبد الله (٢)

٢٤ — محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى بن مامر جس ، الماسرجسى النيسابورى (٣)

٢٥ — محمد بن يعقوب بن يوسف بن الأخرم ، أبو عبد الشيبانى الحافظ . محدث نيسابور وعالمها . صنف « المسند الكبير » ، والصحيحين . روى عنه أبو عبد الرحمن السلى (٣) ، وكذلك الحاكم أبو عبد الله ، ومع براعته فى الحديث والعلل والرجال لم يرحل عن نيسابور ، وعاش أربعاً وتسعين سنة ، مات سنة أربع وأربعين وثلاثمائة (٤)

٢٦ — محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان بن عبد الله ، أبو العباس الأصم . سمع منه أبو عبد الرحمن (٥) ، وهو من شيوخ نيسابور ومحدثها .

٢٧ — يحيى بن منصور القاضى ، أبو محمد النيسابورى (٦) . ولى قضاء نيسابور بضع عشرة سنة ، وتوفى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة . وقد لقيه أبو عبد الرحمن وسمع منه (٧)

٢٨ — أبو اسحاق الحيرى ، وقد سمع منه كذلك أبو عبد الرحمن (٨) .

[ البحث موصول ]

- 
- ١ — تاريخ الإسلام . ج ٢١ ص ٢١٩
  - ٢ — الباب . ج ٣ ص ٢٠
  - ٣ — تاريخ الإسلام . ج ٢١ ص ٢١٨
  - ٤ — سير أعلام النبلاء . ج ١١ ق ١ ورقة ٥٦
  - ٥ — شذرات الذهب . ج ٢ ص ٣٦٨
  - ٦ — سير أعلام النبلاء . ج ١١ ق ١ ورقة ٥٥
  - ٧ — الباب ج ١ ص ٥٦
  - ٨ — سير أعلام النبلاء . ج ١١ ق ١ ورقة ٥٦

# أَنْبَاءٌ وَأَرْاءُ

نزعة خلافة في البحرين :

ما تزال العوامل الخلافية بين الطوائف الإسلامية تعمل عملها في بعض الاقطار الإسلامية ، إذ ينتمى مشيرو الفتنة ، ودعاة الفرقة ، كل فرصة تمر بهم ، فيمسكوا بتلابيبها ، ولا يدعوها تغفلت من أيديهم حتى ينتفعوا بها أكبر انتفاع في أغراضهم السيئة ، ومن عجب أن الناصحين في هذه النار ، والموقدين لها ، فيهم جملة من أهل العلم ، وأصحاب المنزلة في أوطانهم وأقوامهم ، وهم مع ذلك يسيّدون وكأنّ أحوال المسلمين في العالم ترضيهم ولا تقلقهم ، فيشتغلون بما لا فائدة فيه من الخلاف ، ولا يترتب على انتصار جانب منه على جانب ، خطوة عملية بخطوها المسادون إلى الإمام ، أو فسكك من قيد ثقيل من القيود التي قيدهم بها الضعف ، والتخلف ، وسوء الظن المتبادل ، ومؤامرات الأعداء في كل مكان .

نقول هذا بمناسبة معركة طاحنة شجرت بين طائفتين عظيمتين من المسلمين في « البحرين » بمناسبة بعض الاحتفالات السنوية المعتادة . لقد تركت هذه المعركة بين الفريقين آثاراً سيئة ، وحفرت القسوى فيهما ، لا إلى بحث الأسباب المفضية بين الحين والحين إلى نشوب أمثالها ، ولكن إلى الافتتان في ألوان الانتقام والإساءة والتحرش بالسب والطعن والتجريح والتكفير ، بل ربما وصل الأمر إلى القتل ، مع شديد الأسف ، والامم من حولنا مشغولة بالعلم والبحث والتدبير والاستعداد لكل ما يقويها ويعلى شأنها .

أليس من المؤلم أن يجد دعاة الفرقة أذنًا واحدة تصفى إلى دعوتهم ، وقلباً واحداً يتأثر بها ، ويدأ واحدة تمتد بالعدوان في سبيلها ؟

إن الأمم التي يشغلها الجدل والدِّد لن ترتفع لها رأس أبداً ، ولو أن أمة من الأمم كانت قوية عالمة عزيزة مهيبة ، ثم فشا فيها هذا الداء العضال لآتى عليها في زمان قريب مع قوتها وعلوها وعزتها ، فما بالنا بالامة التي تقف الآن في مفترق الطرق ، تطالب العالم بإنصافها ، وتزعم لأقطابه وهيأتة أنها جديرة بهذا الإنصاف ، وتجاهد عن حقها في الشرق والغرب ، وتريق دماء أبنائها هنا وهناك ، وتبذل كل مرتخص وغال في سبيل وصولها إلى ما تنبغى - ما بال هذه الامة إذن لا يكف أفرادها عما درجوا عليه من الإثم والعدوان في حقها ؟

إن جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، لم توجد إلا لتوحيد كلمة المسلمين واستئلال أسباب الضغائن من قلوبهم ، والعمل على أن يترفخوا عن كل ما يصممهم بوصمة التأخر والضعف ، والعناية بتوافه الامور ، وتالله لن تقوم للامة قائمة ما دامت طوائفها ، أو أفراد من طوائفها ، تتحرك لان احتفالا أقيم في مناسبة معينة ، هذا يرضاه ، وهذا يأباه ، أو لان خطيباً قال في بعض كلامه مالا يقبل من وجهة نظر فريق غير فريقه ، ولقد اهتمت « دار التقريب » بهذا الامر حتى الاهتمام ، ودارت مراسلات واتصالات في شأنه بين السيدين الجليلين : محمد علي علوية رئيس الجماعة ، وسماحه الشيخ محمد تقي القمي سكرتيرها العام ، وبين عظمة حاكم البحرين وصفوة من رجال « البحرين » الكرام ، وكان لهذه المراسلات أثر والحمد لله في تخفيف الحدة ، وإخفاء نيران الفتنة ، ولعل هذا يكون مدعاة لتدبر عميق من إخواننا هناك ينتهى إلى توطيد أسباب الألفة والمحبة ، وتناسى أسباب المرفة والبغضاء ، فتندمل جراح أحبب إلى المسلمين أن تندمل « وترقاً دماء أعزّز عليهم أن لا تقتل تسيل ، وافقه المستعان ، « ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين . »

### صوت من « كراتشي » :

يشعر أهل العلم والغيرة على الإسلام والمسلمين ، بعاطفة صادقة نحو التقريب وغاياته الشريفة ، ويرون في « رسالة الإسلام » دعوة هادئة رزينة مثابرة إلى إصلاح المسلمين في مختلف طوائفهم وشعوبهم لإصلاحاً نفسياً فكرياً هو أساس وطيد من أسس التعاون على الإصلاح العام الذي يجعل منهم أمة قوية قائمة بأمر الله على أن تكون كلمة الله هي العليا ، وعلى أن يبقى الناس إلى ما يجب أن يفتتوا إليه من حكم الله ، وصراطه المستقيم .

يشعرون بهذه العاطفة الصادقة نحو التقريب ورسالة الإسلام ، ويكتبون إلينا مؤيدين أحياناً ، وموجهين أحياناً ، وناقدين أحياناً ، ونحن نتلقى هذا كله بما هو جدير به من العناية والقبول ، ونجعله دائماً نصب أعيننا فيما ندرس ونبحث شاكرين لأصحابه غيرتهم وإخلاصهم .

وعما يرد إلينا كثيراً رسائل تفيض حزناً وأسفاً على ما يصادفه المسلمون من مصائب داخلية أو خارجية تعوق تقدمهم ، وتحول بينهم وبين ما يصبون إليه من النور والانبعاث في ركب الحياة .

ونحن نرى في هذه الرسائل ، وفي الروح الكريم الذي يبعث عليها ، أمانة على الوعي واليقظ ، وبشارة بالخير والمستقبل المنشود ، ولا نعتقد أن اليأس ينطرق إلى قلوبنا بترديد هذه المعاني والاستماع إليها .

ومن أمثلة هذه الرسائل التي تفيض غيرة على الأمة ، وتفيض مع ذلك حزناً وأسفاً واعتراضاً بحكم الواقع المؤلم ، ماجاء في بعض ما كتبه عالم من العلماء الممتازين بباكستان إلى كبير في جماعة التقريب ، إذ يقول في صدد حالة المسلمين عامة ، وحالة شقيقتنا ( الباكستان ) خاصة ، مما نشره للعبرة وما فيه من النصيحة :

... إلى أرغب في أن أشغل بعض فراغك ، أو أغتصب بعض أوقانتك الثمينة ، لأبشرك بشئ ، وأتفلس لديك ببعض آرائي التي أحس بأنها سيجتة ذهني ، وأسيرة نفسي ، وقد يشجعني على ذلك ما أعلمه من أن هذا النوع من الحديث اليك يتصل بمهمتك

السامية ، وغابتك الشريفة ، التي ظاهرك عليها ، وأبدك فيها إخوان أعزة كرام لهم شأنهم ومركزهم في شعوبهم وفي المسلمين عامة .

إننى أحب ( رسالة الإسلام ) وأمتلاً نقرأ ومباهاة بها ، وبالفكره التى تدعو إليها ، ولكننى عندما أنظر إلى المسلمين بقومياتهم المختلفة ، وألوانهم المتباينة ، وبيناتهم المتفاوتة ، أجدهم يهتمون بأمور ليست صالحة لهم ، وليسوا صالحين لها ، كأنهم لم يعرفوا الحياة الحاضرة ، ولم يسمعوا بما يملأ أقطار الدنيا الآن من المخترعات النافعة الجبارة ، أو الضارة الهدامة ، ولم يقفروا على السياسة العامة ، والاطماع العظيمة التى تدور فى خلد زعماء البشرية اليوم . ولم يعلموا أنهم اللقمة السائقة ، التى تتحلب لها أفواه كثير من الوحوش السكاره .

كنت أحسب أن هذا التغافل ، وهذا التناوم ، وهذا التعمى ، إنما هو من آثار الاستعمار فحسب ، ولكن التاريخ يرشدنى ويثبت لى أن المسلمين منذ بدء نهضتهم اهتموا بالأمور المحلية ، وضحوا المصالح العامة ، وإنما عظمة الدين ورسالت أمم العالم قد مهدا لهم العيش الكريم فى الدنيا بضع قرون ، لقد عاشوا حياتهم كلها فى حروب داخلية ، وثورات دموية ، نعم الاستعمار كان دائماً يفحص عن نقاط الضعف فى الأمة ، فإذا وجدها أنماها وتعهدها وسقى بذورها . . .

... ومن العجيب أن السكل الآن متفقون على أن القوانين المالية والجزائية يجب ألا تكون إسلامية ، لأنها لا توافق المصالح الحاضرة ، وقد يصح أن نسألهم ماذا يعنون من الحكومة الإسلامية ؟ هل هى التى تقيم العبادات والأحوال الشخصية ؟ فإن الحكومات المسلمة كلها متفقة فى هذه ، وهلا يقف العاقل متعجباً من هذه الأمور التى تجرى فى هذا المحيط العظيم وتودى إلى تعطيل جهازه وإهمال مصيره ؟



من بحوث مجمع فؤاد الاول للغة العربية<sup>(١)</sup>

## معجم ألفاظ القرآن الكريم

— ١٠ —

ل ف ف

التف — الفاف — لفيف

التف الشيء : اجتمع ، يقال : التفت الكتيبة والتف الشيء بالشيء انضم إليه التف والتوى عليه .

وقد جاء من هذا قوله تعالى : د والتفت الساق بالساق ، ٢٩ / القيامة . وذلك عند الاحتضار من شدة القرب يضرب المرء برجله على الأخرى ، أو ذلك في الكفن تلفت الساقان ، أو أن ذلك مجاز عن اتصال شدة الدنيا بشدة الآخرة ، ومن معاني الساق الشدة .

والألفاف : الأشجار الملتفة ، واحدها لف بالفتح والكسر ، أو لف بالضم ، الألفاف وهي جمع لفاء ، وإذن تكون الألفاف جمع الجمع .

وقد جاء ألفاف في قوله تعالى : د لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً ، ١٦ / النبأ

وطعام لفيف : مخلوط من جنسين فصاعداً ، قال تعالى : د فإذا جاء وعد لفيف الآخرة جيشاً بكم لفيفاً ، ١٠٤ / الإسراء ، أى مجتمعين مختلطتين من كل قبيلة .

(١) بإذن خاص من حضرة الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد رئيس المجمع .

## ل ف ي

## الني

الني الشيء : وجده يقال ألفيت أخى فى الطريق ، وألفيت محمد مخلصا .  
وقد جاء من هذا قوله تعالى : قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، ١٧٠ / البقرة  
، وألفيا سيدها لدى الباب ، ٢٥ / يوسف ، إنهم ألفوا آباءهم ضالين ، ٦٩ / الصافات .

## ل ق ب

## الألقاب

اللقب : اسم زائد على الاسم الاصلى يشعر برفعة المسمى أو وضعته .  
وهو فى الذم أشهر منه فى المدح ، كأن تسمى ابنك علياً ثم تلقبه بالكامل  
أو الناقص أو الاخفش أو الاعمش ، وجمع اللقب : ألقاب .

وجاء الألقاب فى قوله تعالى : ولا تلبسوا أنفسكم ولا تباذروا بالألقاب ،  
١١ / الحجرات

## ل ق ح

## لواقح

١ - لفحت الناقة وأثنى الحيوان تَلَفَحَ تَلَفَحاً وَلَفَحَ وَلَفَحاً فبى لاقح  
والجمع لواقح .

٢ - ألحق الفحل الناقة أحبلها ، فالفحل مُلَقَح ، وقياس جمعه ملاقح .  
وقد جاء لفظ لواقح وصفاً للرياح فى قوله تعالى : وأرسلنا الرياح لواقح  
فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه ، ٣٢ / الحجر .

ولواقح فى هذه الآية جمع لاقح على تشبيه الريح بالناقة اللاقع ، لأن الريح  
تحمل السحاب وغيره مما ينفع الناس والنبات ، ولذلك يقال للتي لاتأتى بعطر ريح  
عقيم ، أو أن أصل لواقح ، ملاقح على حذف الزوائد ، أو أنها جمع لللاقح أيضاً  
بمعنى ذى لقاح ، كما يقال : رجل لابن وتامر ، أى ذو لبن وذو تمر .

الني

الألقاب

لواقح

## ل ق ط

النقط - يلتقط

لقط الشيء يلتقطه من باب نصر: أخذه من الأرض كالتقطه ، ومن المجاز التقط الشيء : عثر عليه من غير قصد .

وقد جاء من هذا قوله تعالى : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم العذاب إلهاباً » / القصص .

« يلتقطه بعض السيارة » ، ١٠ / يوسف .

يلتقط

## ل ق ف

تلقف - تلقف

٢ - لقف الشيء كسمع يلقفه لقفاً : تناوله بسرعة ، ويقال فلان يلقف الطعام : يتناوله في إسراع ويبتلعه .

وجاء صيغة تلقف « مضارع الثلاثي » ، في رواية حفص عن عاصم في الكتاب في المواضع الثلاثة التي أنت منها هذه المادة وهي قوله تعالى لإخباراً عن موسى عليه السلام ، فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ، ٤٥ / الشعراء . « فإذا هي تلقف ما يأفكون » ، ١١٧ / الأعراف . وقوله تعالى خطاباً لموسى عليه السلام « والقي ما في يمينك تلقف ما صنعوا » ، ٦٩ / طه .

٢ - وجاء تلقف - وأصله تتلقف لحذفت إحدى التامين - في الآيات السابقة تلقف في بعض القراءات السبع .

## ل ق م

التقم

لقم الشيء كسمع بلعه بسرعة كالتقمه .

قال تعالى « فالتقمه الحوت وهو مليم » ، ١٤٣ / من الصافات .

التقم

## ل ق ي

( لقي - التي - التقي - تلقى - لاقى - لقي - لقاء - تلاقى - ملق - ملق - ملق - تلقى - تلقاء )

١ - لقيه يلقاه لُقاءً ولِقِيًّا وَلِقِيًّا نأجي لها يأتى :

( ١ ) فيقال لقيه : وجده وقابله ويتعلق بالأجسام .

ومنه قوله تعالى فى شأن المنافقين : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا .

١٤ ، ٧٦ من البقرة .

وقوله تعالى فى شأن موسى وصاحبه : حتى إذا لقيا غلاما فقتله ، ٧٤ / الكهف

وقوله تعالى : : ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، ١٣ / الإسراء .

( ب ) ويقال : لقي سرورا أو شرا أحسنه وأدركه . وهكذا ما يتعلق فيه اللقاء

بالمعاني ، ومن هذا قوله تعالى : آتانا غدا ما لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا .

٦٢ / الكهف . ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه ، ١٤٣ / آل عمران .

( ج ) واللقاء قد يتعلق بالمعنويات والحسيات ومن ذلك قوله تعالى : أفئن

وعدناه وعداً حسنا فهو لاقية كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ، ٦١ / القصص ،

الوعد الحسن الحياة الطيبة فى الدنيا ، والثواب العظيم فى والآخرة ، ولاقيه :

مدركة لا محالة .

( د ) وإذا تعلق اللقاء بأقنه فهو لقاء ما أعد للعباد من الثواب والعقاب يوم

البعث وما يلحقه .

وجاء من هذا قوله تعالى : فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه ،

٧٧ / التوبة و تحييتهم يوم يلقونه سلام ، ٤٤ / الأحزاب .

( هـ ) ولقاء المرء لعمله من خير أو شر : لقاء جزائه .

ومن هذا قوله تعالى : : ومن يفعل ذلك يلق أنا ما ، ٦٨ / الفرقان و فسوف

يلقون غيا ، ٥٩ / مريم .

٢ - لقيته الشيء : جعلته يلقاه ويدخل فيه المعانى الآتية :

( ١ ) فيقال لُقيَ فلان التحية : استقبل بها .

وجاء من هذا قوله تعالى : « ويلقون فيها تحية وسلاما » ٧٥ / الفرقان .  
(ب) ويقال لقيتك ما تحب : آتيتك إياه وأعطيتك .

وقد جاء من هذا قوله تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن » ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا نحو حظ عظيم ، ٣٥ / الفرقان « أى ما يؤتى هذه الحصلة » ، ولقاهم نضرة ورسورا ، ١١ / الإنسان .

(ج) ويقال لقيتك العلم : علمتك إياه ولقي فلان الخير وفق إليه .  
وقد جاء من هذا قوله تعالى « وإنك لنتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » ٦ / النحل وقد قيل في قوله تعالى « وما يلقاها إلا الذين صبروا » إن المعنى وما يعلمها وما يوفق إليها .

٣ — ألقى : أتى على الأوجه الآتية : —

(١) فيقال : ألقى الشيء : طرحه ، ويأتى هذا فى المحسوس والمعقول ، تقول : ألقيت الكتاب من يدي وألقيت بين القوم العداوة : حرشت بينهم .

قال تعالى « فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين » ١٠٧ / الأعراف . « فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدولى وعدوله » ٣٩ طه . « وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت » ٤ / الانشقاق . « فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون » ٨ / يونس . « وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة » ٦٤ / المائدة . « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته » ٥٢ / الحج - أى ألقى الشيطان الشبه والقوادح عند بعض الناس فى أمنيته .

(ب) ويقال ألقى إليه الشيء : أوصله إليه ، ويأتى أيضاً فى المحسوس والمعقول ، تقول ألقيت إلى صديقى الثوب وألقيت إليه السلام ، وألقى إليه السمع : أوصل سمعه إلى كلامه وهو كناية عن تسمعه واصاغته . وألقيت إليه القول : كلته ؛ وهكذا ما جرى هذا المجرى من وجوه الاستعمال . قال تعالى « اذهب بكتابتى هذا فألقه إليهم » ٢٨ / النمل . « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا » ٩٤ / النساء .

« إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلته ألقاها إلى مريم ، ١٧١ / النساء  
« وألقوا إلى الله يومئذ السلم ، ٨٧ / النمل » فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون ،  
٨٦ / النمل » يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ، ٢٢٣ / الشعراء » أو ألقى السمع  
وهو شهيد ، ٣٧ / ق .

(ج) ويقال : ألقى في الشيء كذا : جعله فيه ، ويقال : ألقى الله في قلب فلان  
حب الإيمان ، قال تعالى : « وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بهم » ١٥٠ / النحل  
« سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب » ١٥١ / آل عمران .

(د) ويقال ألقى على المتعلم كذا : علمه إياه ، قال تعالى : « ألقى الذكر عليه  
من بيننا بل هو كذاب أشمر » ٢٥ / القمر .

« فالملقيات ذكرنا عذرا أو ندرا » ٥ / المرسلات .

(هـ) ويقال : ألقى بالشيء ، كما يقال ألقاه ويحىء في المحسوس والمعقول .

وقد جاء من هذا قوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ١٩٥ / البقرة  
أى لا تلقوا أيديكم ، والأيدي مجاز عن الأنفس ، وقيل المراد : لا تلقوا أنفسكم  
بأيديكم » تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » ١ الممتحنة .  
أى توصلون إليهم مودتكم أى توادونهم ، وقيل المراد : تلقون إليهم أخبار  
المؤمنين بسبب ما تضمرونه لهم من المودة .

٤ — تلقى الشيء يحىء لما يأتى :

(أ) فيقال تلقاه : استقبله ، تقول تلقاني بوجه طلق ، وقد جاء من هذا  
قوله تعالى : « وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون » ١٠٣ الأنبياء .

(ب) ويقال تلقيت الشيء : أخذته بطيب نفس وقبول ، تقول تلقى كلمة  
الخير من فلان ، وقد جاء من هذا قوله تعالى : « فلقى آدم من ربه كلمات فتاب  
عليه » ٣٧ / البقرة .

(ج) ويقال تلقاه : أخذه ، وجاء من هذا قوله تعالى : « إذ تلقونه بألسنتكم  
وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم » ١٥ / النور - تلقونه أصله تتلقونه

خذفت لإحدى التامين - د إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ١٧ / ق  
أى يتلقيان ما يلفظ به فيحفظانه ويكتبانه .

٥ — التقيا : تقابلا يقال : التقى الجيشان ، والتقى البحران .

وقد جاء من هذا قوله تعالى : د إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما  
استنزلم الشيطان ببعض ما كسبوا ، ١٥٥ / آل عمران . د فالتقى الماء على أمر  
قد قدر ، ١٢ / القمر . د مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ، ١٩ / الرحمن  
٦ — تلاقيا : تقابلا واجتمعا .

وقد جاء من هذا قوله تعالى : د لينذر يوم التلاق ، ١٥ / غافر .

٧ — لاقاه : قابله ، ويأتى فى المحسوس والمعقول ، ويقال لاقى الله  
استقبل ما أعد له ، وذلك فى يوم القيامة .

وقد جاء من هذا قوله تعالى : د الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه  
راجعون ، ٤٦ / البقرة . د قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ، ٨ / الجمعة  
د إني ظننت أنى ملاق حساييه ، ٣ / الحاقة . د أولئك الذين كفروا بآيات ربهم  
ولقاءه خبطت أعماهم ، ١٠٥ / السكف . د ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن  
فى مرية من لقاءه ، ٢٣ / السجدة .

٨ — تلقاه : يأتى مصدراً بمعنى اللقى ، تقول حظيت اليوم بتلقاء الأمير ،  
ويأتى لمكان اللقى فيكون ظرفاً منصوباً أو مجروراً بمن ، وفى هذه الحالة معناه  
الجهة ، تقول : ما فعلت هذا من تلقاء نفسى ، أى من جهة نفسى ومن عندى ،  
وتقول : جلست تلقاء الباب .

وقد جاء من هذا قوله تعالى : د وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ،  
٤٧ / الأعراف

د قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، ١٥ / يونس .

## ل م ح

لمح بالبصر - لمح البصر

١ — لمح الرجل الشيء : نظره بسرعة ، والممح بالبصر أسرع ما يحس ، فمن ثم يضرب مثلاً في السرعة فيقال : هذا الأمر كلمح البصر .

وقد جاء من هذا قوله تعالى : « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » هـ / القمر

٢ — لمح البصر ، نظر بسرعة ويضرب لمح البصر أيضاً في السرعة .

وقد جاء من هذا قوله تعالى « وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ، ٧٧ / النمل .

## ل م ز

لمز - لمزة

١ — لمز فلاناً يلزمه لمزاً فهو لازم ، عابه بقول أو فعل .

وقد جاء من هذا قوله تعالى « ومنهم من يلزمك في الصدقات » هـ / التوبة ، ولا تلزموا أنفسكم ولا تنازروا بالألقاب ١١ / الحجرات

٢ — اللمزة : الذي يكثُر اللمز والعيب ، والتاء فيه المبالغة ويقال : رجل لمزة وامرأة لمزة ، وقد جاء من هذا قوله تعالى « ويل لكل همزة لمزة » ١ / الحمزة

## ل م س

لمس - لامس - التمس

١ — لَمَسَ الشيء يلمسه ويلمسه لمساً : يأتى على ما يحس .

( ١ ) فيقال لمسه : أجرى يده عليه ، تقول : لمست الثوب .

وقد جاء من هذا قوله تعالى : « ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فَلَسَوْهُ

بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » ٧ / الأنعام .



- (ب) ويقال : لمس الشيء : طلبه ، تقول لمست صداقتك .  
وقد جاء من هذا قوله تعالى : • وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا • ٨ / الجن . يراد بلمس السماء طلب بلوغها لاستراق السمع فيها .  
٢ — لامس الشيء : أجرى يده عليه ، وقد يراد بلامسة المرأة وطؤها ، وقد جاء من هذا قوله تعالى : • أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ، ٤٣ / النساء . ٦ / المائدة  
٣ — التمس الشيء . طلبه تقول . التمت مودتك .  
وقد جاء من هذا قوله تعالى : • قيل ارجعوا وراءكم فاتسوا نورا ١٣ / الحديد .

## ل م م

### لم - لم

- ١ — لم الشيء يلمه لما . جمعه يقال . أكل أكلا لما . أى شديداً يجمع الآكل ما يحده ، ويقال يأكل فلان التراث أكلا لما ، أى يأخذ التراث فيجمعه جمعا لا يميز بين ما يحمد وما لا يحمد ، وقولهم أكل لم أى ذولم ، أو هو وصف على المبالغة .

وقد جاء اللم في قوله تعالى • وتأكفون التراث أكلا لما وتحبون المال حباً جماً • ١٩ / الفجر .

- ٢ — ألم : أتى باللم ، وهو ما صغر من الذنوب ولم يبلغ أن يكون من كبائرها أو هو مقاربة الذنب والهم به ، وجاء اللم في قوله تعالى • الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللجم • ٣٣ / النجم .

## رجاء من التقريب

إلى الكتاب والباحثين

١ - نرجو من الكاتب الإسلامي أن يحاسب نفسه قبل أن يخط أى كلمة ، وأن يتصور أمامه حالة المسلمين وما هم عليه من تفرق أدى بهم إلى حضيض البؤس والشقاء ، وما نتج عن تسمم الأفكار من آثار تساعد على انتشار اللادينية والإلحاد .

٢ - ونرجو من الباحث المحقق - إن شاء الكتابة عن أية طائفة من الطوائف الإسلامية - أن يتحرى الحقيقة في الكلام عن عقائدها ، وألا يعتمد إلا على المراجع المعتبرة عندها ، وأن يتجنب الاتخاذ بالشائعات وتحميل وزرها لمن تبرأ منها ، وألا يأخذ معتقداتها من مغاليفها .

٣ - ونرجو من الذين يحبون أن يجادلوا عن آرائهم أو مذاهبهم أن يكون جدالهم بالتي هي أحسن ، وألا يجرحوا شعور غيرهم ، حتى يعهدوا لهم سبيل الاطلاع على ما يكتبون ، فإن ذلك أولى بهم ، وأجدى عليهم ، وأحفظ للوادة بينهم وبين إخوانهم .

٤ - من المعروف أن سياسة الحكم والحكام ، كثيراً ما تدخلت قديماً في الشؤون الدينية ، فافسدت الدين وأثارت الخلافات لا لشيء إلا لصالح الحاكمين وتثبيتاً لأقدامهم ، وأنهم سخرُوا - مع الأسف - بعض الأقلام في هذه الأغراض ، وقد ذهب الحكم وانقرضوا ، بيد أن آثار الأقلام لا تزال باقية ، تؤثر في العقول أثرها ، وتعمل عملها ، فعلينا أن نقدر ذلك ، وأن نأخذ الأمر فيه بنتهى الحذر والحيلة .

\* \* \*

وعلى المجلة ، نرجو ألا يأخذ أحدُ القلم ، إلا وهو يحسب حساب العقول المستتيرة ، ويقدم مصلحة الإسلام والمسلمين على كل اعتبار .

## من القانون الأساسي لجماعة التقريب

### المادة الثانية

أغراض الجماعة هي : —

- أ - العمل على جمع كلمة أرباب المذاهب الإسلامية ، الطوائف الإسلامية ، الذين باعدت بينهم آراء لا تس العقائد التي يجب الإيمان بها .
- ب - نشر المبادئ الإسلامية باللغات المختلفة وبيان حاجة المجتمع إلى الأخذ بها .
- ج - السعي إلى إزالة ما يكون من نزاع بين شعبين أو طائفتين من المسلمين ، والتوفيق بينهما .

## فهرس

٣٣٩	.....	كلمة التحرير
٣٤٤	لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت	هدى القرآن الكريم
٣٦١	لحضرة الأستاذ الجليل محمد علي معلوم	الديمقراطية المحيطة
٣٧٧	لحضرة صاحب السامحة الأستاذ محمد نقي القمي	نظم على الحروف
٣٨٥	لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان	شعر للناسبات
٣٩٢	لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد جواد مغنية	الخلاف لا يمنع من الانصاف
٣٩٦	لحضرة الأستاذ علي علي منصور	العريضة الإسلامية [ والقوانين الوضعية بمصر ]
٤٠٤	لحضرة الكاتب الفاضل الأستاذ أحمد محمد بريري	قال شيخى
٤١٢	لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الطنطاوى	لكن قال شيخى
٤١٨	لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم الصعدي	تجارة قريش في القرآت والشعر
٤٢٤	لحضرة الأستاذ الفاضل نور الدين شريه	من أعلام الإسلام: أبو عبد الرحمن السلمي
٤٣٣		أنباء وآراء
٤٣٧		معجم ألفاظ القرآت الكريم
٤٤٦		رجاء من التقريب
٤٤٧		من القانون الأساسى لجماعة التقريب

## رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ

مجلد اسلامى عالميه  
تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الاسلاميه بالقاهرة

رئيس التحرير: محمد محمد المذنب مدير الإدارة: عبد العزيز محمد عيسى  
الإدارة: ١٩ شارع حشم ناسا بالزمالك القاهرة - تليفون ٥٨٩٨٤  
قيمة الاشتراك عن سنة في البلاد العربية خمسون قرشا ومصريا  
وفي أمريكا أربعة دولارات وفي البلاد الأخرى ليرة إنجليزية

مطبعة احمد علي نخيمر ٤٧١٩٣